المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



المسائل العقدية في كتب علوم القرآن

عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:
ياسر بن مبروك المرعشي
الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٠٢٠٥
إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
علي بن نفيع العلياني

العام الجامعي

١٤٣٠ - ١٤٣١هـ

المقدمة

إن الحمـد لله نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسـنا وسيئات وأعمالنا، من يهده الله فلامضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمـــــران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] .

أما بعد:

فإن العلم يشرف ويفضل بشرف المعلوم، لذا فإن أفضل العلوم على الإطلاق هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقد اشتمل هذا القرآن على علم الأولين والآخرين، وعلى الأخبار الصادقة النافعة، ولـذلك امتن الله عـلى هـذه الأمـة بهـذا القـرآن، ووصـفه بـالنور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعـالى﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥].

ففي ذلك أعظم دلالة على أنه النور الذي يستضيء به العبد طريقه إلى الله .

والنـاس متفـاوتون في هـذا النـور تفاوتـاً عظـيماً، بحسـب أتبـاعهم وعملهـم بالقرآن؛ ولذا فحري بالعبد العناية بهذا الكتاب وبعلومه ومعارفه .

وقد درج أهل الصدر الأول من هذه الأمة على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه

ﷺ والاعتصام بهما فكانوا على الصراط المستقيم، ولم تتفرق بهم السبل، وذلك بسبب تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ .

ولما كان كتاب الله هو سبيل وحدة المسلمين، وعزهم وقوتهم، اهتم به العلماء، والأئمة فصنفوا فيه الكتب الكثيرة وأولوه العناية الفائقة، وشمروا عن ساعد الجد يغترفون من علمه ويبحثون عن كنوزه وجواهره، فمن تلك المصنفات العظيمة واللآلیء المنثورة كتب علوم القرآن .

وقد اهتم به العلماء اهتماماً بالغ النظير، بالتصنيف تارة، وبالاختصار وبالشرح تارة، إلا أن الناظر والمتأمل في هذه الكتب يجد أنها دخلها شيء من علم الكلام، بسبب تأثر المصنفين بهذا العلم، الذي أفسد العقائد وحرف مراد الله ورسوله ﷺ فكان من الواجب التصدي لتصفية وتنقية هذه الكتب من هذا الكدر .

وحيث إنه لم يسبق أن طرق هذا الموضوع، اخترته ليكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير وأسميته (**المسائل العقدية في كتب علوم القرآن، عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**) .

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من جهات متنوعة أهمها:

١- أن دراسة علوم القرآن، ومايتعلق به، من أفضل ماصرفت فيه الأوقات والأعمار، وذلك؛ لأنه متعلق بأعظم كتاب، وهو القرآن، الذي هو كلام الله عزوجل.

٢- أن علم القرآن هو أصل العلوم كلها، ومنبعها الذي منه تستقى كل العلوم الأخرى .

٣- أن تصحيح الاعتقاد والمحافظة على سلامة العقيدة من أعظم الأسباب المقربة إلى الله وذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى ماخلق الخليقة ولابعث الرسل إلا لهذا الأمر .

٤- التأسي بالرسول ﷺ في الاهتمام بالتوحيد، إذ مكث بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه يدعو إلى التوحيد، ويصحح الاعتقاد حياته كلها عليه الصلاة والسلام.

٥- أن القرآن هو أعظم مصادرالاستدلال على شريعة الله ، فإذا كان كذلك، فلابد من تصحيح الكتب التي ألفت في علومه ومعارفه، وذلك؛ لأن الخطأ في تلك الكتب قد يجر إلى الخطأ في الاستدلال .

٦- أن علوم القرآن قد دخلها علم الكلام، الذي كدر صفوها، كما دخل غيرها من العلوم كعلم أصول الفقه وعلم البلاغة ونحوها، لذا يجدر العناية والاهتمام بتصفية وتنقية هذه العلوم من هذا الكدر الذي أصابها .

٧- وقوع كثير من المخالفات العقدية في كتب علوم القرآن، كما سيتضح ذلك من خلال الرسالة .

٨- أني لم أجد فيما أعلم من كتب في هذا الموضوع مع أهميته .

الدراسات السابقة:

لم أجد فيما أعلم من كتب في هذا الموضوع بشيء من التفصيل، ولكن هناك دراسات لبعض كتب علوم القرآن، ومنها:

١. كتاب مناهل العرفان، دراسة وتقويم، د. خالد السبت، رسالة ماجستير، قدمت لقسم القرآن بالجامعة الإسلامية، وهي دراسة تقويمية شاملة للكتاب، وقد نبه الباحث على الأخطاء العقدية، وقد أجاد في ذلك .

٢. كتاب علوم القرآن بين البرهان والإتقان، دراسة موازنة، د. حازم سعيد حيدر، وقد نبه الباحث على بعض الأخطاء العقدية، ولم يستوعب .

٣. كتاب أخطاء الزرقاني في مناهل العرفان د. محمد الخميس، نبه المؤلف على الأخطاء المتعلقه بصفات الله تعالى .

٤. كتاب نقض عقائد الأشاعرة في كتاب مناهل العرفان، د. توفيق علوان، ولكن

هذه الدراسة لم تكن إلا في باب الأسماء والصفات .

٥. ثم طبع أخيراً كتاب الإتقان في علوم القرآن، في مجمع الملك فهد، تحقيق اللجنة العلميـة في المجمـع، وقـد تتبعـوا الأخطـاء العقديـة في الكتـاب وعلقـوا عليهـا بتعليقات مفيدة، ونافعة .

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على:

أ- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره .

ب - الدراسات السابقه .

ج - خطة البحث .

د- منهج البحث .

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالعقيدة .

المبحث الثاني: التعريف بعلوم القرآن .

المبحث الثالث: نشأة علوم القرآن والمراحل التي مر بها .

الباب الأول: الأصول المنهجية العامة في كتب علوم القرآن . وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: المحكم والمتشابه: وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه. وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمحكم .

المطلب الثاني: المعنى اللغوي للمتشابه .

المبحث الثاني: أقوال العلماء في معنى المحكم والمتشابه .

المبحث الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن .

المبحث الرابع: حكم تأويل المتشابه .

المبحث الخامس: هل في القرآن شيء لاتعلمه الأمة ؟

المبحث السادس: هل الصفات من المتشابه ؟

المبحث السابع: الحكمة من المتشابه .

الفصل الثاني: المجاز . وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحقيقة والمجاز .

المبحث الثاني: نشأة المجاز وأغراضه .

المبحث الثالث: تحقيق القول بإن صفات الله ليست من المجاز . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجوب فهم النصوص الشرعية على حقيقتها وظاهرها .

المطلب الثاني: إبطال المجاز في صفات الله وأسمائه .

الفصل الثالث: التأويل والتفويض .وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التأويل . وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التأويل لغة .

المطلب الثاني: حقيقة التأويل في النصوص الشرعية .

المطلب الثالث: حقيقة التأويل عند السلف والمتأخرين .

المطلب الرابع: موقف السلف وأهل السنة من التأويل .

المطلب الخامس: التأويل في كتب علوم القرآن .

المبحث الثاني: التفويض . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التفويض .

المطلب الثاني: التفويض في كتب علوم القرآن .

الفصل الرابع: خبر الآحاد . وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف خبر الآحاد .

المبحث الثاني: حجية خبر الآحاد .

الباب الثاني: المسائل العقدية في كتب علوم القرآن . وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقه بتوحيد الربوبية والألوهية . وفيه تمهيد، ومبحثان .

تمهيد: في تعريف توحيد الربوبية والألوهية

المبحث الأول: توحيد الربوبية .

المبحث الثاني: توحيد الألوهية .

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقه بتوحيد الأسماء والصفات . وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الصفات الذاتية . وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صفة النفس .

المطلب الثاني: صفة العلو .

المطلب الثالث: صفة اليدين .

المطلب الرابع: صفة الوجه .

المطلب الخامس: صفة العينين .

المبحث الثاني: الصفات الفعلية . وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صفة الاستواء .

المطلب الثاني: صفة النزول والمجيء والاتيان .

المطلب الثالث: صفة القرب .

المطلب الرابع: جملة من الصفات الفعلية، المحبة والرضا، والغضب، والرحمة، والعجب، وغيرها .

المبحث الثالث: معية الله .

المبحث الرابع: صفة الحياء .

المبحث الخامس: رؤية الله .

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن: وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من القرآن . وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في صفة الكلام . وفيه تمهيد وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أدلة أهل السنة على إثبات صفة الكلام لله .

المسألة الثانية: إثبات أن كلام الله متعلق بمشيئة الله واختياره .

المطلب الثاني: منهج أهل السنة في القرآن .

المطلب الثالث: مناقشة أقوال المخالفين والرد عليهم .

المبحث الثاني: نزول القرآن .

المبحث الثالث: إعجاز القرآن . وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ضابط المعجزة .

المطلب الثاني: القرآن معجزة هذه الأمة .

المطلب الثالث: قدر المعجز من القرآن .

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن . وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولة: هل الإعجاز واقع في اللفظ أو المعنى .؟

المسألة الثانية: إعجازه بالصرفة .

المسألة الثالثة: من وجوه إعجاز القرآن .

المبحث الرابع: تفاضل القرآن .

المبحث الخامس: الوحي . وفيه تمهيد ومطلبان .

التمهيد في حاجة البشر إلى الوحي .

المطلب الأول: تعريف الوحي .

المطلب الثاني: مراتب الوحي .

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالقدر . وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفعال العباد .

المبحث الثاني: التحسين والتقبيح .

المبحث الثالث: حقيقة الظلم .

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بمسائل الأسماء والأحكام . وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان لغة وشرعاً .

المبحث الثاني: التكفير .

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث:

الفهارس:

١. فهرس الآيات .

٢. فهرس الأحاديث .

٣. فهرس الأعلام .

٤. فهرس الملل والنحل .

٥. فهرس الألفاظ الغريبة .

٦. فهرس المصادر والمراجع .

٧. فهرس الموضوعات .

منهج البحث:

١ . جمع المسائل العقدية من كتب علوم القرآن، التي هي مرجع الباحثين في هذا الفن، وذلك لاستيعابها، وشمولها، وتميزها في العرض، والمادة العلمية، والتي تمثلت في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب الإتقان في علوم القرآن، الذي اعتمد على كتاب البرهان وزاد عليه أنواعاً ليست فيه، وقد تتابعت كلمات الباحثين على أنهما من أوسع ماكتب في علوم القرآن، وسيأتي شيء من ذلك .

وقد أضفت إلى هذه الدراسة كتاب مناهل العرفان للزرقاني، وذلك لتميزه في العرض، وبعض الإضافات، ولأنه؛ أصبح من المراجع المهمة لدى الباحثين المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن .

٢. رتبت تلك المسائل على أبواب العقيدة ومباحثها، على نحو ماجاء في كتب السلف.

٣. دراسة تلك المسائل على ضوء عقيدة السلف الصالح، وبيان مخالفتها إن كانت كذلك، مع الاستشهاد لذلك من الكتاب والسنة وإجماع السلف .

٤. عند عرض الأقوال المخالفة، أشير إلى مصدر تلك الأقوال عند أصحابها من كتبهم المطبوعة .

٥. عزوت الآيات القرآنية إلى أماكنها من المصحف الشريف، وجعلت ذلك في متن البحث .

٦. تخريج الأحاديث، فما أخرجه الشيخان أو أحدهما، فإني أكتفي بالعزو إليهما، ومالم أجده في الصحيحين، فإني أخرجه من بقية كتب السنة، مع بيان درجة الحديث، مستعيناً بذلك بأقوال أهل العلم .

٧. تخريج الآثار بعزوها إلى أماكنها من الكتب الحديثية، وكتب العقائد إلا مالم أجده.

٨. ترجمت للأعلام غير المشهورين .

٩. عرفت بالملل والنحل الواردة في البحث إلا ماورد ذكره عرضاً .

١٠. شرحت الغريب من الكلمات التي يرد ذكرها في البحث .

١١. أخرت ذكر بيانات المصادر إلى فهرسها، خشية الإطالة بذكرها .

١٢. عمل الفهارس اللازمة في البحث .

شكر وتقدير

هذا وأحمد الله عزوجل ، وأثنى عليه الخير كله ، على مامن به علي وتفضل وتكرم من إتمام هذا البحث ، فله سبحانه وتعالى الحمد أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [النمل: ١٩].

وأشكر بعد شكر الله والدي الكريمين على حسن تربيتهما وجميل رعايتهما ، وعلى تشجيعهما على إتمام هذا البحث ، وأسأل الله أن يرزقني برهما ، وأن يطيل أعمارهما على طاعته .

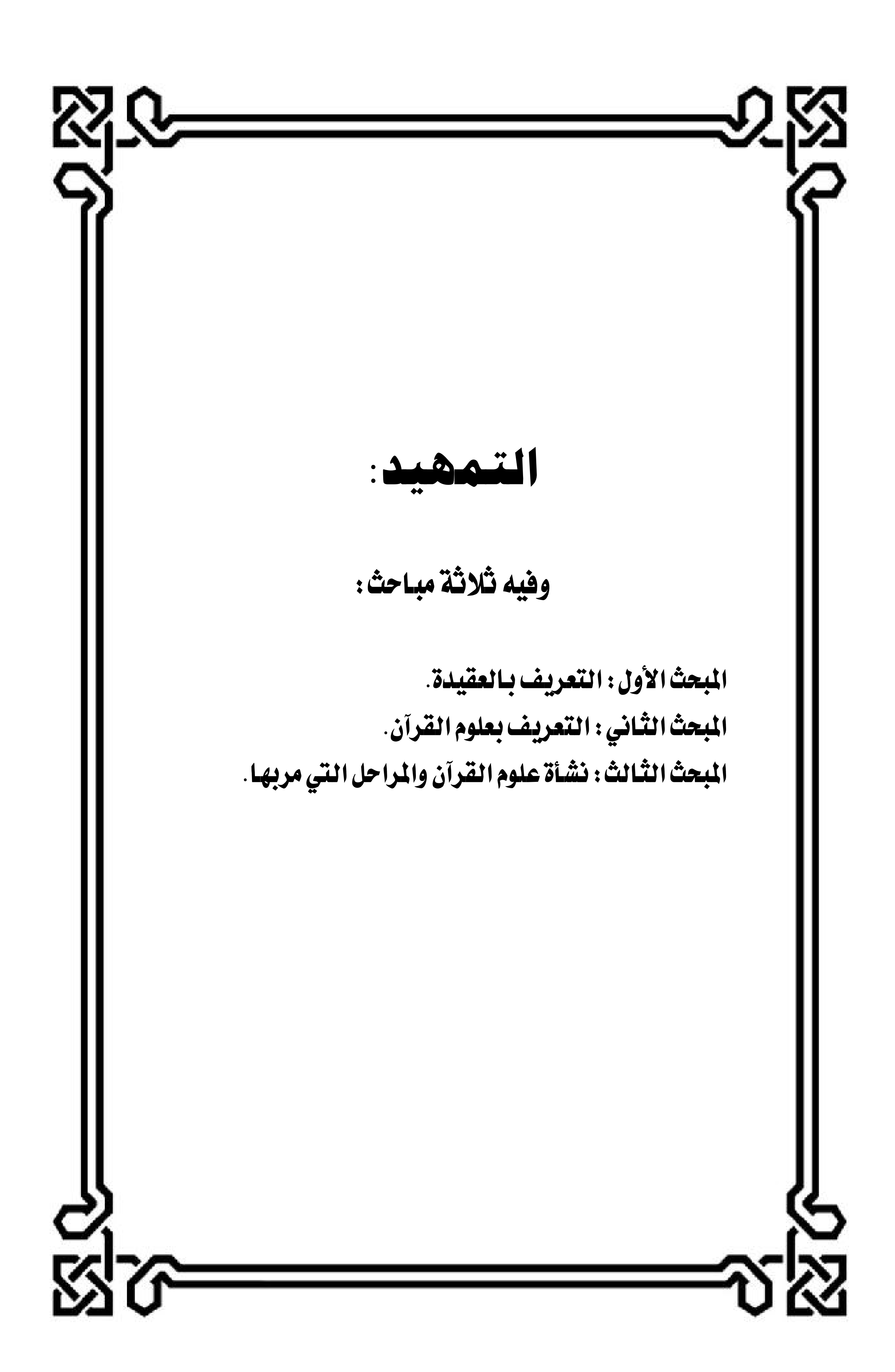
ثم لزوجتي التي طالما صبرت علي ، وساعدتني على إتمام هذا البحث ، فأسأل الله أن يبارك فيها .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لشيخي ومشرفي على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني ، الذي أفادني بخلقه قبل علمه ، وكان لتوجيهاته وآرائه أثر على البحث ، فجزاه الله خيراً على ماقدم، وأسأل الله العظيم أن يعلي درجته في الدنيا والآخرة ، وأن يصلح عقبه .

كما أشكر كل من أعانني على هذا البحث ، من أساتذة وزملاء وإخوان ، وأخص بالذكر منهم الأخ عاطف بن صالح العوفي ، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان ، وأسأل الله أن يعظم لهم الأجر والمثوبة .

والشكر موصول لهذا الصرح العلمي جامعة أم القرى ممثلة بكلية أصول الدعوة وأصول الدين ، وبقسم العقيدة على وجه الخصوص على الاهتمام بطلاب العلم ، وتهيئة السبل لهم ، وتشجيعهم على البحث والاستفادة .

وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ، وأن يعفو عما وقع فيه من الزلل ، والتقصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



التمهيد:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالعقيدة.

المبحث الثاني: التعريف بعلوم القرآن.

المبحث الثالث: نشأة علوم القرآن والمراحل التي مربها.

المبحث الأول: التعريف بالعقيدة:

العقيدة لغة: من عقد يعقد عقدة وعقدا وهو الربط والإحكام والشد بقوة.

قال ابن فارس[(١)]" العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةِ وُثوق، وإليه ترجعُ فروعُ البابِ كلها .

من ذلك عَقْد البِناء،والجمع أعقاد وعُقود...وعَقَدت الحبلَ أعقِده عَقْداً، وقد انعقد، وتلك هي العُقْدة...

ويقال اعتقد فلانٌ عُقْدةً، أي اتَّخذها. واعتقد مالاً وأخاً، أي اقتناه. وعَقَد قلبَه على كذا فلا يَنزِع عنه. واعتَقَد الشيءُ:صلب واعتقد الإخاء أي ثبت"[(٢)]

وعقد الحبل والبيع والعهد يعقده شده، والعقد الضمان والعهد، وتعاقدوا: تعاهدوا [(٣)] .

والعقد نقيض الحل، ويقال عقد يعقد عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [المائدة:٨٩].

ومنه عقد الجزية وهو كناية عن إقرارها على النفس .[(٤)]

وقال الراغب الأصفهاني[(٥)]" العقد الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك

---

(١) هو أحمد بن زكريا بن فارس أبو الحسين، كان إماماً في رجال خراسان غلب عليه علم النحو ولسان العرب فشهر به توفي سنة ٢٩١هـ انظر الديباج المذهب لإبراهيم بن على المالكي (ص: ٣٥) وانظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي (ص: ٦١) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦- ٨٧).

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي(ص: ٣٨٣-٣٨٤).

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢٩٦) .

(٥) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الملقب الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف النافعة، ومنها المفردات، ونحوها، توفي سنة ٥٣٥هـ انظر ترجمته سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) وطبقات المفسرين للداودي (ص: ١٦٩) .

في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما فيقال عاقدته وعقدته، وتعاقدنا وعقدت يمينه.... ومنه قيل لفلان عقيدة وقيل للقلادة عقد، .... وعقد لسانه احتبس وبلسانه عقدة أي في كلامه حبسة قال تعالى﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾ [طه: ٢٧] ومنه قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق: ٤] جمع عقده وهي مايعقده الساحر وأصله من العزيمة"[(١)]

والعقيدة مايدين به الإنسان يقال له عقيدة حسنة أي سالمة من الشك [(٢)] .

والخلاصة أن جميع تصاريف كلمة عقد في اللغة تدور على معنى الشد والربط والتأكيد والتوثيق سواء كان هذا المعنى في الأمور الحسية، كعقد الحبل، أو الخيط إذا شد أوفي الأمور المعنوية كعقد البيع والنكاح والعقد.[(٣)]

والعقيدة اصطلاحاً: تقدم معنا أن لفظ عقد يدل في اللغة على معنى الشد والربط والتوثيق وهذه المعاني لاتخرج عن معناه الإصطلاحي، ويختص في معناه الإصطلاحي في كل مايعقد عليه الإنسان قلبه وضميره عليه بحيث لايدخله الشك.

وللعقيدة مفهومان: عام وخاص :

أما مفهومها العام:

فيطلق على الأمور التي تصدق بها النفوس، وتجزم بها الأذهان وتكون يقيناً عند أصحابها لايمازجها ريب ولايخالطها شك، بحيث يؤمن المعتقد بها إيماناً جازماً، لايتطرق إليه الشك بصرف النظر عن نوع الإعتقاد حق أوباطل .

---

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٣٤١)

(٢) انظر عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص: ٨)

(٣) انظر جميع المصادر السابقة

أما مفهومها الخاص:

فإنه يتحدد بحسب ماتضاف إليه كلمة عقيدة فيأخذ معناه الإصطلاحي الخاص فيقال مثلاً عقيدة أهل السنة والجماعة أي مايعتقده أهل السنة والجماعة من مسائل الاعتقاد الواردة في الكتاب والسنة، ويقال عقيدة المعتزلة(1) والأشاعرة(2)، أي مايعتقده المعتزلة والاشاعرة من أمور الإعتقاد سواء كان حقاً أوباطلاً .

وإذا أطلقت العقيدة الإسلامية فالمراد بها عقيدة أهل السنة والجماعة لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده .(3)

والعقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما جاءت به النصوص الصحيحه من أصول الدين وأمور الغيب وماأجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر، والقدر والشرع ولرسولهﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع. (4)

وللعقيدة الإسلامية أسماء أخرى عند أهل السنة والجماعة ترادفها وتدل عليها

---

(1) فرقة ظهرت على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وسموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، ومن عقائدها نفي صفات الله، والقول بإن القرآن محدث، ونفي رؤية الله في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لأفعال العباد .

انظر مقالات الإسلاميين (ص: ١٥٥) والفرق بين الفرق (ص: ٩٣) والتبصير في الدين (ص: ٦٣) والملل والنحل (١/ ٤٣) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٣٨) .

(2) فرقة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني، بعد رجوعه عن الاعتزال، يثبت عامتهم الصفات السبع، ويقولون بأزلية الصفات، ويقولون بالكلام النفسي، وكسب العبد .

انظر الملل والنحل (١/ ٩٤) .

(3) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها لناصر العقل (ص: ٧) والعقيدة في الله لعمر الأشقر (ص: ١١) .

(4) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها لناصر العقل (ص: ٤) والعقيدة في الله لعمر الأشقر (ص: ١١) .

منها السنة، وأصول الدين، والفقه الأكبر، والتوحيد إلا أن التوحيد أخص من العقيدة حيث إن التوحيد يطلق على مايتعلق بذات الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والعقيدة أعم من هذا.

* * *

المبحث الثاني: التعريف بعلوم القرآن:

مصطلح: علوم القرآن مركب إضافي، يتكون من جزأين هما علوم، والقرآن، والمقام يقتضي أن نعرف كل كلمة وحدها لغة واصطلاحاً ،ثم نعرفهما معاً بالمعنى الإضافي .

تعريف العلوم لغة" العلوم جمع علم بالكسر، وسكون اللام، أصل صحيح يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة ، يقال علمت على الشيء علامة، ويقال أعلم الفارس إذا كانت له علامة في الحرب، وخرج فلان معلما بكذا ، والعلم الراية والجمع أعلام ،والعلم الجبل وكل شيء يكون معلما خلاف المجهل، ومنه العلامة السمه [١].

والعلم نقيض الجهل، والعلم اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن.[٢]

وفي الإصطلاح:تعددت أقوال أهل العلم في تعريفه وضبطه، كل بحسب مشربه ومعتقده فمنهم من عرفه بأنه الإعتقاد الجازم المطابق للواقع .

وقيل: في تعريفه: إدراك الشيء على ما هو به.

وقيل: العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات.

وقيل: إنه لايحد .[٣]

والذي يعنيننا هنا هو معنى العلم من الوجهة التدوينية فقالوا في تعريفه " جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة " سواء أكانت وحدتها في الموضوع أو في

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٠٩) وتهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٥٤) ولسان العرب (١٢/ ٤١٧).

(٢) انظر المصباح المنير للفيومي (٢/ ٤٢٧) وانظرمعجم مقاييس اللغة (٤/ ١١٠) .

(٣) انظر التعريفات للجرجاني (ص: ١٩٩) والكليات لإبي البقاء (ص: ٦١٠) وشرح الكوكب المنيرلابن النجار (١/ ٦٠).

الغاية.[1]

أما لفظ القرآن من الناحية اللغوية:

فقد اختلف أهل العلم في لفظ القرآن هل هو مشتق أم لا على قولين:

القول الأول: قالت طائفة إن لفظ القرآن اسم علم غير مشتق.[2]

القول الثاني: وذهبت طائفة منهم إلى أن لفظ القرآن مصدر مشتق غير جامد واختلفوا في اشتقاقه على قولين:

١ - قيل إنه مصدر مهموز مشتق من القراءة مصدر قرأ بمعنى " تلا" .[3] ويدل له قول ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾: "بيناه ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ اعمل به"[4] .

قال ابن جرير" والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدراً من قول القائل قرأت كقولك الخسران من خسرت".[5]

قال حسان بن ثابت[6] رضي الله عنه في عثمان رضي الله عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به … يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً[7]

---

(١) انظرمناهل العرفان (١/ ١٥) وانظر المدخل لدراسة القرآن لإبي شهبة (ص: ١٨) .

(٢) روي هذا القول عن الإمام الشافعي انظر تاريخ بغداد (٢/ ٦٢) وانظر البرهان للزركشي (١/ ١٩٥) والإتقان للسيوطي (٢/ ٣٣٩) واختار هذا القول السيوطي .

(٣) انظر تفسير ابن جرير (١/ ٤٢) وتفسير ابن عطية (٥/ ٤٠٤) والقرطبي (١/ ١٢) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير انظر (٤/ ١٨٧٧) .

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٢).

(٦) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد، سيد الشعراء المؤمنين، المؤيدين بروح القدس، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه قيل توفي سنة ٥٤هـ وقيل غير ذلك، انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢) والإصابة لابن حجر (٢/ ٦٢) .

(٧) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٢٤٨) دار صادر بيروت .

أي: قراءة .

وقيل: مشتق من قرأ والقراءة بمعنى الجمع تقول قرأت الشيء قرآنا بمعنى جمعته وهو من ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض. ومنه سمي قرء العدة لاجتماع دم الحيض في الرحم [(١)].

والمقصود به المتلو المجموع، ويدل له قول قتادة[(٢)] رحمه الله" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة: ١٧] يقول حفظه وتأليفه"[(٣)] .

ولامنافاة بين هذه المعاني فإن القرآن مضمومة آياته بعضها إلى بعض ومضمومة سوره بعضها إلى بعض وهو متلو بالألسنه[(٤)].

٢- والقول الآخر إنه مصدر غير مهموز، وأنه مشتق من القري، تقول قريت الماء في الحوض أي جمعته ومنه القرية لاجتماع الناس فيها.[(٥)]

وقيل: مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته سمي به لقران السورة والآيات والحروف فيه ومنه القران بين الحج والعمرة .[(٦)]

وأولى هذه الأقوال في اشتقاق لفظة القرآن قول من يجعلها مشتقة من قرأ يقرأ قراءة، والتي بمعنى التلاوة وذلك "لأن الله جل ثناؤه أمر نبيه في غيرآية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه ، ولم يرخص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه وجمعه القرآن".[(٧)]

---

(١) انظرتهذيب اللغة (٩/ ٢٠٩) ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٧٨) والمفردات للراغب (ص: ٤٠٢) .

(٢) هو أبو قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي، الحافظ الكبير الأعمى، المفسر، مات كهلاً سنة ١١٨هـ وقيل ١١٧هـ انظر التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ١٨٥) والكاشف في من له رواية في الكتب الستة للذهبي (٢/ ١٣٤) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٢) .

(٤) انظر تفسير الطبري (١/ ٤٣) ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٢٨) .

(٥) انظر معجم مقاييس اللغة (٥/ ٧٨) وتهذيب اللغة (٩/ ٢٠٧- ٢١١).

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٠٧-٢١١) ولسان العرب (١/ ١٢٨- ١٣٢) .

(٧) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٤٣) .

ويؤيده أيضاً أنه ظاهر من استخدام اللفظ ومشتقاته في كلام الله سبحانه وفي كلام رسولهﷺ وفي كلام الصحابة الذين نزل عليهم القرآن .

ومما يدل على ذلك من الأمثلة قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ ﴾ [يونس: ٦١] وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] وغيرها من الآيات .[١]

وأخرج البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له " اقرأ القرآن في كل شهر قال إني أطيق أكثر فما زال حتى قال في ثلاث"[٢].

والقرآن مصدر، والمصدر يطلق ويراد به الفعل نفسه من القراءة والتلاوة التي هي فعل العبد وهو القليل في كتاب الله، وقد يطلق ويراد به المفعول أي الكلام المتلو المقروء وهذا غالب اطلاقات القرآن .

قال شيخ الإسلام " وغالب مايذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام لايراد به التكلم بالكلام الذي هومسمى المصدر.[٣]

تعريف القرآن اصطلاحاً:

عرف القرآن بتعريفات كثيرة ومتنوعة وسبب ذلك والله أعلم لما للقرآن من خصائص كثيرة ومتنوعة فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرفه بها لا يذكره الآخر ولهذا تعددت التعريفات.[٤]

ولكن هذه التعريفات لاتخلو من جهتين:-

---

(١) انظر المحرر في علوم القرآن لمساعد الطيار (ص: ١٩) وعلوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير (١/ ٣٨-٣٩) ومناهل العرفان (١/ ١٥-١٦) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٢١).

(٢) برقم (١٨٧٧) انظر (٢/ ٦٩٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٩) و(١٧/ ٣٧) .

(٤) انظر مناهل العرفان (١/ ٢١) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص:٢٣) .

١) جهة تتعلق به من حيث كونه صفة من صفات الله تعالى، وهي الكلام فيذكر أئمة السلف والسنة أوصافاً وخصائص له، فيقال فيه القرآن كلام الله المنزل على خاتم النبيين محمدﷺ وهو غير مخلوق تكلم الله به ابتداء وكلامه تعالى قائم بذاته ولم يزل متكلماً إذا شاء بما شاء، وكلامه سبحانه بحرف وصوت، والقرآن هو اللفظ والمعنى معاً سمعه جبريل من الله عزوجل وبلغه إلى محمد ﷺ .(١)

٢) وجهة تتعلق بالناحية اللفظية منه وعليها يدور تعريف الأصوليين وهذا النوع تعددت فيه التعريفات فمنهم من أطنب وأطال بذكر جميع خصائص القرآن، ومنهم من اختصر وأوجز ومنهم من اقتصد وتوسط ولكل وجهة ورأي.(٢)

ولعل أقرب التعريفات وأجمعها والله أعلم: القول بأنه: كلام الله عزوجل المنزل على نبيه ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه .(٣)

محترزات التعريف:

قولنا " كلام الله" عموم يشمل جميع كلامه سبحانه فيدخل فيه كلامه للملائكة ولغيرهم وهذا القيد يخرج الأحاديث النبوية، كما يخرج الأحاديث القدسية على القول بأن ألفاظها من النبي ﷺ ومعانيها من الله .

قولنا " المنزل " أخرج كلامه سبحانه الذي لم ينزله .

قولنا " على نبيه ﷺ " أخرج ماأنزل على غيره من الأنبياء .

---

(١) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٦٥- ١٦٦) دار العاصمة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٦٤) ، و مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٣٦- ٤٠) وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٢) .

(٢) انظر مناهل العرفان (١/ ٢٠) وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم حيدر سعيد (ص: ٢٠- ٢٢) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٢٣) وعلوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير (١/ ٤٠) والقرآن ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (١/ ٣١) ومصطلحات علوم القرآن عرض وتحليل للقرعاوي (ص: ٩) .

(٣) انظر المحرر في علوم القرآن للطيار (ص: ٢١) ومناهل العرفان دراسة وتقويم للسبت (١/ ١٦) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٢٣) .

قولنا " المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه" يخرج الأحاديث القدسية .

تعريف علوم القرآن بالمعنى الإصطلاحي"-

لعلوم القرآن معنيان:-

١- معنى إضافي ٢- معنى على الفن المدون

١- المعنى الإضافي: الإضافة بين علم، والقرآن تشير إلى أنواع العلوم، والمعارف المتصلة بالقرآن، سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها، أو أحكامها، فهوً يشمل كل علم يخدم القرآن أويستند إليه، وينتظم ذلك علم التفسير والقراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين كالفقه والتوحيد والفرائض وعلم اللغة العربية وغير ذلك .[(١)]

٢- ومعنى علوم القرآن كفن مدون عرف بعدة تعريفات نختار منها واحداً، وهو علم: يضم أبحاثاً كلية هامة تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً "[(٢)]

الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير:-

من المصطلحات التي ظهرت واستعملت مايسمى بعلم أصول التفسير، فهل هذا العلم مرادف لما سمي بعلوم القرآن أو أن هذا مصطلح مغاير له ؟

التفرقة بين المصطلحين علوم القرآن وأصول التفسير لم تكن معروفة سابقاً، بل كان أصول التفسير عندهم مرادفاً لعلوم القرآن،وكان المقصد هو خدمة كتاب الله وتسهيل الطرق الموصلة إلى فهمه، ثم بعد ذلك، اصطلح على التفريق بينهما،

---

(١) انظر مناهل العرفان (١/ ٢٣) والمدخل لدراسة القرآن (ص: ٢٤) وانظر دراسات في علوم القرآن للرومي (ص" ٣١) والمحرر في علوم القرآن للطيار(ص: ٢١)

(٢) انظر مقدمة التحقيق لكتاب فنون الأفنان (ص: ٧١) وعلوم القرآن من مقدمات التفاسير(١/ ٤٩) ومناهل العرفان دراسة وتقويم للسبت (١/ ١٩)

فجعلوا مسمى أصول التفسير يرتكز على الأسس والقواعد المتعلقة بعلم التفسير ومايشتمل من شروط وآداب متعلقة بالمفسر وطرق ومناهج وما إلى ذلك .[1]

فإذاً بين المصطلحين خصوص وعموم، فعلوم القرآن مصطلح عام وأصول التفسير مصطلح خاص يطلق على بعض فنون علوم القرآن مثل حكم التفسير وأقسامه وأنواعه وأسباب الإختلاف في التفسير وقواعد الترجيح عند المفسرين ونحوذلك من المباحث فهو: علم يقوم على ضبط التفسير ووضع قواعد مهمة ضرورية لسلامة السير في طرق التفسير.

أما : مصطلح "علوم القرآن"، فهو أعم منه لأنه يضم مباحث لادخل لها في التفسير كرسم القرآن وعدد آياته (علم الفواصل)[2].

ويرى بعض الباحثين أن علوم القرآن يمكن أن تسمى بـ أصول التفسير لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها .[3]

أما ماجاء من إطلاق أصول التفسيرعلى علوم القرآن فهو من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهاراً لشرف هذا العلم حيث إنه المقصد الأسمى للناظر في كتب علوم القرآن.[4]

---

(١) انظر علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير (١/ ٥٢) وانظر فصول في أصول التفسير للطيار (ص: ١٤) وبحوث في أصول التفسير ومناهجه للرومي (ص: ١١).

(٢) انظر بحوث في أصول التفسير للصباغ (ص: ١١) وانظر فصول في اصول التفسير للطيار (ص: ١٤) وبحوث في اصول التفسير ومناهجه (ص: ١١) .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن للقطان (ص: ١٦).

(٤) انظر بحوث في أصول التفسير ومناهجه للرومي (ص: ١٢) وكتاب المحرر في كتب علوم القرآن للطيار(ص: ٥٣) وقد ذكر ضابطاً مهماً في التفريق بينهما فقال" إن كانت المعلومة من علوم القرآن لا أثر لها في فهم المعنى فهي من علوم القرآن وليست من علوم التفسير كمعرفة فضائل سورة الإخلاص فإنها من علوم القرآن لكن معرفتها أو جهلها لايؤثر في فهم المعنى، وإن كانت من المعلومات التي تؤثر في فهم المعنى لمعرفة غريب الألفاظ فهذا من علوم التفسير ومن علوم القرآن من باب أولى ".

المبحث الثالث: نشأة علوم القرآن والمراحل التي مربها:

العصر النبوي:-

نزل القرآن الكريم على النبيﷺ والعرب أهل فصاحة وبلاغة متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة من قوة في الحافظة، وذكاء في القريحة، وتـذوق للبيان، حتى أدركوا من علوم القرآن ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم كثـيراً منه، وكان إذا أشكل علـم شيء مـن معانيـه وأحكامـه سـألوا رسـول الله ﷺ وكـان صلوات الله وسلامه عليه يفسر لهم ما أشكل عليهم ويبين لهـم أحكامـه، ويقـريء كل واحد منهم الحرف الذي يتيسر له القراءة به، وكان الصحابة رضوان الله عليهم مع ما امتازوا به من خصـائص العروبـة أميـين لايعرفـون الكتابـة والرسـولﷺ قـد نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن في أول الأمر كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالﷺ **"لاتكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه.. "**[1].

زد على ذلك أنهم لم يكن يحتاجون إلى كتابة شيء من التفسير أو علوم القرآن لما يتمتعون به من قوة الحافظة وصفاء القريحة فلهذه الأسباب ونحوها لم تكتب علوم القرآن في الصدر الأول من الإسلام .[2]

عهد الصحابة:

لماقبض رسول اللهﷺ وصار الخليفـة مـن بعـده أبـابكر الصـديق رضي الله عنـه وارتـد كثـير مـن العـرب عـن الإسـلام جـاءت حـروب الـردة التـي راح ضـحيتها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٨) برقم (٢٤٩٣).

(٢) انظر مقدمة السيوطي لكتاب الإتقان (١/ ٤) ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ١١٩) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٣٤) وعلوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص: ٦٩) والمحرر في علوم القرآن للطيار (ص: ٣٠) ومناهل العرفان (١/ ٢٩) ودراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان (١/ ٢٢) وعلوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير (١/ ٥٦).

مايقارب السبعين من القراء فعند ذلك أشار عمر رضي الله عنه لأبي بكر أن يجمع القرآن خشية من الضياع فكان ذلك .[1]

ومن ذلك الوقت أصبح القرآن مجموعاً في صحف بعد أن كان مفرقاً في العُسُب[2] واللّخاف[3].

ولما جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه وقد اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بالأمم التي لاتعرف العربية وخيف على القرآن أن يختلف المسلمون فيه فتكون فتنة في الأرض وفساد كبير فعند ذلك أمر رضي الله عنه أن يجمع الناس على مصحف واحد مرسوم بدقة متناهية وأمر بما سواه من المصاحف أن تحرق درأ للفتنة.[4] ومنذ كتابة ذلك المصحف ظهر مايسمى بالرسم العثماني" للمصاحف والذي صار سنة متبعة في كتابتها إلى هذا اليوم .[5]

وفي ذلك العصر اشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن، منهم الخلفاء الأربعة، وابن عباس وابن الزبير وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين، وكثرت الرواية في التفسير عن على بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي ابن كعب رضي الله عنهم .

عهد التابعين:-

وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان المفتوحة، يعلمون أهلها القرآن، ويفسرون لهم معانيه، وينشرون لهم علومه

---

(١) روى قصة جمع القرآن في عهد أبي بكر البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠٧) برقم (٤٧٠١)

(٢) العسب: جريد النخل، واحدها عسيب

(٣) اللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لخفة وقيل: هي الخزف، انظر غريب الحديث للقاسم بن أبي سلام (٤/ ١٥٦) وغريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٦٦٨) وتفسير غريب مافي الصحيحين لمحمد بن أبي نصرالحميدي (ص: ٣٦).

(٤) روى هذه القصة البخاري في صحيحه برقم (٤/ ١٩٠٨) برقم (٤٧٠٢)

(٥) انظر مناهل العرفان (١/ ٣٠)

ومعارفه فعند ذلك نشأت مايسمى بالمعنى الحديث (مدارس التفسير وهـي كثـيرة وأشهرها ثلاث مدارس).

١ – مدرسة ابن عباس رضي الله عنه في مكة

٢ – مدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه بالمدينة

٣ – مدرسة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة

ولم يكن تفسير هـولاء، وغـيرهم مـن الصـحابة والتـابعين مقـتصراً عـلى علـم التفسير بمعناه الخاص بل كان يشمل مع هذا علـم غريـب القـرآن، وعلـم أسـباب النزول، وعلم الناسـخ والمنسـوخ وعلـم المكـي والمدني، ولم يكـن مـدوناً، بـل كـان بالرواية والتلقين [(١)]

ثم دونت أنواع من علوم القرآن، مع بداية تدوين الأحاديث النبوية على رأس المئة الأولى من الهجرة، واحتوت كتب الأحاديث جملاً جيدة من أنواع علوم القرآن، من ذلك كتاب التفسير وفضائل القـرآن، وكتـاب الحـروف، والقـراءات، وفي هـذه الفترة ظهرت مصنفات في بعض علوم القرآن بشكل مفرد من ذلك تأليف يحيى بن يعمر[(٢)] كتاباً في القراءات، وكتاب الناسخ والمنسوخ في كتـاب الله تعـالى لقتـادة بـن دعامة السدوسي ت١١٧هـ ، وتفسير يحيى بن سلام [(٣)] ت ٢٠٠هـ وغيرها .

ثم ألف في علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير مثل مافعله الطبري رحمه في مقدمة جامع البيان، وكذلك أبوالحسن الماوردي [(٤)] قدم كتابه النكـت والعيـون

---

(١) انظر دراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٣٧).

(٢) يحى بن يعمر أبو سليمان العدواني، المقريء، قيل إنه كان أول من نقط المصاحف، سكن البصرة، وبها توفي سنة ٨٩هـ وقيل غير ذلك، انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤١) .

(٣) يحى بن سلام البصري، التميمي، ثم الإفريقي، مفسر، صنف مصنفات كثيرة في فنون العلم، توفي سنة ٢٠٠هـ انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ١٥٥) ولسان الميزان لابن حجر (٦/ ٢٥٩) .

(٤) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبـو الحسـن الماوردي، البصري شـافعي، صـنف مصـنفات كثـيرة في الفقـه، =

بسبعة فصول مضامينها تعد من علوم القرآن .

ثم تتابع التأليف في كل الفروع والمباحث المتعلقة بـالقرآن الكـريم سـواء كـان ذلك بطريقة الإفراد لها في التأليف أو كان ذلك بضم بعضها إلى بعـض وجعلهـا في كتاب واحد .

ثم بعد ذلك اشرأبت أعناق العلماء أن يعتصروا من تلك العلـوم علـما جديـداً يكون كالفهرس لها والدليل عليها والمتحدث عنها فكـان هـذا العلـم هـو مانسـميه علوم القرآن بالمعنى المدون.[1]

ظهور اصطلاح علوم القرآن [2]

لم تكن علوم القرآن بخافية على العلماء المبرزين قبل التدوين بل كانت مجموعة في صدورهم إلا أن اصطلاح علوم القرآن لم يظهر في عناوين مؤلفاتهم إلا في الفترة المتأخرة .

ومن أهم المؤلفات في علوم القرآن (كفن مدون) قديماً:-

١ - فهم القرآن للحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ) [3]

٢ - التنبيـه عـلى فضـل علـوم القـرآن للحسـن بـن محمـد بـن الحسـن أبـو القاسـم النيسابوري ٤٠٢هـ .

٣- كتاب فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)

= والتفسير وأصول الفقه، منها الحاوي، والأحكام السلطانية، والنكت والعيون، توفي سنة ٤٥٠هـ انظر طبقات الشـافعية الكـبري للسـبكي (٥/ ٢٦٧) وطبقـات الشـافعية لابـن شـهبة (ص: ٢٣٠) وطبقـات المفسريـن للسيوطي (ص: ٨٣) .

(١) انظر مناهل العرفان (١/ ٢٩) ودرسـات في علـوم القـرآن للرومـي (ص: ٣٧) وعلـوم القـرآن بـين البرهـان والإتقـان (ص: ٦٩) والمحـرر في علـوم القـرآن للطيـار (ص: ٢٧) وعلـوم القـرآن مـن خـلال مقـدمات التفاسير(١/ ٥٦) والمدخل لدراسة القرآن (ص: ٢٧) .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) وقد حقق الكتاب بتحقيق، حسين القوتلي .

٤- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لإبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ).
٥- البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤)هـ .
٦- مواقع العلوم من مواقع النجوم للبلقيني[١]، ويعد تصنيفه لأنواع علوم القرآن من أجود أنواع التصنيف لها كما نقلها السيوطي.
٧- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وكتابه التحبير في علوم التفسير ويعد كتاب الإتقان "أصل من الأصول المؤلفة في هذا العلم، ولئن قيل إن المفسرين عيال على تفسير الطبري، فإن علماء القرآن عيال على الإتقان وقد استفاد كثيراً من كتاب البرهان للزركشي"[٢] ، وهما بحق أوسع وأشمل كتابين جمعا عدداً من أنواع علوم القرآن بين دفتيهما [٣].

قال الشيخ عبدالعظيم الزرقاني[٤] رحمه الله" عن كتاب الإتقان " إنه عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن"[٥] .

وقال الشيخ محمد بن محمد بن شهبة " عن كتاب الإتقان " وقد كان هذا الكتاب ولازال أوفى مرجع في هذا العلم، وعليه اعتماد من جاء بعد مؤلفه من

---

(١) وهذا الكتاب في حكم المفقود،لكن مباحثه وأنواعه قد ذكرها السيوطي في كتابه التحبير
(٢) دراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٤٧).
(٣) انظر علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص: ١٢٣).
(٤) هو الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، والتحق بالمعهد الأحمدي، ثم تخرج من كلية أصول الدين وقد نال العالمية وعين مدرساً بمعهد الزقازيق ثم نقل إلى معهد طنطا ثم عين إماماً، ثم نقل مدرساً بمعهد القاهرة ومنه إلى كلية أصول الدين حيث درس بها علوم القرآن والحديث، أما عقيدته فهو أشعري المعتقد كما سيتضح ذلك من خلال الدراسة، من مصنفاته كتابه مناهل العرفان، والمنهل في الحديث في علوم الحديث، توفي سنة١٣٦٧هـ انظر الأعلام (٦/ ٢١٠) دار العلم الملايين بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٧٩م. وانظر كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم خالد السبت (١/ ٤٤)
(٥) مناهل العرفان (١/ ٣٥) .

العلماء إلى عصرنا هذا، وبهذا الكتاب توقف التأليف في علوم القرآن، أو كاد "[1] .

٨- كتاب الزيادة والإحسان في علوم القرآن،لمحمد بن أحمد بن عقيلة المكي ت ١١٥٠هـ وهذا الكتاب لا يعد أن يكون تشقيقاً لكتاب السيوطي .[2]

ومن أهم المؤلفات في علوم القرآن بمعناها المدون في العصر الحديث:

وهذه المؤلفات في العصر الحديث كثيرة يصعب حصرها واستقصاؤها ولكن نشير إلى بعضها:

١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ويقع في مجلدين .

٢ - المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبة، ألفه لطلبة الدراسات العليا في الجامعة الأزهرية ويقع في مجلد .

٣- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ألفه لطلبة كلية الآداب بجامعة دمشق .

٤ - التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان تأليف الشيخ طاهر الجزائري .

٥ - منهج الفرقان في علوم القرآن تأليف الشيخ محمد على سلامة .

٦ - مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٣٩-٤٠) وانظر المحرر في علوم القرآن (ص: ٥١) وانظر مقدمة تحقيق الإتقان،(١/ ٥٧-٦٤) طبعة المجمع، فقد نقلوا كثيرا من الأقوال في إثبات ذلك .

(٢) انظر المحرر في علوم القرآن (ص: ٥١)

الباب الأول:

الأصول المنهجية العامة في كتب علوم القرآن:

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: المحكم والمتشابه

الفصل الثاني: المجاز

الفصل الثالث: التأويل والتفويض

الفصل الرابع: خبر الآحاد

الفصل الأول:
المحكم والمتشابه

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه:
المبحث الثاني: أقوال العلماء في معنى المحكم والمتشابه
المبحث الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن
المبحث الرابع: حكم تأويل المتشابه
المبحث الخامس: هل في القرآن شيء لاتعلمه الأمة
المبحث السادس: هل الصفات من المتشابه
المبحث السابع: الحكمة من وجود المتشابه

المبحث الأول:
المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمحكم.

والمطلب الثاني: المعنى اللغوي للمتشابه.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمحكم

يقول ابن فارس في المحكم: "(حكم) الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها يقال حَكَمْت الدابةَ وأحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه، إذا أخذتَ على يديه.... والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكَّمت فلاناً تحكيماً منعتُه عمّا يريد وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه. والمحكَّم: المجرِّب المنسوب إلى الحكمة."[1] .

ويقال أحكم الأمر أتقنه وأحكمته التجارب على المثل، ويقال للرجل إذا كان حكيما قد أحكمته التجارب والحكيم المتقن للأمور[2] .

وفي أسماء الله الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم وهوالقاضي.

والحكيم: فعيل بمعنى فاعل أوهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل وقيل الحكيم ذوالحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بافضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم.

وجاء في وصف القرآن ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] والمعنى والله اعلم أن آياته احكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الانبياء وشرائع الإسلام، والدليل على ذلك قول الله جل: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ ﴾ والذكر الحكيم هو الحاكم لكم وعليكم أوهو الذي لااختلاف فيه ولااضطراب.[3]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢ / ٩١) .

(٢) انظر كتاب مختار الصحاح للرازي(ص:٦٢) ولسان العرب لابن منظور(١٢ / ١٤٣) .

(٣) انظر كتاب تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٦٩) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١ / ٤١٨) .

وبهذا يظهر أن الإحكام في اللغة يدور على معنيين:

١- المنع والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ومنه الحاكم الذي يمنع الظلم .

٢- الإتقان: يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم [١]

* * *

(١) انظر المصادر السابقة .

المطلب الثاني :المعنى اللغوي للمتشابه :

يقول ابن فارس " الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشئ وتشاكله لونا ووصفا، يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه . والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب .

والمشبِّهات من الأمور المشكلات . واشتبه الأمران إذا أشكلا "[١] .

والشبه ضرب من النحاس، يلقى عليه دواء فيصفر، وسمي بالشبه لأنه شُبِّه بالذهب، وتقول في فلان شبهٌ من فلان وهو شَبَهُهُ وشِبْهه وشبيهه، ويقال شبهت هذا بهذا واشبه فلان فلاناً[٢] .

والشبهة الإلتباس، والمشتبهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات[٣].

قال ابن الأثير[٤]" المتشابه مالم يتلق معناه من لفظه وهو على ضربين:

أحدهما: إذا رد إلى المحكم عرف معناه .

والآخر: مالاسبيل إلى معرفة حقيقته فالمتبع له متبع للفتنه، لأنه لايكاد ينتهي إلى شئ تسكن نفسه إليه "[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣) .

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري (٦ / ٥٨) ولسان العرب (١٣ / ٥٠٣).

(٣) انظر مختار الصحاح للرازي (ص: ١٣٨).

(٤) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، العلامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، ثم الموصلي، الفقيه، المحدث، اللغوي، صنف كثير من المصنفات، منها جامع الأصول، وكتاب النهاية في غريب الحديث توفي سنة ٦٠٦هـ انظر وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٤/ ١٤١) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٦٦) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (٢/ ٦١) .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٤٢) .

المبحث الثاني :أقوال العلماء في المحكم والمتشابه

لقد اختلفت أقوال العلماء في معنى المحكم والمتشابه وسأشير إلى بعض هذه الأقوال:

١. قال بعضهم: المحكمات من آي القرآن المعمول بهن، وهن الناسخات أوالمثبتات الأحكام وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، ومايؤمربه .

والمتشابهات المتروك العمل بهن (المنسوخات) روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنه وكذا روي عن عكرمه[١] .... ومجاهد[٢] وغيرهم[٣]

٢.وقال آخرون: المحكمات: ماأحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه.

والمتشابهات: ماأشبه بعضه بعضاً في المعاني وإن اختلفت ألفاظه.

٣.وقال آخرون: المحكمات من آي الكتاب مالم يحتمل من التأويل غير وجه واحد

والمتشابه منه مااحتمل من التأويل أوجها .[٤]

---

(١) عكرمه هو الحبر العالم أحد التابعين والمفسرين المكثرين والعلماء الربانيين أبوعبدالله البربري ثم المدني الهاشمي مولى ابن عباس روى عن خلق كثير من الصحابة وكان أحد أوعية العلم وقد افتى في حياة ابن عباس، كان يقول كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل يعلمني القرآن والسنن توفي سنة ١٠٤هـ وقيل بعدها انظر التاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٤٩) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٩٦) والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٤٤).

(٢) مجاهد هوالإمام شيخ القراء والمفسرين أبوالحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب مجاهد بن جبر روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب عنه أخذ القرآن والتفسير، ورى عن جمع من الصحابة قيل توفي سنة ١٠٣هـ وقيل بعد ذلك .

انظر كتاب التاريخ الكبير (٧ / ٤١١) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٤٤٩) .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٢) و تفسير الطبري (٣ / ١٧٢) وتفسير البغوي (١/ ٢٧٩)، وتفسير ابن كثير (١ / ٣٤٥) .

(٤) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٧٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ٤٦) والإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٣٦) .

٤. وقال آخرون: المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته .

والمتشابه: هو ماشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السورفقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.[(١)]

٥. وقال آخرون: المحكم من آي القرآن ماعرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره.

والمتشابه: مالم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى عليه السلام، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة وفناء النار وماأشبه ذلك فإن ذلك لايعلمه أحد.[(٢)]

٦. وقيل المحكم: الذي ليس فيه تصريف ولاتحريف عما وضع له، والمتشابه مافيه تصريف وتحريف وتأويل، وقال ابن عطية[(٣)] "وهذا أحسن الأقوال"[(٤)]

٧. وقيل المحكم: ماكان قائما بنفسه لايحتاج إلى أن يرجع فيه إلى غيره، والمتشابه: مايرجع فيه إلى غيره واحتاج إلى استدلال.

وقال ابن النحاس[(٥)]:

"وأجمع هذه الأقوال أن المحكم ماكان بنفسه لايحتاج إلى استدلال،والمتشابه مالم يقم بنفسه واحتاج إلى استدلال"[(٦)]

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣ / ١٧٤) والمحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٤٠١) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٧٤) وتفسير البغوي (١/ ٢٧٩) وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٥١) .

(٣) هوأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالملك بن غالب الإمام الكبير قدوة المفسرين كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير صنف "كتابه العظيم المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" توفي سنة ٥٤١ هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧) وطبقات المفسرين للسيوطي (ص:٦٠) .

(٤) المحرر الوجيزلابن عطية (١ / ٤٠١) وانظر تفسير الطبري (٣/ ١٧٤) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٤٦).

(٥) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس أبو جعفر من أهل مصر، صنف كتبا حسانا مفيدة،منها كتاب الإشتقاق لأسماء الله ، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ توفي سنة ٣٣٧هـ وقيل ٣٣٨ هـ انظرمعجم الأدباء لياقوت الحموي (١/ ٦١٧) وطبقات المفسرين للداودي (ص:٧٢) .

(٦) معاني القرآن لابن النحاس (١/ ٣٤٦) .

هذه مجمل الأقوال في معنى المحكم والتشابه ، ومرجعها إلى أربعة أقوال:

القول الأول: المحكم المعمول به من الآيات وهن الناسخات أو المثبتات الأحكام والمتشابه من الآيات المتروك العمل بهن (الناسخات) .

ويدخل في هذا القول قول من قال المحكم: هو ماأحكم الله فيه بيان الحلال والحرام والمتشابه بعكسه وذلك لأن ماأحكم الله فيه الحلال والحرام هو المعمول به من الآيات.

القول الثاني: المحكم: ماكان واضح المعنى ظاهر الدلالة بنفسه .

والمتشابه: ما لايتضح معناه ولايظهر دلالته إلا ببيان، ويدخل في هذا القول قول من يقول

المحكم: مالم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه: مااحتمل أوجهاً يجمعها أن المحكم في كل منهما واضح الدلالة بحيث إنه ليس له إلا وجه واحد بخلاف المتشابه فإنه غير واضح المعنى، ولذا يحتمل من التأويل أوجهاً .

القول الثالث: المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم، ففصله ببيان ذلك لمحمد ﷺ وأمته.

والمتشابه: هو مااشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السورفقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني. ومثال ذلك ما ذكره في قصة موسى عليه السلام كقوله تعالى ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [طه: ٢٠] وقوله تعالى ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [القصص: ٣٢] ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [النمل: ١٢] ونحو ذلك من الآيات.

القول الرابع: المحكم من آي القرآن ماعرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره.

والمتشابه: مالم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى عليه السلام، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة وفناء النار وماأشبه ذلك .

الجمع بين الأقوال السابقة، واختيار أقربها:

إن الناظر في هذه الأقوال يجد أن لكل قول وجهاً صحيحاً وذلك لأن أهل كل قول، عرفوا المحكم ببعض صفاته، وعرفوا المتشابه بما يقابلها .

فأما من فسر المحكم والمتشابه بالناسخ والمنسوخ فذلك أخذاً من قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحج: ٥٢] . فقابل الله تعالى في هذه الآية بين المنسوخ والمحكم وهوسبحانه إنما أراد نسخ مايلقي الشيطان لانسخ ماأنزله الله، لكن هم جعلوا جنس المنسوخ متشابهاً؛ لأنه يشبه غيره في التلاوة والنظم ولذا قال طائفة من المفسرين المتقدمين، إن المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ[١]،وهذا الإصطلاح مشهور عند السلف فيقولون هذه الآية محكمة غير منسوخة .[٢]

وأما من فسر المتشابه: ماشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فذلك؛ لأنه جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى كما يشتبه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذلك اللفظ؛ لأن القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين، وهذا التشابه لاينفي معرفة المعاني بلاريب ولايقال في مثل هذا إن الراسخين يختصون بعلم تأويلة.[٣]

---

(١) تقدم ذلك في (ص: ٣٥) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣ / ٢٧٢) و(١٧ / ٣٨٦) وشفاء العليل لابن القيم (٢ / ٥٤٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧ / ٤٢٢) .

وأما من فسر المحكم، بأنه مافهم معناه وعرف تأويله، والمتشابه مالايعلمه إلا الله كوقت الساعة ونحوها فيقال، إن مااستأثر الله بعلمه كوقت الساعة ومخرج عيسى ووقت طلوع الشمس من مغربها وحقائق ذلك،لم ينزل الله سبحانه به خطابا ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ومن المعلوم أن الله سبحانه استأثر باشياء لم يطلع عليها عباده، وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى وشفاء وأمر بتدبره ثم بعد ذلك يقال إن منه مالايعلمه إلا الله .(١)

أقرب الأقوال:

ولعل أولى الأقوال وأقربها وأجودها، قول من فسر المحكم، بأنه ماكان واضحا المعنى ظاهر الدلالة بنفسه .

والمتشابه:مالايتضح معناه ولادلالته إلا ببيان وذلك لأن هذا القول أشملها وأعمها .

أما الأقوال الأخرى فإنها ليست جامعة وذلك أنها اشتملت على بعض صفات المحكم ولاشك أن مفهوم المحكم والمتشابه أوسع دائرة مما ذكروه، وماجاء عن السلف في هذا الباب إنما هو كالتمثيل للمحكم والمتشابه، ويؤيد هذا أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن منه ماهو محكم ومنه ماهو متشابه وذلك في قوله وتعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾[آل عمران: ٧] ووصف المحكم بأنه أم الكتاب، أي أصله الذي يعتمد عليه، ويرد ماخالفه إليه، فهذا يقتضي أن يرد المتشابه إلى هذا الأصل، وهو المحكم .

فإذا تبين ذلك علمنا أن حصرهذا الباب بأشياء معينه يمنع رد ماسواها إليه وبالتالي تبقى عندنا نصوص متشابهه لا نتوصل إلى القول الفصل فيها. (٢)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٧- ٣٩٨) .

(٢) انظرفتح القدير للشوكاني (١ / ٣١٤) وشرح مختصر الروضة للطوفي (٢ / ٤٣) والإتقان للسيوطي =

وهذا القول هو ظاهر كلام الإمام أحمد (١) ويدل لهذا القول صنيعه في كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله" فذكر أمثلة من القرآن التي يفهم من ظاهرها التعارض وبين معناها قال رحمه الله " بيان ماضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن".

وقوله عز وجل ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء: ٥٦] قالت: الزنادقة فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودا غيرها ؟ فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودا لم تذنب حين يقول ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض .

فقلت لهم: إن قول الله عزوجل ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ليس معناه جلودا غير جلودهم، وإنما معنى ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ تبديلها: تجديدها لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء"(٢) .

ومن الآيات التي ذكرها الإمام أحمد رحمه الله وأجاب عنها وبين معناها "قوله تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ ﴾ [المرسلات: ٣٥ – ٣٦] ثم قال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١ ﴾ [الزمر: ٣١] ... فزعموا أن هذا الكلام ينقض بعضه بعضا فشكوا في القرآن .

أما تفسير ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ فهذا أول ماتبعث الخلائق على مقدارستين سنة لاينطقون، ولايؤذن لهم في الإعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾ [السجدة: ١٢].

= (٤/ ١٣٤٧).

(١) انظر العدة في أصول الفقه لإبي يعلى (٢/ ٦٨٤) .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ١٧٥) .

فإذا إذاً لهم في الكلام فتكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ [ق: ٢٨] أي عندي ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ق: ٢٨] يعني: في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن"[١] .

وهذا منه يدل على أن المحكم لايحتاج إلى بيان بل هو بين في نفسه وهذا بخلاف المتشابه فإنه يفتقر إلى غيره من النصوص لمعرفة معناه كما في الآيات السابقة،ولذا تتبع أهل الزيغ هذه الآيات المتشابهات والله أعلم .

وقد اختار هذا القول ابن النحاس حيث ذكر انه أجمع الأقوال كما تقدم نقله[٢]، وكذلك الشوكاني[٣] مال إليه[٤].

وكذلك الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله إذ يقول عند آية آل عمران ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾[آل عمران: ٧] " يخبر تعالى عن عظمته وكمال قيوميته أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم الذي لم يوجد، ولن يوجد له نظير أومقارب في هدايته وبلاغته وإعجازه وإصلاحه للخلق، وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البين الذي لايشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني ولايتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتى تضم إلى المحكم"[٥].

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ١٧٥- ١٧٦) .

(٢) انظر (ص: ٣٦) .

(٣) هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني فقيه أصولي محدث صنفا كتبا عديدة منها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، والتحف في مذاهب السلف وغيرها توفي سنة ١٢٥٠هـ انظر البدر الطالع(٢/ ٢١٤) والأعلام (٧/ ١٩٠) .

(٤) انظر فتح القدير (١/ ٣١٤) .

(٥) تفسير ابن سعدي (١ / ٢٠٨)

المبحث الثالث: المحكم والمتشابه في القرآن

وصف الله سبحانه وتعالى القرآن كله بأنه محكم قال تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود: ١] وقال تعالى ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ ﴾ [يونس: ١] ووصفه جل شأنه وتعالى وتقدس بأنه كله متشابه قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي موضع آخر وصفه بأن منه ماهو محكم ومنه ماهو متشابه قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾[آل عمران: ٧] فما المراد من الإحكام والتشابه في هذه المواضع الثلاث ؟

بين ذلك شيخ الإسلام بيانا شافيا لامزيد عليه حيث قال رحمه الله: " وصف الله القرآن كله بأنه محكم، وبأنه متشابه، وفى موضع آخر، جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه، فينبغى أن يعرف الإحكام والتشابه الذى يعمه، والإحكام والتشابه الذى يخص بعضه .

قال تعالى ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ [هود:١] فأخبر أنه أحكم آياته كلها وقال تعالى﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فأخبر أنه كله متشابه، والحكم هو الفصل بين الشيئين والحاكم يفصل بين الخصمين، والحكمة فصل بين المشتبهات علما وعملا، إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار، وإحكام الشيء اتقانه فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغى في أوامره.[١]

---

(١) انظر تفسير الطبري (١١ / ٢٨٠) وتفسير الشوكاني (٢/ ٤٨٠) وتفسير السعدي (٢ / ٧٣٧) .

والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان فقد سماه الله حكيما بقوله ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] فالحكيم بمعنى الحاكم .

وأما التشابه الذى يعمه فهو ضد الإختلاف المنفى عنه في قوله ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢] وهو الاختلاف المذكور في قوله تعالى ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨﴾ [الذاريات: ٨] فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا فاذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن لوازمه إذا لم يكن هناك نسخ.

وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته وإذا أخبر بنفى شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفى لوازمه بخلاف القول المختلف الذى ينقض بعضه بعضا فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد، ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر، فالأقوال المختلفة هنا هي المتضادة والمتشابهة هي المتوافقة.

وهذا التشابه يكون في المعانى وإن اختلفت الألفاظ فإذا كانت المعانى يوافق بعضها بعضا ويعضد بعضها بعضا ويناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض ويقتضى بعضها بعضا كان الكلام متشابها بخلاف الكلام المتناقض الذى يضاد بعضه بعضا.

فهذا التشابه العام لا ينافى الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا.

بخلاف الإحكام الخاص فإنه ضد التشابه الخاص فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك.

والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما

يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما."[1]

وقال ابن القيم رحمه الله موضحاً اطلاقات الإحكام في القرآن: "والإحكام له ثلاث معانٍ:

أحدها: الإحكام الذي في مقابلة المتشابه كقوله تعالى﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[آل عمران: ٧].

الثاني: الإحكام في مقابلة نسخ مايلقي الشيطان كقوله تعالى﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هود:١، الحج: ٥٢] وهذا الإحكام يعم جميع آياته وهواثباتها وتقريرها وبيانها، ومنه قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود:١].

الثالث: إحكام في مقابلة الآيات المنسوخة، كما يقول السلف كثيراً هذه الآية محكمة غيرمنسوخة، وذلك؛ لأن الإحكام تارة يكون في التنزيل، فيكون في مقابلة مايلقيه الشيطان في أمنية المبلِغ، أوفي سمع المبلَغ، فالحكم ههنا هوالمنزل من عندالله، أحكمه الله أي فصله من اشتباهه بغير المنزل .

وفصل منه ماليس منه بإبطاله، وتارة يكون في ابقاء المنزل واستمراره، فلاينسخ بعد ثبوته، وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله وهو تمييزه المعنى المقصود من غيره حتى لايشتبه به "[2]

ولشيخ الاسلام كلام مثيل لهذا حيث قال رحمه الله ":

١- الإحكام تارة يكون في التنزيل، فيكون في مقابلة مايلقيه الشيطان .

٢- وتارة يكون الإحكام في ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ .

٣- وتارة يكون الإحكام في التأويل والمعنى وهوتمييز الحقيقة المقصودة من غيرها

---

(١) انظر التدمرية (ص: ١٠٢) بتصرف يسير، ودرء التعارض (١/ ٢٧٤) والصواعق المرسلة (١/ ٢١٢) .

(٢) شفاء العليل (٢/ ٥٤٤) .

حتى لاتشتبه بغيرها، وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين"[1]

* * *

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٧٤)

المبحث الرابع: حكم تأويل المتشابه:

من المسائل التي ذكرت في مبحث المحكم والمتشابه في كتب علوم القرآن مسألة " هل الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه؟" أوبلفظ آخر "هل المتشابه مما يمكن الإطلاع على علمه أولا يعلمه إلا الله؟

ولقد ذكر السيوطي[1] رحمه هذه المسألة وأشار إلى منشئها وهو الاختلاف في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] هل هو معطوفٌ "يقولون" حال أومبتدأ، خبره و"يقولون" والواوللإستئناف؟ ثم ذكر رحمه الله القولين وأدلة كل قول ولكنه رحمه الله لم يبين الصواب فيها[2] .

والزركشي[3] قبله أشار إليها ومال إلى أحد الأقوال[4]، لذا سأعرض الخلاف

---

(١) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بكر، جلال الدين أبو الفضل كمال الدين الأسيوطي الخضيري الشافعي، صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، ولد سنة ٨٤٩هـ قرأ على البلقيني، والعز الحنبلي، والشرف المناوي، وحضر مجلس الجلال المحلي، والسيوطي أشعري العقيدة كما سيتضح ذلك، من خلال كتابه الإتقان، وألف كثيراً من المصنفات منها، التحبير في علم التفسير، وألفيته في الحديث، ومعترك الأقران في وجوه إعجاز القرآن، وغيرها كثير، توفي سنة ٩١١هـ انظر ترجمته في كتاب التحدث بنعمة الله للسيوطي(ص: ٣٢) وطبقات المفسرين للداودي وهو من تلاميذه (ص: ٦٥) والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (١/ ٢٢٧) .

(٢) انظر الإتقان للسيوطي (٤ / ١٣٣٩) .

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبدالله العالم المصنف المحرر بدر الدين أبو عبدالله المصري الزركشي مولده سنة ٧٤٥هـ وقد أخذ على الشيخين جمال الدين الإسنوي، وسراج البلقيني، ورحل إلى حلب إلى شهاب الدين الأذرعي، وتخرج بمغلطاي في الحديث، وسمع الحديث بدمشق، كان فقيهاً أصولياً أديباً فاضلاً كان منقطعاً عن الإشتغال بالعلم لايشتغل بغيره وله أقارب يكفونه أمر دنياه، من مصنفاته، تكملة شرح المنهاج الإسنوي، والبحر المحيط في أصول الفقه، وشرح جمع الجوامع للسبكي، وتخريج أحاديث الرافعي، والبرهان في علوم القرآن، وتفسير القرآن وصل فيه إلى سورة مريم، أما عقيدته فهو على عقيدة الأشاعرة كما سيتضح ذلك، توفي سنة ٧٩٤هـ انظر الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٣) وطبقات المفسرين للداودي (ص: ٣٠٢) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (٣/ ١٦٧) .

(٤) انظر البرهان للزركشي (٢ / ٤٧).

فيها،وأدلة كل قول باختصار ثم أبين مايظهر في صوابه في المسألة .

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن تأويل المتشابه مما استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه وهذا قول ابن عمر وابن عباس، وابن مسعود وأبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير وقد اختاره ابن جرير وهو اختيار ابن قدامة [1] فتكون الواو على هذا القول في قوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ للإستئناف.[2]

أدلة القول الأول:

١ - ماجاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقرأ " ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] ويقول الراسخون في العلم آمنا به"[3] .

قال ابن حجررحمه الله: "هذه الرواية وإن لم يثبت بها القراءة لكن أقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن، فيقدم كلامه في ذلك على من دونه"[4] .

٢- ماروي عن ابن مسعود في قراءته " وإن حقيقة تأويله إلا عندالله والراسخون في العلم يقولون آمنابه"[5] .

---

(١) هو الإمام القدوة العلامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، صنف التصانيف منها المغني وتحريم النظر في كتب أهل الكلام، توفي سنة ٦٢٠هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)وشذرات الذهب(٥/ ٨٨)

(٢) انظر تفسير الطبري (٣ / ١٨٤) وتفسير ابن كثير (١ / ٣٤٨) وتفسير الشوكاني (١ / ٣١٥) وأضواء البيان (١/ ١٩١) وروضة الناظر (١ / ٢٨٠) ، والبرهان للزركشي (٢ / ٤٧) والإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٣٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٨٤) وعبدالرزاق في تفسيره (١ / ١١٦) وصحح اسناده ابن حجر في الفتح (٨ / ٢١٠) .

(٤) فتح الباري (٨ / ٢١٠) .

(٥) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (ص: ٥٩) وفي اسناده انقطاع لأن الأعمش لم يدرك ابن مسعود رضي الله عنه انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤ / ١٤٦) وجامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي =

٣- مارواه ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ قالت: كان رسوخهم في العلم آن آمنوا بمحكمة ومتشابهه ولم يعلموا تأويلة"[١] .

٤- ماورد من الأحاديث الذامة لمتبع الشبهات، ومن ذلك ماجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ قالت: قال رسول ﷺ **" فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم "**[٢] هذه بعض أدلتهم[٣].

القول الثاني: أن تأويل المتشابه مما يعلمه الراسخون في العلم، فتكون الواو في الآية عاطفة على لفظ الجلالة، "ويقولون" حال، أي مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون آمنابه، وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد وذكر ابن كثير أنه مذهب كثير من المفسرين وأهل الأصول.[٤]

أدلة القول الثاني:

١- مارواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قال " أنا ممن يعلم تأويله"[٥]

٢- مارواه ابن جرير بسنده عن مجاهد قال " والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنابه"[٦]

= (ص:١٨٨) .

(١) أخرجه في تفسيره (٣ / ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤ / ١٦٥٥) برقم (٤٢٧٣) ومسلم في صحيحه (٤ /٢٠٥٣) برقم (٢٦٦٥).

(٣) أطال ابن الوزير في عرض أدلة الفريقين في كتابه ترجيح أساليب القرآن (ص: ١٤١-١٦٧) والسيوطي في الإتقان (٤ / ١٣٤١).

(٤) انظر تفسير الطبري (٣ / ١٨٣) وتفسير البغوي(١/ ٢٨٠) وتفسير ابن كثير (١ / ٣٤٨).

(٥) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٨٣) .

(٦) انظر المصدر السابق.

٣- أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه تبيانا لكل شئ وهدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ولم يستثن شيئاً من هذا الوصف، وهذا ممتنع حصوله بدون فهم المعنى.(١)

٤- أن السلف من الصحابة والتابعين فسروا جميع القرآن وتكلموا عن معانيه، وقال مجاهد" عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها" (٢) .

وقال ابن قتيبة(٣) رحمه الله" ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لايعلمه الراسخون في العلم وهذا غلط من متأوليه على اللغة والمعنى، ولم ينزل الله شيئا من القرآن إلا لينفع به عباده ويدل على معنى ماأراد" (٤).

التحقيق في هذه المسألة:

بعد العرض الموجز للأقوال في هذه المسألة، وأدلة كل قول، نخلص إلى بيان الصواب في هذه المسألة، والحق أن يقال إنه لامنافاة بين القولين عند التحقيق .

وذلك أن التأويل في هذه الآية نوعان:

الأول: تأويل بمعنى الحقيقة والعاقبة التي يوؤل إليها الأمر ومنه قوله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾[يوسف: ١٠٠] وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي حقيقة ماأخبروابه من المعاد ممايكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، وكذا قوله تعالى﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ ﴾[يونس: ٣٩] فإن أريد

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧ / ٣٩٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٥) .

(٣) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبومحمد العلامة الكبير صاحب التصانيف البديعة ومنها غريب القرآن، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، توفي سنة ٢٧٦هـ انظر سيرأعلام النبلاء (١٣ / ٢٩٦) والبداية والنهاية (٤٨/١١).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٨).

بالتأويل هذا المعنى، فالوقف على لفظ الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لايعلمها على الحقيقة إلا الله، وذلك كأسماء الله وصفاته وحقائق اليوم الآخر، من البعث والحساب والجنة والنار وهذا هومعناه في القرآن.[1]

الثاني : تأويل بمعنى التفسير وهو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، "واختلف علماء التأويل"، قال تعالى ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾[يوسف: ٣٦] أي بتفسيره، ومنه قولهﷺ في ابن عباس رضي الله عنه" اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"[2] فإن أريد هذا المعنى، فالوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ لأنهم يعلمونه ويفهمون ماخوطبوا به هذا االإعتبار، فالله سبحانه وتعالى إنما نفي العلم بتأويل المتشابه، ولم ينف العلم بمعناه وتفسيره[3]، وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذه المسألة.[4]

وهناك مسلك آخر في هذه المسألة خلاصته،أن التأويل محتمل للمعنيين المتقدمين ولكن الغالب على اطلاقات القرآن للتأويل اطلاقه على حقيقة الأمر التي يؤول إليها، ومن ثم يكون الوقف على لفظ الجلاله، وتكون الواو في ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للإستئناف وذلك لأن الحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره[5]، وهو مسلك قوي، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر التدمرية (ص: ٩٢) وتفسير ابن كثير (١ /٣٤٨) وأضواء البيان (١/ ١٨٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣١٤) برقم (٢٨٨١) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥) وقال حديث صحيح ولم يخرجاه .

(٣) انظر التدمريه (ص:٩٢) وتفسيرابن كثير (١ / ٣٤٨) وأضواء البيان (١ / ١٨٩) وتفسير الشوكاني (١/ ٣١٦).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٧٥) .

(٥) وهذا رأي الشيخ الأمين الشنقيطي كما في أضواء البيان (١/ ١٨٩) .

المبحث الخامس: هل في القرآن شئ لاتعلمه الأمة:

هـذه المسـألة مـن المسـائل المهمـة المتعلقـة ببـاب المحكـم والمتشـابه ولقـد ذكـر الزركشي أن هذه المسألة نتيجة للخلاف في المتشابه هل هو معلوم المعنى أومما استأثر الله بعلمـه المـذكور في قولـه تعـالى﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] هـل الراسـخون في العلـم يعلمـون تأويـل المتشابه، أوأن ذلك مما لايعلمه إلا الله؟ فتكون الواوللإستئناف على نحو ماسبق بيانه .

قال الزركشي رحمه الله بعد مانقل اختلاف العلماء في واو﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ وأدلتهم ، قال: " ومن هذا الخلاف نشأ الخلاف في أنه هل في القرآن شئ لاتعلم الأمة تأويله"، ثم نقل كلام الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره، ومفاده أن عامة المتكلمين ذهبوا إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوما، وإلا لأدى إلى ابطال الإنتفـاع بـه، وحملـوا قولـه "﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ بـالعطف عـلى قولـه﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وقوله﴿ يَقُولُونَ ﴾ جملة حالية،ثم نقل القول الآخر، ونسبه إلى كثير من المفسرين، وهو أنه يصح أن يكون في القرآن بعض مالايعلم تأويله إلا الله، واستدلالهم بأثرابن عباس " أنزل الله القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام، ووجه لايسع أحد جهالته، ووجه تعرفه العرب، ووجه تأويل لايعلمه إلا الله "[1]

وهذه المسألة قد أوردها الأصوليون في مصنفاتهم وسأذكر طرفاً من أقوالهم.

يقول ابن برهان " اختلف العلماء في أن كتاب الله تعالى هل يشتمل على شئ غير مفهوم المعنى أم لا؟ ثم جوز أن يشتمل كلام الله على مالايفهم معناه ثم نقل

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ٤٨)

عن بعضهم أنه لايجوز وتمسك بأسماء السور،قال:ومعلوم أنا لانفهم معانيها، وقد تعبدنا بها"[1] .

والآمدي[2] يرى أنه لايتصور اشتمال القرآن على مالامعنى له في نفسه لكونه هذياناً ونقصاً يتعالى كلام الرب عنه، خلافاً لمن لايؤبه له في قوله، ثم ذكر أدلة من يجوز ذلك وأجاب عنها.[3]

وقال المجد بن تيمية [4]" يجوز أن يشتمل القرآن على مالا يفهم معناه ....وقال قوم لايجوزذلك ثم بحث أصحابنا يقتضي أنه يفهم على سبيل الإجمال دون التفصيل " [5] .

أما الرازي[6] فقد ترجم المسألة في المحصول بأنه لايجوز أن يتكلم الله ورسوله بشئ ولايعنى به شيئا ثم استدل بما يقتضي أن الخلاف في التكلم بما لايفيد.[7]

قال رحمه الله " المسألة الأولى: في أنه لايجوز أن يتكلم الله تعالى بشئ ولايعني به شيئا.

---

(١) الوصول إلى الوصول (١ / ١١٣) والبحر المحيط للزركشي (١/ ٣٧٠) .

(٢) هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم سيف الدين الآمدي، شيخ المتكلمين في زمانه، كان حنبلياً في أول حياته ثم تحول إلى المذهب الشافعي، من تصانيفه الإحكام، توفي سنة ٦٣١هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٠٦) وطبقات الشافعية لإبي بكر بن شهبة (٢/ ٧٩) .

(٣) انظر الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢١٩) .

(٤) هو عبد السلام بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي أحد الأعلام وجد الشيخ تقي الدين بن تيمية تفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين من مصنفاته المنتقى، توفي سنة ٦٥٢ هـ انظر معرفة القراء الكبار (٢/ ٦٥٣) والبداية والنهاية (١٣/ ١٨٥).

(٥) انظر المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (١ / ٣٦٧).

(٦) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي الرازي ابن خطيب الري الشافعي له مصنفات مشهوره منها، التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه، ومناقب الشافعي، توفي سنة ٦٠٦هـ انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٨١) ، وطبقات الفقهاء لابراهيم الشيرازي (ص:٢٦٣).

(٧) انظر البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٧٠) .

ثم قال: لنا وجهان:

١ – أن التكلم بما لايفيد شيئا هذيان وهونقص، والنقص على الله محال .

٢ – أن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى وشفاء وبيانا وذلك لايحصل بمالايفهم معناه"، ثم ذكر أدلة المخالفين وأجاب عنها.[١]

واعترض على الرازي بأنه لم ينازع في هذا المعنى أحد .[٢]

فالرازي هنا لم يحرر محل النزاع حيث إن هناك فرقاً بين المسألتين فإنه يمكن أن يعني به شيئا وهو يفيد في نفسه، ويمكن أن يفيد ولايعني شيئا .[٣]

وقد تكلم الرازي عن هذه المسألة وبسطها وقررها في كتابه " أساس التقديس" وأطال الكلام حولها والاستدلال لها من الكتاب والسنة والمعقول .

قال: القسم الثالث: في تقرير مذهب السلف وفيه فصول:

الفصل الأول: في أنه هل يجوز أن يحصل في كتاب الله مالاسبيل لنا إلى العلم به ؟

ثم قال: اعلم أن كثيرا من الفقهاء والمحدثين والصوفية يجوزون ذلك، والمتكلمون ينكرون ذلك، ثم ساق أدلة الفريقين وسكت عن الترجيح بين القولين .[٤]

وهذه المسألة أوردها المتأخرون بسبب الكلام في آيات الصفات والقدر[٥] ونحوها حيث إنهم جعلوها سلماً لهم لتأويل آيات الصفات أوتفويضها بحجة أنها من قبيل المتشابه ويستدلون على ذلك بآية آل عمران ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] فمن جوز اشتمال القرآن على مالايعلم استدل بقوله تعالى في الآيه " ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وعد من المتشابه

---

(١) انظر المحصول (١ / ٣٨٥- ٣٨٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨٦) وبيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٤٤) والبحر المحيط (١ / ٣٧٠) .

(٣) انظر البحر المحيط (١ / ٣٧٠).

(٤) انظر أساس التقديس (ص: ١٣١) وانظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨ / ٢١٥).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨٥).

آيات الصفات ففوض التفويض الكامل الشامل للمعنى والكيفية ونسبوا ذلك للسلف .

ومن منع ذلك استدل بالآية، وأن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه، فوقعوا في تأويل الصفات التأويل المحدث الذي ابتدعوه وهو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح فتلحظ من ذلك أن كلا الطائفتين جعلوا هذه المسألة أصلاً لهم في تقرير مذهبهم ومعتقدهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وضع هذه المسألة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات وآيات القدر وغير ذلك فلقبوها (**هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه**) وما (تعبدنا بتلاوة حروفه بلا فهم) فجوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يمتحن عباده بما شاء، ومنعها طوائف ليتوصلوا بذلك إلى تاويلاتهم الفاسدة التى هي تحريف الكلم عن مواضعه، والغالب على كلا الطائفتين الخطأ، أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة: ٧٨] وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ".(١)

ومنشأ الشبهة بين الفريقين الإشتراك في لفظ التأويل المذكور في الآية كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ماتكلم عن هذه المسألة وهي (هل يجوز أن يشتمل القرآن على مالا يعلم) .

قال:"ومثار الفتنة بين الطائفتين ومحار عقولهم أن مدعى التأويل أخطأوا في زعمهم أن العلماء يعلمون التأويل وفى دعواهم أن التأويل هو تأويلهم الذى هو تحريف الكلم عن مواضعه فإن الأولين لعلمهم بالقرآن والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقينا أن التأويل الذى يدعيه هؤلاء

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٥) .

ليس هو معنى القرآن فإنهم حرفوا الكلم عن مواضعه.....ثم قال: والذين ادعوا العلم بالتأويل، مثل طائفة من السلف وأهل السنة، وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضا أن النصوص دلت على معرفة معانى القرآن ورأوا عجزا وعيبا وقبيحا أن يخاطب الله عباده بكلام يقرأونه ويتلونه وهم لا يفهمونه وهم مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل، لكن أخطأوا في معنى التأويل الذى نفاه الله، وفى التاويل الذى أثبتوه، وتسلق بذلك مبتدعتهم إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وصار الأولون أقرب إلى السكوت والسلامة بنوع من الجهل، وصار الآخرون أكثر كلاما وجدالا، ولكن بفرية على الله وقول عليه ما لا يعلمونه والحاد في اسمائه وآياته فهذا منشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل"[1]

ثم بين شيخ الإسلام بعد ذلك معنى التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهه والمتكلمة ونحوهم وهوصرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به .[2]

فإذاً بسبب عدم فهمهم لمعنى التأويل في كتاب الله، ضلوا في هذا الباب، واعتقدوا معاني لم يدل عليها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا مما يدلك على أهمية معرفة المصطلحات الشرعية أوالألفاظ الشرعية ومعرفة مدلولاتها، ومعرفة ماأراده الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة وذلك، بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها، وماقاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ماأراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه، ومعرفة هذا أصل العلم والإيمان

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٦ – ٢٨٨)

(٢) انظر المصدر السابق (١٣ / ٢٨٨)

والسعادة والنجاة وبه فارق السلف أهل البدع، فإن أهل البدع ابتدعوا ألفاظاً وأحدثوا معاني لم يتلقوها ابتداءً عن الله ورسوله ﷺ بل عن شبه حصلت لهم وأئمة لهم، ثم بنوا عليها أصولهم ومعتقداتهم .[1]

وهذا أصل معروف لإهل البدع فإنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي، وتأويلهم اللغوي، والأمثلة على هذا كثيرة، فمثلاً التوحيد اسم معظم جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ومعناه معروف في الشرع، لكن مامعناه عند أهل البدع؟ معناه عندهم نفي صفات الله عزوجل كما يقول ذلك الجهمية[2] والمعتزلة ومن وافقهم.[3]

ومن ذلك لفظ التأويل وتفسيرهم بأنه صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، فأين هذا من لغة العرب ومن لسان الشرع وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

والأمثلة في بيان هذا كثيرة جداً .

وسأنقل بعض النقول عن العلماء في أهمية معرفة الألفاظ الشرعية ومعرفة معنى الشرع فيها.

يقول شيخ الإسلام "طريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ماوجدوا سبيلاً"[4]

ويقول في موضع آخر عنه " الألفاظ الشرعية لهاحرمة، ومن تمام العلم أن

---

(١) انظر المصدر السابق (١٧/ ٣٥٣)

(٢) أتباع جهم بن صفوان وهو من الجبريه الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، ومن عقائدهم نفي الصفات والأسماء عن الله، وأن العبد مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة وأنه لايزيد ولاينقص .
انظر مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٩) والفرق بين الفرق (ص: ١٩٩) والملل والنحل (١/ ٨٦)

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٥٢) والصواعق المرسلة (٣ / ٩٢٩)

(٤) درء التعارض (١/ ١٤٥).

يبحث عن مراد رسوله ﷺ ليثبت ماأثبته، وينفي مانفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ماأخبربه، ونطيعه في كل ماأوجب وأمر"(١)

ويرجع شيخ الإسلام الغلط في فهم كلام الله ورسولهﷺ إلى هذه الإصطلاحات الحادثة.

يقول رحمه الله " ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسولهﷺ أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث،فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الإصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها"(٢) .

وإن مما يترتب على هذه الإصطلاحات الحادثة استشكال بعض العقول لبعص نصوص الشرعية مما يكون سبباً في وقوع الغلط في فهم كلام الشارع .

وابن القيم بين أن من أعظم أسباب وقوع الغلط في فهم كلام الله ورسولﷺ هذه الإصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين والفقهاء .

يقول رحمه الله بعد كلام سابق"...... تنزيل كلامه على الإصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين والفقهاء، وعلم أحوال القلوب وغيرهم،فإن لكل من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطباتهم وتصانيفهم، فيجىء من قد ألف تلك الاصطلاحات الحادثة وسبقت معانيها إلى قلبه فلم يعرف سواها، فيسمع كلام الشارع فيحمله على ماألفه من الاصطلاح فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع مالم يرده بكلامه، ويقع من الخلل في نظره ومناظرته مايقع، وهذا من أعظم أسباب الغلط عليه " (٣)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله " إن من الواجب على أهل العلم أن ينتبهوا

---

(١)مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٠٦).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٣ / ٣٨٣) .

للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب هي غير هذه المعاني الحديثة لأن القرآن نزل بلغة العرب فيجب أن تفهم مفرادته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب الذين أنزل عليهم القرآن ولا يجوز أن تفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلح عليها المتأخرون و إلا وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ والتقول على الله ورسوله ﷺ من حيث لايشعر"[1] وذكر مثالاً لذلك لفظة الكراهة ولفظة السنة .

وهذا باب واسع جداً يصعب استقصاؤه، وليس محصوراً في أبواب الإعتقاد وإنما شامل لأبواب الشريعة كلها، ومن الأمثلة على ذلك" لفظة القضاء فإنه فى كلام الله وكلام الرسول المراد به إتمام العبادة وإن كان ذلك فى وقتها كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠] وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ثم اصطلح طائفة من الفقهاء فجعلوا لفظ القضاء مختصا بفعلها فى غير وقتها ولفظ الأداء مختصا بما يفعل فى الوقت وهذا التفريق لا يعرف قط فى كلام الرسولﷺ ثم يقولون قد يستعمل لفظ القضاء فى الأداء فيجعلون اللغة التى نزل القرآن بها من النادر.

ولهذا يتنازعون فى مراد النبىﷺ "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا" وفى لفظ "فأتموا"[2] فيظنون أن بين اللفظين خلافا وليس الأمر كذلك بل قوله فاقضوا كقوله فأتموا لم يرد بإحدهما الفعل بعد الوقت بل لا يوجد فى كلام الشارع أمر بالعبادة فى غير وقتها لكن الوقت وقتان وقت عام ووقت خاص لأهل الأعذار كالنائم والناسى إذا صليا بعدالاستيقاظ والذكر فإنما صليا فى الوقت الذى أمر الله

---

(١) انظر تحذير الساجد (ص: ٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١ / ٣٠٨) برقم (٨٦٦) ومسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠٢).

به فإن هذا ليس وقتا في حق غيرهما"[1] .

القول الصحيح في المسألة:

وبعد حكاية الخلاف في هذه المسألة وذكر بعض أقوال الأصوليين والمتكلمين فيها، بقي أن نبين الصواب في هذه المسألة:

القول الصحيح في مسألة " هل يشتمل القرآن على مالايعلم " قول من يمنع ذلك وهذا قول السلف فإنهم لايقولون إن في القرآن مالايعلم أحد معناه وتفسيره بل كل القرآن يجب أن يكون معلوماً واضحاً.[2]

ويدل لذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

أولاً: أدلة الكتاب:

١ - قوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه أمر الناس بتدبرالقرآن، ولوكان القرآن غيرمفهوم، فكيف يأمرنا بالتدبر فيه ؟

٢ - ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] وجه الدلالة: فكيف يأمرنا بالتدبر فيه لمعرفة نفي التناقض والاختلاف مع أنه غير مفهوم للخلق؟ [3]

٣- قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] ولولم يكن مفهوماً، فكيف يمكن أن يكون الرسول ﷺ منذراًبه ؟

وقوله ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ يدل على أنه نازل بلغة العرب وإذاكان كذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٠٦) .

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨ / ٢١٥).

(٣) انظر أساس التقديس للرازي (ص: ١٣١) وبيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢١٥).

وجب أن يكون معلوماً.

٤ - وصف الله القرآن بعدة صفات منها قوله تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ومالايكون معلوماً لايكون هدى، ووصفه سبحانه بقوله تعالى ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ [القمر: ٥]. ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] وكل هذه الصفات لاتحصل في غير المعلوم.

وكذا قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١] فكيف يكون الكتاب كافياً وكيف يكون ذكرى مع أنه غير مفهوم .؟ وكذا قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] فكيف يكون هادياً مع أنه غير معلوم البشر؟[1]

٥ - وقوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] ومعلوم أن تدبرآياته وتذكر أولي الألباب إنما يكون مع امكان فهمه ومعرفة معناه، وأما بدون ذلك فهو متعذر .[2]

والآيات في نظير هذا الشئ كثيرة يصعب حصرها ويجمعها " كل الآيات التي جاءت بوصف القرآن من كونه، شفاء ورحمة، ونور، وهدى، ونحو ذلك تصلح دليلاً لهذا القول، لأنه لاتحقق تلك الأوصاف في القرآن وفيه مالايعلم معناه .

٦ - قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧] قال ابن جرير الطبري" أمر الله عباده، وحثهم فيها، على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له، ولا يعقل تأويله،

---

(١) انظر أساس التقديس (ص: ١٣١ - ١٣٢) وبيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢١٩ - ١٢٢).

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٣١).

اعتبر بها لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به"[1]

٧- أن الله ذم الذين لايتدبرون القرآن ولايفقهونه قال تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الإسراء: ٤٥ – ٤٦] وقال تعالى ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨] فلوكان المؤمنون لايفقهونه، لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به من عدم الفقه .[2]

ثانياً: أدلة السنة

١ – قوله ﷺ في خطبة عرفات " **وقد تَرْكتُ فيْكُم ما لن تَضِلُّوا بعده إن اعْتَصَمْتُم بِهِ كتاب الله ...**"[3] الحديث، وكيف يتمسك بما هو غير معلوم المعنى ؟[4]

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ "**وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللهِّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ**"[5] ففي الحديث ذكر التلاوة التي هي مذاكرة الألفاظ، والمدارسة التي هي مذاكرة المعاني، ولاتصح المدارسة إلا بالفهم لمعاني التنزيل .[6]

٣- عن عبد اللهِّ بن عَمْرٍو عن النبي ﷺ قال: "**لم يَفْقَهْ من قَرَأَ الْقُرْآنَ في أَقَلَّ من ثلاث** "[7] فهذا يدل على أن القرآن معلوم المعنى وأنه يفقه وإلا لم يذمه النبي .

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٨) و(١٣ / ٢٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٩٠) برقم (١٢١٨) .

(٤) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) .

(٦) انظر منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد (٢ / ٤٥٩).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ١٩٨) برقم(٩٢٤٩) وقال حديث حسن صحيح .

٤- عن عبد اللهَّ أَنَّ يَهُودِيًّا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد إِنَّ اللهَّ يُمْسِكُ السماوات على إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ على إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ على إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ على إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ على إِصْبَعٍ ثُمَّ يقول أنا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رسول اللهَّ ﷺ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] قال يحيى بن سَعِيدٍ وزاد فيه فُضَيْلُ بن عِيَاضٍ عن مَنْصُورٍ عن إبراهيم عن عَبِيدَةَ عن عبد اللهَّ فَضَحِكَ رسول اللهَّ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا له"[(١)]

ففي هذا النص وأمثاله "شاهد، بأن معاني الكتاب والسنة، كانت مفهومة عند المخاطبين بها بل في غاية الجلاء والوضوح، ولاسيما ما يتعلق منها بأمر العقائد،بل اليهود كانوا يفهمون منها ماعجزت عنه فهوم كثير من المتكلمين من جهمية ومعتزلة وأشاعرة ولهذا ضحك النبي ﷺ من وصف اليهود الرب عزوجل وهو يقبض سمواته وأرضيه والخلائق جميعها، تعجباً وتصديقاً له".[(٢)]

ثالثاً: آثار السلف الدالة على هذا القول:

١- قال عبد اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه "والله الذي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ من كِتَابِ اللهَّ إلا أنا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ ولا أُنْزِلَتْ آيَةٌ من كِتَابِ اللهَّ إلا أنا أَعْلَمُ فيما أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهَّ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إليه"[(٣)] .

٢- وكان مجاهدٌ يسأل ابن عباس، عن تفسير القرآن، ومعه الواحد، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال:حتى سأله عن التفسير كله.

وأيضا: ماجاء عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس، ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٩٧) برقم (٦٩٧٨) .

(٢) منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد (٢ / ٤٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١٢) برقم (٤٧١٦) .

(٤) انظر تفسير الطبري (١ / ٤٠) وانظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٨٤).

٣- وقال أبوعبدالرحمن السلمي "حدثنا الذين كانوا يقرءوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات،لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا"[١] .

فهذه النصوص السابقة تدل على إجماع السلف على أن القرآن كله ممايعلم ، ويفسر، يؤيد هذا أن السلف فسروا جميع القرآن ولم يستثنوا منه شيئاً كما جاء ذلك عن مجاهد لما سأل ابن عباس، وكما جاء عن أبي عبدالرحمن السلمي .

ولم يمتنع أحد من الصحابة والتابعين عن تفسير آية من كتاب الله،ولاقال هذه من المتشابه الذي لايعلم معناها، ولايفهمها رسول الله ﷺ، ولاأهل الإيمان جميعاً ، وإنما ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لاريب فيه.[٢]

رابعاً: الأدلة من المعقول:

١ – أن المقصود من الكلام الإفهام، فخطاب الناس بكلام لاسبيل لإحد إلى معرفة معناه هذا لايفعله أحد من العقلاء البتة، بل هو مستقبح باتفاق العقلاء .[٣]

٢ – أن التحدي وقع بالقرآن ومالم يكن معلوماً لايجوزالتحدي به .[٤]

٣- أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن بلاغاً للناس، وجعله حجة على العباد، وعلق العذاب والمساءلة على من قامت عليه الحجة، ولاتقوم الحجة إلا على من فهمها وأدركها، ولهذا لاحجة على المجنون والصبي ومن في حكمهما، فمن قال إن في القرآن مالايعقل معناه فقد أبطل حجة الله على عباده.[٥]

٤ – أن الله تعالى ذكر لعباده أنه قد بين لهم غاية البيان وأمر رسوله بالبلاغ والبيان،

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/ ٣٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٨).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٥) و(١٣ / ٢٨٥) و(١٥ / ١٠٨) .

(٣) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٣) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٤٣) و مجموع الفتاوى (١٧ / ٣٩٧).

(٤) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٣) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٤٦) .

(٥) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٢) وانظر منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد (٢ / ٤٦٦)

وهذا البيان إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده ، وهذا ممتنع ، أو بيان المعنى دون اللفظ أي دون دليله وهذا ممتنع، فيتعين أنه أراد بيان اللفظ ومعناه الذي هومدلوله وملزومه، بل عناية الشارع بالمعنى أبلغ من عنايته باللفظ، إذ المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه فكيف تكون عنايتة بالوسيله أعظم من عنايتة بالغاية والمقصود .[1]

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر مختصر الصواعق (١/ ٢١٧) و(٤/ ١٤١١)

المبحث السادس: هل الصفات من المتشابه ؟

هذا المبحث هو خلاصة الخلاف في المحكم والمتشابه، وهو المحور الأهم الذي يدور عليه اختلاف أهل السنة مع أهل البدع في هذا الباب، وذلك أن باب المحكم والمتشابه قد وقع فيه نزاع بين أهل السنة وبين الطوائف المخالفة لهم، ومحل الخلاف ونتيجته وزبدته في الصفات هل هي من قبيل المتشابه أو من قبيل المحكم، وقد جعل الزركشي والسيوطي والزرقاني في كتبهم في علوم القرآن صفات الله من المتشابه الذي لايعرف له معنى ولهذا وقعوا في نفي كثير من صفات الله وتحريفها، قال الرزكشي: " النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات والواردة في الصفات":

وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق:

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شيئ منها وهم المشبهة.

والثاني: أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل ونقول لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف.

والثالث: أنها مؤولة وأولوها على ما يليق به "[1] إلى آخر كلامه، وكذلك السيوطي والزرقاني[2] وهكذا ممن تبعهم[3] [4]

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ / ٥١).

(٢) انظر الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٥٤) ومناهل العرفان للزرقاني (٢ / ٢٢٥) .

(٣) انظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد المكي (٥/ ٥٤) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص:٢٨٣) وانظر في علوم القرآن دراسات ومحاضرات(ص: ١٢٤) لمحمد كفاني، وعبدالله الشريف، وكتاب من روائع القرآن (ص: ١١٦) لمحمد البوطي، وكتاب مدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفاروق حمادة (ص:١٥٤) وعلوم القرآن وإعجازه د. عدنان زرزور (ص:٢٧١) .

(٤) وقد اعتمدت على كتاب ابن اللبان وهو إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات" وهذا المؤلف من =

وقد اتخذ أهل البدع هذا الباب ذريعةً وطريقاً وأصلاً يعتمدون عليه في تحريف كلام الله ورسولهﷺ عن مواضعه، ليوافق أصولهم ومذهبهم، وذلك بجعلهم صفات الله من المتشابه .

ولاشك أن ادخال الصفات من المتشابه قول باطل لادليل عليه من كتاب أوسنة أو أثر وسيأتي بيان ذلك، ولكن قبل أن أبطل هذا القول أشير إلى قضية منهجية في غاية الأهمية ألا وهي منهج المتكلمين في باب المحكم والمتشابه، مقارناً ذلك بمنهج السلف .

منهج المتكلمين في باب المحكم والمتشابه:

لقد أنزل الله هذا الكتاب على رسولناﷺ، وجعل منه ماهومحكم، ومنه ماهو متشابه ، وأمرنا برد ماتشابه منه علينا إلى المحكم لأنه أم الكتاب وأصله الذي يعتمد عليه قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآيات : "يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما أشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس إنعكس ولهذا قال تعالى ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الإشتباه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث

= المتصوفة الغالية، وقد ضبطت عليه كلمات على طريقة الإتحاد، كما قال ابن حجر وسيأتي ترجمته، أما الكتاب فقد درسه أحد الباحثين فقال" من خلال دراستي كتاب ابن اللبان تبين لي أن له أصولاً عقدية هي خليط من مذهب الأشاعرة ومذهب غلاة التصوف القائلين بالحلول وبوحدة الوجود وهذه الأخيرة أبرز في كتابه هذا" ثم تتبع ذلك انظر مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة د. عبدالزراق معاش (٢/ ٤٩) .

اللفظ، والتركيب لا من حيث المراد.....

وقوله تعالى﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله تعالى﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ أي الإضلال لأتباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم"[1]

فهذه الآية بينت طريق أهل السنة، وهم أهل العلم الراسخون، وطريق أهل الزيغ والأهواء .

فأهل السنة يعلمون، أن القرآن كله من عندالله، وأنه حق محكمه ومتشابهه، وأن الحق لايتناقض ولايختلف، فهم يردون المتشابه إلى المحكم الواضح، فيعود كله محكماً واضحاً بينا، لا اختلاف فيه ولاتناقض، وهذا بخلاف أهل الأهواء فهم يتركون المحكم الواضح ويتبعون المتشابه بل جعلوه أي المتشابه مدخلاً وسلماً لهم في تقرير مقالاتهم الباطلة .كما سيأتي بيان ذلك .

ويتركز منهج المتكلمين في هذا الباب على عدة أسس:

١ - الأساس الأول:مصطلحهم في التأويل:

لقد ابتدع المتكلمون معنى للتأويل المذكور في الآية،لم يكن معروفاً عند السلف الصالح ولم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، وإنما ابتدع هذا بعض المتأخرين، وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[2]، واعتقدوا لمتشابه القرآن معنى يخالف المعنى الظاهر من الآية، ومن هنا قرروا

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٥- ٣٤٦)

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٨) والتدمرية (ص: ٩١) .

عقيدتهم، وقالوا إن ظواهر النصوص غير مرادة[1]، وأن نصوص الصفات موهمة للتجسيم والتشبيه، فلم يجعلوها من قبيل المحكم بل عدوها من المتشابه الذي يحتاج إلى تأويل ، فتغير لذلك مفهوم المحكم والمتشابه عندهم، وخالفوا بهذا اعتقاد السلف فإن معنى التأويل لايعرف عند السلف إلا بمعنيين وهوالذي دل عليه كتاب الله وسنة رسولﷺ وهما التفسير، والحقيقة التي يؤول إليها الأمر، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله، ولهذا لم يقولوا إن لمتشابه القرآن معنى يخالف الظاهر، وأن ظاهر النصوص غيرمرادة، بل على النقيض من ذلك أثبتوا معاني النصوص بظواهرها، ولهذا كان مفهوم المحكم والمتشابه عند السلف متوافقاً ومتسقاً مع اعتقادهم. [2]

قال شيخ الإسلام "أهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجعلون ألفاظا لهم مجملة متشابهة تتضمن حقا وباطلا يجعلونها هي الأصول المحكمة ويجعلون ما عارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندهم إلا الله"[3]

٢- الأساس الثاني: ميزان الإحكام والتشابه:

لقد جعل المتكلمون ميزاناً لهم، لمعرفة المحكم والمتشابه، وهذا الميزان هوالعقل، فماوافق عقولهم، جعلوه محكماً، وماخالفه جعلوه متشابه، واتفق على هذا الضابط المعتزله والأشاعرة .

---

(١) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٧) .

(٢) انظر التدمرية (ص:٦٩) و(ص: ١١٣) وانظر قضية المحكم والمتشابه د.محمودعبدالزراق (ص: ٢٠) بحث منشور في مجلة جامعة الملك خالد، العدد (٢) وانظر مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة (٢/ ١٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧ / ٤١٧) و(١٧/ ٣٠٦) .

يقول القاضي عبد الجبار[1]" المحكم ماأحكم المراد بظاهره، والمتشابه مالم يحكم المراد بظاهره بل يحتاج في ذلك إلى قرينة، وفصل القول في القرينة التي تعرف بها المراد بالمتشابه ونحمله على المحكم فقال إنها أما أن تكون عقلية أوسمعية ....[2]

وتوسع في كتابه متشابه القرآن في أن أقوى مايعلم به الفرق بين المحكم والمتشابه أدلة العقول حيث قال " يجب أن يترتب المحكم والمتشابه جميعاً على أدلة العقول"[3]

وقرر الرازي قانوناً يرجع إليه لمعرفة المحكم من المتشابه، وهوأن المحكم مالم يعارضه دليل عقلي قاطع، وأن المتشابه ماعارضه دليل عقلي قاطع .[4]

وقد تأثرت كتب علوم القرآن بكلام الرازي ونقلت عنه هذا الضابط وجعلوه أساساً لمعرفة المحكم من المتشابه، كما فعل السيوطي في الإتقان، وتبعه على ذلك الزرقاني، ووصف هذا القول بأنه أهداها سبيلا وأوضحها بياناً .[5]

ولهذا تخبطوا في هذا الباب؛ لأنهم جعلوا العقل هوالحاكم والميزان الذي يوزن به المحكم من المتشابه .

فهم بهذا لم يعبهوا بالنصوص الشرعية بل قدموا عقولهم على الكتاب والسنة، ولهذا نفوا وعطلوا كثيرا من النصوص الشرعية، بزعمهم أنها من المتشابه، كما فعل السيوطي عفا الله عنه إذ عد من المتشابه صفات الله، ومثله الزرقاني.[6] ونحوهم[7]

---

(١) هو عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني، من كبار فقهاء الشافعية، صنف كثيراً من المصنفات منها شرح الأصول الخمسة، متشابه القرآن، توفي سنة ٤١٥هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤) .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص: ٦٠٠) .

(٣) متشابه القرآن (ص: ٧) .

(٤) انظر أساس التقديس (ص: ١٣٦) والتفسير الكبير (٧/ ١٤٨، ١٥٢) .

(٥) انظر الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٥٢) وانظر مناهل العرفان (٢/ ٢١٦).

(٦) انظر الإتقان للسيوطي (٤ / ١٣٥٤) وانظر مناهل العرفان (٢/ ٢٢٦) .

(٧) ومن المعاصرين من ألف رسالة في " متشابه القرآن دراسة موضوعية" وهوعدنان زرزور وعقد فصلاً في أساس التمييز بين المحكم والمتشابه، وذكر أن أساسه العقل ونقل كلام القاضي عبد الجبار و الرازي المتقدم، =

ولقد بين شيخ الاسلام أن هذه طريقة أهل التحريف والتأويل قال رحمه الله"وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون، إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو الحق في نفس الأمر وإن الحق في نفس الأمر، هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات ... ثم قال: وبالجملة فهذه طريق خلق كثير من المتكلمين، وعليها بنى سائر المتكلمين المخالفين لبعض النصوص مذاهبهم"(١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر" ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعل الفريق الآخر مشكلا، فمنكر الصفات الخبرية الذي يقول إنها لا تعلم بالعقل، يقول نصوصها مشكلة متشابهة، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل، فإنها عنده محكمة بينة وكذلك يقول من ينكر العلو والرؤية نصوص هذه مشكلة، ومنكر الصفات مطلقا يجعل ما يثبتها مشكلا، دون ما يثبت أسماءه الحسنى، ومنكر معاني الأسماء يجعل نصوصها مشكلة ..."(٢) إلى آخر كلامه.

ولاشك أن هذا المنهج باطل ويلزم منه لوازم فاسده ويتضح ذلك بأمور:

١ – أن الله سبحانه قسم الكتاب إلى قسمين محكم، ومتشابه، وبين أن بيان المتشابه في المحكم لذا أمرنا برد المتشابه إلى المحكم؛ لأنه الأصل والأم كما قال تعالى في آية أخرى ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾[الشورى: ١٠]. وأما صنيع هؤلاء فقد خالفوا المنهج الرباني الذي شرعه لعباده، وجعلوا عقولهم هي الأصل .

= وقد حوى هذا الكتاب كماً هائلاً من الأخطاء، وتحامل كثيراً على أئمة السلف وكتبهم ونقل تسمية الرازي لكتاب التوحيد لابن خزيمة بأنه "كتاب الشرك" والعياذبالله من الخذلان والضلال،كما تهجم على شيخ الإسلام تقليدا للكوثري، انظر "متشابه دراسة موضوعية" (ص:٥٤) ومابعدها .

(١) درء التعارض (١ / ١٢– ١٣) .

(٢) درء التعارض (١ / ١٦ –١٧) وانظر الصواعق المرسلة لابن القيم (٣ / ٩٩٠).

٢- "أن هؤلاء عكسوا شرعة الله وحكمته، وضادوه في أمره، فإن الله سبحانه جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به، وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه، ورسولاً والعقل مرسلاً إليه"[(١)] ولاشك أن هذا من أبطل الباطل .

٣- أن الاعتماد والأخذ بهذا المنهج يجعل باب المحكم والمتشابه ملتبساً، غير معلوم لنا، وذلك أن طائفة تدعي أن المحكم هو ماوافق قولها، والمتشابه ماوافق قول خصمها، وحينئذ فلا يحصل بهذا بيان المحكم من المتشابه، ونقع بسبب ذلك في الإشكال واللبس، ولاشك أن هذا باطل إذ أنه يعارض ويناقض إكمال الشريعة .[(٢)]

٤- ويلزم منه لوازم باطله وأعظمها، ألا يكون في القرآن هدى وشفاء وبيان، فيخرج بذلك عن أن يكون حجة، بل الحجة عندك في الدليل العقلي، والقرآن إن وافقه فالإعتماد عليه لا على القرآن، وإن خالفه أخذوا بالدليل العقلي، وطرحوا الاستدلال بالقرآن، فالقرآن لايستفاد به مادل عليه ولايحتج به، فلم يبق للقرآن عندهم حرمة أصلاً ولا فائدة.[(٣)]

٥-أن حقيقة قول المعارضين بين النصوص الشرعية المحكمة، وعقولهم الفاسدة، وتقديم العقول عليها أن لايحتج بالقرآن، على شئ من المسائل العلمية والأصولية،لإن دلالة القرآن ظنية لايجوز الاحتجاج بها على المسائل الأصولية، فهي من قبيل المتشابه، بينما دلالة العقل قطعية الدلالة فهي من قبيل المحكم، وقد صرحوا بأنه لايجوز الإستدلال بالقرآن والأدلة السمعية على المسائل الأصولية؛ لأن الاستدلال بها موقوف على نفي المعارض العقلي كما ذكر ذلك الرازي .[(٤)]

٦- أن المعقولات ليس لها ضابط يضبطها، وليست منحصرة في نوع معين حتى

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣ / ٨٩٠) .

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٤٤٤).

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٣٩٦ و ٤٠٤و ٤٤٩) .

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٤٥٠) وانظر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٥).

يقيد ولذا فكل فريق يجعل أقواله التي ابتدعها هي المحكمة، والأقوال المخالفة لقوله هي المتشابهه، ومن هنا وقع الإختلاف والتباين بين أقوالهم[1]، وصدق الله إذ يقول جل وعلا "﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]

أما ضابط المحكم والمتشابه عند السلف: فهو الشرع وذلك أنهم لم يخرجوا في اعتبار المحكم والمتشابه عن بيان الله ورسولهﷺ وهذا أصلهم الذي ينطلقون منه فإنهم أي (أهل السنة) "لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولايؤسس دينا غير ماجاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شئ من الدين والكلام فيه، نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم، وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة"[2] .

يقول ابن القيم واصفا منهج أهل السنة " لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلاً غير ماجاء به الرسول، فهو أصلهم الذي عليه يُعوّلون، وجنتهم التي إليها يرجعون"[3].

ولم يأت في كتاب الله وسنةرسولهﷺ ماينفي العلم بالمتشابه بل المنفي فيهما هوحقيقة الشئ وكنهه، ولذلك لم يعتبروا نصوص الصفات من المتشابه بل هي من المحكم الواضح البين، وأن المتشابه فيها هوحقيقة الصفات .[4]

هذه أبرز أسس المتكلمين في باب المحكم والمتشابه.

صفات الله هل هي من المتشابه:

القول بأن الصفات من قبيل المتشابه قول باطل وذلك لمايأتي:

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (٣ / ١٠٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣ / ٦٣) .

(٣) انظر شفاء العليل لابن القيم (١ / ٨٣) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٩٤) و(١٧ / ٤٢٣) .

أولاً: أنه لم ينقل عن أحد من السلف الصالح أنهم أدخلوا الصفات في المتشابه بل تواتر النقل عنهم بإثبات معاني الصفات ومن ذلك:

١ - قول الإمام مالك بن أنس عليه رحمة الله لماسأله رجل فقال: ياأباعبدالله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء! ثم قال الاستواء غيرمجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ وماأراك إلا مبتدعاً فأمربه أن يخرج"[(١)] .

٢ - وقال الإمام ابن جرير الطبري " فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عزوجل ووحيه، وجاء ببعضها رسولﷺ ؟

قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على مانعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفي ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]، فيقال: الله سميع بصير، له سمع وبصر..."[(٢)] .

٣ - وقال الإمام محمد بن علي الكرجي، المعروف بالقصاب[(٣)] " كل صفة وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسولهﷺ،فليست صفة مجاز، ولوكانت صفة مجاز، لتحتم تأويلها، ولقيل: معنى البصركذا، ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، فلماكان مذهب السلف إقرارهابلاتأويل، علم أنهاغيرمحمولة على المجاز،

---

(١) أخرجه الالكائي برقم (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٤) وابن قدامة في اثبات صفة العلو (ص: ١١٩) والذهبي في العلو وصحح اسناده (ص: ١٣٨).

(٢) كتاب التبصير في معالم الدين لابن جريرالطبري (ص: ١٤٠) .

(٣) هو أبو أحمد محمد بن على بن محمد الكرجي، له مصنفات كثيرة، منها كتاب السنة في الإعتقاد، توفي سنة٣٦٠هـ انظرسيرأعلام النبلاء (١٦ / ٢١٣) وتذكرة الحفاظ (٣ / ٩٣٨) .

وإنما هي حق بين"[1] .

٤-وبين الإمام السجزي[2] رحمه الله أن نصوص صفات الله الواجب حملها على الحقيقة اللغوية حيث قال " الواجب أن يعلم أن الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة هي معقولة عند العرب، والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يبين سبحانه أنها بخلاف مايعقلونه، ولافسرها النبي ﷺ بتفسير يخالف الظاهر، فهي على مايعقلونه ويتعارفونه"[3] .

ومما يبين أن الصحابة رضوان الله عليهم كان منهجهم وموقفهم من نصوص الأسماء والصفات الإيمان بها وفهم معانيها، وقطع الطمع عن إدراك كيفياتها بالعقل ماذكره المقريزي[4] عن مذهب الصحابة في الأسماء والصفات .

قال رحمه الله " لمابعث الله محمداً ﷺ إلى الناس جميعاً، وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بماوصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويهم وبدويهم، عن معنى شئ من ذلك،كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج ... إذ لوسأله أحد منهم عن شئ من الصفات لنقل، كما نقلت الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أحكام الحلال والحرام ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من

---

(١) نقل ذلك الذهبي في ترجمته انظر سير أعلام النبلاء (١٦ / ٢١٣-٢١٤).

(٢) هو أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي السجستاني الإمام العالم الحافظ شيخ السنة ومصنف الإبانة الكبرى في أن القرآن الكريم غير مخلوق وهو مجلد كبير دال على سعة علم الرجل بفن الأثر، توفي سنة ٤٤٤هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤) و البداية والنهاية (١٢/ ١١٧).

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٥٢) .

(٤) هو أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد تقي الدين المقريزي البعلي، ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعي له مصنفات كثيرة منها، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في تاريخ مصر، وتجريد التوحيد، والبيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد، وغيرها توفي سنة ٨٤٥ هـ انظر هدية العارفين أسماء وآثار المصنفين للبغدادي (٥ / ١٢٧) والبدر الطالع (١/ ٧٩) .

طريق صحيح، ولاسقيم، من أحد من الصحابة رضي الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنه سأل رسولﷺ عن معنى شئ مماوصف الرب به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان محمدﷺ، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ....ولافرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أوصفة فعل وإنما أثبتوا الصفات كلها ... إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً من غير تعطيل، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شئ من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم مايستدل به على وحدانية الله تعالى، وعلى إثبات نبوة محمدﷺ سوى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولاعرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية، ولا المسائل الفلسفية فمضى عصر الصحابة على ذلك ...."[1]

وماقاله أبومحمد الجويني[2] لما بين أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها، قال رحمه الله " كنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والإستواء، والنزول مخافة الحصروالتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ أجدها نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسولﷺ قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها، وأعلم بالاضطرارأنه ﷺ كان يحضر في مجلسه الشريف، العالم والجاهل، والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها، لانصاً ولاظاهرا مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كما تأولها هولاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل: تأويلهم الاستيلاء بالاستواء، ونزول الأمر للنزول، وغيرذلك ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقيه، واليدين، وغيرها ولم ينقل عنه

---

(١) الخطط للمقريزي (٣ / ٣٠١- ٣٠٢) .

(٢) هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الشيخ أبومحمد الجويني، إمام الشافعية، والد إمام الحرمين أبي المعالي، كان زاهداً مهيباً، وكان إماماً في الفقه والأصول، وصنف التصانيف الكثيرة توفي سنة ٤٣٨ هـ انظر ترجمتة طبقات الشافعية الكبرى (٥ / ٧٣) والبداية والنهاية (١٢ / ٥٥) .

مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني آخر باطنة، غير مايظهر من مدلولها، مثل: فوقية المرتبه ويد النعمة والقدرة وغير ذلك"[١] .

ويزيد الأمر وضوحاً أن الصحابة تنازعوا في كثير من آيات الأحكام مثل قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[البقرة: ٢٣٤] هل يتناول اللفظ الحامل، أو هوللحائل فقط .

وتنازعوا في تأويل قوله تعالى﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣] هل هو الجماع أواللمس باليد والقبلة ونحوها.

وتنازعوا تأويل قوله تعالى﴿ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[البقرة: ٢٣٧]. هل هوالأب، أوالزوج، ونحوها، "ولم يتنازعوا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها، وإمرارها، مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً، وأن العناية ببيانها أهم، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله ورسولهﷺ بياناً شافياً لايقع فيه لبس ولا إشكال يوقع الراسخين في العلم في منازعة ولااشتباه، ومن شرح الله لها صدره، ونورلها قلبه يعلم أن دلالتها على معانيها، أظهر من دلالة كثير من آيات الأحكام على معانيها، ولهذا آيات الأحكام لايكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام، أعني فهم أصل المعنى لافهم الكنه والكيفية ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾[البقرة: ١٨٧] حتى بين لهم بقوله: ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦] وأمثالها من آيات الصفات، وأشكل على عمر بن الخطاب آية الكلالة ولم يشكل

---

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، للجويني (ص:٣٢) .

عليه أول الحديد وآخر الحشر وأول سورة طه ونحوها من آيات الصفات "[1] .

وبهذا التقرير يعلم أن من قال بأن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة لايعرفون شيئا من معاني هذه الآيات، وأنها من المتشابه الذي استأثرالله بعلم معناها كما استأثر بعلم وقت الساعة، وأنهم كانوا يقرؤون ألفاظاً لايفهمون لها معنى فقد كذب على القوم وافترى عليهم مالم يقولونه .[2]

ثانياً: أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بمايوافق دلالتها وبيانها، ولم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية، وهذا يدل على أن آيات الصفات ليست من المتشابه الذي لايعرف أحد معناه، بل هي من المحكم الواضح البين .[3]

ثالثا: أن قولهم إن صفات الله من المتشابه، يقال: إن هناك فرقاً بين نفي العلم بمعناها وبين نفي علم الكيفية، فنفي العلم باطل، بخلاف نفي الكيفية، فهو حق، إذ كيفية صفات الله مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع على ذلك أحداً من خلقه [4].

يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله " آيات الصفات لايطلق عليها اسم المتشابه بهذا المعنى من غيرتفصيل، لأن معناها معلوم في اللغة العربية، وليس متشابهاً، ولكن كيفية اتصافه جل وعلا بها ليست معلومة للخلق، وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ماستأثر الله بعلمه دون خلقه كانت كيفية الإتصاف داخلة فيه لانفس الصفة"[5]

رابعاً: يقول شيخ الاسلام وهويناقش أصحاب هذا القول " لا ريب أن الله سمى

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (١ / ٢٠٨-٢١٠) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٢٥) و(١٣ / ٢٩٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٠٧).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٢٤).

(٥) مذكرة في أصول الفقه (ص: ٧٧) .

نفسه في القرآن بأسماء مثل الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرءوف، ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص،وآية الكرسى، وأول الحديد، وآخر الحشر .... فيقال لمن ادعى في هذا أنه متشابه لا يعلم معناه، أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه أم في البعض؟

فإن: قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام بل كفر صريح فانا نفهم من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال: ٧٥] معنى ونفهم من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [البقرة: ٢٠] معنى ليس هو الأول ونفهم من قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦] معنى ونفهم من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧﴾ [إبراهيم: ٤٧] معنى، وصبيان المسلمين بل وكل عاقل يفهم هذا "(١) .

ثم بدأ يناقش من أقر ببعض الصفات دون بعض، وأنه لافرق بين ماأثبته وبين مانفيته من حيث الدليل وأنه يلزم لمن نفى شيئاً، أن يثبت نظير ما نفاه (٢).

يقول ابن القيم وهو يبين أن جعل الصفات من المتشابه إنما جاء من المتأخرين " وقد تنازع الناس في المحكم والمتشابه تنازعاً كثيراً، ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن المتشابهات آيات الصفات، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك فكيف تكون آيات الصفات متشابهة عندهم وهم لايتنازعون في شئ منها، وآيات الأحكام هي المحكمة، وقد وقع بينهم النزاع في بعضها، وإنما هذا قول بعض المتأخرين "(٣) .

وسنقف وقفة مع مانقله الزركشي والسيوطي والزرقاني في الصفات في باب التأويل بحول الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٩٦) .

(٢) انظر المصدر السابق (١٣ / ٢٩٧ – ٣٠٥).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٣)

المبحث السابع: الحكمة من وجود المتشابهات

هذه المسألة من المسائل التي ذكرت في كتب علوم القرآن بهذا العنوان، وقد عنون الزركشي رحمه الله لهذه المسألة بقوله " قيل ماالحكمة في إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى ؟ فذكر جملة من هذه الحكم، والسيوطي نقل عنه شيئا منها وزاد عليها مما ذكره الرازي في أساس التقديس، والتفسير الكبير وكذا الزرقاني اعتمد على كلام الرازي، بدون تعقيب، وقد اشتمل كلام الرازي على بعض من الأغلاط وسيأتي بيان ذلك .

ولعل من المناسب الإشارة إلى بعض هذه الحكم مماذكره أهل العلم:

- فمن ذلك ماذكره جمع من أهل العلم[1]، ولعله من أعظمها وهو ابتلاء من الله لعباده، وليميز به بين الثابت على الحق، والعامل به، وبين من هو بعكس ذلك، فأما المؤمن فإنه يؤمن به ويحكم فيه حكم الله، فيرده إلى المحكم البين؛ لأن الله سماه أم الكتاب، وأم الكتاب هو أساسه وأصله الذي عليه الاعتماد والبناء .

وأما أهل الزيغ والأهواء فإنهم لم يقفوا حيث وقف المؤمنون بل اتبعوا ماتشابه منه طلباً للفتنه وابتغاء تأويله وتحريفه عن مراد الله ورسوله ﷺ وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الحكمة في قوله تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٧٤) وزاد المسير لابن الجوزي (١ / ٣٥١) وتفسير ابن كثير (١/ ٣٤٦) والكشاف للزمخشري (١ / ٣٦٦) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٤٩) .

يقول المعلمي اليماني[1]:(وفي بقاء المنسوخ بعيداً عن ناسخه، والإتيان بالمجمل بنوعيه ابتلاء من الله لعباده، فيكون عليهم مشقة وعناء في استنباط الأحكام لاحتياج ذلك إلى الإحاطة بنصوص الكتاب والسنة واستحضارها وفي ذكر مالاسبيل للعباد إلى معرفة كنهه وكيفيته مع مايتعلق بذلك من المعاني الظاهرة ابتلاء لهم ليمتاز الزائغ عن الراسخ " [2] .

ومنها ليظهر فضل العلماء الراسخين فيه على من دونهم، فيستدعيهم ذلك إلى طلب المزيد منه ولولا ذلك لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العلماء على غيرهم ممن هو دونهم .

وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة رحمه الله قال: " إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الايجاز والاختصار والاطالة والتوكيل والإشارة إلى الشئ، وإغماض بعض المعاني حتى لايظهر عليه إلا اللقن [3]، واظهار بعضها، وضرب الأمثلة لما خفي، ولوكان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة وماتت الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة، وقالوا عيب الغنى أنه يورث البله، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة .. ثم قال وكل باب من أبواب العلم من الفقه والحساب والفرائض والنحو فمنه مايجل، ومنه مايدق ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ...ولوكان كل فن من العلوم شيئا واحداً لم يكن عالم ولامتعلم ولاخفي ولاجلي، لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها،

---

(١) عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي، أبو عبدالله، من مصنفاته التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل، وعلم الرجال وأهميته، توفي سنة ١٣٨٦هـ انظر الأعلام (٣/ ٣٤٢) دار العلم الملايين .

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد (ص: ١٧٢) .

(٣) اللقن: مصدر لقن الشئ يلقنه لقناً أخذه وفهمه، ولقنته تلقيناً فهمته، وغلام لقن سريع الفهم واللقانه. انظر معجم مقاييس اللغة (٥ / ٢٦٠) ومختار الصحاح للرازي (ص: ٢٥١) ولسان العرب (١٣/ ٣٩٠).

فالخيريعرف بالشر، والنفع بالضر..."[1].

- ومنها اظهار عجز المشركين عن معارضة القرآن وذلك "أنه لما كان كلام العرب على ضربين:

أحدهما: الموجز الذي لا يخفى على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره .

والثاني: المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكأنه قال، عارضوه بأي الضربين شئتم ، ولو نزل كله محكما واضحا، لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا، ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو تعريض أو تشبيه كان أفصح وأغرب"[2].

وبعد عرض أقوال بعض العلماء في الحكمة من وجود المتشابهات في القرآن، سأعرض لبعض ماذكر من هذه الحكم في بعض كتب علوم القرآن .

لقد اعتمدت بعض كتب علوم القرآن في عرض هذه المسألة على كلام الرازي في أساس التقديس والتفسير الكبير كما فعل السيوطي والرزقاني[3]، ومن هذه الحكم قول الرازي " أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فإذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطرق يتخلص المبطل من باطله

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٦) وانظر تفسير بحر العلوم للسمرقندي (١/ ٢١٩) وزاد المسير (١ / ٣٥١) وتفسير القرطبي (٤ / ١٩) وتفسير أبي السعود (٢/ ٨) والبرهان للزركشي (٢/ ٤٩).

(٢) زاد المسير (١ / ٣٥١).

(٣) انظر التفسير الكبير (٧ / ١٤٩) وأساس التقديس (ص: ١٤٤).

ويتصل إلى الحق"[1] .

وهذه الحكمة قد ألمح إليها القاضي عبد الجبار إذ يقول " إن وجود المتشابه ادعى إلى نظر جميع المختلفين في القرآن، بأن يظن كل واحد منهم أن يجد فيه ماينصر قوله ومذهبه، ولذلك قال تعالى "﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾فنبه بذلك على أنهم ينظرون فيه هذا القصد، فقصدهم وإن قبح فإن نظرهم فيه يحسن، ومن هو من أهل الدين ينظر فيه لاعلى هذا"[2].

فالرازي هنا يقرر أن القرآن يطابق ويؤيد جميع المذاهب فهو يدعو إليها ويقرها ، حتى يجذب ويطمع صاحب كل مذهب للنظر فيه والإنتفاع به، فيجره ذلك أن يتخلص من باطله ويتصل بالحق، وهذا باطل بلاريب، فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن هدى ورحمه وشفاء للمؤمنين، وجعله محكماً، والحكم هو الذي يفصل بين الشيئين، كما يفصل الحاكم بين الخصمين .

فيفصل بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار، وقد سما الله القرآن حكيما قال تعالى:﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾[يونس: ١] فهو متقن في غاية الإتقان لأنه من لدن حكيم عليم سبحانه فلااختلاف فيه ولاتناقض، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء: ٨٢] وقال سبحانه وتعالى في وصف القرآن ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر: ٢٣].

فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضا، فلااختلاف ولاتناقض في أخباره وأوامره .

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي (٤ / ١٣٩٦) ومناهل العرفان للزرقاني (٢ / ٢٢٤).

(٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار(١ / ٢٨) .

ثم أي هداية في هذا القرآن الذي وصفه الرازي بأنه داع لكل مذهب وفرقة ؟ بل على النقيض من هذا سيبقى العبد حيران بين هذه المذاهب والفرق، ويؤيد بطلان هذا القول أن هذه المذاهب لم تكن موجوده عند نزول القرآن كما يقول ذلك رشيد رضا[1] مستنكراً كلام الرازي السابق " أين كانت هذه المذاهب عند نزوله ؟ ومن اهتدى من أهلها بهذه الطريقة ؟ "

وقال رحمه الله" في تعليقه على كلام الرازي " إنه لم يأت بشيء نير، ولم يحسن بيان ماقاله العلماء ثم قال وأسخف هذه الوجوه وأشدها الثاني "[2]

فإذاً نخلص إلى أن هذا القول يناقض ماوصف به القرآن من وصف الفرقان وازهاق الباطل، واحقاق الحق، ولوكان مايدعيه حقاً لتمسك به المشركون، واعترضوا عليه فإنهم كانوا من أحرص الناس على معارضته وهم فصحاء العرب ومع ذلك مااستطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ومن هذه الحكم ماذكره الرازي" أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدلائل العقل والاستكثار من سائر العلوم، وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل إلى ضياء الاستدلال والحجة، أما لو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ يبقى في الجهل والتقليد"[3]

ونقل هذا الزرقاني بدون تعقيب[4] .

فهنا قد جعل من حكمة وجود المتشابه الإستعانه واللجوء إلى دلائل العقل لمعرفة المتشابه، فيخرج بذلك عن ظلمة التقليد إلى ضياء الاستدلال، ومن المعلوم

---

(١) هو محمد رشيد بن على رضا بن محمد القلموني الحسيني، مفسر أديب سياسي، تتلمذ على محمد عبده، وتنقل في كثير من البلاد، توفي سنة ١٣٥٤هـ انظر ترجمتة في الأعلام (٦/ ٣٦١) معجم المؤلفين (٩ / ٣١٠).

(٢) تفسير المنار (٣/ ١٧٠) .

(٣) أساس التقديس (ص:١٤٤) والتفسير الكبير (٧/ ١٤٩).

(٤) انظر مناهل العرفان (٢ / ٢٢٥).

أن هذا يناقض ماوصف به القرآن من وصفه بالإحكام والتبيان،ثم إنه يلزم على هذا التقدير أن الهدى والعلم والبيان ليس بالكتاب وماجاء به الرسول بل في دلالة العقل، فعلى ذلك كان عدم انزال القرآن وارسال الرسول أصلح للخلق، فإن الهدى إنما حصل لهم بعقل لم يحتاجوا فيه إلى الكتاب والرسول، لكن الكتاب والرسول عندهم عارض هذا العقل، ولهذا قالوا يقدم العقل، وماجاء به الرسول: إما أن يعرض عنه وإما أن يوضع له محامل يحمل عليها.(١)

ثم إن دلالة العقل التي تزعمون أن الآخذ بها خارج عن ظلمة التقليد، ليس لها ضابط يضبطها ولاهي منحصرة في نوع معين، فإنه مامن أمة من الأمم وإلا ولهم عقليات يختصون بها،

فبأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟

ولذا فإن فبينهم من الاختلاف والتباين ماهومعروف (٢) .

ومن هذه الحكم ماقاله الرازي.

"الوجه الخامس: وهو السبب الأقوى في هذا الباب أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه / ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من باب المتشابهات، والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو المحكمات"(٣) ونقل ذلك السيوطي والزرقاني عفا الله عنهم وقال "وهذه الحكمة

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٤٩).

(٢) انظر الصواعق المرسلة (٣ / ١٠٦٧).

(٣) التفسير الكبير (٧ / ١٤٩) وأساس التقديس (ص: ١٤٤).

ظاهرة في متشابه الصفات" [(١)].

ولاشك في بطلان ما ذكره؛ فإنه مبني عل طريقة أهل التخييل من الفلاسفة الذين يزعمون أن الرسل لم يمكنهم مخاطبة الخلق بالحق في نفس الأمر، فخاطبوهم بمايخيل إليهم لينتفع به الجمهور لا ليبين به الحق ولا ليهدي به الخلق، وسلكوا هذا في باب الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر وهذا من أعظم الإلحاد في أسمائه وصفاته واليوم الآخر[(٢)] فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن بلسان عربي مبين وخاطبهم بما يعرفون من لغتهم، ليعتقدوا مافيه ويؤمنوا به على حقيقته، وبذلك تتحقق الهداية بهذا الكتاب، ولوأراد الله ورسوله من كلامه التخييل وضرب الأمثال لاحقيقة الأمر لبين لهم ذلك، فلما لم يفعل دل على أن المقصود من هذا حقيقته، ثم يلزم من هذا القول لوازم سيئة ومن أعظمها أن الله سبحانه قد خاطب عباده بما ظاهره البطلان، وهذا من أعظم الباطل فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وجعله شفاء هدى ورحمة للمؤمنين، وهذه الأوصاف لاتتحقق في هذا الكتاب وقد اشتمل على ماظاهره باطل تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً .

وحقيقة هذا القول عندهم أن الذي أخبرت به الرسل عن الله وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لاحقيقة له يطابق ماأخبروا به،بيد أنه أمثال وتخييل وتفهيم بضرب الأمثال [(٣)].

ثم يقال لهم: إن إثبات لفظ الجسم ونفيه، والتحيز ونحوها بدعة لم يتكلم بها أحد من السلف والأئمة لكنهم اثبتوا الصفات التي جاءت بالكتاب والسنة، نفوا مماثلة صفاته للمخلوقات.

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٩٦) ومناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥ / ٣١- ٣٢) و (١٦ / ٤٤١) والصواعق المرسله (٣/ ٩١٨).

(٣) انظر الصواعق المرسله (٢ / ٤٢١).

وأما مثل هذه الألفاظ المجملة فإنها تحتمل حقاً وباطلاً، لذا فإنهم يستفصلون عنها فماكان حقاً أثبتوه وما كان بضد ذلك نفوه .[1]

وقد علق شيخ الاسلام رحمه الله على كلام الرازي المتقدم بقوله: " وعلى الوجه الخامس:(الأقوى كان يقول ذلك ليفهم منه معنى وهويعلم أن ذلك المعنى باطل، فقصد بالخلق أن يفهموا الباطل الذي هونقيض الحق، وأخبر بالحقائق على خلاف ماهي عليه، وحقيقة ذلك أنه كذب كذباً يعلم أنه كذب ليعتقد الناس ذلك الكذب والاعتقاد الباطل فينتفعوابه.

وعلى قول المجهلة الذين يقولون لم يكن يعرف معنى مايقول ويذكره من آيات الصفات وأحاديثها فكلامه عندهم يجب أن (لا)[2] خير من خطابهم بذلك، لأنه على التقديرين لم يفهمهم حقاً ولاخاطبهم بما يعلم به حق، ولكن إذا كان الكلام أعجمياً لايترجم لهم لم يضلوا به،كما لم يهتدوا به، وأما إذا كان عربياً وظاهره الباطل على زعم هؤلاء فإن الناس يفهمون ظاهره فيضلون به فلم يكتفوا به، فهو على زعمهم من كونه هو لم يكن يفهم معناه،فبخطاب الناس به فهموا منه ماهو كفر وضلال لاسيما ولم ينقل أحد عنه أنه نهى الناس عن اعتقاد ظاهره ومادل عليه ولانبههم على دليل عقلي يعرفون به الحق، فعلى زعمهم لم يبين الحق لابدليل سمعي ولابدليل عقلي، ولوازم أقوال هؤلاء التي تبين بطلان قولهم كثيرة وكما أن قولهم يستلزم الكفر بالكتاب والرسول ومادل عليه من الأدلة العقليه، وماأخبر به من الأدلة السمعية،فهو أيضاً في غاية الفساد والبطلان من جهة العقل "[3] .

ومن هنا يعلم فساد وبطلان ماذكره الرازي في حكمة وجود المتشابهات، وأنه بنى قوله على اعتقاد سابق له .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥ / ٢٩٥).

(٢) هكذا في المطبوع والله أعلم بالصواب.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٨ / ٢٥٢)

الفصل الثاني :
المجاز في كتب علوم القرآن:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الحقيقة وا لمجاز

المبحث الثاني: نشأة ا لمجاز وأغراضه

المبحث الثالث: تحقيق القول بأن صفات الله ليست من ا لمجاز.

تقديم:

لقد كان المجاز عند القائلين به، أداة ومطية لكثير من الفرق الضالة في تعاملها مع النصوص لتوافق أصولها ومعتقداتها التي أصلوها، وجعلوه جنة يتترسون به من سهام الراشقين.

ويحرفون به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن ماأراد الله ورسوله ﷺ وذلك ليعطلوا حقائق أسماء الله تعالى وصفاته، وما أحسن تسمية ابن القيم رحمه الله لهذا المجاز إذ سماه طاغوتاً وقد صدق رحمه الله.

قال رحمه الله" فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز، هذا الطاغوت لهج به المتأخرون والتجأ إليه المعطلون، وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون به عن حقائق الوحي المبين "[١].

وقد عد الطرطوشي[٢] أن المجاز سبب ضلال أكثر أهل الأهواء في تأويل أكثر الآيات.

قال رحمه الله "من هذا الأصل العظيم، أعني المجاز في القرآن ضل أكثر أهل الأهواء والضلالات في تأويل أكثر الآيات، قال وكذلك من جهة وجود المجاز في التوراة والإنجيل والزبور، غلطت اليهود والنصارى في تأويل كثير منه، وقد قال بعض علمائنا إن القدرية قد ركبوا هذا فحملوا آيات كثيرة من القرآن هي حقائق على المجازات كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] قالوا ليس فيه دليل على كونه حقيقة، وإنما هو إخبار عن سرعة إيجاده

---

(١) مختصر الصواعق (٢ / ٦٩٠).

(٢) محمد بن الوليد بن خلف أبوبكر الأندلسي، الطرطوشي الفقيه المالكي، من مصنفاته الحوادث والبدع، والعمدة في أصول الفقه، توفي سنة ٥٢٠هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٩٠).

لأفعاله..."[1] .

وممن تأثر بهذا كتب علوم القرآن حيث أثبتوا وقوع المجاز في كتاب الله، واعتمدوا عليه في نفي معاني النصوص ومن ذلك باب الأسماء والصفات حيث جعلوه أصلاً لهم في تبرير معتقدهم، وسأورد بعض كلامهم .

يقول الزركشي رحمه الله النوع الثالث والأربعون في بيان حقيقته ومجازه: لا خلاف أن كتاب الله يشتمل على الحقائق، وهي كل كلام بقي على موضوعه كالآيات التي لم يتجوز فيها، والآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه والداعية إلى أسمائه وصفاته..... وأما المجاز فاختلف في وقوعه في القرآن، والجمهور على الوقوع وأنكره جماعة ....وشبهتهم أن المتكلم لايعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو مستحيل على الله سبحانه، وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز، لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"[2] وقد نقل كلامه السيوطي [3] .

نقل الزركشي عن الزمخشري[4] قوله" في قوله تعالى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] إنه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه اليه قال وأصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتدّ بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداء

---

(١) نقله الزركشي في البحر المحيط (١ / ٥٤٢) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/١٥٨) .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (٤ / ١٥٠٧).

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، النحوي اللغوي المفسر،وكان معتزلياً داعياً إلى مذهبه، صنف عدة مصنفات منها الكشاف، وأسرار البلاغة، والمفصل في النحو، توفي سنة ٥٣٨هـ انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/ ٤٨٩) العبر في خبر من غبرللذهبي (٤/ ١٠٦) وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٢١) .

والاحسان وإن لم يكن ثمَّ نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عمَّا وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر"[1] .

وقوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] كناية عن كرمه، وثنى اليد وإن أفردت في أول الآية ليكون أبلغ في السخاء والجود"[2] .

وقال الزركشي في قوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥] " قال السهيلي: اليد في الأصل كالمصدر، عبارة عن صفة لموصوف، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار في قوله تعالى ﴿ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥]..... ثم قال: فإن قيل وكيف خوطبوا بما لا يعلمون إذ اليد بمعنى الصفة لا يعرفونه ولذلك لم يسأل أحد منهم عن معناها ولا خاف على نفسه توهم التشبيه ولا احتاج إلى شرح وتنبيه وكذلك الكفار لو كان لا يعقل عندهم إلا في الجارحة لتعلقوا بها في دعوى التناقض، واحتجوا بها على الرسول ولقالوا زعمت أن الله ليس كمثله شيء ثم تخبر أن له يدا ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر علم أن الأمر عندهم كان جليا لا خفاء به لأنها صفة سميت الجارحة بها مجازا، ثم استمر المجاز فيها حتى نسيت الحقيقة، ورب مجاز كثير استعمل حتى نسي أصله وتركت صفته..."[3] .

والزرقاني عفا الله عنه لما تكلم عن معنى النزول، وبين أنه يطلق ويراد به الحلول في مكان والأوي به ومنه قولهم نزل الأمير المدينة .

ويطلق النزول إطلاقا آخر في اللغة: على انحدار الشيء من علو إلى سفل نحو نزل فلان من الجبل.

---

(١) البرهان (٢ / ١٩٢) وانظر الكشاف للزمخشري (١/ ٤٠٣).

(٢) البرهان (٢ / ١٩١) والإتقان (٤ / ١٥٥٩).

(٣) البرهان (٢ / ٥٦) .

ثم قال: " ولا ريب أن كلا هذين المعنيين لا يليق إنزال الله للقرآن ولا في نزول القرآن من الله لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية،والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو إلى سفل،....ثم قال إذاً فنحن بحاجة إلى التجوز والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته"[1] ثم وضح كيفية ذلك .

هذه بعض النماذج من استخدامهم المجاز في تأويل معاني النصوص، ولذا سأقسم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول : تعريف الحقيقة والمجاز

المبحث الثاني: نشأة المجاز وأغراضه

المبحث الثالث: تحقيق القول بإن صفات الله ليست من قبيل المجاز .

---

(١) مناهل العرفان (١ / ٣٧- ٣٨)

المبحث الأول: تعريف الحقيقة وا لمجاز

تعريف الحقيقة لغة : من قولنا حَقَّ الشيء إذا وجب. واشتقاقه من الشيء المحقَّق وهو المُحْكَم، تقول: ثوب محقَّق النَّسْج أي مُحْكَمُه[(١)].

والمجاز لغة: فمأخوذ من جازَ، يَجُوزُ إذا استنَّ ماضياً تقول: جاز بنا فلان. وجازَ علينا فارِس .

والمجاز من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، يقال: جزت الموضع أجوزه جوازاً،سلكته وسرت فيه، وأجزته: خلفته وقطعته .[(٢)]

الحقيقة والمجاز اصطلاحاً: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. والمجازماكان بضد ذلك [(٣)] .

وقيل: كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت في مواضعه وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة.

والمجاز:كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول [(٤)]

وقيل: الحقيقة هى اللفظة المستعملة فى موضعها، والمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير موضعه.

وقيل:الحقيقة: كل لفظ استعمل فيما وضع له من غير نقل، والمجازكل لفظ نقل عما وضع له.[(٥)]

---

(١) انظركتاب الصاحبي في فقه اللغة لأبي الحسين بن فارس (ص: ١٤٩) .

(٢) انظر المصدر السابق، ومعجم مقاييس اللغة (١/ ٤٩٤) ومختار الصحاح للرازي (ص: ٤٩) ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد النويري (٧/ ٣٣).

(٣) هذا تعريف أبي الفتح ابن جني، انظر الخصائص (٢ / ٤٤٢).

(٤) ذكر هذا التعريف الجرجاني في أسرار البلاغة (ص: ٣٥١) .

(٥) انظر قواطع الأدلة للسمعاني (١ / ٢٩٦) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٢١٣) وانظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ص: ٢٥٠)

المبحث الثاني: نشأة المجاز وأغراضه

أولاً: نشأة المجاز:

لم يعرف العرب قديماً معنى المجاز بمعناه الإصطلاحي المعروف عند البلاغيين والأصوليين، وتقسيمهم للكلام إلى قسمين حقيقة ومجاز، وإنما نشأ هذا وعرف عند المتأخرين، فهو اصطلاح حادث بعد القرون المفضلة، وذلك أن الصحابه والتابعين والأئمة المشهورين من بعدهم لم يتكلموا بهذا ولم ينطقوا بحرف منه، بل ولم يتكلم بهذا أئمة اللغة والنحو...... كالخليل[1]، وسيبويه[2]، ونحوهم، وإنما نشأ هذا وترعرع في أحضان المعتزله لإغراض لهم، وسيأتي بيان شيئ من أغراضهم .

وكان معنى المجاز بمعناه اللغوي هوالمشتهر والمصطلح عليه عند الأوائل، يبين ذلك ماألف من الكتب من هذا النوع مثل صنيع أبي عبيدة معمر بن المثنى[3]، فقد ألف كتاباً سماه " مجاز القرآن" ولم يرد به مااصطلح عليه المتأخرون، وإنما عنى به مايعبر عن الآية ويفسر به، ومايجور في اللغة،فما جازالآية عنده معناها .[4]

ويؤكد مراده بذكر نماذج من كتابه يقول عند قوله تعالى﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ [المائدة: ٢] " مجازه: ولايحملنكم ولايعدينكم"[5] .

---

(١) هو أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، الإمام صاحب العربية، ومنشأ علم العروض توفي سنة ١٧٠هـ انظر التاريخ الكبير (٣/ ١٩٩) وسير أعلام النبلاء (٧ / ٤٢٩) والبداية والنهاية (١٠/ ١٦١).

(٢) هو أبو بشر عمروبن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه، إمام النحو، وحجة العرب، توفي سنة ١٨٠هـ انظر سيرأعلام النبلاء (٨ / ٣٥١) والبداية والنهاية (١٠/ ١٧٦).

(٣) هو معمربن المثنى التميمي، الإمام العلامة النحوي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢١٠هـ انظر سير أعلام النبلاء(٩ / ٤٤٥) وتهذيب التهذيب (١٠ / ٢٢١).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٧ / ٨٨) و(٢٠ / ٤٥٢) ومختصر الصواعق (٢/ ٦٩٤) .

(٥) مجاز القرآن لإبي عبيدة (١/ ١٤٧) .

وقال عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [يونس ٣] " مجازه: ظهر على العرش وعلا عليه، ويقال: استويت على ظهر الفرس، وعلى ظهر البيت"[(١)].

وهذا من أوضح مايكون وذلك أنه رحمه الله لم يستخدم مااصطلح عليه المتأخرون من معنى المجاز وخاصة في معاني صفات الله، لتحريف معاني النصوص، كما فعل أصحاب المجاز بل فسرها بما هو معروف عن السلف، ولو فُهم المجاز بهذا الفهم من قبل القائلين بالمجاز لم يكن ثمة خلاف بينهم وبين المانعين منه، إذ لامشاحة في الإصطلاح، بيد أن اصطلاح المجازيين لم يكن على هذا النحو، بل كان اصطلاحاً مبتكراً، لتعطيل معاني مايشاؤون من النصوص .

وأيضاً جاء لفظ المجاز بمعناه اللغوي على لسان الإمام أحمد قال رحمه الله " أما قوله تعالى ﴿ إِنَّا مَعَكُم ﴾ [الشعراء: ١٥] فهذا في مجاز اللغة، يقول الرجل للرجل:إنا سنجري عليك رزقك، وإنا سنفعل بك كذا [خيراً].[(٢)]

فمقصود الإمام أحمد من هذه اللفظه مايجوز في اللغة، يوضح هذا العبارة التي جاءت بعد هذه العبارة.

قال رحمه الله وأما قوله تعالى " ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦] فهو جائز في اللغة، يقول الرجل الواحد للرجل: سأجري عليك رزقك، أوسأفعل بك خيراً "[(٣)] فإذاً "مراد الإمام أحمد أن هذا الإستعمال ممايجوز في اللغة أي هو من جائز اللغة لامن ممتنعها ولم يرد بالمجاز أنه ليس حقيقة وأنه يصح نفيه"[(٤)].

وشيخ الإسلام رحمه الله بين نشأة القول بالمجاز فقال رحمه الله " فهذا التقسيم

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٧٣) .
(٢) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص: ١٩٣).
(٣) المصدر السابق (ص:١٩٦) .
(٤) مختصر الصواعق (٢/ ٦٩٥).

هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثورى والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء ونحوهم.

وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية......ثم قال عن هذا الإصطلاح " والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف.

وهذا الشافعى هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه، لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل، فإنه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله "انا" "ونحن" ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر أن هذا مجاز اللغة .... ثم بين مراد الإمام أحمد بقوله" إن معنى قول أحمد من مجاز اللغة أى مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذى له أعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له"[(١)] .

وبهذا يعلم أن المجاز بمعناه الاصطلاحي لم يكن عند المتقدمين، بل أول من عرف عنه المجاز بمعناه الاصطلاحي هو الجاحظ المعتزلي[(٢)]، كما يظهر من كتبه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٨٨) و(٢٠ / ٤٠٥) وانظر مختصر الصواعق (ص: ٦٩٢) .

(٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، الأديب المتكلم، المعتزلي، قال عنه ثعلب" ليس بثقة =

وهي إشارة إلى هذا النوع من المجاز المنقول، ولكنه لم يتوسع فيه وكانت هي النواة الأولى لهذا المصطلح، ثم توالت بعد ذلك الأبحاث والدراسات منها، ثم يأتي ابن قتيبة الذي أكثر من استعمال المجاز ولكن اختلف معناه عنده، ولم يعن به اصطلاح المتأخرين وقد أوضح معنى المجاز بقوله "للعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومأخذه"[1] .

وبعد ابن قتيبة ظهر استعمال المجاز على يد أبي على الفارسي[2] وتلميذه ابن جني[3]، وقد أسرف وزعم أن أكثر اللغة مجاز لاحقيقة .

قال " إن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لاحقيقة"[4] .

ثم ظهر استعماله على يد المتكلم الأشعري عبد القاهر الجرجاني[5]، إذ أصل قواعده ومسائله وفصل القول فيه تفصيلا دقيقا، حتى غدا قاعدة أساسية لكل ابحاث المتأخرين[6] ثم ذاع واشتهر هذا الاصطلاح .

= ولامأمون " صنف عدة مصنفات منها البيان والتبيين، والحيوان، توفي سنة ٢٥٥هـ انظر تاريخ بغداد للخطيب (١٢/ ٢١٢) وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) .

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٠) وانظر البلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف (ص: ٥٩) .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي، النحوي، وكان فيه اعتزال، له كثيراً من المصنفات منها، الحجة في علل القراءات، والإيضاح النحوي، توفي سنة٣٧٧هـ انظر معجم الأدباء (٢/ ٤١٣) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩) .

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني، النحوي اللغوي، صاحب التصانيف المتداولة في النحو واللغة منها، سر الصناعة، واللمع، والتصريف، والخصائص، توفي سنة ٣٩٢هـ انظر معجم الأدباء (٣/ ٤٦١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي (ص: ١٤١) والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٢) .

(٤) الخصائص (٢/ ٤٤٧).

(٥) عبدالقاهربن عبدالرحمن أبو بكر الجرجاني النحوي، وكان شافعي المذهب، متكلماً على طريقة الأشعري، صنف كثيراً من المصنفات منها، الجمل، وشرحه بكتاب التلخيص، والعمد في التصريف، والمفتاح، توفي سنة ٤٧١ هـ وقيل ٤٧٤هـ انظر طبقات الشافعية الكبري (٥/ ١٤٩) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (١/ ٢٥٢) .

(٦) انظر تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية د. مهدي صالح السامرائي (ص: ١٢٣-١٢٤) والمجاز في البلاغة =

ثانياً: أغراض المجاز:

قبل أن أعرض شيئا من أغراض المجازيين، أود أن أذكر شيئاً من نشأة علم البلاغة، وذلك لأنه بمعرفة نشأة هذا العلم نستطيع أن نتعرف على أغراضهم في المجاز .

فعلم البلاغة نشأ وتكون ونما على أيدي المعتزلة والأشاعرة،حتى أصبح وكأنه من علومهم المقصور عليهم، وذلك لكثرة مؤلفاتهم وتنوعها في هذا المجال، وقد بين هذا كثير ممن ألف في تاريخ علم البلاغة، حيث كان لهم السبق في هذا الميدان، وأصبحوا هم مؤسسي علم البلاغة .

نشأة علم البلاغة:

إن مما لاشك فيه أن علم البلاغة من العلوم العظيمة التي تساعد على فهم القرآن والسنة الصحيحة وغاية هذا العلم، أنه يكشف ويجلي لنا أحكام الشرع ويعيننا على فهم وادراك اعجاز القرآن والالمام به حتى يزداد المؤمن يقينا إلى يقينه .

وقد عد ابن خلدون(١) العلوم العربية "ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها، من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتهم من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة" (٢)

ولكن علم البلاغة وللأسف أصبح مدخلاً وطريقا لتحريف كلام الله

= العربية للسامرائي (ص: ٤٦– ٨٢) والمجاز وأثره في الدرس اللغوي د. محمد بدري عبد الجليل (٤٥ – ٤٧) والبلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف(ص: ٦) وجناية التأويل الفاسد للدكتور محمد لوح (ص: ٧٥ – ٧٧).

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد الأشبيلي، المالكي، المعروف بابن خلدون، المؤرخ، برع في الفنون والأدب والكتابة من مصنفاته، التاريخ الكبير، ومقدمته، توفي سنة ٨٠٨هـ انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي العكري (٧/ ٧٦) والأعلام (٣/ ٣٣٠) .

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص:٥٤٥) .

ورسوله عماأراده الله ورسوله، فبدلاً من أن يستعان به على فهم الشريعة وأسرارها، أصبح بالعكس أصلا يتمسك به كل من انحرف مساره عن الطريق المستقيم، "فصارت البلاغة عند كثير من العلماء المتأخرين مطية لصرف آيات الكتاب عن معناها المراد إلى معان يريدها هؤلاء تتلاءم مع رغباتهم ليسلموا مايرغبون من مصادمة هذه النصوص لمعتقداتهم"(١)

ولذلك فإن الحاجة ملحة وضرورية لتصفية وتأصيل هذا العلم مما داخله،وعكر فائدته(٢) .

وسأعرض بإيجاز لتطورهذا العلم وعلى أيدي من كان .

علم البلاغة تكون ونما على أيدي طائفتين:

١-"طائفة المعلمين من النحاة واللغويين، وكانوا يحترفون تعليم اللغة ومقايسها في الاشتقاق والإعراب، مضيفين إلى ذلك رواية واسعة للشعر القديم... وكانت عنايتهم القوية تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من الوجهتين الاشتقاقية والنحوية، غيرأنهم مع ذلك كانوا يعنون بتلقين الناشئة شيئا من الخصائص البيانيه يأتي ذلك عرضاً في ثنايا شرحهم وعرضهم للقواعد اللغوية والنحوية"(٣) ويتجلى ذلك في كتاب سيبويه وفي كتاب معاني القراء للفراء ومجاز القرآن لإبي عبيدة وغيرهم .

٢-"طائفة العلماء المعلمين الأخرى التي ظهرت في العصر العباسي فهي طائفة علماء الكلام وفي طليعتهم المعتزلة الذين كانوا يدربون تلاميذهم على فنون الخطابة

---

(١) المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة للدكتور محمد الصامل (ص: ١٤) .

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) تاريخ البلاغة العربية تطور وتاريخ د. شوقي ضيف (ص: ٢٨) وانظر تاريخ البلاغة العربية عبدالعزيز عتيق (ص: ٣٢).

والجدل والبحث والمناظرة وفي الموضوعات المتصلة بفكرهم الاعتزالي..."[1] .

والطائفة الثانية وهم طائفة المتكلمين كانوا أنشط في وضع قواعد البلاغة وبسط مباحثها الخاصة وقد ظل نشاطهم يؤتى ثماره، وذلك لإتصال مسائل البيان و البلاغة بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظرة ولذلك كانوا يحرصون على تعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة .

أما طائقة اللغويين فقد خمد نشاطهم، وضعف.[2]

ولهذا قال بعض الباحثين إن المتكلمين من معتزلة ومرجئة وشيعة وخوارج وهؤلاء كان لهم أكبر الأثر في تاريخ البلاغة العربية[3] .

ولعل هذا هو الذي يفسر لنا طغيان المدرسة الكلامية على المدرسة الأدبية وتواري البلاغة وراء المنطق والفلسفة كما توارت الشمس خلف حجب من السحب الداكنة .[4]

ويظهر مما سبق "أن البلاغة قد نشأت في أحضان بيئة المتكلمين وخاصة المعتزلة وازدهرت وترعرت في هذه البيئة أيضا ثم مضت تنضج وتتكامل على أيدي علماء هذه الطائفة النشطة من مفكري العربية.."[5] .

أغراض المجازيين:

قد تقدم أن البلاغة نشأت وتكونت على أيدي المعتزلة والأشاعرة ونحوهم،

---

(١) انظر في البلاغة العربية للدكتورعبد العزيزعتيق (ص: ٢٠٣) وانظر البلاغة تطوروتاريخ شوقي ضيف (ص:٢٨) .

(٢) انظر البلاغة تطور وتاريخ (ص: ٢٨، ٣٢، ٦٢، ١٠٢) .

(٣) انظر تاريخ البلاغة للدكتورعبدالعزيزعتيق (ص: ٢٣).

(٤) انظر المختصرفي تاريخ البلاغة للدكتور عبد القاهر حسين (ص: ١٥) وانظر المدخل إلى دراسة البلاغة العربية للدكتورأحمد خليل (ص:١٠٢) .

(٥) أثر المعتزلة في التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن السادس رسالة دكتوراه لوليد القصاب (ص: ٥) .

وكان لهم في هذا الباب نصيب الأسد، فألفوا الكتب والمصنفات في هذا الفن .

وكان من نتيجة ذلك، أن سخروا هذا العلم بما يخدم معتقدهم وأصولهم، التي أصلوها واعتقدوها، وكان من أوجه خدمة المعتقد في البحث البلاغي، باب المجاز الذي اتكأ عليه كثير من الفرق الضالة في تسويغ آرائهم، ودفع ماقد يرد عليه من اشكالات وشبهات .

وبيان ذلك أن هذه الفرق لما وجدوا أن في بعض آي القرآن ونصوص الحديث ماظاهره متعارض مع أصولهم وعقائدهم، اجتهدوا في تفسير وتأويل تلك النصوص بما يوافق مذهبهم،وأيدوا قولهم بإن الشارع لم يرد بذلك ظواهر النصوص وحقيقتها، وذلك لأن الأخذ بظاهر النصوص يستلزم التشبيه والتجسيم وهذا محال على الله ومنزه عنه، فلم يكن لهم طريق لتفسير هذه النصوص إلا تفسيرها تفسيرا مجازياً .

وبهذا يزول ماقد يرد عليهم من هذه النصوص المتكاثرة ، مما يخالف معتقدهم، وهم بهذا (أي بالمجاز) قد حافظوا على هذا الدين من الشبهات وصانوه مما يعكر صفوه بحسب زعمهم .

يقول أحد الباحثين في منشأ فكرة المجاز عند المعتزلة وغرضهم منها " إن المعتزلة وجدوا في بعض آي القرآن ونصوص الحديث ماظاهره متعارض مع أصولهم وعقائدهم، وأنهم اجتهدوا في تأويل تلك النصوص وتفسيرها تفسيرا يوافق مذهبهم، وفي هذا التأويل كانوا يحاولون صرف الألفاظ عن ظاهرها القريب وإعطائها معاني أخرى وراء الظاهر ... ومن هنا يمكن اعتبار بعض أصول الإعتزال دوافع مباشرة لدرس المجاز في القرآن والحديث وفي اللغة العربية عامة"[1]

---

(١) المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن لأحمد أبي زيد (ص: ١٧٢)

وقال عبد الجبار في المحكم والمتشابه" الواجب على المكلف عرضهما على دليل العقول وإذا وجب ذلك فيهما حملنا مايمكن إيفاء الحقيقة حقها على حقيقتة ومالا يمكن أن نوفيه حقه حملناه على مجازه المعروف..."[(١)]

والجرجاني يبين الغرض من المجازفيقول " ومن قدح في المجاز وهمّ أن يصفه بغير الصدق، فقد تخبط خبطاً عظيماً، ويهرف بما لايخفى، ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به، حتى تحصل ضروبه، وتضبط أقسامه إلا للسلامة من مثل هذه المقالة، والخلاص مما نحو هذه الشبهة، لكان من حق العاقل أن يتوفر عليه ويصرف العناية إليه، فكيف وبطالب الدين حاجة ماسة إليه من جهات يطول عدها، وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفية يأتيهم منها،فيسرق دينهم من حيث لايشعرون، ويلقيهم في الضلالة من حيث ظنوا أنهم يهتدون "[(٢)]

فالجرجاني يقرر أن بالمجاز نحمي ديننا من الشبهات، ومن مداخل الشيطان التي إذا دخلت على العبد سرق دينهم وضاع، فيا لله العجب!! إذا كان المجاز بهذه المثابه،فلماذا لم يبلغنا رسول الله ﷺ عنه وقد كان حريصا على أن يبلغ كل ماهو خير لإمته، وقد وصفه الله بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقد قال ﷺ فيما صح عنه **" إنه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلا كان حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهم وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لهم"**[(٣)] .

وقد علم رسول الله ﷺ أمته كل شيء حتى الخراءة[(٤)] فلماذا ترك هذا الباب العظيم الذي به نحمي ديننا من الشبهات ؟

---

(١) المغني له(١٦ / ٣٩٥)

(٢) أسرار البلاغة للجرجاني (ص: ٣٩١)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٢) برقم (١٨٤٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢).

أقول لاشك أن هذا قول باطل بل من أبطل الباطل إذ لم نورث من المجاز إلا تعطيل صفات الله ومعاني النصوص عن حقائقها التي جاءت بها.

ومن هنا نعلم أن باب المجاز عند أهل البدع باب عظيم لايمكن الاستغناء عنه إذ به العصمة من الوقوع في التشبيه والشرك على حد زعمهم، ولاغرو أن يجلبوا بخيلهم ورجلهم لإثبات المجاز والرد على من أنكر وجوده، فإنه ركن الدين عندهم وأساسه المتين وهو الأصل الذي ينطلقون منه في فهم النصوص .

وهاهو البياضي الماتريدي[1] يبين أن الغرض من المجاز دفع النصوص التي تستلزم الأخذ بظاهرها الوقوع في التجسيم والتشبيه فيقول " لما لم يمكن حمل تلك النصوص على معانيها الحقيقية من الجوارح الجسمانية والتحيز والانفعالات النفسانية لمنع البراهين القطعية، ولم يجز إبطال الأصل لعدم درك حقيقة الوصف بلا كيفية تحمل على المجاز"[2].

وقال: " إنما قالوا بالمجاز نفياً لوهم التجسيم والتشبيه "[3] .

قال بعض الباحثين في المجاز اللغوي: "وقد لجأ المعتزلة لهذا الباب حتى يتسع أمامهم القول وحتى يفلتوا من تلك القيود التي ألزمهم بها المجسمة، وغيرهم من الطوائف وبخاصة حين عالجوا التشبيه في القرآن الكريم، ولقد هاجموا اللغويين والمفسرين البسطاء الذين يلتزمون ظاهر اللفظ وراحوا ينزهون الذات الإلهية عن كل ماينالها من حسية، وجنحوا إلى الصور الذهنية والخيالات المتضمنة ليبرزوا معانيها البعيدة في نفوس الناس، وكان عدتهم في ذلك المجاز اللغوي"[4] .

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن سنان الدين البياضي، ولد في استانبول وأخذ عن علمائها توفي سنة ١٠٩٨هـ أشهر كتبه إشارات المرام من عبارات الإمام،انظر الأعلام (١/ ١٠٨) .

(٢) إشارات المرام من عبارات الأمام (ص:١٨٧) .

(٣) المصدر السابق (ص: ١٨٩) .

(٤) إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة للدكتور منير سلطان (ص: ٢٢٣) .

وقال السامرائي لما تكلم عن مذهب أهل المجاز وأشار إلى أن أغلب أهل الفرق والمذاهب ذهبوا إلى اشتمال اللغة على المجازعلى أن رجال هذا المذهب ليسوا سواء في اعتماد التأويل المجازي فمنهم المكثر ومنهم المعتدل ومنهم المقل، .... وليس سبيل هذه الفرق في الدعوة واحدا على أن آراهم المتعلقة بالالاهيات والنبوات والامامة والقيامة والمعاد تضطرهم الى الأخذ بالتأويل المجازي فذهبوا إلى أن لظواهر القرآن والحديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب وأرادوا بهذا صرف الناس عن نصوص القرآن والحديث[1] .

فالمتكلمون من المعتزلة ونحوهم " قد حاولوا تخليص العقيدة من كل مالابسها من سوء فهم وكان مبدأ التوحيد عندهم منطلقا أساسيا لمبحثهم في المجاز، دفاعا عن الألوهية من كل مايمكن أن يقوم حولها من فهم يؤدي إلى التجسيم أوالتشبيه، وقد واجهوا كل النصوص القرآنية أوالأحاديث الشريفة التي تتعارض مع عقيدتهم..."[2].

فإذاً بهذا يعلم أن غرضهم من المجاز والسبب الذي من أجله اخترعوا فكرة المجاز هو تعطيل معاني النصوص عن حقيقة معناها وتأويلها باسم المجاز بدعوى أن الأخذ بظاهر النصوص يستلزم التشبيه والتجسيم،وحتى تسلم لهم أصولهم التي أصلوها واعتقدوها .

---

(١) تأثير الفكر الديني في البلاغة (١١٨ - ١١٩) وانظر المجاز في البلاغة العربية له (ص: ٢٣).

(٢) البيان في أسلوب القرآن الكريم للدكتورعبدالفتاح لاشين (ص: ١٣٠) .

المبحث الثالث
تحقيق القول بأن صفات الله ليست من المجاز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وجوب فهم النصوص الشرعية على حقيقتها وظاهرها.
المطلب الثاني: إبطال المجاز في صفات الله وأسمائه.

توطئة :

لقد كان موقف بعض من كتب في علوم القرآن موافقاً لأقوال أهل البدع والأهواء من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم، وذلك أنهم لما لم يعتقدوا إثبات حقائق بعض النصوص، واعتقدوا أن الأخذ بظاهرها يستلزم التشبيه والتجسيم،وقعوا فيما وقعوا فيه من التعطيل والتأويل، واتخذوا باب المجاز ذريعة لهم وحجة يستندون إليه في تسويغ آرائهم ومعتقداتهم، ومن ذلك صفات الله، فكل صفة لله تخالف أصولهم ومعتقداتهم قالوا إنها من قبيل المجاز حتى تسلم لهم عقائدهم، وقد سبق نقل بعض كلامهم في هذا .

وسيكون الكلام في هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول : وجوب فهم النصوص الشرعية على حقيقتها وظاهرها

المطلب الثاني : ابطال المجاز في صفات الله وأسمائه

المطلب الأول :وجوب فهم النصوص الشرعية على حقيقتها وظاهرها

ولقد وقعت بعض المخالفات في هذه المسألة في بعض كتب علوم القرآن كما جاء في الاتقان، ومناهل العرفان .

فالسيوطي عفا الله عنه، نقل كلام الرازي في أن حمل اللفظ على ظاهر النص محال، وأن ذلك اختيار الإئمة المحققين من السلف والخلف ولم يتعقبه بشئ بل أثنى على كلامه .

قال "وقال الإمام فخر الدين صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو إما لفظي أو عقلي، والأول لا يمكن إعتباره في المسائل الأصولية لأنه لا يكون قاطعا لأنه موقوف على إنتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة وإنتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون والظني لا يكتفى به في الأصول، وأما العقلي فإنما يفيد صرف اللفظ من ظاهره لكون الظاهر محالا وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية القطعية فلهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التأويل" انتهى ، وحسبك بهذا الكلام من الإمام[1] .

والزرقاني عفا الله عنه يرى أن الأخذ بظاهر النصوص يستلزم الوقوع في التشبيه والتجسيم، ولذلك عطل صفات الله عن معانيها التي جاءت بها وسأنقل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٥٢) .

بعض كلامه .

يقول عفا الله عنه " وهو يعلق على أثر الإمام مالك " أن الإمام مالكا رضي الله عنه سئل عن الاستواء في قوله سبحانه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة وأظنك رجل سوء أخرجوه عني، يريد رحمة الله عليه أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه الأوضاع اللغوية ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعا لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع "[1].

وقال في صفة الاستواء " يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز مستحيل لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه أو يحتاج إلى شيء منه سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره وكذلك اتفق السلف والخلف على أن هذا الظاهر غير مراد لله قطعا لأنه تعالى نفى عن نفسه المماثلة لخلقه وأثبت لنفسه الغنى عنهم فقال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] وقال ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٦﴾ [لقمان: ٢٦] فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضا "[2].

والعجيب تهكمه ممن يأخذ بظاهر النصوص، ويبني اعتقاده عليه، وزعمه أن الأخذ بظواهرنصوص الصفات لم يكن مذهبا لإحد، وإنما رأي لأصحاب الديانات السابقة كاليهودية والنصرانيه ونحوهم.

يقول: "إرشاد وتحذير، لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق، وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٧).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٨- ٢٢٩).

الكلمات نفسها من المتشابهات، ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون، من ذلك قولهم إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست جهة الفوق، ويقولون إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقيا بمعنى أنه استقر فوقه استقرارا حقيقيا غير أنهم يعودون، فيقولون ليس كاستقرارنا وليس على ما نعرف وهكذا يتناولون أمثال هذه الآية، وليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر، ولقد تجلى لك مذهب السلف والخلف فلا نطيل بإعادته، ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها، ليس رأيا لأحد من المسلمين، وإنما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة، أما نحن معاشر المسلمين فالعمدة عندنا في أمور العقائد هي الأدلة القطعية التي توافرت على أنه تعالى ليس جسما ولا متحيزا ولا متجزئا ولا متركبا ولا محتاجا لأحد...."[1] إلى آخر كلامه .

بعد هذا أقول في التعليق على مانقل:

لقد أنزل الله عزوجل كتابه المبين، على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين، وخاطبهم بهذا اللسان ليعقلوه ويفهموه على مايقتضيه هذا اللسان العربي، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤ ﴾ [إبراهيم: ٤]. فجعل الله سبحانه وتعالى الحكمة من إنزال القرآن باللسان العربي حصول الهداية والبيان لما أنزله الله سبحانه وتعالى من أمره ونهيه فبذلك تقوم عليهم الحجة، ليهلك من هلك عن بينه ويحى من حي عن بينه، وهذا يقتضي أن يفهم القرآن بهذا اللسان العربي، وأن يحمل

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٩- ٢٣٠) .

على ظاهره المفهوم من السياق، ولايصرف عن ذلك الظاهر إلا بقرينة بينة، ولولم يفهم القرآن على حقيقته وظاهره لم يحصل بذلك مقصود البيان والهدى والرشاد وكان إنزاله الكتاب باللسان العربي عبثاً لاغاية منه ولاعلة، والله سبحانه منزه عن ذلك .

يقول أبو الحسن الأشعري[١] " والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره"[٢] .

وقال في موضع آخر" حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة"[٣] .

وقال ابن جرير" وغير جائزترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لادلالة على صحته"[٤].

وقال أبو المظفر السمعاني[٥]" وقد كانت الصحابة يتعلقون في تفاصيل الشرع بظواهر الكتاب والسنة"[٦].

وقال ابن الوزير[٧] "لايجوز العدول عن الظاهرإلا بدليل مانع منه بإجماع

---

(١) هو على بن إسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل أبو حسن الأشعري، أخذ عن أبي على الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه ورجع عن الاعتزال، من مصنفاته اللمع في الرد على أهل البدع، والإبانة، رسالة إلى أهل الثغر توفي سنة ٣٢٤هـ وقيل غير ذلك انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (١/ ١١٣) .

(٢) كتاب الإبانه (ص: ١٣٨) .

(٣) الابانه (ص: ١٣٩) .

(٤) التفسير(١/ ٢٦١).

(٥) هو منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي، السمعاني، تفقه على مذهب أبي حنيفة ثم تحول إلى مذهب الشافعي، مفتي خراسان، من مصنفاته، تفسير القرآن، والقواطع في أصول الفقه، الإنتصار بالأثر في الرد المخالفين، توفي سنة ٤٨٩هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) والبداية والنهاية (١٢/ ١٥٣) .

(٦) قواطع الأدلة (١ / ٤١٠) .

(٧) هو محمد بن ابراهيم بن على بن المرتضي بن المفضل بن الحجاج القاسم الإمام الأصولي النحوي المحدث الفقيه =

المسلمين"(١)

وقد أطبق السلف قاطبة على أن النصوص الشرعية عامة تحمل على حقيقتها وظواهرها، وما يتبادرمنها إلى الذهن من المعاني .

قال شيخ الاسلام رحمه الله: "هذا الرسول الأمى العربى بعث بأفصح اللغات وأبين الالسنة والعبارات ثم الامة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره، إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليا ظاهرا مثل قوله ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٣] فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها وكذلك ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢] يعلم المستمع أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيا ظاهرا مثل الدلالات في الكتاب والسنة التى تصرف بعض الظواهر .

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفى لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيا أو عقليا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذى يفهم منه معنى، وأعاده مرات كثيرة، وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكى والبليد والفقيه وغير الفقيه، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه، ثم أوجب أن لا يعتقدوا بهذا الخطاب شيئا من ظاهره؛لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد الناس، يدل على أنه لم يرد ظاهره كان هذا تدليسا وتلبيسا، وكان نقيض البيان وضد

= اليماني المعروف بابن الوزير، من أعيان اليمن، تعلم في بصنعاء وصعدة ومكة، صنف كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم في الرد على الزيدية، وترجيح أساليب القرآن على اليونان، وإيثار الحق، وقواعد في التفسير، توفي سنة ٨٤٠هـ انظر الضوء اللامع للسخاوي (٦/ ٢٧٢) والبدر الطالع (٢/ ١٩) .

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان(ص: ١٧٥) .

الهدى وهو بالألغاز والاحاجى أشبه منه بالهدى والبيان فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفى على أن الظاهر غير مراد أم كيف إذا كان ذلك الخفى شبهة ليس لها حقيقة"[1] .

وقال الشنقيطي رحمه الله": "والتحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة علماء المسلمين أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح"[2].

إذا تبين هذا فما المقصود من إجراء النصوص على ظاهرها، وماضابطه ؟

يقال في الجواب عن هذا إن لفظ الظاهر لفظ فيه إجمال واشتراك،فالظاهر في فطر المسلمين قبل ظهور الأهواء وتشتت الآراء، غير الظاهر بعد ظهور الأهواء والفرق، ، فالمقصود من الظاهر في عرف السلف، هو الظاهر الذى يليق بجلالة سبحانه وتعالى، وهو الذي يفهمه صاحب اللسان العربي الفصيح، وصاحب الفطر السليمة، وهوالذي اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة، هذا هو الذي يجب أن تحمل عليه النصوص لا الظاهر في عرف المتأخرين الذي هو التمثيل والتشبيه أونفي المعنى .[3]

ومن جملة ما يجب أن يحمل على ظاهره وحقيقته صفات الله تبارك وتعالى، فإن السلف يعتقدون أن الواجب في نصوص القرآن والسنة بما في ذلك نصوص الأسماء والصفات إجراؤها على ظاهرها اللائق بالله سبحانه وتعالى، مع تنزيه الله عن مشابهة الخلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦١- ٣٦٢) .

(٢) أضواء البيان (٧ / ٢٦٦) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٣ / ١٧٥ -١٧٦) و(١٣/ ٣٧٩- ٣٨٠).

وقد انقسم الناس تجاه نظرتهم لظواهر النصوص الواردة في صفات الله إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لايليق بالله وهو التشبيه، وأبقوا دلا لتها على ذلك وهؤلاء هم المشبهة ومذهبهم باطل من عدة أوجه:

الأول: أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها فيكف يكون المراد بها التشبيه، والله سبحانه نفى عن نفسه التشبيه قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص، مخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً .

القسم الثاني: جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلا لايليق بالله، وهوالتشبيه ثم إنهم من أجل ذلك، أنكروا مادلت عليه من المعنى اللائق بالله ،وهم أهل التعطيل ومذهبهم باطل من وجوه:

الوجه الأول: أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غيرلائق بالله ولامراد له .

الوجه الثاني: أنه صرف لكلام الله وكلام رسوله عن ظاهره، والله خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على مايقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عزوجل .

الوجه الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول

على الله بلاعلم وهو محرم لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ماليس له به علم وقال على الله مالايعلم من وجهين:

أ- أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام .

ب- أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لايدل عليه ظاهر الكلام .

الوجه الربع: أنه صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون باطلا لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.[1]

وهؤلاء اعتقدو أن الأخذ بظاهر القرآن يلزم منه التشبيه والتجسيم فجرهم ذلك إلى تحريف كلام الله عن مواضعه . وتعطيله سبحانه عن أسمائه وصفاته .

يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله " تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات . كالاستواء واليد مثلاً .

اعلم أولاً: أنه غلط فيه خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا: في الآيات القرآنية . هو مشابهة صفات الحوادث . وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً؛ لأن اعتقاد ظاهره كفر؛ لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول، أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا .

---

(١) انظر القواعد المثلى (٧٩) .

والنَّبي ﷺ الذي قيل له ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك، مع إجماع من يعتد به من العلماء، على أنه ﷺ، لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنَّبي ﷺ كتم أن ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكل هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ [النور: ١٦] ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جل وعلا، ورسوله ﷺ، والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان . هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث"[(١)]

وقال في موضع آخر" والقول بأن العمل بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر، لا يصدر ألبتة عن عالم بكتاب الله وسنة رسوله، وإنما يصدر عمن لا علم له بالكتاب والسنة أصلاً، لأنه لجهله بهما يعتقد ظاهرهما كفراً، والواقع في نفس الأمر، أن ظاهرهما بعيد مما ظنه أشد من بعد الشمس من اللمس" [(٢)] .

والقسم الثالث: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقا يليق بالله عزوجل، وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف، وقد أجمعوا على ذلك .

وقد نقل الاجماع ابن عبد البر[(٣)] يقول رحمه الله " أهل السنة مجمعون على

---

(١) أضواء البيان(٢/ ٣٠).

(٢) أضواء(٧ / ٢٦٦).

(٣) يوسف بن عمر بن عبدالبر بن عبدالله النمري، شيخ علماء الأندلس، وحافظ المغرب، من مصنفاته التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والإستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، توفي سنة ٤٦٣هـ انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لليعمري المالكي (ص: ٣٥٧) .

الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله"(١) .

وقال الإمام أبو عمر الطلمنكي(٢) رحمه الله" وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن، أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء .

وقال أيضا قال أهل السنة في قول الله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] أن الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز" (٣).

وقال القاضي أبو يعلى(٤) في كتاب ابطال التأويل "لا يجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روى عن الامام أحمد وسائر الأئمة .... ويدل على ابطال التأويل، أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو

---

(١) التمهيد (٧ / ١٤٥) وانظر مجموع الفتاوى (٥ / ٨٧) .

(٢) هو الإمام المقريء المحقق الحافظ الأثري، أبوعمر أحمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي المالكي، كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، صنف كتباً كثيرة في السنة تدل على اتباعه للأثر، ومنها التفسير، والوصول إلى معرفة الأصول، توفي سنة ٤٢٩هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦) والديباج المذهب (ص: ٣٩) .

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٨٦) .

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء أبو يعلى، كان عالم أهل زمانه، حنبلي المذهب، صنف كثيراً من المصنفات، منها إبطال التأويلات، وأخبار الصفات، والعدة في أصول الفقه، توفي سنة ٤٥٨هـ انظر طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣) .

كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة"[1].

وهذا هو الصحيح لمايلي:

١-أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته .

٢ - أن يقال إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أوفيما قاله غيرهم، والثاني باطل؛ لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين تكلموا بالباطل، تصريحا أوظاهرا ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحا ولاظاهرا بالحق الذي يجب اعتقاده، وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه وكلاما باطل.[2]

٣-أن القرآن والحديث سمعه الصحابة والتابعون وتابعوهم من القرون الثلاثة، وفي غيرها من الأعصارفي جميع أمصار المسلمين، وهو يتلى ليلا نهارا، والمؤمن يسلم أن ظاهر ذلك هي هذه الصفات، ولم ينقل عن أحد من السلف والأئمة أنه أمر من يسمع القرآن والحديث بأن يصرف قلبه وفكره عن تدبرذلك وفهمه وتصوره، ولاأمره أن يعتقد أن هذا المعنى منه ليس بمراد، وإنما المراد بعض المعاني التي يعنيها المتأولون أو المراد معنى آخر لايعرف جملة وتفصيلا[3]

٤ - يقال لوأراد الله ورسوله من كلامه أن يحمل على خلاف ظاهره وحقيقته، لكان هذا منافيا لقصد البيان والارشاد، وكان أمراً له أن يفهم كلامه على غيرمراده، بل بنقيضه وكان تركه بدون ذلك الخطاب خيرله وأقرب إلى الهدى .[4]

---

(١) ابطال التأويلات (١/ ٤٣- ٤٤ و١/ ٧١) .

(٢) انظر القواعد المثلى (ص: ٨٠) .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية(١ / ٣٥٥).

(٤) انظر الصواعق المرسلة (١ / ٣١٠).

٥ – أن الله سبحانه أنزل كتابه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ووصفه بأنه ميسر، والتيسير يشمل ألفاظه ومعانيه قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]. فلو كان القرآن يحمل على خلاف حقيقته وظاهره، وأن يفهم من ألفاظه مالايدل عليه من المعاني لم يكن شفاء ورحمة، ولم يكن ميسرا لهم، بل كان معسرا عليهم وهو أشد التعسير.(١)

وبهذا يعلم أن القول بأنه لايؤخذ بظاهر النصوص قول باطل مصادم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وماأجمع عليه سلف الأمة .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (١/ ٣٣٠) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٥ / ٤٦١) و مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦١- ٣٦٢) .

المطلب الثاني: ابطال المجاز في صفات الله وأسمائه

تقدم في المسألة السابقة أن النصوص الشرعية إنما تحمل على ظاهرها وحقيقتها، وبينت الأدلة على ذلك، وعززته بكلام السلف، وفي هذا الفصل سيكون الحديث على ابطال المجاز في صفات الله .

فالمجاز كان سلما لتعطيل معاني النصوص، وصفات الله بالأخص كما تقدم تفصيل ذلك في نشأته وأغراضه .

إن مما لاشك فيه أن الله سبحانه إنما خلق الخليقة ليعبد جلا وعلى ويفرد بالعبادة، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولقد أكثر سبحانه في القرآن من أدلة استحقائه للعباده، ومن أعظم هذه الأدلة والبراهين ذكر أسمائه وصفاته جل وعلا، التي أكثر الله سبحانه وتعالى من تقريرها ليزداد المؤمن معرفة بربه وخضوعا واستسلاما له، فيعبده على بصيرة وبينة .

وقد جاءت النصوص المتكاثرة في تقرير هذا الباب، حتى أصبح عند الصحابة من المحكمات البينات ، وقد اختلفوا في كثير من الأحكام، ولم يختلفوا في هذا الباب، وهكذا من جاء من بعدهم حتى جاء أهل الأهواء، فحرفوا صفات الله بدعوى أن الأخذ بظاهرها يستلزم تشبيه المخلوق بالخالق جل في علاه، وقد سوغوا باطلهم بإثبات المجاز في صفات الله، وهذا لاشك أنه مخالف لما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من اثبات صفات الله وأنها على الحقيقة وليست على المجاز.

قال ابن جرير الطبري " فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عزوجل ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ ؟

قيل: الصواب من هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على مانعرف من جهة

الاثبات ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] فيقال: الله سميع بصير، له سمع وبصر..."[1].

وقال الإمام محمد بن على الكرجي المعروف بالقصاب " كل صفة وصف الله بها نفسه أووصفه بها رسوله، فليست صفة مجاز، ولوكانت صفة مجاز لتحتم تأويلها، ولقيل معنى البصر كذا ومعنى السمع كذا، ولفسرت بغير السابق إلى الأفهام، فلما كان مذهب السلف إقرارها بلا تأويل، علم أنها غير محمولة على المجاز، وإنما هي حق بين"[2].

وقال أبونصر السجزي رحمه الله" وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لاتؤخذ إلا توقيفا، وكذلك شرحها لايجوز إلا بتوقيف، فقول المتكلمين في نفي الصفات أو إثباتها بمجرد العقل أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال، ولايجوز أن يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وذاك إذا ثبت الحديث ولم يبعد شبهة في صحته، فأما ماعدا ذلك من الروايات المعلوله والطرق الواهية، فلايجوز أن يعتقد في ذات الله سبحانه ولا في صفاته مايوجد فيها باتفاق العلماء للأثر"[3].

وقال أيضاً " الواجب أن يعلم أن الله تعالى إذا وصف نفسه بصفة، هي معقوله عند العرب والخطاب ورد بها عليهم بما يتعارفون بينهم، ولم يبين سبحانه أنها بخلاف مايعقلونه ولافسرها النبيﷺ بتفسير يخالف الظاهر، فهي على مايعقلونه ويتعارفونه"[4].

---

(١)كتاب التبصير في معالم الدين لابن جرير الطبري (ص: ١٤٠) .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء، نقله في ترجمة القصاب (١٦ / ٢١٣- ٢١٤) .

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٢١- ١٢٢).

(٤) المصدر السابق (ص: ١٥٢) .

وقال قوام السنة الأصفهاني[1]" من حمل اللفظ على ظاهره وعلى مقتضى اللغة حمله على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولايجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى"[2] .

قال أبو عمر"أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من اقر بها مشبه وهم عند من اقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله"[3] .

والنصوص عن السلف في هذا الباب أكثر من أن تحصر.

وبهذا يظهر أن ادخال المجاز في صفات الله قول مبتدع، إنما نشأ من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم من الفرق الضالة، ويدل لذلك عدة أوجه:

الوجه الأول: ماتقدم بيانه من أن هذا مخالف لإجماع أهل السنة في أن صفات الله على حقائقها اللائقة بها .

الوجه الثاني: أن الواجب في معاني النصوص الشرعية، ومنها باب الأسماء والصفات أن تحمل على الحقيقة اللغوية التي جاءت بها، وما يظهر منها ولايعدل عن الظاهر إلا بدليل، وقد سبق في المبحث السابق التفصيل في هذه المسألة ، وعلى هذا فادعاء المجاز في معاني النصوص الشرعية مخالف للظاهر من النصوص،

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني الملقب بقوام السنة، صنف كتبا عديدة منها الحجة في بيان المحجة ، ودلائل النبوة توفي سنة ٥٣٥هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٠) وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٠٥).

(٢) الحجة في بيان الحجة (١ / ٤٨٢) .

(٣) التمهيد (٧ / ١٤٥) مجموع الفتاوى (٥ / ٨٧).

ولايجوز ذلك إلا بدليل ولادليل على ذلك .

ولقد بين ابن حزم[1] رحمه الله أن النصوص الشرعية محمولة على ماهو موضوع في اللغة ومعهود ولايخرج عن هذا المعهود إلا بنص أو إجماع .

قال رحمه الله" اختلف الناس في المجاز، فقوم أجازوه في القرآن والسنة، وقوم منعوا منه والذي نقول به وبالله تعالى التوفيق: أن الاسم إذا تيقنا بدليل نص أو إجماع أو طبيعة أنه منقول عن موضوعه في اللغة إلى معنى آخر، وجب الوقوف عنده، فإن الله تعالى هو الذي علم آدم الأسماء كلها وله تعالى أن يسمي ما شاء بما شاء .

وأما ما دمنا لا نجد دليلا على نقل الاسم عن موضوعه في اللغة فلا يحل لمسلم أن يقول إنه منقول لأن الله تعالى قال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٤] فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله ﷺ فهو على موضوعه في اللغة ومعهوده فيها إلا بنص أو إجماع أو ضرورة حس نشهد بأن الاسم قد نقله الله تعالى أو رسوله ﷺ عن موضوعه إلى معنى آخر فإن وجد ذلك أخذناه على ما نقل إليه"[2] .

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ قد جاء عنه ما يبين أن أسماء الله وصفاته هي على حقائقها اللائقة بالله عزوجل، وهو أعلم الناس بالله عزوجل، وأفصح الناس في التعبير عنها وإيضاحها فمن ذلك ما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) هو الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي، الأندلسي الظاهري، كان أديباً شاعراً، وكان شافعياً ثم تحول ظاهرياً، من مصنفاته المحلى، الفصل في الملل والنحل، توفي سنة ٤٥٦هـ انظر طبقات الحفاظ (ص:٤٣٥) والبداية والنهاية (١٢/ ٩١) .

(٢) الإحكام لابن حزم (٤/ ٤٣٧) .

رأيت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول " يقبض الجبار سمواته وأرضه بيده – وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون ؟ أين المتكبرون؟"[1] وفعل النبي ﷺ في القبض والبسط تحقيقا لإثبات اليد وصفة القبض والبسط لا تشبيها وتمثيلاً[2].

ومن ذلك ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨] قال: رأيت رسول ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة" رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه".

وقال أبو داود: "وهذا رد على الجهمية" [3] .

وفعل النبي ﷺ ذلك تحقيقا لهذين الصفتين، ورفعا لتوهم أن السمع والبصر غير الصفتين المعلومتين.[4]

وأيضا مما يدل على ذلك إشارته ﷺ إلى السماء في حجة الوداع حين استشهد ربه تبارك وتعالى على الصحابة أنه قد بلغهم، تحقيقا لإثبات صفة العلو.[5] والأحاديث في هذا كثيرة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٨) برقم (٢٧٨٨) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٤/ ١٤٢٠) .

(٣) أخرجه أبوداود في السنة (٤/ ٢٣٣) برقم (٤٧٢٨) وقال ابن يونس: قال المقرئ:" يعني أن الله سميع بصير، يعني أن لله سمعا وبصرا " وأخرجه الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٣١٧- ٣١٩) وابن خزيمة في التوحيد (١ / ٩٧- ٩٨) برقم (٤٦، ٤٧) طبعة الشهوان، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٥٤) برقم (٦٨٨) وقال " وهو اسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه" وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٧٣): "أخرجه أبوداود بسند قوي على شرط مسلم من رواية أبي يونس عن أبي هريرة..." .

(٤) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٦٢) ومختصر الصواعق (١/ ١٤٢- ١٤٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه (٢/ ٨٩٠) برقم (١٢١٨) وانظر مختصر الصواعق (١/ ١٠٦).

الوجه الرابع: أن الصحابة كانوا من أحرص الناس على فهم القرآن ومعانيه، لذا كانوا يسألون النبي ﷺ عما أشكل عليهم، وخاصة فيما يتعلق بصفات الله، وكان النبي ﷺ يجيبهم بتقريرها لا بالمجاز والتأويل الباطل، فمن ذلك لما سأله أبورزين العقيلي[1] عن صفة الضحك لما قال ﷺ « **ينظر إليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب** » ، فقال: أبورزين يارسول الله أويضحك الرب ؟ فقال رسول الله ﷺ «**نعم**» فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرا"[2].

الوجه الخامس: أن اثبات المجاز في أسماء الله وصفاته بدعوى أن اثبات حقائقها يقتضي تشابه صفات الله بالمخلوق قول باطل، وذلك؛ لأنه يلزم منه أن تكون هذه الألفاظ حقيقة في المخلوق مجازا في حق الخالق جل وعلا ، فلا يوصف بشيء من صفات الكمال فلايكون رب العالمين موجودا حقيقة، ولاحيا حقيقة، ولامريدا حقيقة، ولاقادرا حقيقة، وهذا القول لازم لكل من ادعى المجاز في شئ من أسماء الرب وأفعاله لزوما لامحيد له عنه، ولافرق بين صفة وصفة وفعل وفعل، فإما أن يقول الجميع مجاز أو الجميع حقيقة، وأما التفريق بين البعض وجعله حقيقة وبين البعض وجعله مجازاً، فتحكم باطل، فإن زعم أن ماجعله مجازا هو مايفهم من خصائص المخلوقين، وماجعله حقيقة ليس من خصائص المخلوقين، طولب بالتفريق بين النفي والإثبات ولن يجد إلى ذلك سبيلاً.[3]

---

(١) لقيط بن عامر، ويقال لقيط بن صبرة، أبو رزين العقيلي، له صحبة، ورجح الحافظ أنه لقيط بن عامر، ومال إليه البخاري، انظر التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٨) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٧٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (٣/ ١٣٤٠) والإصابة (٥/ ٦٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١١) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٨٢) برقم (٥٥٤) الجامع والآجري في الشريعة(٢/ ١٠٥٧) وقد حسنة الشيخ الألباني بمتابعاته انظر السلسلة الصحيحة (٦/ ٧٣٢) برقم (٢٨١٠).

(٣) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٧- ٧٤٨).

الوجه السادس: أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، إما أن يكون تقسيما شرعيا، أو لغويا أوعقليا، أواصطلاحيا، والأقسام الثلاثة الأول باطلة، فأما الشرع فلم يرد بهذا التقسيم، ولادل عليه كتاب الله وسنة رسولهﷺ ولاأشار إليه، ولم ينطق به أحد من صحابة رسولﷺ ولا التابعين لهم بإحسان، ولاأحد من الأئمة الأربعة .

وأما اللغة فلم يصرح أحد من أهل اللغة بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز، ولاقال أحد من العرب قط هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز.

وأما العقل، فإنه لامدخل له في دلالات اللفظ وتخصيصه بالمعنى المدلول عليه حقيقة كان أو مجازاً، فإذا علم أن هذا التقسيم ،لم يكن تقسيما شرعيا أو لغويا أو عقليا فهو اصطلاح محض حدث بعد القرون المفضلة، ولوكان مجرد اصطلاح ولم يترتب عليه مفاسد، وكان الفرق معقولا لم يعترض على هذا التقسيم أحد، كمثل اصطلاح النحاة على تسمية الفاعل والمفعول به ونحوه، ولكن لما كان المصطلح قصد به نفي معاني النصوص وتحريفها، وكان التقسيم غير معقول في نفسه نفي وأنكر من أصله .[1]

الوجه السابع: أن الألفاظ المستعملة في حق الخالق والمخلوق، لها ثلاث اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق كسمع الله وبصره ووجهه ويديه واستوائه ونزوله وعلمه وقدرته وحياته .

الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق، كيد الانسان ووجهه ويديه واستوائه .

الثالث: أن تجرد عن كلا الإضافتين وتوجد مطلقة، فإثباتكم لها حقيقة، إما أن يكون بالاعتبار الأول، أو الثاني، أوالثالث، إذ لارابع هناك، فإن جعلتم جهة كونها حقيقة، تقيدها بالخالق لزم أن تكون في المخلوق مجازا، وإن جعلتم جهة كونها حقيقة تقيدها بالمخلوق لزم أن تكون في الخالق مجازا، كما هو مذهب جهم بن

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٨٨) و(٢٠ / ٤٠٧، ٤٥١- ٤٥٨) ومختصر الصواعق (٢/ ٦٩٢- ٧٠٠) .

صفوان[1]، وإن جعلتم جهة كونها حقيقة القدر المشترك لزم أن تكون حقيقة في الخالق والمخلوق وهذا قول عامة العقلاء وهو الصواب، فإن فرقتم بين بعض وبعض، وقعتم في التحكم والتناقض وذلك؛ لأن خصائص الإضافات لاتخرج اللفظ عن حقيقته وتجعله مجازا بإضافته إلى محل الحقيقة، وبسبب هذا القول وقع الغلط في هذا الباب مثال ذلك "لفظ الرأس" فإنه يستعمل مضافا إلى الإنسان والطائر والسمك والماء والطريق ونحوذلك، فإذا قيد بمضاف إليه تعين ولم يتناول غيره من الأمور المضاف إليها، وكان حقيقة فيه، فلايقال إن رأس الطير مجاز وذلك لأن الأصل في الرأس، رأس الإنسان، لأن العرب لم تضع لفظ الرأس لرأس الإنسان وحده، بل يشمل كل ماكان أصلا في الشئ كما يقال رأس الإسلام، ورأس الطريق ونحو ذلك.[2]

الوجه الثامن:يقال" إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز ينافى الحقيقة لابد فيه من أربعة أشياء:

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربى ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلابد أن يكون ذلك المعنى المجازى ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة .

---

(١) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان منكراً للصفات، وينزه عنها الباري بزعمه، ويقول بخلق القرآن، وأن الله في كل الأمكنة، قيل إن أسلم بن أحوز قتل جهما لإنكاره أن الله كلم موسى سنة ١٢٨هـ انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦- ٢٧) والبداية والنهاية (١٠/ ٢٦- ٢٩) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٧٤٩)

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفى معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف باجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلابد له من دليل قاطع عقلى أو سمعى يوجب الصرف، وان ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فاذا قام دليل قرآنى أو ايمانى يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصا قاطعا لم يلتفت إلى نقيضه وان كان ظاهرا فلابد من الترجيح .

الرابع: أن الرسول إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته، فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه لا سيما في الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الإعتقاد والعلم دون عمل الجوارح، فانه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدى وبيانا للناس وشفاء لما في الصدور وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"[١]

وبهذه الوجوه وغيرها يعلم بطلان القول بالمجاز في صفات الله، وأن صفات الله سبحانه على حقيقتها التي جاءت بها .

قال الشيخ الأمين الشنقيطي موضحا معنى الحقيقة في آيات الصفات: "معنى الحقيقة في آيات الصفات، أن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها، فللخالق جل وعلا صفات حقيقية تليق به وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمة، وكل من ذلك حقيقة في محله.

ومعاني صفات الله جل وعلا معروفة وكيفياتها لايعلمها إلا الله كما قال مالك

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٦٠-٣٦١) .

وأم سلمة: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والدليل على أن الكيف غير معقول قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠].

وحاصل تحرير الحق في مسألة آيات الصفات على وجه لاإشكال فيه مبني على أمرين:

الأول: الإيمان بكل ماثبت في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة على وجه الحقيقة لا المجاز.

والثانية: نفي التشبيه والتمثيل عن كل وصف ثبت لله في كتاب أوسنة صحيحة، فمن نفى وصفا أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ فهو معطل ومعلوم أنه لايصف الله اعلم بالله من الله ولايصف الله بعد الله أعلم به من رسول الله ﷺ: أأنتم أعلم أم الله ؟..."[١] إلى آخر كلامه رحمه الله.

* * *

(١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز ضمن أضواء البيان (١٠/ ٢٦١) دار الكتب العلمية بيروت

الفصل الثالث:

التأويل والتفويض في كتب علوم القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التأويل:

المبحث الثاني: التفويض.

المبحث الأول:
التأويـــــــل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التأويل لغة .

المطلب الثاني: حقيقة التأويل في النصوص الشرعية .

المطلب الثالث: حقيقة التأويل عند السلف والمتأخرين .

المطلب الرابع: موقف السلف وأهل السنة من التأويل .

المطلب الخامس : التأويل في كتب علوم القرآن .

المطلب الأول: معنى التأويل لغة:

قال الأزهري[1]: التأويل: من أوّل يُؤوِّل تأويلاً، وثُلاثيه آل يَؤول، أي رَجع وعاد ....أولت الشيئ جمعته وأصلحته، فكأن التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لاإشكال فيه،وقال بعضُ العرب أَوَّل الله عليك أمْرَك، أي جَمعه"[2] .

وقال ابن فارس " آل يؤول : أي رجع، ..... يقال أول الحكم إلى أهله أي أرجعه ورده إليهم ... قال الخليل: آل اللبن يؤول أولا وأوولا خثر وكذلك النبات ... وآل جسم الرجل إذا نحف وهو من الباب لأنه يحور ويحري أي يرجع إلى تلك الحال، والإيالة السياسة من هذا الباب لأن مرج الرعية إلى راعيها.... والآلة الحالة...

ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾[الأعراف: ٥٣] يقول ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم"[3]

قال الراغب: " التَّأْوِيلُ من الأول، أي الرجوع إلى الأصل ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رَدّ الشيء إلى الغايةِ المُرادَةِ منه قَوْلاً كان أو فِعْلاً"[4] .

وهو من آلَ إليهِ يَؤُولُ أَوْلاً ومَآلاً: رَجَعَ ومنه قولُهم: فُلانٌ يَؤُولُ إلى كرمٍ . وطَبخْتُ الدَّواءَ حتى آلَ المَنَّانِ مِنْه إلى مَن واحِدٍ، آلَ عنه: ارتَدَّ، وآلَ المَلِكُ رَعِيَّتَه

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور الأزهري، الإمام في اللغة، وكان فقيهاً صالحاً غلب عليه علم اللغة، صنف فيه التهذيب، وصنف كتاباً في التفسير، وشرح الأسماء الحسنى، توفي سنة ٣٧٠هـ انظر معجم الأدباء (٥/ ١١٢) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (١/ ١٤٤) .

(٢) تهذيب اللغة (١٥ / ٣٢٩) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٩- ١٦٢).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٣١).

يَؤُولُ إِيالاً بالكسرِ: ساسَهُم وأحسنَ رِعايتَهم، و آلَ علَى القَوْمِ أَوْلاً وإِيالاً وِإِيالَـةً بكسرِهما: وَلِيَ أَمْرَهُم .[١]

وأَوَّلَ الكَلامَ تَأْوِيلاً، وتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وقَدَّرَه وفَسَّره .

قال الأعْشَى[٢]:

عَلَى أَنَّها كانَت تَأَوُّلُ حُبِّها   تَأَوُّلُ رِبْعِيِّ السِّقابِ فأَصْحَبا[٣]

قال أبو عبيدة: قوله" تأول حبها:أي تفسيره ومرجعه"[٤] أي أن حُبها كان صغيراً في قَلْبِه، فلم يَزَلْ يَثْبُتُ حتّى صار كبيراً[٥].

وقال الجوهري[٦] " التأويل تفسير مايؤول إليه الشئ وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى... وآل الرجل أهله الرجل وعياله،... والإيالة السياسة يقال آل الأمير رعيته يؤولها أولا وإيالا، أي ساسها وأحسن رعايتها"[٧] .

قال ابن منظور"[٨] أول: الأول: الرجوع . آل الشيء يؤول أولا و مآلا: رجع . وأول إليه الشيء: رجعه . و ألت عن الشيء: ارتددت.... الليث: التأول و التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه "[٩] .

---

(١) انظر تاج العروس للزبيدي (٢٨/ ٣١).

(٢) أبو مصلح عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهمداني، وكان متعبدا فاضلا،و شاعرا مفوها شهيرا كوفيا، قتله الحجاج سنة نيف وثمانين انظر ترجمته سير أعلام النبلاء(٤/ ١٨٥) .

(٣) ديوان الأعشى (ص: ٩) .

(٤) مجاز القرآن لإبي عبيد(١/ ٨٧) .

(٥) انظر الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٢٧) ولسان العرب لابن منظور(١١/ ٣٤) وتاج العروس ((٢٨/ ٣٣)

(٦) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، صنف الصحاح، وكتاباً في العروض، وكتاب المقدمة في النحو، توفي سنة ٣٩٨هـ انظر معجم الأدباء (٢/ ٢٠٥) والبلغة (ص: ٦٦) .

(٧) الصحاح (٤/ ١٦٢٧-١٦٢٨) .

(٨) محمد بن أكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لغوي مشهور صنف كتابه "لسان العرب توفي سنة ٧١١هـ انظر ترجمته الدرر الكامنة (٦/ ١٥).

(٩) لسان العرب (١١/ ٣٢- ٣٣) .

ويظهر من عرض أقوال أهل اللغة أن التأويل يطلق ويراد به أحد معنيين:
الأول: التفسير والبيان، وقد استخدم ابن جرير الطبري هذا اللفظ في تفسيره فيقول عند ذكر تفسير الآية " تأويل قوله تعالى كذا، أي تفسيره .
الثاني: العاقبة والمرجع والمصير.

وقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله " وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير"[1] .

---

(١) تفسير الطبري(٣/ ١٨٤)

المطلب الثاني: حقيقة التأويل في النصوص الشرعية

ورد لفظ التأويل في القرآن في مواضع عديدة، وسأستعرض بعض الآيات التي جاءت فيها ومن ثم تستخلص منها معاني التأويل في القرآن قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن جرير الطبري " وأحسن تأويلا ﷺ يعني وأحمد موئلا ومغبة وأجمل عاقبة" (١) .

وقال ابن كثير" وأحسن عاقبة ومآلا كما قاله السدي وغير واحد"(٢) .

ومن ذلك قوله تعالى﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

قال مجاهد رحمه الله" يعنى وجزاؤه وثوابه"(٣)

وقال ابن جرير الطبري : "يقول تعالى ذكره هل ينظرون إلا تأويله، هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله، يقول إلا ما يتول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به"(٤) .

ومن الآيات قوله تعالى"﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٥١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩).

(٣) تفسير مجاهد (١/ ٢٣٨) .

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٢٠٣) وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٩٤) وتفسير البغوي (٢/ ١٦٤) وزاد المسير لابن جوزي (٣/ ٢١٠) والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٤٠٧) .

ﵟٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ﵞ [يونس: ٣٩].

قال ابن جرير الطبري " ولما يأتهم تأويله يقول ولما يأتهم بعد بيان ما يئول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في هذا القرآن"(١).

وقوله تعالى" ﵟقَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ﵞ [الكهف: ٧٨] وقوله تعالى ﵟذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ﵞ [الكهف: ٨٢].

قال ابن جرير الطبري "يقول: بما يؤول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها فلم تستطع على ترك المسألة عنها وعن النكيرعلى فيها صبرا"(٢).

وقال ابن كثير" عند قوله تعالى"ﵟسَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًاﵞ "أي بتفسير"ﵟمَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًاﵞ(٣).

وقال تعالى ﵟرَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِﵞ[يوسف: ١٠١] وقوله تعالىﵟوَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاﵞ[يوسف: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﵟوَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِﵞ [يوسف: ٦].

قال ابن جرير الطبري" يقول ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس عما يرونه في منامهم وذلك تعبير الرؤيا"(٤).

وأما آية عمران: ﵟهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ

---

(١) تفسير الطبري(١١/ ١١٨) وانظر تفسير الواحدي (١/ ٤٩٨) وتفسير البغوي (٢/ ٣٥٤) وذكر ابن عطية في الآية قولان أحدهما مايؤول إليه الأمر، والثاني التفسير والبيان، انظر المحرر الوجيز(٣/ ١٢١) وكذا ابن الجوزي انظر زاد المسير (٤ / ٣٣) وانظر تفسير القرطبي (٨ / ٣٤٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٥ / ٢٩١) وفتح القدير (٣/ ٣٠٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٩٩) وانظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص:٢٥١) وتفسير السمرقندي (٢/ ٣٥٧).

(٤) تفسير الطبري (١٢/ ١٥٣) وانظر تفسير البغوي (٢/ ٤١٠) وتفسير ابن كثير(٢/ ٤٧٠).

مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

فقد اختلف العلماء في المراد منها بناء على اختلافهم في معنى التأويل في الآية هل هو حقيقة التأويل أو التفسير ولكن أظهر الأقوال أن الآية محتملة للمعنيين .

وقد قال ابن كثير عند هذه الآية " التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾[يوسف: ١٠٠].

وقوله ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل ويكون قوله﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ مبتدأ و﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا ﴾ خبره ، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ ﴾[يوسف: ٣٦] أي بتفسيره،فإن أريد به هذا المعنى فالوقف على ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الأعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ حال منهم"[(١)].

ومما تقدم يعلم أن التأويل إنما جاء في القرآن على معنيين:

١- حقيقة الشئ وعاقبته ومصيره

٢- تفسيره وبيانه

وأما ورود لفظ التأويل في السنة فمن ذلك ماورد من دعاء النبي ﷺ لابن

____

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٨) وانظر تفسير البغوي (١/ ٢٧٩) وأضواء البيان (١/ ١٨٩).

عباس لما وضع يديه على كتفيه وقال «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(١) .

ومعنى التأويل هنا التفسير والبيان.

ومن ذلك ماجاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ «**بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص، منها مايبلغ الثدي، ومنها مادون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**» قالوا: فما أولت ذلك يارسول الله ﷺ ؟ قال: «**الدين**»(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « **بَيْنَا أنا نَائِمٌ أُتِيتُ بِخَزَائِنِ الأرض فَوُضِعَ في كَفِّي سِوَارَانِ من ذَهَبٍ فَكَبُرَا عَلَيَّ فأوحي إلي أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أنا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ**»(٣)

والمقصود من التأويل في هذين الحديثين تعبير الرؤيا كما هو ظاهر.

وبعد استعراض ألفاظ التأويل في القرآن والسنة نجد أنها لاتخرج عن معنيين:

المعنى الأول: حقيقة الشيء ومايؤول إليه، فإن كان خبرا فتأويله وقوع المخبر به فتأويل الوعد والوعيد وماأخبر الله به في الجنة من المأكل والمشارب واللباس ونحوها، هو وقوع نفس المخبر به وحقيقته، فتأويل ماأخبر الله به من صفاته وأفعاله نفس ماعليه سبحانه وماهو موصوف به من الصفات العلى .

أما إن كان طلبا فتأويله نفس الأفعال المأمور بها أي امتثالها كما في حديث عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: "**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك يتأول القرآن** "(٤) .

المعنى الثاني: التفسير، والبيان .

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٥٠) .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٧١) برقم (٦٦٠٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٩١) برقم (٤١١٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١/ ٢٧٤) برقم (٧٦١) ومسلم (١/ ٣٥٠) برقم (٤٨٤).

المطلب الثالث: حقيقة التأويل عند السلف والمتأخرين

أولاً: حقيقة التأويل عند السلف

لاشك أن السلف إنما يستندون في أرائهم إلى الكتاب والسنة، ولايحيدون عن ذلك قيد أنملة ولذلك لما تكلموا عن التأويل لم يخرجوا عن إطلاقات القرآن والسنة للتأويل، وقد سبق الكلام عليه .

فالتأويل عند السلف يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه، وقد ورد هذا على لسان كثير من السلف ومن ذلك ماقاله جابر رضي الله عنهما في حجة الوداع "...... ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وماعمل به من شئ عملنا به "[1]

"فعلمه صلوات الله وسلامه عليه بتأويله هو علمه بتفسيره ومايدل عليه، وعمله به هو تأويل مأمر به ونهى عنه "[2].

ومنه ماقاله ابن عباس رضي الله عنه " أنا ممن يعلم تأويله"[3] .

وقال مجاهد رحمه الله " والراسخون في العلم يعلمون تأويله"[4] أي تفسيره وبيانه.

وقد ألف ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، وهو إنما عنى به تفسيره وبيانه وابن جرير الطبري يقول عند تفسير الآية " القول في تأويل قوله تعالى، وقال أهل التأويل كذا .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الحج، باب حجة النبيﷺ (٢/ ٨٨٧) برقم (١٢١٨) .

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (١/ ١٨١) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٣/ ١٨٣).

(٤) انظر المصدر السابق .

الثاني: حقيقة مايؤول إليه الشيئ وعاقبته ومصيره، وقد جاء على لسان السلف، ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها " كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده **"سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي،يتأول القرآن"**[1] فالتأويل المقصود به في هذا الموضع حقيقة ماأمر به ويكون ذلك بامتثال ماأمر به، وذلك أن الله سبحانه بعدما أنزل قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣] امتثل رسول الله ﷺ ذلك فكان يقوله في ركوعه وسجوده .

وقد قال مجاهد رحمه الله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣] "يعنى وجزاؤه وثوابه"[2] .

وقال السدي في قوله تعالى﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] قال وأحسن عاقبة"[3] .

وبين شيخ الاسلام رحمه الله معنى التأويل عند السلف فقال" وأما التأويل فى لفظ السلف فله معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا، وهذا والله اعلم هو الذى عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبرى يقول فى تفسيره القول فى تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل فى هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير.

والمعنى الثانى فى لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا هو نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨١) برقم (٧٨٤).
(٢) تفسير مجاهد (١/ ٢٣٨) .
(٣) انظر تفسير الطبري (٥/ ١٥٢).

خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به" [١] .

وبهذا يتبين أن معنى التأويل عند السلف لم يخرج عما جاء في الكتاب والسنة، ولغة العرب .

ثانياً: معنى التأويل عند المتأخرين :

اصطلح المتأخرون على معنى للتأويل محدث، لا تدل عليه النصوص الشرعية، ولا لغة العرب وابتدعوه؛ ليحرفوا نصوص الكتاب والسنة على وفق مايريدون، وقد اشتهر عند المتكلمين والأصوليين، وسأذكر بعض أقوالهم .

يقول أبو منصور الماتريدي[٢] في معنى التأويل " ترجيح أحد المحتملات بدون القطع "[٣] .

وقال ابن حزم في معنى التأويل " نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر "[٤]

وأما الجويني فقال في معنى التأويل "رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول "[٥]

وقال الغزالي[٦] في معناه " التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر "[٧] .

---

(١) مجموع الفتاوى، رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل (١٣ / ٢٨٨-٢٩٠) وانظر الصواعق المرسلة(١/ ١٧٧)

(٢) محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي، أبو منصور السمرقندي، الحنفي من علماء الكلام له مصنفات كثيرة منها التوحيد، تأويلات القرآن توفي سنة ٣٣٠هـ انظر الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ١٣٠) .

(٣) انظر الإتقان للسيوطي (٦/ ٢٢٦٢).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤٣) .

(٥) البرهان في أصول الفقه للجويني (١/ ٣٣٦) .

(٦) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف، شافعي المذهب، صنف من المصنفات الأحياء، والمستصفى، توفي سنة ٥٠٥هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢) وطبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٩٢).

(٧) المستصفى (ص: ١٩٦) .

وقال الطوفي[1] " التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحاً "[2].

وهذه التعاريف وإن تنوعت في العبارة، ولكنها متفقه في أن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر .

ولقد بين شيخ الإسلام معنى التأويل عند المتأخرين فقال "التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هوصرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، فإذا قال أحدهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا .

قال الآخر هذا نوع تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل .... وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في ابطال التأويل أوذم التأويل، أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول، وقال الآخر بل يجب تأويلها، وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة، ويترك عند المصلحة أويصلح للعلماء دون غيرهم إلى غير ذلك من المقالات والتنازع"[3] .

وبين ابن القيم تعريف التأويل عند المعتزلة والجهمية فقال " وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين، فمرادهم بالتأويل، صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى

---

(١) هو سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي الصرصري، ثم البغدادي الحنبلي، الفقيه، الأصولي، صنف كثيراً من المصنفات منها، الإكسير في قواعد التفسير، وشرح مقامات الحريري، توفي سنة ٧١٧هـ انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٤/ ٤٠٤) وطبقات المفسرين للداودي (ص: ٢٦٤) .

(٢) شرح مختصر الروضة (١/ ٥٥٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٨) وانظر التدمرية (ص:٩١) .

دليل، وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين "[1] .

وبهذا يظهر ويتضح مراد المتأخرين من التأويل، وأن غرضهم إبطال دلالة النص، وإخراجه عن ظاهره إلى معنى آخر لا يدل عليه النص، وتعطيل صفات الله وشرعه.

❊ ❊ ❊

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٧٨) .

المطلب الرابع: موقف السلف وأهل السنة من التأويل

لقد تقدم ذكر التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنه يطلق على معنيين:

١- التفسير والبيان

٢- والعاقبة والمصير الذي يؤول إليه الشيء

ولقد كان موقف السلف وأهل السنة مواقفا لما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ في معنى التأويل .

أما المتأخرون من المتكلمين ونحوهم فهم قد ابتدعوا معنى للتأويل من تلقاء أنفسهم، ولم تكن لهم فيه بينة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولذا انبرى لهم أهل السنة محذرين من مقاصدهم بالتأويل، وأثبتوا ما جاء في النصوص الشرعية على ماجاءت به من غير أن يتعرضوا لها بالتأويل والتعطيل .

ويتجلى هذا بوضوح في موقفهم من صفات الله وأسمائه .

يقول محمد بن اسحاق بن خزيمة رحمه الله في بيان موقف الصحابة والتابعين من صفات الله " إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرنا بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه الرسولﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف"[1] .

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله" أصحاب الحديث......يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسولﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عزوجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسولهﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به،

---

(١) انظر الحجة في بيان المحجة (١/ ١٠١) وذم التأويل لابن قدامة (ص:١٦) برقم (٢٠) .

ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسولهﷺ ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه.... ولا يحرفون الكلام عن مواضعه.... تحريف المعتزلة والجهمية... وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف...."[١] .

وقال ابن قدامة رحمه الله" ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها.."[٢] .

ويقول القاضي أبو يعلى رحمه الله " ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلوكان التأويل سائغا لكانوا أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة بل قد روي عنهم مادل على إبطاله.."[٣] .

وقد حكى ابن قدامة إجماع الصحابة على إثبات الصفات من غير تأويل .

قال رحمه الله"وأما الإجماع فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم وكذلك أهل كل عصر بعدهم ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة"[٤] .

وكذلك حكاه شيخ الإسلام رحمه الله .

قال:" إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص:١٦١- ١٦٢).

(٢) ذم التأويل (ص: ١١) .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٧١).

(٤) ذم التأويل (ص: ٤٠).

وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله"[1].

وأقوال السلف في هذا أكثر من أن تحصر، وبهذا يعلم أن السلف نبذوا التأويل الذي هو التحريف، وأخذوا بظاهر النصوص الشرعية ولم يؤولوها، وقد فصلت القول في أن النصوص إنما تحمل على ظاهرها التي جاءت بها وذكرت الأدلة على هذا وأقوال السلف بما يغني عن إعادته[2]

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤)

(٢) وانظر نقض عثمان على المريسي (١/ ١٥٨) والرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٧)

المطلب الخامس: التأويل في كتب علوم القرآن

لقد كان موقف الزركشي والسيوطي والزرقاني في كتبهم في علوم القرآن من التأويل موافقاً للمتأخرين من المتكلمين، وذلك أنهم سلطوا التأويل على النصوص الشرعية .

ويظهر ذلك جلياً في الصفات، حيث إنهم سلكوا فيها طريقة المؤولين، ونسبوا ذلك إلى الصحابة والتابعين - حاشاهم- وذلك؛ لأن اثبات ظاهر النصوص وخاصة فيما يتعلق بصفات الله يستلزم لوازم باطلة على حد زعمهم، ومنها التجسيم وتشبيه صفات الله بصفات خلقه إلى آخر اللوازم الباطلة التي ذكروها، ولاشك أن هذا هو قول أهل البدع من الجهيمة والمعتزلة والأشاعرة فإنهم حرفوا كتاب الله وسنة رسولهﷺ بهذه اللوازم الباطلة التي ذكروها.

يقول الزركشي " النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات.

وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق:

أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شيئا منها وهم المشبهة

والثاني: أن لها تأويلا، ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ونقول لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف .

والثالث: أنها مؤولة وأولوها على ما يليق به .

والأول باطل، والأخيران منقولان عن الصحابة، فنقل الإمساك عن أم سلمة أنها سئلت عن الاستواء فقالت الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وكذلك سئل عنه مالك فأجاب بما قالته أم سلمة إلا أنه زاد فيها أن من عاد إلى هذا السؤال عنه أضرب عنقه وكذلك سئل سفيان الثوري فقال

أفهم من قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] ما أفهم من قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [فصلت: ١١] وسئل الأوزاعي عن تفسير هذه الآية فقال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ كما قال، وإني لأراك ضالا وسئل ابن راهويه عن الاستواء أقائم هو أم قاعد؟ فقال لا يمل القيام حتى يقعد، ولا يمل القعود حتى يقوم وأنت إلى هذا السؤال أحوج .

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح" وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها .

وأفصح الغزالي عنهم في غير موضع بتهجين ما سواها حتى ألجم آخر في إلجامه كل عالم أو عامي عما عداها قال وهو كتاب إلجام العوام عن علم الكلام آخر تصانيف الغزالي مطلقا آخر تصانيفه في أصول الدين حث فيه على مذاهب السلف ومن تبعهم .

"وممن نقل عنه التأويل علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وقال الغزالي في كتاب التفرقة بين الإسلام والزندقة "إن الإمام أحمد أول في ثلاثة مواضع [(١)] وأنكر ذلك عليه بعض المتأخرين

قلت:(أي الزركشي) وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال وهل هو إلا أمره بدليل قوله ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [(٢)] [النحل: ٣٣] واختار ابن برهان وغيره من الأشعرية التأويل .

قال: ومنشأ الخلاف بين الفريقين أنه هل يجوز في القرآن شيء لا يعلم معناه ؟ فعندهم يجوز، فلهذا منعوا التأويل واعتقدوا التنزيه على ما يعلمه الله، وعندنا

---

(١) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة (ص:١٨٤ – ١٨٥) وسيأتي نقل كلامه كاملا .

(٢) زاد المسير (١/ ٢٢٥).

لا يجوز ذلك بل الراسخون يعلمونه .

قلت: وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المتشابه والجسمية في حق البارئ تعالى والخوض في مثل هذه الأمور خطره عظيم".

ثم قال" ونحن نجري في هذا الباب على طريق المؤولين حاكين كلامهم"[(١)] .
وذكر جملة من الصفات ونقل التأويلات فيها .

والسيوطي ذكر نحوا من الكلام السابق وقال " ذكر ماوقفت عليه من تأويل الآيات المذكورة على طريقة أهل السنة" وذكر جملة من الصفات ثم ذكر التأويلات فيها.[(٢)]

والزرقاني كذلك نقل الخلاف السابق، ووقع في تأويل الصفات .

وقد قرر الزرقاني أن مذهب السلف هو التفويض، وأن مذهب الخلف هو التأويل ثم علق بقوله "وما دام ميدان اللغة متسعا للتأويل وجب التأويل"[(٣)] .
وقد أول معنى نزول القرآن، كما سيأتي .

وقرر الزرقاني ضابط التأويل قال في ثنايا كلامه "..... ثم ننظر أهذا التأويل سائغ أم غير سائغ أي تساعد عليه قوانين اللغة العربية، ومقررات الإسلام المقطوع بها المعلومة من الدين بالضرورة وبراهين العقل والمنطق أم لا، فالسائغ نقبله ونرحب به وإن خالف رأينا وغير السائغ نرده في غير تردد ونحاربه في غير هوادة..."[(٤)]

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥١).
(٢) الإتقان للسيوطي (٤/ ١٣٥٨).
(٣) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٦- ٢٢٩) .
(٤) مناهل العرفان (٢/ ٣٧- ٣٨).

والزرقاني قرر فيما نقله عن محمد عبده[1] مسوغات التأويل وأنه إذا أراد التأويل لغرض كدفع معاند أو إقناع جاحد فلا بأس عليه يقول "... وإن أراد التأويل لغرض كدفع معاند أو إقناع جاحد فلا بأس عليه إذا سلم برهانه من التقليد والتشويش وهذا هو دأب مشايخنا كالشيخ الأشعري والشيخ أبي منصور"[2]

وسنقف وقفات مع كلامهم:

أولاً: ابطال التأويل في النصوص الشرعية عامة وفي باب الصفات خاصة .

ثانياً: ابطال دعواهم أن الصحابة والأئمة قالوا بالتأويل .

أولاً: ابطال التأويل في النصوص الشرعية عامة وفي باب الصفات خاصة

تقدم الكلام على معاني التأويل في الكتاب والسنة مع الاستشهاد لها، ولا شك أن التأويل الوارد في الكتاب والسنة هو التأويل الصحيح الذي لا غبار عليه، أما التأويل الذي لا يوافق الكتاب والسنة هو التأويل الفاسد وهذا كاصطلاح المتأخرين لمعنى التأويل، فإنهم قد اخترعوه لينفوا معاني النصوص .

قال ابن القيم " وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود"[3] .

---

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر وتصوف وتفلسف وعمل في التعليم، وكتب في الصحف له تفسير القرآن، ورسالة في التوحيد، توفي سنة ١٣٢٣هـ انظر الإعلام (٧/ ١٣١) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٤٠).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧) .

فإذاً هذا التأويل الذي اصطلحوا عليه باطل وذلك؛ لأنه مخالف لما في كتاب الله وسنة رسولهﷺ وهم إنما أرادوا به نفي معاني النصوص الشرعية وذلك؛ لأنها خالفت عقائدهم، فكان التأويل أحد المسالك التي سلكوها في النصوص عامة وفي باب الصفات خاصة، لزعمهم أن ظاهرها التشبيه والتجسيم .

ولقد قرر الزركشي هذا الكلام بقوله" وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة التشابه والجسمية في حق البارئ تعالى والخوض في مثل هذه الأمور خطره عظيم"(١) .

وكذلك يقرر ذلك الزرقاني، ويرى أن التأويل المنهي عنه هو التأويل الآثم الناشئ عن الزيغ واتباع الهوى .

"أما التأويل القائم على تحكيم البراهين القاطعة واتباع الهداية الراشدة، فليس من هذا القبيل الذي حظره الله وحرمه، وكيف ينهانا عنه وقد أمرنا به ضمنا، بإيجاب رد المتشابهات إلى المحكمات إذ جعل هذه المحكمات هي أم الكتاب على ما سبق بيانه، ثم كيف يكون مثل هذا التأويل الراشد محرما ؟ وقد دعا به الرسول ﷺ لابن عباس فقال في الحديث المشهور اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ويتلخص من هذا أن الله أرشدنا في الآية إلى نوع من التأويل، وهو ما يكون به رد المتشابهات إلى المحكمات، ثم نهانا عن نوع آخر منه، وهو ما كان ناشئا عن الهوى والشهوة لا على البرهان والحجة قصدا إلى الضلال والفتنة وهما لونان مختلفان وضربان بعيدان بينهما برزخ لا يبغيان .

وإذاً فمن لم يصرف لفظ المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه، أو المحال فقد ضل كالظاهرية والمشبهة، ومن فسر لفظ المتشابه تفسيرا بعيدا عن الحجة والبرهان قائما على الزيغ والبهتان فقد ضل أيضا كالباطنية والإسماعيلية، وكل هؤلاء يقال فيهم

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٢) .

إنهم متبعون للمتشابه ابتغاء الفتنة أما من يؤول المتشابه أي يصرفه عن ظاهره بالحجة القاطعة لا طلبا للفتنة، ولكن منعا لها وتثبيتا للناس على المعروف من دينهم وردا لهم إلى محكمات الكتاب القائمة وأعلامه الواضحة، فأولئك هم الهادون المهديون حقا وعلى ذلك درج سلف الأمة وخلفها وأئمتها وعلماؤها"[1]

فالزرقاني هنا يقرر أن الأخذ بظاهر النصوص يستلزم التشبيه والتجسيم، وهذه الحجة ليست بدعا من القول وإنما هو ترداد وتقليد لما ذكره أهل البدع وتواطؤوا عليه جيلا بعد جيل .

يقول القاضي عبد الجبار " إذا ورد في القرآن آيات تقتضي بظاهرها التشبيه وجب تأويلها، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ودليل العقل بعيد عن الاحتمال "[2]

والرازي يبين أن جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار ثم بين تلك الوجوه من القرآن والسنة ثم خلص إلى " أن المصير إلى التأويل أمر لا بد منه لكل عاقل وعند هذا، قال المتكلمون لما ثبت بالدليل أنه سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والجسمية، وجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار محملا صحيحا لئلا يصير ذلك سببا للطعن فيها فهذا تمام القول في المقدمة"[3] .

فالرازي يقرر بهذا أن الأخذ بظواهر القرآن والأخبار يقتضي اثبات الجسمية والجهة لله ولهذا لجأؤوا إلى التأويل حماية لجناب الشريعة من الطعن فيها .

وبعد هذا يقال لهولاء إن ما زعتموه من هذا التأويل باطل من وجوه كثيرة: أظهرها:

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٧).

(٢) المحيط بالتكليف (٢٠٠) وانظر غاية المرام (١٣٨) .

(٣) أساس التقديس (ص:٦٧- ٧٠) .

أولاً: أن لفظ التأويل في الكتاب والسنة وفي كلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخالف اصطلاحكم للتأويل، وهو أي التأويل في عرف المتأخرين حادث بعد عصر السلف، لم يستندوا فيه إلى دليل .

وقد قرر ابن حزم أن من يتمسك بالتأويلات من الفرق ليس له مستند وحجة في تأويلاته إلا الكذب .[1]

ثانياً: أن المتكلمين أحدثوا هذا المعنى للتأويل لزعمهم أن الأخذ بظاهر النصوص يستلزم تشبيه الله بخلقه، ولهذا نفوا صفات الله، ولاشك أن هذا من أبطل الباطل، فإن كل ما وصف الله سبحانه به نفسه وما وصفه به رسولهﷺ يقتضي التنزيه التام عن مشابهة الخلق، كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] وعلى هذا درج سلف الأمة على الإيمان بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسولهﷺ من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولم يخالف في هذا إلا أهل البدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله" ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ....وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله "[2] .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله "هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صحت بها النصوص ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع اتفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله

---

(١) انظر الفصل في الملل (٢/ ٩٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦) .

ليس كمثله شيء"[1] .

ثالثا: أن الأخذ بالتأويل في النصوص الشرعية، عدول بها عن ظاهر اللفظ وحقيقته، وقد اتفق سلف الأمة على أن النصوص الشرعية، إنما تحمل على حقيقتها وظاهرها ولا يعدل عن ذلك إلا بدليل من الكتاب أو السنة . وقد فصلت القول في هذه المسألة .

رابعاً: أن القول بمذهب التأويل، يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف تكلموا بالباطل تصريحا أو ظاهرا، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحا ولا ظاهرا بالحق الذي يجب اعتقاده وهذا يستلزم أمرين:

١ - أن الصحابة والسلف لم يفهموا الحق الذي يجب اعتقاده .

٢ - أنهم علموا الحق وفهموه ولكنهم كتموه ولم يبينوه للأمة، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم[2] .

خامساً: "أن النبي ﷺ تلا هذه الآيات وأخبر بالأخبار وبلغها أصحابه وأمرهم بتبليغها و لم يفسرها، ولا أخبر بتأويلها، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالإجماع، فلو كان لها تأويل لزمه بيانه، ولم يجز له تأخيره؛ ولأنه عليه السلام لما سكت عن ذلك، لزمنا اتباعه في ذلك لأمر الله تعالى إيانا بإتباعه وأخبرنا بأن لنا فيه أسوة حسنة قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولأنه عليه السلام على صراط الله المستقيم فسالك سبيله سالك صراط الله المستقيم لا محالة، فيجب علينا اتباعه والوقوف حيث وقف والسكوت عما عنه سكت لنسلك سبيله، فإنه سبيل الله الذي أمرنا الله باتباعه فقال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[الأنعام: ١٥٣] ونهى عن اتباع ما سواه فقال﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٧٦) .

(٢) انظر القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (ص:٨١) وانظر إيثار الحق لابن الوزير(ص:١٣٠) .

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣] "[١]

سادساً: أن هذا التأويل الذي اصطلحتم عليه لا يخلو "إما أن يكون علمه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وعلماء أصحابه، أو لم يعلموه .

فإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم ؟ وهل يجوز أن يكون قد خبأ عنهم علما وخبأ للمتكلمين لفضل عندهم ؟

وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم؛ ولأن هذا التأويل لا يخلوا من أن يكون داخلا في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به، أو ليس بداخل فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به .

فيقال له: هل كان الله تعالى صادقا في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قبل التأويل أو أنت الصادق في أنه كان ناقصا حتى أكملته أنت ؟ ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين ولم يقبله النبي ﷺ ولا أصحابه وجب أن يكونوا قد أخلوا، ودينهم ناقص، ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم؛ ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين ولم يبلغه النبي ﷺ أمته فقد خانهم وكتم عنهم دينهم ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧] وقوله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ويكون النبي ﷺ ومن شهد له بالبلاغ غير صادق وهذا كفر بالله تعالى ورسوله"[٢]

سابعاً: أن المتأولين لنصوص الكتاب والسنة في أمر مريج، وذلك أنهم يستندون في تأويلهم إلى عقولهم، كما بين ذلك شيخ الإسلام .

قال رحمه الله "المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي (ص: ٤٠) .

(٢) المصدر السابق (ص: ٤١) .

في أمر مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول أن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء، أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال" أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد لجدل هؤلاء"[1] .

ولذلك فهم عاجزون عن تحقيق الفرق بين مايسوغ تأويله ومالا يسوغ فحقيقة أمر هولاء "أن كل طائفة تتأول مايخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على مايتأول ومالا يتأول، هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة، ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم، أو تأولوه ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحدا ولا يرى بالأبصار ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه ولا له صفة تقوم به أولوا كل ما خالف ما أصلوه .

ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد وأن من دخل النار لم يخرج منها أبدا أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة وأنها لا تزيد ولا تنقص أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت الكلابية أن

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨) .

الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته وسموا ذلك حلول الحوادث أولوا كل ما خالف هذا الأصل .

ولما أصلت الجبرية أن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه وأن حركات العباد بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار وأولوا كل ما جاء بخلاف ذلك .

فهذا في الحقيقة هو عيار التأويل عند الفرق كلها حتى المقلدين في الفروع أتباع الأئمة الذين اعتقدوا المذهب، ثم طلبوا الدليل عليه ضابط ما يتأول عندهم وما لا يتأول ما خالف المذهب أو وافقه ومن تأمل مقالات الفرق ومذاهبها رأى ذلك عيانا" (١)

وبهذا يتضح بطلان مذهب المؤولة .

ثانياً: ابطال دعواهم نسبة التأويل إلى الصحابة والأئمة

تقدم نقل ما جاء في بعض كتب علوم القرآن من نسبتهم التأويل إلى الصحابة وأهل السنة.

نقل الزركشي عن الغزالي أن التأويل نقل عن على وابن مسعود وابن عباس، وأن الإمام أحمد نقل عنه التأويل في ثلاثة مواضع، ونقل ذلك عن القاضي أبي يعلى أما السيوطي فقرر أن التأويل قال به أهل السنة ونقل شيء من ذلك .

والزرقاني قرر إن اثبات معاني الصفات والأخذ بظاهر النصوص فيها مذهب المشبهة الظاهرية الضالة.

وسيكون مناقشتهم في أمور:

أولاً: نسبتهم التأويل إلى الصحابة وأهل السنة عموما .

ثانيا: ابطال نسبة التأويل إلى على وابن مسعود وابن عباس والإمام أحمد .

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٣٠)

أولاً: نسبتهم التأويل إلى الصحابة وأهل السنة عموما .

أما نسبتهم التأويل إلى الصحابة وأهل السنة فهذه دعوى، لم يأتوا عليها بدليل يبرهن صدقها ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد تقدم بيان مذهب الصحابة والأئمة من التأويل ونقلت بعضاً من أقوال السلف هناك، والنصوص عنهم متضافرة في هذا الباب، وسأذكر بعضا منها .

وقد روى ابن قدامة المقدسي عن محمد بن الحسن الشيباني(١) أنه قال " اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بها في الكتاب والسنة ثم سكتوا"(٢) .

وقال أبو عبيد بن سلام(٣) رحمه الله بعد ذكره لأحاديث الباب الذي يروى فيه حديث الرؤية والكرسي وموضع القدمين وضحك ربنا "فقال هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه وكيف ضحك قلنا لا يفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره"(٤) .

---

(١) هو محمد بن الحسن، أبو عبدالله الشيباني، صحب أبا حنيفة، وأخذ عنه الفقه، ثم عن أبي يوسف، ناشر علم أبي حنيفة ومن كتبه التي أملاها الجامع الكبير، والجامع الصغير، والسير الصغير والسير الكبير، توفي سنة ١٨٧هـ انظر طبقات الحنفية لإبي الوفاء القرشي (١/ ٥٢٦) و(٢/ ٤٢) وتاج التراجم في طبقات الحنفية لإبي الفداء بن قطلوبغا (ص:٢٣٨) .

(٢) ذم التأويل (ص:١٤- ١٥).

(٣) هو القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة، ومنها غريب الحديث والناسخ والمنسوخ توفي سنة ٢٢٤هـ انظر تهذيب الكمال للمزي (٢٣/ ٣٥٤) ومعرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ١٧٠).

(٤) أخرجه الدارقطني في الصفات (ص:٣٩-٤٠) وابن منده في التوحيد (٣/ ١١٦) واللالكائي في شرح =

وقد حكى ابن قدامة مذهب السلف فقال " ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها"(١) .

وقد حكى إجماع السلف على ترك التأويل ابن قدامة المقدسي في رسالته القيمة "ذم التأويل" ، يقول رحمه الله "الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة،والإجماع حجة قاطعة فإن الله لا يجمع أمة محمد عليه السلام على ضلالة ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت"(٢).

وقد قال شيخ الإسلام "والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصّاً ولا ظاهراً على نفي الصفات الخبرية ...)(٣) .

وقد أمهل شيخ الإسلام المخالفين له ثلاث سنوات في أن يظفروا بتأويل واحد عن السلف يؤيد مايقولون(٤).

ثانياً: إبطال نسبة التأويل إلى علي وابن مسعود، وابن عباس، والإمام أحمد .

أما نسبتهم التأويل إلى على وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم فهذا

= أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٢٦) .

(١) ذم التأويل (ص:١١).

(٢) (ص: ٤٠).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١٠٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ١٥) .

باطل إذ لم يأت ببينة تدل عليه وقد علمنا أن الصحابة اتفقوا على اثبات الصفات من غير تأويل ولا تحريف، وقد ذكر شيخ الإسلام أنه طالع التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه حتى بلغ ما طالعه أكثر من مائة تفسير ولم يجد عن الصحابة تأويل لصفة من الصفات [(١)] .

ولعل سبب نسبتهم التأويل إلى ابن عباس رضي الله عنه ترجع إلى مانقل عنه في تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢] حيث قال عندها " هو يوم حرب وشدة " وقال" هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة"[(٢)] .

وهذا الأثر لم يثبت عن ابن عباس[(٣)]

"ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات، لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولا له ثم يريدون صرفه عنه ويجعلون هذا تأويلا"[(٤)] .

ثم إن أهل السنة الذين أثبتوا الساق لله تعالى لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول **«يَكْشِفُ رَبُّنَا عن سَاقِهِ فَيَسْجُدُ له كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ويبقى كُلُّ من كان يَسْجُدُ في الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»**[(٥)] .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٣٨) .

(٣) انظر في ذلك كتاب المنهل الرقراق في تخريج ماروي عن الصحابة والتابعين في تفسير قوله تعالى" يوم يكشف عن ساق" لسليم الهلالي (ص: ٣٠)

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤) وانظر الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢) .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق، (٤/ ١٣٩٤) برقم(٤٦٣٥) .

أما نسبة التأويل إلى الإمام أحمد فيما نقله الغزالي عن الإمام أحمد فيقول "سمعت الثقات من أئمة الحنابلة يقولون أحمد بن حنبل صرح بتأويل ثلاثة أحاديث: أحدها قولهﷺ " **الحجر الأسود يمين الله في الأرض**"[1].

والثاني: قوله ﷺ " **قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**"[2] والثالث:قولهﷺ " **إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن**"[3] [4].

الجواب على ماذكره الغزالي في هذا النقل من عدة أوجه:

الوجه الأول:أن هذا النقل يخالف النصوص المتواترة عن الإمام أحمد التي تدل على إثباته الصفات، وأن أصله الذي يعتمد عليه هو كتاب الله وسنة رسولهﷺ، فهذا يكون من قبيل المحكم من أقواله، ومن هذه النقول ما قاله حنبل بن إسحاق[5]:سمعت أبا عبد الله يقول "ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عزوجل"[6].

ومن ذلك ما نقله القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد في رواية أبي طالب " ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٣٢٨) من طريق اسحاق بن بشر الكاهلي، عن ابن المنكدر، عن جابر مرفوعا.وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٧٥) "هذا حديث لا يصح واسحاق بن بشر قد كذبه أبو بكر بن أبي شيبة وغيره وقال الدارقطني هو في عداد من يضع الحديث قال وأبو معشر ضعيف" وللحديث شواهد لكنها لا تخلو من مقال وقد ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة برقم(٢٢٣) وضعيف الجامع (٢٧٧١).

(٢) أخرجه بنحوه مسلم، في كتاب القدر، (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند بنحوه (٢/ ٥٤١) برقم(١٠٩٩١) وقال الهيثمي " رجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة" مجمع الزوائد (١٠/ ٥٦) وللحديث شاهد من حديث سلمة بن نفيل وبه صححه الألباني في الصحيحة(٣٣٦٧) .

(٤) فيصل التفرقة (ص:١٨٤-١٨٥) وانظر أحياء علوم الدين(١/ ١٠٣-١٠٤) وقواعد العقائد (ص:١٣٥).

(٥) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو علي، الأمام الحافظ المحدث الصدوق، المصنف، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه، له مسائل كثيرة عن الإمام أحمد، ويتفرد ويغرب، توفي سنة ٢٧٣هـ انظر الجرح والتعديل (٣/ ٣٢٠) وطبقات الحنابلة (١/ ١٤٣- ١٤٥) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٠- ٦٠١).

(٦) (ذكر محنة الإمام أحمد) لحنبل بن اسحاق (ص:٦٨) .

﴿وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] فمن قال: إن الله لا يرى فقد كفر".

وعلق القاضي على هذا النقل " وظاهر هذا أن أحمد أثبت مجيء ذاته؛ لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته، وإنما احتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والمجيء مضافاً إلى الذات"(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله " ومن زعم أن يداه نعمتاه كيف يصنع بقوله: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥] مشدده "(٢).

وسئل الإمام أحمد عن هذه الأحاديث التي تروى أن الله تبارك وتعالى يرىُ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يضع قدمه، وما أشبه ذلك فقال أبو عبد الله رضي الله عنه:نؤمن بها، ونصدق بها ولا نرد منها شيئا، إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على الرسولﷺ قوله ونعلم أن ما جاء به الرسولﷺ حق، ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت..."(٣).

الوجه الثاني: أن هذه الرواية غير ثابتة عن الإمام أحمد بل هي مكذوبة عليه، ولا يصح أن تنسب إليه؛ فإنها لم تنقل بالإسناد عن أحد ولا يعرف عن أحد من أصحابه نقل ذلك عنه يقول شيخ الإسلام رحمه عن هذه الرواية " فهذه الحكاية كذب على أحمد،لم ينقلها أحد عنه بإسناد، ولا يعرف أحد من أصحابة نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول،لا علمه بما قال، ولا صدقه فيما قال "(٤)

---

(١) ابطال التأويلات (١/ ١٣٢) .

(٢) المصدر السابق (١/ ١٦٩) وانظر براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة، د. عبدالعزيز الحميدي.

(٣) تحريم النظر في كتب أهل الكلام (ص:٣٨-٣٩) لابن قدامة .

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٨) .

الوجه الثالث: مما يبرهن على عدم صحة النقل النظر في حال الناقل، فإن الناقل قليل المعرفة بعلم الحديث، وليس له خبرة في تمييز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، ولهذا كتبه مليئة بالأحاديث المكذوبة الموضوعة [١]، وقد شهد على نفسه بذلك حيث قال " وبضاعتي في علم الحديث مزجاة"[٢] فكيف يقبل منه ما به خالف النصوص المتواترة عن الإمام أحمد والحال هذه ؟

الوجه الرابع: أن هذه الأحاديث المذكورة لا حجة لهم فيها، فإن معناها ظاهر ولا تحتاج إلى تأويل .

فأما حديث " الحجر الأسود يمين الله في الأرض " هذا اللفظ ظاهر لمن تأمله ودقق النظر فيه ، وذلك بالنظر إلى سياق الجملة ودلالات الألفاظ، فقوله" الحجر الأسود يمين الله في الأرض" جملة مقيدة،فإنه لم يطلق فيقول يمين الله بل قيده بالارض وحكم اللفظ المطلق يخالف حكم اللفظ المقيد كما هو معروف .

ثم قال " فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " فشبه المصافح للحجر بمن يصافح الله، يدل لذلك استخدامه كلمة" فكأنما " وهي صريحة في التشبيه، والتشبيه ليس هو المشبه به كما لا يخفى، وهذا صريح في أن المصافح للحجر لم يصافح يمين الله، فإذاً أول الحديث وآخره يدل على أن الحجر ليس من صفات الله .
وبهذا يزول الإشكال الذي جعلهم يضطرون إلى تأويل النص .[٣]

أما حديث **" قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن "** فهذا الحديث على ظاهره، وقد أثبت أهل السنة الأصابع لله حقيقية، ولا يلزم من كون قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، أن تكون الأصابع متصلة بالقلب، أو أنها في جوفه أو مماس لها فهذا السحاب قد أخبر الله أنه بين السماء والأرض فهل يلزم من ذلك

---

(١) انظر درء التعارض (٧/ ١٤٩) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٥٣٧).

(٢) قانون التأويل (ص: ١٦).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣/ ٤٤)، (٦/ ٣٩٧-٣٩٨، ٥٨٠-٥٨١) وانظر درء التعارض (٥/ ٢٣٩) .

المماسة بينهما .

ويقال: القصيم بين الرياض والمدينة مع تباعد ما بينهما ولا يلزم من ذلك المماسة، ويقال لأمر ما هذا بين يدي، ولا يقتضي ذلك مباشرته باليد فقلوب العباد كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ولا يلزم من ذلك المماسة والالتصاق[1].

وأما حديث " أجد نفس الرحمن من قبل اليمن " فهو على ظاهره ولا يحتاج إلى تأويل فإن قوله "نفس الرحمن" المراد به هو التنفيس، وذلك أن النفس هنا "اسمٌ وُضِع موضعَ المصدرَ الحقيقيّ، من نفَّس يُنفِّس تَنفيساً ونَفَساً، كما يقال: فرَّج الهمَّ عنه تفريجاً وفرجاً فالتفريجُ مصدرٌ حقيقيّ، والفَرَج اسمٌ وُضع موضعَ المصدَر، كأنه قال: أجدُ تَنفيسَ ربِّكم عنكم من جهة اليَمن، لأن الله جل وعز نصرَهم بهم وأيَّدهم برجالِهم"[2] .

وقوله "من اليمن" يبين المقصود بالحديث فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه.

وقد جاء في الحديث الصحيح " أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية"[3] .

وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات .[4]

وبهذا يظهر أن هذه الأحاديث ظاهرة بينة لا تحتاج إلى تأويل، وعليه فزعمهم أن الإمام أحمد أول في هذه الأحاديث قول باطل .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٣/ ٤٥) وانظر القواعد المثلى (ص:٩٩).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري(١٣/ ٩) وانظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٦٠) وانظر النهاية في غريب الحديث (٥/ ٩٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٤/ ١٥٩٤) برقم (٤١٢٧) ومسلم في صحيحة (١/ ٧٣) برقم (٥٢) .

(٤) انظر ابطال التأويلات (١/ ٢٥٢-٢٥٣) و مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٨) .

أما قول ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى فقال " في قوله تعالى ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال المراد به قدرته وأمره قال وقد بينه في قوله تعالى ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾[النحل: ٣٣] "[١] .

لاشك أن هذا النقل عن الإمام أحمد يخالف الأصل الذي عليه كان رحمه الله من اثبات صفات الله، على وفق ماجاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ كما هو معروف عنه، والنقول عنه في هذا الأصل كثيره ، وسبق نقل شيء من هذا .

والجواب عن هذا النقل من وجهين:

١. قال بعضهم أن حنبلاً غلط في نقل الرواية، وحنبل له مفاريد معروفه يخالف بها الجمهور ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة،ولذلك خطأه أبو اسحاق بن شاقلا[٢] بقوله" هذا غلط من حنبل لاشك فيه"[٣].

٢. وقال قوم منهم: إنما قال ذلك ليلزم المنازعين له، فإنهم يقولون في قوله تعالى ﴿ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي أمره وقدرته، فأراد أن يلزمهم بتفسير مجيء البقرة وآل عمران بمجيء ثوابهما على غرار تأويلهم إتيان الله بأمره وقدرته، فكأنه يقول إذا فسرتم إتيان الله بأمره وقدرته يلزمكم أن تفسروا مجيء البقرة وآل عمران بمجيء ثوابهما وإلا تناقضتم .[٤]

وبهذا يتضح بطلان مانسب إلى الإمام أحمد من التأويل والله أعلم .

---

(١) زاد المسير (١/ ٢٢٥) .

(٢) إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البزاز، شيخ الحنابلة، أبو اسحاق، كان رأسا في الأصول والفروع، جليل القدر كثير الرواية توفي سنة٣٦٩هـ . انظر طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨– ١٣٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢) .

(٣) ابطال التأويلات١/ ١٣٢) وانظر مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٩) و(١٦/ ٤٠٥)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٠) و (١٦/ ٤٠٥– ٤٠٦) وانظر موقف المتكلمين للغصن(١/ ٥١٧)

المبحث الثاني:
التفويـــــــض:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التفويض.

المطلب الثاني: التفويض في كتب علوم القرآن.

المطلب الأول: معنى التفويض .

قال الفراهيدي في معنى التفويض " فوضت إليه الأمر أي جعلته إليه .

وقال الله جل وعز ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر: ٤٤]، أي أتكل عليه. وصار الناس فوضى أي متفرقين وهو جماعة الفائض ولا يفرد كما لا يفرد الواحد من المتفرقين ويقال الوحش فوضى أي متفرقة مترددة"(١) .

وقال ابن فارس "فوض" الفاء والواو والضاد، أصل صحيح، يدل على اتكال في الأمر على آخر ورده عليه، ثم يفرع فيرد إليه ما يشبهه من ذلك، فوض إليه أمره إذا رده قال الله تعالى في قصة من قال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[غافر: ٤٤] .

ومن ذلك قولهم: باتوا فوضى أي مختلطين ومعناه: أن كلا فوض أمره إلى الآخر قال:

طعامهم فوضى فضا في رحالهم ولا يحسنون السر إلا تناديا

ويقال مالهم فوضى بينهم، إذا لم يخالف أحدهم الآخر .

وتفاوض الشريكان في المال إذا اشتركا ففوض كل أمره إلى صاحبه هذا راض بما صنع ذاك وذاك راض بما صنع هذا مما أجازته الشريعة "(٢)

وفوض الأمر إليه : صيره إليه، ورده إليه وجعله الحاكم فيه،، وفي حديث البراء لما علم النبي ﷺ الدعاء الذي يقوله عند النوم وفيه " **وفوضت أمري إليك**"(٣).

وقوم فوضى بوزن سكرى أي متساوون لا رئيس لهم، و تفاوض الشريكان

---

(١) العين (٧/ ٦٤- ٦٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٩٧) برقم (٢٤٤) ومسلم (٤/ ٢٠٨٢) برقم (٢٧١٠) .

في المال، اشتركا فيه أجمع وهي شركة المفاوضة، وفاوضه في أمره، أي جاراه و تفاوض القوم في الأمر أي فاوض بعضهم بعضا، و التفويض في النكاح التزويج بلا مهر.[1]

ويظهر من كلام أهل اللغة أن معنى التفويض، من فوض يفوض تفويضاً إذا رده إليه واتكل عليه، وأرجعه إليه في الحكم فيه، كما يقال فوضت أمر البيع إليك يافلان إذا اعتمدت عليك واتكلت عليه في تنفيذه .

* * *

(١) انظر تهذيب اللغة (١٢/ ٥٦) والمحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن المرسي (٨/ ٢٥١) ولسان العرب (٧/ ٢١٠) ومختار الصحاح للرازي (ص: ٢١٥)

المطلب الثاني: التفويض في كتب علوم القرآن .

إن من الركائز التي ارتكز عليها أهل البدع تجاه نظرتهم للنصوص، تفويض معاني النصوص الشرعية، ورد علمها إلى الله، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهولاء أصحاب التجهيل الذين يقولون إن نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ماأراد الله ورسوله منها .

ولا نفسرها بل نكل علمها إلى الله .

يقول ابن القيم في وصف هذه الطائفة، بعدما ذكر أقسام الطوائف تجاه نظرتهم للنصوص .

قال رحمه الله "والصنف الثالث: أصناف التجهيل الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لاتعقل معانيها، ولا ندري ماأراد الله ورسولهﷺ منها، ولكن نقرأ ألفاظاً لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلاً لايعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم: ١]، و ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢﴾ [الشورى: ١ – ٢]، ﴿الٓمٓصٓ ١﴾ [الأعراف: ١]، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله "(١) .

يقول قائلهم:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها(٢)

والعجيب أنهم ينسبونه إلى السلف، زوراً وبهتاناً.

وقد نقل هذا في كثير من الكتب، في القديم والحديث، وأن مذهب السلف هو

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٢) .

(٢) وهو إبراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد مع شرحها تحفة المريد (ص:٢١٤) .

التفويض[1] ويستدلون على ذلك بأقوال السلف، وإن من هذه الكتب التي نسبت إلى السلف مذهب التفويض ما ذكره الزركشي والسيوطي في كتب علوم القرآن، وتبعهم على ذلك الزرقاني كما سيأتي:

يقول الزركشي " بعدما ذكر الاختلاف في نصوص الصفات وموقف الناس منها قال رحمه الله " والثاني أن لها تأويلا ولكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ونقول لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف" ثم علق على القولين قول التأويل، وقول الإمساك الذي هو التفويض بقوله : " والأول باطل والأخيران منقولان عن الصحابة فنقل الإمساك عن أم سلمه أنها سئلت عن الاستواء فقالت الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة..."[2] وسبق نقل هذا الكلام .

وقال السيوطي "وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها[3]" .

ثم ذكر آثار السلف الدالة على ذلك، وذكر أن التأويل مذهب الخلف، وأن إمام الحرمين قد رجع عنه إلى مذهب السلف.[4]

قال الزرقاني في متشابه الصفات في اختلاف العلماء بعدما حكى اتفاقهم على ثلاثة أمور:

فقال رحمه الله "وأما اختلاف العلماء فيما وراء ذلك فقد وقع على ثلاثة مذاهب:

---

(١) انظر كتاب مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات لأحمد القاضي (ص:١٥٨)

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥١).

(٣) الاتقان (٢/ ١٠).

(٤) المصدر السابق .

المـذهب الأول: مـذهب السـلف ويسـمى مـذهب المفوضـة بـكسر الـواو وتشديدها وهو تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة ..."[1] ثم ذكر الأدلة علي ذلك .

ولقد بنى أصحاب المذهب، مذهبهم على أصلين:

الأول: أن هذه النصوص من المتشابه .

الثاني: أن للمتشابه تأويلاً لايعلمه إلا الله، وقد سبق تفصيل الكلام على المتشابه، وفصلت الأدلة على أن صفات الله ليست من المتشابه، وأنها معلومة المعنى، وذكرت آثار السلف الدالة على ذلك.

وقد أفردت مبحثاً في مسألة هل في القرآن شيء لا تعلم الأمة معناه ؟

وذكرت الأدلة على أن كل ما في القرآن يجب أن يكون معلوما، وبهذا يظهر بطلان مذهب المفوضة .

أما نسبتهم التفويض إلى السلف فلاشك أن السلف بعيدون كل البعد عن مذهب أهل التفويض، وذلك؛ لأن السلف يفوضون كيفية صفات الله، ولا يفوضون معناها، إذ معاني الصفات معلومة المعنى، فهي باعتبار معلومة المعنى، وباعتبار آخر مجهولة الكيف، والأدلة على هذا كثيرة .

أما أهل التفويض فإنهم يفوضون العلم بالمعنى والكيف، فيقرأون قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥] وقوله تعالى ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولا يعرفون معنى ذلك، ولاما أريد به، وقد تواتر النقل عن السلف في أن تفويضهم إنما هو للكيف لا للمعنى،كما قال الإمام مالك رحمه الله " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة " .

وهذا صريح في اثبات المعنى، والذي جرهم إلى الوقوع في هذه النسبة الباطلة

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٦) و(٢/ ٢٢٩- ٢٣١).

ظنهم أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم "﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة: ٧٨] بخلاف طريقة الخلف فإنها تقوم على استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا هو الذي أوقع الخطأ في نسبة التفويض إلى السلف، وقد كذبوا على السلف .[١]

وهذا القول يلزم منه لوازم باطلة، ومن أعظم هذه اللوازم الباطلة:

١ - القدح في القرآن والأنبياء وذلك؛ لأن الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر الرب عن صفاته، لا يعلم أحد معناه .[٢]

٢ - ومن هذه اللوازم الباطلة، تجهيل الصحابة والتابعين ومن تبعهم، وأنهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون من الكتاب إلا القراءة بدون الفهم والعقل .[٣]

ولا شك أن هذا من أبطل الباطل، إذ الصحابة والتابعون قد فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون إن العلماء يعلمون تفسيره، وما أريد به .

يقول مجاهد " عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها "[٤] .

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه " مافي كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيم أنزلت"[٥] ونحو ذلك من الآثار عن السلف التي تدل على معرفة السلف بمعاني

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٩- ١٠)

(٢) انظر درء التعارض (١/ ٢٠٤)

(٣) انظر الحموية (ص: ٢٠٤)

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٦٢).

(٥) تقدم تخريجه (ص: ٦٢).

القرآن.

قال ابن القيم في ذكره مقامات من يعارض الوحي بعقله: " المقام الرابع: مقام اللا أدرية: الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ وينسبون طريقتهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون إنها أسلم ويحتجون بقوله تعالى﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ويقولون هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف ... وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا أصحابه، ولا التابعون لهم بإحسان، بل يقرءون كلاما لا يعقلون معناه، ثم هم متناقضون أفحش تناقض، فإنهم يقولون تجرى على ظاهرها وتأويلها باطل ثم يقولون لها تأويل لايعلمه إلا الله، وقول هؤلاء باطل؛ فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله، وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور، وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولاهدى و لا شفاء ولابيان "[1] .

وقد فصلت القول في المحكم والمتشابه، وأوردت الأدلة الدالة على أن صفات الله معلومة معناها مستشهدا بآثار السلف، ولذلك لن أطيل في ذكر الأدلة على بطلان مذهبهم .

أما الجواب عن أدلتهم:

من الأدلة التي يستدلون بها على التفويض، عبارات بعض السلف، ومن ذلك أثر الإمام مالك، وفي الجواب عن ذلك، يقال: أما استدلالهم بما أثر عن الإمام مالك فالجواب عنه، أن قول الإمام مالك صريح في إثبات معاني الصفات ، وهذا الأثر يسقط دعواهم من أصلها إذ كلامه واضح بين ظاهر في إثبات المعنى وذلك لما

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٣٠٤- ٣٠٧) وانظر درء التعارض (١/ ٢٠١).

قال " والاستواء معلوم " وأصبح هذا الأثر هو قاعدة أهل السنة في إثبات الصفات، واثبات معانيها التي جاءت بها.

أما استدلالهم بما أثر عن السلف من قولهم " أمروها كما جاءت " كما نقل ذلك السيوطي[1].

وأن المقصود بها إجراءها على ظاهرها من غير تعرض لتأويلها عن ظاهرها،فالجواب عنه من وجوه:

١- أن قولهم " أمروها كما جاءت " مقصدهم منها الرد على المعطلة .

وقولهم " بلا كيف " أرادوا بها الرد على الممثلة. [2]

٢- ولأنه لو كان مراد القوم اللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بجلالة لمّا قالوا " أمروها كما جاءت بلا كيف " لما نفى علم الكيفية، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية، إذا أثبت الصفات فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول بلا كيف .[3]

٣- وقولهم " أمروها كما جاءت " يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية، لكان الواجب أن يقال أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت.[4]

قال ابن القيم رحمه الله "ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير، نفي الحقيقة وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى

---

(١) انظر الإتقان (٤ / ١٣٥٦).

(٢) انظر الحموية لشيخ الاسلام (ص: ٣٠٤).

(٣) انظر الحموية لشيخ الاسلام (ص:٣٠٩).

(٤) انظر الحموية لشيخ الاسلام (ص: ٣١٠).

عن صفته التي أثبتها لنفسه .

وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردا عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه"[(١)].

أما استدلالهم بما أثر عن السلف من لفظة "من غير تفسير" فمقصودهم بها، تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات .، وذلك أنهم يفسرونها بتفسيرات باطلة من تلقاء أنفسهم،ليصرفوها عن عما جاءت به المعاني التي بزعمهم يرونها دالة على التشبيه.[(٢)]

وقد يريدون بهذه العبارة نفي تفسير الكيفية، وذلك أن صفات الله معلومة المعنى، أما معرفة كنه صفات الله فلا نحيط علما بذلك، وهذا مما لم يخبرنا الله به، ولهذا نفوا السلف عن تفسير الكيفية والسؤال عنها ويدل لذلك ما جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام " بعد ذكره لأحاديث الصفات كحديث الرؤية، وأن الله يضع قدمه في جهنم قال " هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لاشك فيها، ولكن إذا قيل كيف وضع قدمه ؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدا يفسره "[(٣)] .

وبهذا يعلم أن نسبة التفويض إلى السلف قول ليس له حظ من النظر، وقد تقدم نقل نصوص عن السلف صريحة في اثبات معاني الصفات .

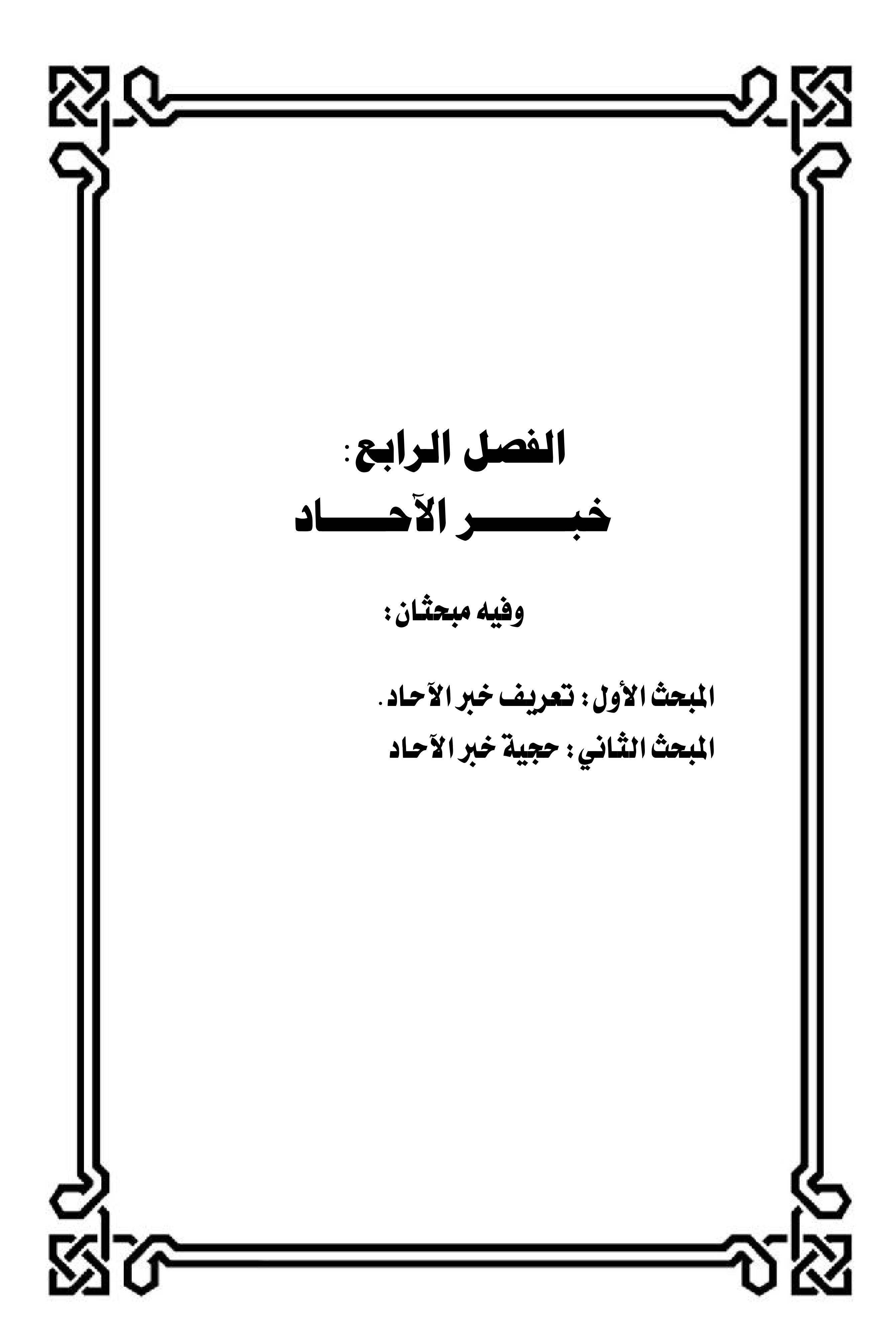
❊ ❊ ❊

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص:١٢٢)

(٢) انظر الحموية (ص: ٣٣٣)

(٣) تقدم تخريجه (ص: ١٥٦)، وانظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٢/ ٨٩١)



الفصل الرابع:
خبـــــــر الآحـــــاد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف خبر الآحاد.

المبحث الثاني: حجية خبر الآحاد

المبحث الأول: تعريف خبر الآحاد

قسم علماء الحديث الخبر باعتبار وصوله إلينا إلى قسمين:

١- متواتر ٢- وآحاد

والمتواتر: قال الخطيب البغدادي[١] في تعريفه" ما خبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدا يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة، أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وأن ما خبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم، فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقة وأوجب وقوع العلم ضرورة"[٢] .

وقيل: الخبر الذي ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة عن مثلهم من أوله إلى منتهاه "[٣].

وعرف " بأنه ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب عن مثلهم ويستوي طرفاه والوسط ويخبرون عن حسي لا مظنون"[٤].

ولا مشاحة في هذه التعريفات .

وأما الآحاد: ما قصر عن صفة التواتر، أو ما لم يجمع شروط التواتر[٥] .

---

(١) هو أحمد بن على بن ثابت بن مهدي، الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث، له أكثر من ستين مصنفاً، ومنها تاريخ بغداد، والفقيه والمتفقه، توفي سنة ٤٦٣) انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠) وطبقات الشافعية (١/ ٢٤٠) .

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص: ١٦).

(٣) انظر علوم الحديث لابن الصلاح (ص:٢٦٧) ، وانظر تقريب النووي مع تدريب الراوي (٢/ ٦٢٧) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٣١) ، وانظر نزهة النظر لابن حجر(ص:٣٧).

(٥) انظر الكفاية في علم الرواية (ص: ١٦) وانظر شرح النووي على مسلم (١/ ١٣١) وانظر المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لابن جماعة (ص: ٣٢) وانظر نزهة النظر (ص: ٥٥).

وهو على أنواع بالنظر لعدد طرقه، فمنه المشهور والعزيز والغريب .

وخبر الآحاد ينقسم إلى قسمين، فمنه المقبول ومنه المردود، كما هو مبسوط في موضعه في كتب المصطلح[1] .

❊ ❊ ❊

(١) انظر نزهة النظر (ص: ٤٩ -٥٥) .

المبحث الثاني: حجية خبر الآحاد

يرى الزرقاني في كتابه مناهل العرفان أن خبر الآحاد لا يؤخذ به إذا عارض القاطع، ولا يؤخذ به في أمور العقائد .

يقول عفا الله عنه " أن خبر الآحاد إذا عارض القاطع سقط عن درجة الاعتبار وضرب به عرض الحائط مهما تكن درجة إسناده من الصحة"(١) .

ويقول بعد كلام سابق "تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات، ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ولا برواية الآحاد بل لا بد من دليل قاطع فيها، كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة، وأهوال القيامة وأحوال الآخرة تذكر على أنها اعتقادات في الإسلام"(٢) .

والقول بأن أخبار الآحاد لا يحتج بها في العقائد قول المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة المتأخرين ونحوهم .

يقول عبد الجبار المعتزلي " فأما قبوله – يعني خبر الآحاد– فيما طريقه الاعتقادات فلا"(٣).

ويقول إمام الحرمين الجويني " ... وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً ...."(٤) .

ويقول الرازي " أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز يدل

---

(١) (١/ ٣٢٥) .

(٢) (٢/ ٢١) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص: ٧٦٩).

(٤) الإرشاد للجويني (ص:١٦١) .

عليه وجوه" ثم ذكر خمسة أوجه تؤيد هذه الدعوى [1] .

وأصل الشبهة عند من يرى عدم الاحتجاج بخبر الآحاد أنه يفيد الظن،والمطلوب في باب الاعتقاد القطع لا الظن، لذلك منعوا الاستدلال بخبر الآحاد في باب الاعتقاد وجوزوه في الأحكام .

وقد أشار إلى هذه العلة الزرقاني كما تقدم في النقل السابق وهو إنما حذا حذو من سبقه.

يقول الرازي: مبيناً سبب ترك العمل بخبر الآحاد: " الوجه الأول أن أخبار الآحاد مظنونة فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته وإنما قلنا إنها مظنونة وذلك لأنا أجمعنا على أن الرواة ليسوا معصومين..."[2] .

وهم لما أدخلوا المنهج العقلي في تقرير عقائدهم ضلوا في هذا الباب فقالت "الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة.... المتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، قالوا والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها ولا من جهة متنها، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية.... ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية، ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السلمية"[3] .

وهذه سيما أهل البدع، فإنهم يعرضون النصوص على بدعهم، وما ظنوه

---

(١) أساس التقديس (ص: ١٢٧) وانظر معالم أصول الدين للرازي (ص:٤٦) .

(٢) أساس التقديس (ص:٢٧) وانظر المحصول في علم الأصول (١/ ٢٨٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٤٩٨) ؟

معقولاً، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفه ردوه، وتفننوا في رده إما بتأويله، وإما بتفويضه، وإما بالقول بأنها أخبار آحاد، وهكذا . ولذلك فهم مختلفون في تقرير عقائدهم مع اتحاد مشاربهم ومسالكهم .

أما أهل السنة فإنهم لا يعدلون عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول ولا بقول فلان، كما قال الله سبحانه في وصف المؤمنين ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٣٦]، ولذلك فهم متفقون في تقرير عقائدهم مع بعد ما بينهم في الزمان والمكان، وسر هذا تمسكهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على الأخذ بأخبار الآحاد، والعمل بها، وعدم التفريق بين مسائل الاعتقاد وغيرها، وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم . وسيأتي نقل ذلك.

أما قولهم: بإن خبر الواحد يفيد الظن بإطلاق لا يسلم لهم .

وقد اختلف أهل العلم في خبر الآحاد هل هو يفيد العلم مطلقاً، أو بالقرائن، أو يفيد الظن مطلقاً .؟ [(١)] .

والذي يظهر من هذه الأقوال أنه يفيد العلم بالقرائن، وهو مذهب عامة الفقهاء وعامة المتكلمين[(٢)] وقد اختار هذا القول جمع من أهل العلم[(٣)].

---

(١) انظر الفصول في الأصول للجصاص (١/ ١٧٤، ٤١٨)، وأصول البزدوي (ص: ١٥٢- ١٥٤) والمعتمد في أصول الفقه لإبي الحسين البصري (٢/ ٩٢- ٩٣) والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١١٢)، والتبصرة في أصول الفقه (ص: ٢٩٨) واللمع في أصول الفقه كلاهما للشيرازي، والبرهان في أصول الفقه للجويني (١/ ٣٩٢)، وقواطع الأدلة في الأصول للسمعاني (١/ ٣٣٣) وروضة الناظر لابن قدامة (١/ ٣٦٢) ، الإحكام للآمدي (٢/ ٤٨) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٥٧).

(٣) منهم الرازي الجصاص في الفصول في الأصول (١/ ٤١٨) وابن قدامة في الروضة (١/ ٣٦٥) والآمدي في الإحكام (٢/ ٤٨) .

يقول أبو المظفر السمعاني " إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول"[١] .

وقد نصر هذا القول شيخ الإسلام يقول " جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به، أنه يوجب العلم وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين، اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك ولكن كثيرا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك وهو قول أكثر الأشعرية..."[٢].

وقال ابن رجب[٣] رحمه الله" خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن؛ فنداء صحابي في الطرق والأسواق بحيث يسمعه المسلمون كلهم بالمدينة ورسول الله ﷺ بها موجود لا يتداخل من سمعه شك فيه أنه صادق فيما يقوله وينادي به"[٤].

ولقد بين أهل العلم القرائن التي ترقي بالحديث إلى العلم .

يقول شيخ الإسلام في بيان بعض هذه القرائن " الصحيح أن خبر الواحد قد

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ٣٤-٣٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥١) .

(٣) هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، أبو الفرج زين الدين، حنبلي، من مصنفاته فتح الباري، وجامع العلوم والحكم، شرح علل الترمذي، توفي سنة ٧٩٥هـ انظر الدرر الكامنة (٣/ ١٠٨) .

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٧٤) .

يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم .

وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث، وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتر، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علما قطعيا أن النبي قاله تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقى الأمة له بالقبول، وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالأسفرائينى وابن فورك، فإنه وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن، لكن لما ا قترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق، كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم، مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد، فإن ذلك الحكم يصير قطعيا عند الجمهور وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي؛ لأن الإجماع معصوم، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم"[(١)]

ويقول ابن حجر في ذكر القرائن " والخبرُ المُحْتَفُّ بالقرائن أنواعٌ:

أ - منها: ما أخرجه الشيخانِ في صحيحيهما، مما لم يبلغ التواتر، فإنه احتفَّتْ به قرائنُ، منها:

- جلالتهما في هذا الشأن.

- وتقدُّمهما في تمييز الصحيح على غيرهما.

- وتلقِّي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقِّي وحده أقوى في إفادة العِلْم مِن مجردِ كثرةِ الطرق القاصرة عن التواتر إلا أنّ هذا:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٠-٤١).

١- يختصُّ بها لم ينتقدْه أحدٌ من الحفّاظ مما في الكتابين .
٢- وبها لم يقع التّخالُفُ بين مدلوليه مما وقع في الكتابين، حيث لا ترجيح؛ لاستحالةِ أن يفيد المتناقِضَان العلمَ بصدقهما من غير ترجيحٍ لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصلٌ على تسليم صحته .

ب _ ومنها المشهور إذا كانت له طرقٌ متباينةٌ سالمةٌ مِن ضعف الرواة والعلل،....

ج _ ومنها: المسَلْسَلُ بالأئمةِ الحفاظِ المتقنين، حيث لا يكونُ غريباً، كالحديث الذي يرويه أحمدُ بن حنبل، مثلاً، ويشاركه فيه غيره عن الشافعي، ويشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس، فإنه يفيد العلمَ عند سامعِهِ بالاستدلال مِن جهةِ جَلالةِ رواتِهِ، وأنَّ فيهم مِن الصفاتِ اللائقةِ الموجِبةِ للقبولِ ما يقوم مقام العدد الكثير مِن غيرهم، ولا يتشكك مَنْ له أدنى ممارسةٍ بالعلم وأخبار الناس أنّ مالكاً، مثلاً، لو شافهه بخبرٍ أنه صادقٌ فيه، فإذا انضاف إليه مَن هو في تلك الدرجة ازداد قوةً، وبَعُدَ ما يُخْشَى عليه مِن السهو.."[1]

ومسألة خبر الآحاد وحجيته قد تكلم عنها أهل العلم قديما، وحديثاً[2] ومن أوائل من تكلم عنها الإمام الشافعي رحمه الله في رسالته، فقد عقد فصلاً في إيراد الأدلة في تثبيت خبر الواحد.

وقد عقد البخاري باباً في خبر الآحاد، وأورد فيه عشرين حديثاً يدل على قبول خبر الآحاد.

---

(١) نزهة النظر (ص: ٦٠-٦٣) .

(٢) ومنها، وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، والحديث حجة بنفسه كلاهما للشيخ الألباني،وأخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبد الله الجبرين، حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد الأمين الحاج محمد، وحجية خبر الآحاد في الأحكام والعقائد د.محمد عويضة، والأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد سليم الهلالي، وغيرها .

وقد عد الشاطبي رحمه الله من البدع الحقيقية انكار أخبار الآحاد[1] .

وقد صدق رحمه الله، فإن الصحابة والسلف الصالح لم يكن أحد منهم يرد الأحاديث بحجة أنها أخبار آحاد بل كان يشتد نكيرهم على من يرد أو يعترض على حديث رسول الله ﷺ بأي اعتراض والنصوص عنهم مستفيضة معروفة .

فالمقصود أن الصحابة " كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول ﷺ خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر ... ولم يكن أحد من الصحابة ولا أهل الإسلام بعدهم يشكون فيما يخبر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول ﷺ ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأبو ذر.. ولم يقل أحد منهم يوماً من الدهر: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم، وكان حديث رسول ﷺ أجل في صدورهم من أن يقابل بذلك، وكان المخبر لهم أجل في أعينهم وأصدق عندهم من أن يقولوا له مثل ذلك"[2]

أدلة أهل السنة على قبول أخبار الآحاد كثيرة :

١- قوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢] وقد أورد الإمام البخاري في صحيحه هذه الآية تحت كتاب أخبار الآحاد، وقال عندها" ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى "﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [الحجرات: ٩] فلوا اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية "[3].

وجه الدلالة: أن الله عد واعتبر إنذار الطائفة، والطائفة تطلق على الرجل الواحد، فلو نفر رجل واحد من طائفة وتفقه في الدين ورجع إلى قومه فبلغهم رسالة ربهم

---

(١) انظر الاعتصام (١/ ١٧١) .

(٢) مختصر الصواعق (٤/ ١٤٦٩- ١٤٧٠) .

(٣) (٦/ ٢٦٤٧) .

كان عليهم أن يقبلوا خبره .[1]

٢- قوله تعالى" ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه علق قبول خبر الفاسق على التثبت، فدل على أن خبر الواحد العدل يقبل خبره جزما بلا تثبت .[2]

٣- قولـه تعـالى:" ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه أمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهـم أهـل العلـم، وأطلق فلم يقيدهم بعدد، فلو سأل واحداً لكان كافياً .[3]

أما من السنة فالأحاديث كثيرة في قبول الصحابة لأخبار الآحاد وسأورد بعضاً منها

١- عن زَيْدِ بن ثَابِتٍ قال سمعت رَسُولَ اللهَّ ﷺ يقـول: «**نَضَّرَ الله امْـرَأً سـمع مِنَّـا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حتى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ منه وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ ليس بِفَقِيهٍ**»[4].

وهذا الحديث قد احتج به الإمام الشافعي وبين وجه الدلالة فيه بقوله: " فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأ، يؤديها والامرء واحـد، دل على انه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يـؤدي عنه حلال وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا"[5].

٢- عن عبد اللهَّ بن عُمَرَ قال بَيْنَا الناس بِقُبَاءٍ في صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فقـال

---

(١) انظر الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٤) وانظر مختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٧- ١٥٣٨).

(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٨٤- ٢٨٨) ومختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٥) .

(٣) انظر مختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٨- ١٥٣٩) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٣٢٢) برقم (٣٦٦٠) والترمذي في جامعه بنحوه (٥/ ٣٤) بـرقم (٢٦٥٧) وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٤) .

(٥) الرسالة (ص: ٤٠٢) وانظر مختصر الصواعق (٤/ ١٥٤٧- ١٥٤٩) .

إِنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قد أُنْزِلَ عليه اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وقد أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إلى الشام فَاسْتَدَارُوا إلى الْكَعْبَةِ"(١) .

وجه الدلالة: قال الإمام الشافعي "وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالا، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله في القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة ولم يلقوا رسول الله، ولم يسمعوا ما أنزل الله عليه في تحويل القبلة، فيكونون مستقبلين بكتاب الله وسنة نبيه سماعا من رسول الله ولا بخبر عامة وانتقلوا بخبر واحد إذا كان عندهم من أهل الصدق عن فرض كان عليهم فتركوه إلى ما أخبرهم عن النبي انه حدث عليهم من تحويل القبلة، ولم يكونوا ليفعلوه إن شاء الله بخبر إلا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله إذا كان من أهل الصدق..."(٢).

ومنها أن النبي ﷺ كان يرسل الرسل آحاداً ليبلغوا هذا الدين، فتقوم الحجة على من بلغه، ولولم تقم الحجة ببلاغهم لما أرسلهم، وكان يفرق العمال إلى عشائرهم ويأمرهم بأوامر قبلوها منهم وانتهوا إليه، وعملوا بها لعلمهم بحقيقة ذلك، ومن ذلك بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن(٣)، وبعث علياً رضي الله عنه(٤) والشواهد كثيرة في هذا(٥) .

وأما إجماع أهل العلم فقد حكي الإجماع على ذلك

يقول الإمام الشافعي بعد إيراده جملة من الأحاديث الدالة على قبول خبر الآحاد .

---

(١) أخرجه البخاري، باب ماجاء في إجازة خبر الواحد، (٦/ ٢٦٤٨) برقم (٦٨٢٤) .

(٢) الرسالة (٤٠٦- ٤٠٧) وانظر الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٦) ومختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٤-١٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٨٠) برقم (٤٠٩٠) ومسلم في صحيحه (١/ ٥١) برقم (١٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٧٧) برقم (٢٧٨٣) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٢) برقم (٢٤٠٦) .

(٥) انظر الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٨) ومختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٩) .

قال رحمه الله "ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل، وكذلك حكي لنا عمن حكي لنا عنه من أهل العلم بالبلدان..." .

ثم ذكر أمثلة على قبول الصحابة والتابعين لأخبار الآحاد .

ثم قال بعد ذلك " ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة أجمع المسلمون قديما وحديثا على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جاز لي، ولكن أقول لم أحفظ عن فقهاء المسلمين اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت من أن ذلك موجودا على كلهم"[(١)] .

يقول الخطيب البغدادي " وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه فثبت أن من دين جميعهم وجوبه إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه"[(٢)] .

وقال ابن عبد البر رحمه الله " وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر ، من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافا"[(٣)] .

وأما تفريقهم بين باب الاعتقاد وبين الأحكام فهذا تفريق باطل ومحدث، ولم يكن السلف يفرقون بينهم بل كان منهجهم واحداً في الأخذ بهذه الأخبار، وذلك أن النصوص عامة بوجوب الأخذ بسنة النبي ﷺ متى صحت ولم تستثن أخبار الآحاد.

بل كان الصحابة على العكس من هذا فإنهم كانوا يتثبتون من بعض أحاديث الأحكام كما استظهر عمر رضي الله عنه برواية أبي سعيد الخدري على خبر أبي

---

(١) الرسالة (ص:٤٥١- ٤٥٧) .

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص: ٣١) .

(٣) التمهيد (١/ ٢).

موسى[١]، ولم يعهد عن أحد منهم أن تثبتوا من أحاديث الصفات البتة، بل كانوا أعظم مبادرة إلى قبولها وتصديقها والجزم بمقتضاها.[٢]

ونصوص العلماء جلية في الأخذ بأخبار الآحاد حتى في مسائل الاعتقاد

يقول ابن عبد البر رحمه الله، في اثبات العمل بخبر الآحاد في مسائل الاعتقاد: "وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادى ويوالى علها، ويجعلها شرعا ودينا في معتقده على ذلك جماعة أهل السنة "[٣] .

وقال في موضع آخر" ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[٤] .

وقال شيخ الاسلام " مذهب أصحابنا أن أخبار الآحاد المتلقاه بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات "[٥] .

وقال ابن القيم في بيان بطلانهم في التفريق بين مسائل الاعتقاد ومسائل الأحكام .

قال رحمه الله" وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما تحتج بها في الطلبيات العمليات، ولاسيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دينا، فشرعه

---

(١) وخلاصتها أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع، فسأله عمر عن سبب رجوعه فذكر أن رسول ﷺ قال " إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع" فقال عمر: والله لتقيمن عليه البينة فقام أبو سعيد الخدري فأخبره أن النبي ﷺ قال ذلك، أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٥) برقم(٥٨٩١) ومسلم (٣/ ١٦٩٦) برقم (٢١٥٤) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٤/ ١٤٧١) .

(٣) التمهيد (١/ ٨).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦).

(٥) المسودة (ص: ٢٢٣).

ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين ؟

نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ويحيلون على آراء المتكلمين وقواعد المتكلفين، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين "[1] .

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي " اعلم أن التحقيق الذي لا يجوز العدول عنه أخبار الآحاد الصحيحه كما تقبل في الفروع تقبل في الأصول، فما ثبت عن النبيﷺ بأسانيد صحيحه من صفات الله يجب إثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

وبهذ تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد ولا يثبت بها شيء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين وأن العقائد لابد فيها من اليقين باطل لا يعول عليه، ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل"[2] .

وبهذا يظهر بطلان ما زعموه، وأنه ليس ثمة دليل على ما ابتدعوه وإنما هو محض افتراء على الشرع.

---

(١) مختصر الصواعق (٤/ ١٥٧٠) .

(٢) مذكرة أصول الفقه (ص:١٢٤ - ١٢٥)

الباب الثاني:
المسائل العقدية في كتب علوم القرآن

فيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية والألوهية:
الفصل الثاني: المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات
الفصل الثالث: المسائل المتعلقة بالقرآن
الفصل الرابع: المسائل المتعلقة بالقدر
الفصل الخامس: المسائل المتعلقة بمسائل الأسماء والأحكام

الفصل الأول:
المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية والألوهية:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معرفة الله تعالى

المبحث الثاني: توحيد الألوهية

تمهيد: تعريف توحيد الربوبية والألوهية .

التوحيد لغة: قال ابن فارس" وحد: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله،... ولقيت القوم موحد موحد ، ولقيته وحده،...، والواحد: المنفرد"[(١)]

ويقال رجل وحيد: أي لا أحد معه يؤنسه، ورجل متوحد أي منفرد لا يخالط الناس ولا يجالسهم، والوحدة الانفراد، وتقول رأيته وحده أي منفرداً، فإذا هذه المادة تدور على الانفراد والاختصاص .[(٢)]

ومعنى توحيد الله شرعاً: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات [(٣)] .

معنى الربوبية لغة: يقول ابن فارس معنى الرب: "الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب المالك والخالق والصاحب والرب المصلح للشيء يقال رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها،....والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه .

والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه وهو مناسب للأصل الأول، يقال أربت السحابة بهذه البلدة إذا دامت، وأرض مرب لا يزال بها مطر ولذلك سمي السحاب ربابا...

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء وهو أيضا مناسب لما قبله، ومتى أنعم

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠-٩١) .

(٢) انظر كتاب العين للخليل الفراهيدي (٣/ ٢٨٠) وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٢٤) لسان العرب (٣/ ٤٨) مختار الصحاح للرازي (ص:٢٩٦) .

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (١/ ١٢٠) والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ١١) .

النظر كان الباب كله قياسا واحدا "[1]

واطلاقات الرب في اللغة ترجع إلى ثلاثة هي: " الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، ويكون الرب المصلح"[2]

أما تعريف توحيد الربوبية: "هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله وبيده الخير كله"[3]

أما معنى الألوهية لغة " قال ابن فارس "الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد، فالإله الله تعالى وسمى بذلك لأنه معبود،ويقال تأله الرجل إذا تعبد "[4].

"والإلاهَة، والأُلوهَة، والأُلُوهِيَّةُ: العبادة وقد قرئ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] "و يَذَرَكَ وإلاهَتَك "[5]

الله أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود .

وقيل الله: مأخوذ من أله يأله إلى كذا أي لجأ إليه؛ لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كل أمر[6]، وهو يرجع إلى المعنى السابق وهو المعبود .

فإذاً مادة هذا الباب ترجع إلى التعبد والعباده .كما ذكر ابن فارس، والله أعلم .

أما تعريف توحيد الألوهية شرعا: هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة .[7]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١) .

(٢) تهذيب اللغة (١٥/ ١٢٨) ولسان العرب (١/ ٣٩٩) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٢٠) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لأبي حسن على بن إسماعيل بن سيده (٤/ ٣٥٨).

(٦) انظر لسان العرب (١٣/ ٤٦٩- ٤٧٠) مختار الصحاح للرازي (ص:٩) وتهذيب اللغة (٦/ ٢٢٣) .

(٧) انظر القول المفيد لابن عثيمين (١/ ١٦) وتيسير العزيز الحميد (١/ ١٢٤).

المبحث الأول: توحيد الربوبية

إن من المسائل التي ذكرت في بعض كتب علوم القرآن، والتي وقع فيها الغلط مسألة أول واجب على المكلف، فقد ذكر الزرقاني نقلاً عن محمد عبده، أن الشرع والعقل يرشد المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود .

قال عفا الله عنه " والحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود ثم منه إلى إثبات النبوات، ثم يأخذ كل ماجاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تكنه الألفاظ إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة، ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة كان ما أدت إليه ما كان لكن بغاية التحري والاجتهاد"[1]

وهذه المسألة هي التي تعرف عند المتكلمين مسألة أول واجب على المكلف، ولقد تتابع المتكلمون في تقريرها، وحشد الحجج والبراهين عليها وكأن اثبات وجود الله أمر مشكوك فيه .

ولاشك أن هذا مخالف لما هو مغروز في الفطر السليمة، مؤمنهم وكافرهم، والنصوص من القرآن مستفيضة في بيان حال المشركين وإقرارهم بالله سبحانه وتعالى خالقاً ومالكاً ورازقاً، كما سيأتي بيان ذلك.

وهذه المسألة أعني أول واجب على المكلف، متفرعة من مسألة أخرى وهي كيفية حصول المعرفة بالله، هل هي فطرية أم كسبية ؟

ذهب جمهور المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية[2] إلى كسبية معرفة

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٤٠).

(٢) نسبة إلى أبي منصور الماتريدي، ومنهجهم في التلقي هو العقل، عامتهم يثبتون ثمان صفات لله فقط، ومن عقائدهم أنهم يرون أن الإيمان هو التصديق، ومذهبهم موافق في كثير من أصولهم للأشاعرة .

=

الله، وأنها لا تحصل إلا بالنظر والاستدلال .[1]

وذهب أهل السنة إلى أنها فطرية ضرورية، وأنها لا تحتاج إلى نظر واستدلال إلا لمن فسدت فطرته[2] .

والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة من أن معرفة الله في الأصل فطرية ضرورية، ولكن قد يطرأ عليها ما يفسدها فتحتاج إلى نظر واكتساب.

قال شيخ الاسلام " الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته.. وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة "[3] .

ويقول أيضاً " الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار، أن المعرفة تارة تحصل بالضرورة، وتارة بالنظر "[4] .

والنصوص مستفيضة على ما ذهب إليه أهل السنة: من أن معرفة الله فطرية، فمن الكتاب قوله سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالله سبحانه وتعالى استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم ليشهدهم على أنفسهم، بأن الله ربهم ومالكهم وخالقهم، فأقروا له بذلك واعترفوا .[5]

= انظر كتاب التوحيد للماتريدي (ص: ٤، ٤٤) وانظر الماتريدية دراسة وتقويم د. أحمد الحربي (ص: ١٤٠) .

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار(٣٩- ٤٦) والإنصاف للباقلاني (ص:٣٣) والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص: ٣) وكتاب التوحيد للماتريدي (ص:٩- ١٠) .
وإشارات المرام من عبارات الإمام للبياضي الحنفي (ص:٥٣) .

(٢) انظر درء التعارض (٧/ ٣٥٤) (٨/ ٤٤٤-٤٤٩) وشفاء العليل لابن القيم (٢/ ٨٢١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨).

(٥) انظر تفسير ابن كثير(٢/ ٢٦٢) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٣٠٣) ودرء التعارض (٨ / ٤٨٢-
=

وقوله سبحانه وتعالى﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠].

والمراد بالفطرة هنا الاسلام وهو قول عامة السلف(١)، وهو متضمن لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى والاعتراف به رباً ومالكاً .

ومن السنة قوله ﷺ **" ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء "** ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث "﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(٢)

وهذا الحديث يدل على أن الله عزوجل فطر بني آدم على معرفة الله سبحانه والإقرار به من وجوه كثيرة:

١- تصريح النبي ﷺ بأنه يولد على الفطرة، وقد تقدم معنى الفطرة، وأنها الاسلام في قول عامة السلف، وأن الإسلام هو معرفة الله والإقرار به .

٢- ومنها: قوله ﷺ **" فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "** فبين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر الناس عليها .

٣- ومنها أنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق لا نقص فيه ثم تجدع بعد ذلك، فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها.(٣)

ومن الأحاديث الدالة على ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل **"…. وإني**

= ٤٨٧) ومعارج القبول (١/ ٨٤) .

(١) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٤٠) وتفسير البغوي (٣/ ٤٨٢) وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٥) وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٣) و(٢/ ٢٦٢) وتفسير الشوكاني (٤/ ٢٢٤) وانظر التمهيد لابن عبد البر (١٨ / ٧٢) ودرء التعارض (٨/ ٣٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٥٦) برقم (١٢٩٣) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨)

(٣) انظر درء التعارض (٨ / ٣٧٢)

خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا" [1] .

وبهذا يتبين أن معرفة الله أمر فطري لا يحتاج إلى التكلف في البحث على أدلة عليه، ولهذا كانت دعوة الرسل مرتكزة على إفراد الله جل وعلا بالعبادة .

والمتكلمون لما قرروا نظرية المعرفة، خلصوا إلى القول بأن أول واجب على المكلف هو النظر أو القصد إلى النظر أو الشك على اختلاف بينهم، والبدع يجر بعضها بعضاً.

يقول الباقلاني[2] " أول مافرض الله عزوجل على جميع العباد النظر في آياته"[3].

ويقول الجويني " أول مايجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا: القصد إلى النظر الصحيح..."[4] .

و هذا مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ولما عليه سلف هذه الأمة فإن أول ما أوجبه الله على المكلف هو توحيد الله عزوجل وإفراده بالعبادة، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

من الكتاب:

١ - أن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل لتحقيق هذا الأمر وهو إخلاص العبادة له جل وعلا، قال سبحانه وتعالى " ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) .

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي، أبوبكر الباقلاني، أحد أعلام الأشاعرة، من تصانيفه التمهيد، وإعجاز القرآن، والتبصرة، توفي سنة ٤٠٣هـ انظر تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٢).

(٣) الإنصاف (ص: ٣٣) .

(٤) الإرشاد (ص:٣) .

[الذاريات: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكان كل رسول يستفتح دعوته بأمرهم بعبادة الله جل وعلا، وإخلاص العبادة له.

قال تعالى في نبي الله نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال تعالى في نبي الله هود عليه السلام ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥] وقَالَ تَعَالَىٰ: في نبي الله صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالى في نبي الله شعيب عليه السلام ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

٢- ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق: ١]. يقول شيخ الاسلام " وهذه الآية أيضاً تدل على أنه ليس النظر أول واجب، بل أول واجب ما أوجب الله على نبيه ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي ﴾، لم يقل انظر واستدل حتى تعرف الخالق، وكذلك هو أول مابلغ هذه السورة، فكان المبلغون مخاطبين بهذه الآية قبل كل شيء، ولم يؤمروا فيها بالنظر والاستدلال "[١] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨) .

ومن السنة:

١- ما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن قال لهﷺ **"إِنَّكَ تَقْدَمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللهِ "**(١) وفي رواية: **"فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى"**(٢) .

فهذا الحديث يفيد التصريح بأول مايجب على المكلف وهو عبادة الله جل وعلا، وهو نص في الموضوع .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله " والنبي ﷺ لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه .... والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر على كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به وهذا أصح الأقوال "(٣).

٢- وقوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنه **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله "**(٤) .

وأما الإجماع:

قال شيخ الإسلام " إن السلف والأئمة متفقون على أن أول مايؤمر به العباد الشهادتان"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢٩) برقم (١٣٨٩) ومسلم في صحيحه (١/ ٥١) برقم (١٩) .

(٢) أخرجها البخاري (٦/ ٢٦٨٥) برقم (٦٩٣٧) .

(٣) درء التعارض (٨ / ٦-٨) .

(٤) أخرجه البخاري (١/ ١٧) برقم (٢٥) ومسلم (١/ ٥٣) برقم (٢٢) .

(٥) درء التعارض (٨/ ١١) .

وقد اتفق أئمة الدين، والعلماء قاطبة على أن كل كافر يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلما، ولا يصير مسلما بدون ذلك .

وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الرسولﷺ .[1]

وممن حكى الإجماع على ذلك أبو بكر بن المنذر[2] حيث قال رحمه الله: " أجمع كل من أحفظ من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل، أنه مسلم "[3] .

وقال ابن القيم " أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام " [4].

يقول أبوا لمظفر السمعاني " هذا القول يعنى - وجوب النظر وكونه أول واجب - مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين، ولوأنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا في شيء منها منقولاً عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، وكذلك من التابعين بعدهم وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض، وهم صدر الأمة والسفراء بيننا وبين رسول الله ﷺ ؟

ولئن جاز أن يخفى الفرض الأول على الصحابة والتابعين حتى لم يبينوه لأحد من هذه الأمة مع شدة اهتمامهم بأمر الدين وكمال عنايتهم حتى استخرجه هؤلاء بلطيف فطنتهم وزعمهم فلعله خفي عليهم فرائض أخر .

---

(١) انظر درء التعارض (٨/ ٧) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي، الفقيه صاحب التصانيف، ومن تصانيفه الإجماع، والمبسوط، توفي سنة ٣٠٩هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٠) .

(٣) الإجماع لابن المنذر (ص:١٧٥) .

(٤) مدراج السالكين (٣/ ٤٥٢) .

ولئن كان هذا جائزا فلقد ذهب الدين واندرس ؛ لأنا إنما نبني أقوالنا على أقوالهم فإذا ذهب الأصل فكيف يمكن البناء عليه ؟

نعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذه المقالة الفاحشة القبيحة التي تؤدي إلى الانسلاخ من الدين وتضليل الأئمة الماضين هذا وقد تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين "[1].

وبهذا يعلم بطلان هذا القول، إذ لم يقم عليه دليل من الكتاب والسنة يؤيده . والله أعلم .

* * *

---

(١) الانتصار لأهل الحديث (ص:٦١)

المبحث الثاني: توحيد الألوهية

إن مما لاشك فيه أن التوحيد الذي بينه القرآن، ودعت إليه الرسل عليهم السلام هو توحيد الإلهية، المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله لا شريك له، ونبذ كل ما عبد من دون الله، والبراءة منه وذلك ؛ لأن الإقرار بالله والاعتراف به سبحانه ربا وخالقاً مما فطر الناس عليه، وكان المشركون من العرب يقرون بذلك، وأن خالق السموات والأرض واحد، وأن الرازق هو الله سبحانه وتعالى وحده، وأن النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى، وشاهده من القرآن كثير .

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١] وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

والله سبحانه قد حاج المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية وأن المقر بالله خالقا وربا ورازقا، كيف يصرف العبادة إلى غير الله من الأصنام والأشجار والصالحين والحال أن هذه المعبودات لا تملك شيئاً .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣] وقال سبحانه وتعالى ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ النمل: [٥٩ – ٦٠] فالله سبحانه يبين لهم أنكم إذا كنتم مقرين بأن سبحانه وتعالى هو المنفرد بتحقيق هذه الأشياء، فيلزمكم أن تفردوه بالعبادة، ولا تشركوا به شيئاً، ولذلك ختم الآية بقوله ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ .

ومن هنا يعلم أن توحيد الإلهية هو الأصل في دعوة الرسل وهو خلاصة

رسالتهم .

وهذا الأمر مع وضوحه وجلاءه؛ إلا أن المتكلمين ومن نحا نحوهم قد خالفوا في هذا الأصل، وجعلوا توحيد الربوبية هو الغاية عندهم، ولذلك أغفلوا هذا التوحيد .

يقول الشهرستاني[1] في توحيد الله " الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له "[2] .

ويقول الجويني " الباري سبحانه وتعالى واحد، والواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم،.. والرب سبحانه وتعالى موجود فرد، متقدس عن قبول التبعيض والانقسام.."[3].

والسيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان تبعهم على ذلك، فعندما أشار إلى أنواع التوحيد ، أغفل توحيد الألوهية ولم يتعرض له يقول " وأما علوم القرآن فثلاثة توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع .."[4] .

فقوله "معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله" هذا هو توحيد الأسماء والصفات والربوبية .

وهو ما يسمى عند أهل العلم توحيد المعرفة والإثبات، أما توحيد الطلب والقصد فلم يشر إليه .

---

(١) هو محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، برع في الفقه، وصنف كتباً كثيرة، منها نهاية الإقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، توفي سنة ٥٤٨هـ انظر طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (١/ ٢١٢) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (١/ ٣٢٣) .

(٢) نهاية الإقدام (ص: ٥٦) .

(٣) الإرشاد (ص: ٥٢) .

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٩١٩).

ولا شك أن هذا مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ فإن الله سبحانه وتعالى ما بعث الرسل ولا أنزل الكتب إلا ليعبد وحده لا شريك له، ويكون الدين كله لله قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۝٣٦ ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۝١٥١ ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

"وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن .

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾ [الأعراف: ٥٩] فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك "[1] .

والآيات في هذا المقام كثيرة وقد تقدم ذكر طرف منها .

وهذا التوحيد هو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا .

والخصومة بين الرسل وبين أممهم ؛ إنما كانت في هذا النوع وهو الذي كفر به

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٢٤)

المشركون وكانوا يقولون ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥].
وهو الذي كفّرهم الله به وأباح دمائهم وأموالهم ونسائهم لما لم يخلصوا له العبادة .

قال شيخ الإسلام وهو يبين إن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية "ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم، شاركوا الله في خلق السماوات والأرض، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله في جميع صفاته، بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له، سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما كما كان مشركوا العرب يقولون في تلبيتهم (لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك) فأهل رسول الله بالتوحيد وقال (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل له في جميع الصفات... ثم قال، وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون: واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له... ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب "[1] .

وبهذا يعرف أن توحيد المتكلمين قد خلى من توحيد الألوهية، فهو كما ذكر شيخ الاسلام، واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في

---

(١) التدمرية (ص:١٧٦- ١٧٩) .

أفعاله لا شريك له .[١]

ومنشأ الغلط عندهم أنهم فسروا الإله، بالقادر على الاختراع [٢] .

وهذا باطل، فإن الإله بمعنى المألوه المعبود، الذي يستحق العبادة،ليس الإله بمعنى القادر على الخلق.[٣]

ونتيجة لهذا الاعتقاد فقد قدروا الخبر المحذوف في كلمة التوحيد لا إله إلا الله، بموجود أي لا إله موجود إلا الله، وقد ذكر ذلك الزركشي والسيوطي في كتابيهما .

قال الزركشي: "وقد توجب الصناعة التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم في لا إله إلا الله إن الخبر محذوف أي موجود"[٤].

وهذا باطل من وجوه:

١ - لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة، وأيضاً لا يحصل بذلك التقدير المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه وبطلان ما سواها.[٥]

والزركشي في هذا الموضع لم يعقب على هذا القول ولم يرجح ولكنه في موضع آخر ذكر القول المختار فقد تكلم عن تقدير الخبر في كلمة التوحيد في مصنف مستقل وذكر الأقوال واختار تقديره بحق، وذكر سبب الاختيار بقوله : .

"لأن آلهة الباطل موجودة في الوجود كالوثن ،والمقصود نفي ما عدا إله الحق... ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه ونفي ما يستحيل ثبوته" [٦] .

٢ - أن تقدير الخبر بموجود يلزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله وهذا

---

(١) انظر المغني للقاضي عبدالجبار (٥/ ٢٤١) وانظر نهاية الإقدام للشهرستاني (ص: ٥٦) مجرد مقالات الأشعري لابن فورك (ص:٥٥) والانصاف للباقلاني (ص:٤٩) والإرشاد للجويني (ص:٥٢) .

(٢) انظر أصول الدين للبغدادي (ص: ١٢٣) والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠٠) .

(٣) انظر درء التعارض (١/ ٢٢٦- ٢٢٧) واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٨٦) .

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٧٥) والإتقان للسيوطي (٥/ ١٦١١) .

(٥) انظر تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٧٤) .

(٦) معنى لا إله إلا الله للزركشي (ص: ٧٤- ٧٥) .

هو مذهب أهل الإتحاد[1] [2] .

٣- أن هذا مخالف للنصوص الشرعية المفسرة لمعنى كلمة التوحيد، قال سبحانه وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحج: ٦].

وقد أبطل الله سبحانه وتعالى كل آلهة تعبد من دونه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال سبحانه وتعالى في تفسير كلمة التوحيد ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧].

فهذه النصوص مفسرة لكلمة التوحيد والشواهد على ذلك كثيرة، ومما يبرهن على ذلك أيضاً أن المشركين في زمن النبي ﷺ كانوا يعلمون أن المقصود من هذه الكلمة هو إخلاص العبادة له جل وعلا، لذلك امتنعوا عن قولها وقالوا لما قيل لهم قولوا لا إله إلا الله ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ [ص: ٥ – ٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: عنهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦].

وقد قال الشيخ سليمان بن عبد الله " ذكر نصوص العلماء في معنى الإله، قال ابن عباس رضي الله عنهما " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين [3]" ..

---

(١) الاتحاد في اصطلاح القوم تصيير الذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها،لا من حيث أن لما سوى الله وجوداً خاصاً به، وهذه النظرية تقوم على أساس اعتقاد الصوفي الواصل باتحاد الإنسان بالله، فيرى العبد ذاته متصلاً اتصالاً تاماً لا انفكاك منه، انظر معجم مصطلحات التصوف الفلسفي د . محمد العد لوني الإدريسي (ص:١٢) ومعجم مصطلحات الصوفية د. عبدالمنعم الحفني (ص: ٩) .

(٢) انظر معارج القبول (٢/ ٤١٦) .

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٤).

وقال ابن القيم " الإله هو الذي يأله العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له "[1] .

ثم قال الشيخ سليمان بعد أن حكى أقوال العلماء "وهذا كثير جدا في كلام العلماء وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات وسؤالهم قضاء الحاجات والنذر لهم في الملمات وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات إلى غير ذلك من أنواع العبادات وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ويعبدونه بأنواع من العبادات فَلْيَهْن أبا جهل وأبو لهب ومن تبعهما من الإسلام بحكم عباد القبور ولْيَهْن أيضا إخوانهم عباد ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر إذ جعل هؤلاء دينهم هو الإسلام المبرور ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم قولوا لا إله إلا الله بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف: ٨٧] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٩] ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس: ٣١] الآية إلى غير ذلك من الآيات لكن القوم أهل اللسان العربي فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس وتكب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الإلهية لغيره لأم الرأس فقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، فتباً لمن كان أبو

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٦).

جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه لا إله إلا الله قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦] "[١]

وقد نقل الزرقاني كلام الغزالي في تقسيم التوحيد إلى توحيد عوام الخلق، وتوحيد المتكلمين، قال" والتوحيد جوهر نفيس، وله قشران، أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر، وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني ألا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به، وهو توحيد عوام الخلق، والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة، والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره.."[٢] .

كلام الغزالي هذا قد وافق مذهب الصوفية في التوحيد، ولا شك أن هذا باطل من وجوه:

١ – أن هذه المراتب قد خلت من توحيد الألوهية الذي هو خلاصة دعوة الرسل وأس رسالتهم حيث لم تذكر بين هذه المراتب وإنما غاية ما فيه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون، وبهذا التوحيد لايدخل الرجل في الإسلام ولا ينجو به من النار ولا يدخل به الجنة . فإنه مشترك بين جميع الفرق على اختلاف نحلهم .

وهو يشير بكلامه إلى مراتب توحيد الربوبية، فأدنى مراتب التوحيد عند الغزالي

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٧٨- ١٨٢) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٣٨).

توحيد العوام التلفظ بكلمة التوحيد لا إله إلا الله .

وأعلى مراتب التوحيد وهو توحيد خاصة الخاصة عنده هو الفناء في توحيد الربوبية عن وجود السوي .[1]

وذكر الغزالي نحواً من هذا الكلام في موضع آخر .

حيث قال : " للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب ، وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر...

فالرتبة الأولى من التوحيد : هي أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين .

والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة : أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد ؛لأنه من حيث لا يرى إلا واحدا ، فلا يرى نفسه أيضا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق"[2]

قال شيخ الإسلام في بيان أن ماذكره الغزالي هو توحيد الصوفية قال رحمه الله:" وكذلك طوائف من أهل التصوف والمنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد، هو شهود هذا التوحيد، وأن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية، بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها، ومعلوم أن هذا

---

(١) انظر أصول الدين عند أبي حامد الغزالي، رسالة دكتوراة، إعداد: أحمد الحربي (ص: ٢٥٧- ٢٦٣) .

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٢٤٥) و(١/٣٤، ٧٤).

هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما فضلا عن أن يكون وليا لله أو من سادات الأولياء .

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقررون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فيفنون في توحيد الربوبية مع اثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته"(١) .

٢- أن تسمية قول الشهادة مع الاعتراف بمعناها والتصديق بها توحيد عوام الخلق باطل بل هذا هو توحيد الرسل عليهم الصلاة والسلام الذي يقوم على التلفظ بكلمة التوحيد مع العمل بمقتضاها بإفراد الله بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله .

٣- أن تقسيمه التوحيد إلى قشر ولب تقسيم ليس عليه دليل من كتاب الله وسنة رسولهﷺ وذلك أن توحيد عزوجل لا يقال فيه إن منه ماهو قشور، وذلك أن الله عزوجل ما خلق الخليقة ولا بعث الرسل إلا لإقامة توحيد الله عزوجل في الأرض ويوحد جل وعلا بالعبادة، بل ما ادعاه من تسمية قول لا إله إلا الله قشر يخالف ماجاء النصوص الشرعية وذلك أن أحكام الإسلام منوطة بالتلفظ بكلمة التوحيد فلا يدخل الرجل في الإسلام حتى ينطق بها ولا ينجوا الرجل من النار إلا بالتلفظ بها ولا يعصم دمه وماله إلا بالتلفظ بها وقد تواترت النصوص ببيان ذلك وقد سبق طائفة منها ومنها " من كان آخر كلامه من الدنيا ...." وقد سبق كلام العلماء في ذلك .

أما ما قاله الغزالي في تسمية المتكلمين حراس العقيدة فهذا باطل بل ما أفسد العقيدة إلا المتكلمون ونصوص السلف في التحذير من الكلام وأهله كثيرة، وذلك لأن منهجهم قائم على دراسة العقائد بالطرق العقلية والمناهج الفلسفية، إذ جعلوها مصدر التلقي عندهم، وهي قطعية الدلالة عندهم، أما الكتاب والسنة ، فهي لا تفيد اليقين عندهم بل الظن، وقوم هذا وصفهم، وهذه طريقتهم كيف يجعلون حراساً للعقيدة .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١- ١٠٢).

ولقد أجمع السلف على عد أهل الكلام من أهل الأهواء والبدع، يقول ابن عبدالبر رحمه الله " أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم "[(١)] .

ونقل ابن عبدالبر قول عبد الله محمد بن أحمد بن اسحاق بن خويز منداد المصري المالكي [(٢)] بسنده، قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف قال مالك لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم وذكر كتبا ثم قال وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك قال وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزايم الجن وما أشبه ذلك .

وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك "لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء" قال أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا: هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها"[(٣)] .

يقول ابن أبي العز الحنفي " وذكر الأصحاب في الفتاوى: لو أوصى لعلماء بلده لايدخل المتكلمون ولو أوصى إنسان أن يوقف من كتبه ماهو من كتب العلم فأفتى السلف أن يباع ما فيها من كتب الكلام"[(٤)]

ولقد تتابعت كلمات السلف في ذم الكلام وأهله وهو إجماع منهم على ذلك، قال الإمام الشافعي " حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٤٢) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز المالكي، فقيه أصولي، له كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه توفي في حدود سنة ٣٩٠هـ انظر الديباج المذهب (ص:٢٦٨) ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٨٠) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢- ٩٤٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٨) .

الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام".

وقال أيضاً " لو علم الناس ما في الكلام في الأهواء لفروا منه كما يفر من الأسد "(١).

وقال أيضاً " إني اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى المرء بكل مانهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن يبتلى من الكلام "(٢).

وقال الإمام أحمد " لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل "(٣).

وقال رحمه الله " أهل الكلام زنادقة "(٤).

وقال أيضاً: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة "(٥).

ونصوص السلف في هذا الباب كثيرة .

ومما يدل على فساد طريقة المتكلمين حيرتهم واضطرابهم فيما هم عليه، وقد شهدوا على أنفسهم بذلك وهذا اضطرهم إلى الرجوع إلى طريقة السلف الصالح قال ابن واصل الحموي(٦) "أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء"(٧) .

وقال الرازي:

نهايـــــة إقدام العقول عقــــال   وغاية سعي العالمين ضلال

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤١).

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٩) .

(٣) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢) .

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ١٧٢) وتلبيس إبليس (ص: ١٠٢) .

(٥) طبقات الحنابلة لإبي يعلى (١/ ٣٣٤) .

(٦) هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل القاضي جمال الدين الحموي، صنف تصانيف كثيرة منها مختصر الأربعين في أصول الدين توفي سنة ٧٩٦هـ انظر طبقات الشافعية لإبي بكر بن شهبة (٢/ ١٩٤ – ١٥٩) .

(٧) درء التعارض (١/ ١٦٥).

وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانــا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم قال: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠] ثم قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ".

وكذلك قال أبو المعالي الجويني "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به .

وقال عند موته: "لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي أو قال على عقيدة عجائز نيسابور"[(١)] .

والغزالي رحمه الله الذي يقول عن المتكلمين إنهم حراس العقيدة ينتهي آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية ثم اعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ فمات والبخاري على صدره [(٢)].

وهذا جزاء كل من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واستعاض عنهما بعلم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، يؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك .

فإذاً ما ادعاه الغزالي باطل وقد تقدم وجه بطلانه والله أعلم .

* * *

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤٣- ٢٤٥).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤٣) .

الفصل الثاني:
المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الصفات الذاتية.

المبحث الثاني: الصفات الفعلية.

المبحث الثالث: معية الله.

المبحث الرابع: صفة الحياء.

المبحث الخامس: رؤية الله.

المبحث الأول:

موقفهم من الصفات الذاتية:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صفة النفس.

المطلب الثاني: صفة العلو.

المطلب الثالث: صفة اليدين.

المطلب الرابع: صفة الوجه.

المطلب الخامس: صفة العينين.

المطلب الأول: صفة النفس

لقد خالف الزركشي والسيوطي فيما نقلاه في تفسير صفة النفس لله أهل السنة حيث قال الزركشي " وقوله تعالى﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [المائدة: ١١٦] قيل النفس هاهنا الغيب[1] تشبيها له بالنفس لأنه مستتر كالنفس .

قوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[ل عمران: ٢٨] أي عقوبته، وقيل يحذركم الله إياه "[2] .

وقال السيوطي " من ذلك النفس في قوله تعالى﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ ووجهه، بأنه خرج على سبيل المشاكلة مرادا به الغيب لأنه مستتر كالنفس.

وقوله﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾أي عقوبته وقيل: إياه .

وقال السهيلي: النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد وقد استعمل من لفظة النفاسة والشيء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى .

وقال ابن اللبان[3] : أولها العلماء بتأويلات منها: أن النفس عبر بها عن الذات قال وهذا وإن كان سائغا في اللغة ولكن تعدي الفعل إليها بفي المفيدة للظرفية محال عليه تعالى .

وقد أولها بعضهم: بالغيب أي ولا أعلم ما في غيبك وسرك قال، وهذا حسن

---

(١) في نسخة محمد أبو الفضل إبراهيم " الغيث " وهو تصحيف، والصواب، الغيب، يدل لذلك سياق الكلام .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٤).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد المؤمن شمس الدين ابن اللبان، المصري، عارفاً بالفقه والعربية، وكان صوفياً، قال ابن حجر" ضبطت عليه كلمات على طريق الإتحادية، فقام عليه الفقهاء وحضر إلى مجلس القاضي وادعي عليه عنده"، وقال عنه: "له كتاب على لسان الصوفية، وفيه إشارات أهل الوحدة وهو في غاية الحلاوة لفظاً وفي المعنى سم ناقع" ومن مصنفاته مختصر الروضة، ومتشابه القرآن والحديث، توفي سنة ٧٤٩هـ انظر طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٩٤) وطبقات الشافعية لإبن أبي شهبة (٣/ ٥٢) الدرر الكامنة (٥/ ٦٠- ٦١) .

لقوله في آخر الآية ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾"[1] .

وهذا باطل وذلك أن صفة النفس لله جل وعلا قد جاء إثباتها في الكتاب والسنة.

قال الإمام ابن خزيمة[2] رحمه الله " فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا ذكر نفسه جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه وعز أن يكون عدما لا نفس له قال الله جل ذكره لنبيه محمدﷺ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[الأنعام: ٥٤] فأعلمنا ربنا أن له نفسا كتب عليها الرحمة أي ليرحم بها من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعده على ما دل سياق هذه الآية وهو قوله ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال الله جل ذكره لكليمه موسى ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ [طه: ٤٠ – ٤١] فثبت الله أن له نفسا اصطنع لها كليمه موسى عليه السلام وقال جل وعلا ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠] فثبت الله أيضا في هذه الآية أن له نفسا وقال روح الله عيسى بن مريم مخاطبا ربه ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦] فروح الله عيسى بن مريم يعلم أن لمعبوده نفساً.

ثم قال باب ذكر البيان من خبر النبي في إثبات النفس لله عز وجل على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور وفي المحاريب والمساجد والبيوت

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦١) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف البديعة، كان بصيراً بالرجال، من مصنفاته كتاب التوحيد، والصحيح، توفي سنة ٣١١هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥) وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٠٩) .

والسكك مقروء، ثم أورد بعض الأحاديث الدالة على ذلك .[1]

والنفس هنا يراد بها ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات .

وقد ظن بعض الناس أنها من باب الصفات كما قال ذلك القاضي أبو يعلى إذ جعلها من صفات الذات مثلها مثل بقية الصفات كالعلم والسمع والبصر ونحوها.

قال رحمه الله" بعد أن أورد الأحاديث في اثبات صفة النفس " اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصول:

أحدها: أن الله تعالى يوصف بأن له نفساً ... نثبت نفساً هي صفة زائدة على الذات، كما أثبت له حياة ونفساً " وغلط قول من يقول بأن المراد بالنفس الذات المتصفة بالصفات[2].

والمراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما بين شيخ الإسلام رحمه الله قال: "ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه وعينه وقد قال تعالى ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ .

وفى الحديث الصحيح: أنه ﷺ قال لأم المؤمنين "**لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بها قلتيه لوزنتهن، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله مداد كلماته**"[3]..... فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ١٢- ١٣).

(٢) ابطال التأويلات (٢/ ٤٤٢- ٤٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠) برقم (٢٧٢٦).

عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ "[(١)] .

ومن جعل صفة النفس صفة لله زائدة على ذاته، حجته إدخال المتقدمين لها في ذكر الصفات، ولكن مقصود المتقدمين لم يكن كذلك، وإنما قصدهم الرد على من ينكر ذلك من الجهمية، وزعمهم أن ذلك هو ظاهر النصوص .

ولقد صرح أئمة السنة بأن المراد بالنفس هو الذات .[(٢)]

قال شيخ الاسلام " قد صرح أئمة السنة بأن المراد بالنفس هو الذات، وكلامهم كله على ذلك كما في كلام الإمام أحمد فيما خرجه من الرد على الجهمية ... قال (الإمام أحمد) وقال الله تعالى لموسى ﷺ ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ [طه:٤١] وقال ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾[الأنعام: ٥٤] ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [المائدة: ١١٦] ثم قال ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥].

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت وقد ذكر الله عز وجل كل نفس فكذلك إذا قال ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر: ٦٢] لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله عزوجل"[(٣)] .

ثم قال شيخ الاسلام " وهذا من كلامه يبين أن مسمى لفظ النفس عنده هي ذات الله تعالى أخبر أنها لا تدخل في عموم قوله تعالى ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[الزمر:

---

(١) مجموع الفتاوى (٩ / ٢٩٢- ٢٩٣) و(١٤/ ١٩٦) وانظر درء التعارض (١٠/ ٣٠٨) وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله الغنيمان (١/ ٢٤٥) .

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٢٧) .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٢٣٤- ٢٣٥) .

٦٢] كما لم يدخل في عموم قوله تعالى﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] مع إخبار أن له نفساً كما تلاه من الآيات، ومعلوم أن قوله تعالى كل نفس " ليس المراد به صفة من صفات الإنسان، بل المراد به هو نفسه،فعلم أن قوله تعالى﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى ﴾ ونظائر ذلك ليس هو صفة للرب، بل هو الرب نفسه "(١) .

وأطال شيخ الاسلام في بيان أن المتقدمين لم يجعلوها صفة للذات ونقل عن الإمام أحمد في مواضع كثيرة ما يثبت ذلك .

ونقل عن الإمام الدارمي(٢) رحمه الله قوله " في ثنايا كلامه في رده عن الجهمية" فنفس الله هو الله والنفس تجمع الصفات كلها، فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لاشيء " ثم علق على ذلك بقوله" فهذا ونحوه يبين مرادهم، وأنهم قصدوا رد ما أنكرته الجهمية من ذكر مسمى النفس لله، وقيام العلم بها "(٣) .

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أن طائفة من المنتسبين إلى السنة ذهب إلى أن النفس صفة من الصفات قال رحمه الله " وقد ذهب طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم، وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، إلى أن النفس صفة من الصفات، والصواب أنها ليست صفة، بل نفس الله هي ذاته سبحانه، الموصوف بصفاته سبحانه"(٤).

وفسر النفس بمعنى الذات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز(٥)، وفضيلة الشيخ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٢٧- ٤٣١) .

(٢) هو الإمام الحافظ الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، محدث هراه سمع أبا اليمان الهراني، وسعيد بن أبي مريم، وطبقتهم وأخذ هذا الشأن عن ابن المديني وأحمد وإسحاق وأكثر الترحال، حدث عنه أبو عمرو أحمد بن محمد الحيري ومحمد بن يوسف الهرري توفي سنة ٢٨٠ هـ، انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١) .

(٣) المصدر السابق (٧/ ٤٤٧) .

(٤) درء التعارض (١٠/ ٣٠٨)

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/٣٩٥).

محمد بن عثيمين إذ قال في شرح حديث «إني حرمت الظلم على نفسي» قال: إطلاق النفس على الذات لقوله: «على نفسي» والمراد بنفسه ذاته عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ وليس النفس صفة كسائر الصفات، كالسمع والعلم والقدرة، فالنفس تعني الذات[1].

وهذا التفسير لمعنى النفس هو الصحيح لأمور:

سياق النصوص التي جاءت في إثبات النفس لله تؤيد ذلك:

١ – فقوله تعالى﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾[الأنعام: ٥٤] فالله سبحانه لما كتبها على نفسه دل على أنه لا يكتبها على غيره، ولا على صفة من صفاته .

٢ – قوله تعالى﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ فالله سبحانه هو الذي يخاف ويحذر ويرجى ويتقى ويعبد، لا مخلوقاته ولا صفاته كالحياة ونحوها، ومعلوم أن الله سبحانه لا يحذر عباده حياته، وبقاءه، ونحو ذلك .

٣– وقوله تعالى﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي ﴾ فالمراد به هو نفسه، ليس المراد به صفة من صفاته، إذ علمه لا يقوم إلا به، نفسه وذاته وعينه .

٤ – وقوله تعالى﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ إنما اصطنعه لذاته لا لصفة له، كالحياة والبقاء كما لم يصطنعه لشيء من خلقه " .

٥ – وقوله ﷺ " **سبحان الله رضاء نفسه** "[2] "وصفات الله لا يكون لها رضا، إنما الرضا له نفسه هو الذي يرضى ويسخط"[3] .

* * *

---

(١) شرح الأربعين النووية (ص: ٢٦٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢١٨).

(٣) انظر هذه الأوجه في بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٥٩) .

المطلب الثاني: صفة العلو

إن من الصفات التي وقع التأويل عليها في كتب علوم القرآن التي هي موضوع دراستي صفة العلو لله جل وعلا وهذه الصفة قد تواترت الدلائل الشرعية والعقلية والفطرية على إثباتها ومع ذلك كان لأهل البدع موقف يخالف هذه الدلائل.

قال السيوطي عفا الله عنه في المحكم والمتشابه " ومن ذلك صفة الفوقية في قوله تعالى" ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. "والمراد بها العلو من غير جهة" [(١)] .

وقال الزرقاني " إرشاد وتحذير : لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه وتحتمل الكفر والإيمان حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون، من ذلك قولهم إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست جهة الفوق، ويقولون إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقا، بمعنى أنه استقر فوقه استقرارا حقيقيا غير أنهم يعودون، فيقولون ليس كاستقرارنا وليس على ما نعرف وهكذا يتناولون أمثال هذه الآية وليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر .

ولقد تجلى لك مذهب السلف والخلف فلا نطيل بإعادته، ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها، ليس رأيا

---

(١) الإتقان (٤/ ١٣٦٧) .

لأحد من المسلمين وإنما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة، أما نحن معاشر المسلمين ، فالعمدة عندنا في أمور العقائد هي الأدلة القطعية "(١) .

وهذا منه صريح بإنكار صفة العلو لله جل وعلا، وأيضاً أنكر السؤال عن الله، ويدعي أن كلمات السلف محتملة للكفر، إلى غير ذلك.

ولا شك أن الإقرار بعلو الله عزوجل "قد ثبت بالفطرة التي اتفق عليها أهل الفطرة السليمة وبالنقول المتواترة عن المرسلين من الأخبار، وما نطقت به كتب الله، وما اتفق عليه المؤمنون بالرسل قبل حدوث البدع"(٢) .

وحصر الأدلة واستيفاؤها على علو الله من الصعوبة بمكان وذلك أن أدلتها كثيرة يصعب حصرها واستقصاؤها وقد ذكر شيخ الاسلام عن بعض أكابر أصحاب الشافعي أنه قال " في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق، وأنه فوق عباده، وقال غيره فيه ثلاثمائه دليل تدل على ذلك" (٣) .

وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله " أنا أعد إيراد نصوص هذه المسألة للاحتجاج عياً ثم قال أما سمعت قول القائل:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل (٤)

أدلة أهل السنة على اثبات صفة العلو:

ولقد تنوعت النصوص في إثبات علو الله على خلقه فمنها (٥):

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٩-٢٣٠) وانظر (١/ ٣٧- ٣٨) .

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٥٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١) والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩) .

(٤) مختصر العلو (ص: ١٠٢) .

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٨٠) ونونية ابن القيم بشرح بن عيسى (١/ ٣٩٧) .

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] وقوله ﷺ **"يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم"**(١).

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق والدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٣]. ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الزمر: ١] ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [غافر: ٢]. ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [فصلت: ٢].

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات، بأنها عنده وأن بعضها أقرب اليه من بعض كقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ [الأنبياء: ١٩] ففرق بين من له عموما، وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصاً.

وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه أنه عنده فوق العرش(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠٣) برقم (٥٣٠) ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٤٠) برقم (٧١١٤)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥١).

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون في بمعنى على، وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة "على" مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحبا في الأكثر لأداة "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى كقوله ﷺ **"إن الله يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا"**[1].

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله في اليوم الأعظم في المكان الأعظم لما استشهد هم على البلاغ، إذ رفع أصبعه إلى السماء[2]، فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه اللهم اشهد، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدى رسالة ربه كما أمر ونصح أمته غاية النصيحة فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التصريح بلفظ الأين كقول أعلم الخلق به وأنصحهم لأمته وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه "أين الله" في غير موضع.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) وقال هذا حديث حسن غريب، وأخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٨) برقم (٢٣٧٦٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٥) برقم (١٨٣١) وقال له شاهد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٢٢).

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال إن ربه في السماء بالإيمان .

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السموات فقال ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧] فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ومن أثبته فهو موسوي محمدي .

السابع عشر: إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار.(١)

الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى من الكتاب والسنة وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فلا يرونه إلا من فوقهم .(٢)

وهذه المسألة قد تكلم عنها أهل السنة ولا يخلو كتاب من كتبهم إلا وذكرها وحشد الأدلة على ذلك (٣)

أما الإجماع على ذلك:

فقال الدارمي رحمه الله" وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها .."(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٤١٠) برقم (٣٦٧٤) ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٥) برقم (١٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٤٠٣) برقم (٦٢٠٤)، ومسلم (١/ ١٦٣) برقم (١٨٣).

(٣) انظر على سبيل المثال الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٠) وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٤) وانظر كتاب الشريعة للآجري (٣/ ١٠٨١) والحجة في بيان المحجة (٢/ ٨٣) ومختصر العلو للذهبي.

(٤) نقض الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٨).

أما دلالة الفطرة: فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم إلى السماء عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى .[1]

وقد بين الإجماع على ذلك ابن أبي شيبة فقال " وأجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله جميعاً رفعوا أيديهم إلى السماء، فلوكان الله عزوجل في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء وهو معهم على الأرض "[2].

أما دلالة العقل: أن الله سبحانه كان ولاشيء معه، ثم خلق العالم فلا يخلو، إما أن يكون خلقه في ذاته وانفصل عنه وهذا محال، وإما أن يكون خلقه خارجاً عن ذاته ثم دخل فيه، وهذا محال بالاتفاق وذلك لما يلزم من أن يكون محلاً للقاذورات تعالى الله أن يحل في خلقه، وإما أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه ولم يحل فيه فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره .[3]

وعليه فما ذكر في كتاب السيوطي والزرقاني باطل، فإن تفسير الفوقية بالعلو من غير جهة كما ذكره السيوطي مقصوده والله أعلم إثبات علو القهر والغلبة دون علو المكان وذلك، لما يلزم من إثبات علو المكان إثبات الجهة لله، والله منزه عن أن تحده الجهات ،هذه أصل الشبهة في نفيهم لعلو الله العلو الذاتي، كما في كلام السيوطي .

وكما نقل الزرقاني عن محمد عبده في معنى نزول القرآن وأن الوحي من الله للنبي تنزيلاً لبيان علو مرتبة الربوبية لا أن هناك نزول حسياً ثم قال "وليت شعري

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٩٠) .

(٢) العرش لابن أبي شيبة (ص: ٥١) وانظر الرد على الجهمية للدارمي (ص:٤٤) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٤٦) وكتاب الإبانة لإبي الحسن الأشعري (ص: ١١٦) والانتصار في الرد على المعتزلة الأشرار للعمراني (٢/ ٦١٦) ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٥٩) .

(٣) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص:٣٠٠-٣٠١) ومجموع الفتاوى (٥/ ١٥٢) ودرء التعارض (٧/ ٣) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٨٩ -٣٩٠) .

إذا لم نؤوله بعلو مرتبة الربوبية فماذا نريد منه وهل بقي بعد ذلك شيء غير العلو الحسي الذي يستلزم الجهة والتحيز"[1] .

فإذاً شبهتهم أن إثبات علو الله يلزم منه إثبات الجهة لله، وكونه سبحانه وتعالى في جهة معناه أنه متحيز،فإذا كان متحيزاً كان جسماً، وهذا يبطل الدليل الذي استدلوا به على وجود الرب عزوجل،فهم نفوا صفة العلو حتى يسلم لهم دليلهم الذي استدلوا به على حدوث العالم ، وهذه الشبهة قد رددها المتكلمون ممن ينفي علو الله العلو الذاتي ولم تكن جديدة [2].

وسيأتي بيان بطلان هذا الدليل .

أما قولهم " يستلزم الجهة لله والتحيز" فيقال "لفظ التحيز والجهة.. ونحو ذلك ألفاظ مجملة ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، في حق الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا وحينئذ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه أهل الكلام الخائضون في ذلك ...فإن قال المثبت، المراد بكونه متحيزا وجسما وفى جهة، أنه في جوف المخلوقات أو أن المخلوقات تحوزه أو أنه يماثلها أو يجوز عليه ما يجوز عليها ونحو ذلك فهذا باطل ومباينته للعالم لا يقتضى أن يكون على هذا التقدير متحيزا، ولا في جهة ولا جسما .

وإن قال النافي لذلك إن ما كان فوق العالم فهو في جهة وهو متحيز وهو جسم وذلك محال.

قيل: له نفي أنه مباين للعالم باطل، وملزوم الباطل باطل فإذا كان نفى

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٤).

(٢) انظر الإرشاد للجويني (ص:٣٩) والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ٧٤) وغاية المرام للآمدي (ص: ١٨٠ - ١٨١) .

مسميات هذه الألفاظ ملزوما لنفى المباينة كان نفيها باطلا، والأدلة المذكورة على نفى مسماها بهذا الاعتبار باطلة .

ويقول المثبت: نفى مباينته للعالم وعلوه على خلقه باطل، بل هذه الأمور مستلزمة لتكذيب الرسول فما أثبته لربه وأخبر به عنه"[1].

وأما استنكار الزرقاني للإشارة إلى الله الإشارة الحسية فهذا من أعجب العجب!!

أيستنكر من شيء فعله الرسول ﷺوذلك في حجة الوداع لما استشهد هم على البلاغ فيقولون نعم فيقول اللهم اشهد، ويرفع أصبعه إلى السماء [2] وهو من أعظم الناس تنزيهاً للرب عزوجل عما لا يليق .

وأيضاً سأل الجارية أين الله، وفي ذلك إقرار لإشارتها [3]

والعجب ينقضي إذا علم أنه تلقفه من أهل الكلام، وممن قال بهذا الرازي [4].

وقد قال الإمام الذهبي بعد أن أورد حديث الجارية، في الخبر مسألتان:

إحداهما: شرعية قول المسلم: أين الله ؟

وثانيهما: قول المسؤول: في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على المصطفى ﷺ "[5] .

وقال الإمام الدارمي رحمه الله "وفي قول رسول الله ﷺ أين الله تكذيب لقول من يقول هو في كل مكان لا يوصف بـ "أين" لأن شيئا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال أين هو ولا يقال أين إلا لمن هو في مكان يخلو منه مكان ولو كان الأمر على

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٥-٣٠٦) و(٥/ ٢٦٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧).

(٤) انظر أساس التقديس (ص: ١٥).

(٥) مختصر العلو للذهبي (ص:٨١).

ما يدعي هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها وعلمها ولكنها علمت به فصدقها رسول الله ﷺ وشهد لها بالإيمان بذلك ولو كان في الأرض كما هو في السماء لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء"[1] .

وقال أبو القاسم الأصبهاني " وزعم هؤلاء: أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق، فإن ذلك يوجب التحديد ....وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل؛ لأن جماهير المسلمين، وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء، والسؤال . فاتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل، ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق"[2] .

وما أعظم ما قاله عبد الغني المقدسي[3] بعد أن أورد حديث الجارية " ومن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقول إنه لا يجوز أن يقال: أين الله (بعد) تصريح صاحب الشريعة بقوله أين الله"[4] .

وبهذا يعلم أن الإشارة إلى فوق في الدعاء وغير الدعاء باليد والأصبع ونحوها من الإشارات الحسية قد تواترت به السنن عن النبي ﷺ واتفق عليه المسلمون وغير المسلمين .[5]

أما الجواب عما أورده الزرقاني من شبهات:

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٧) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١١٦- ١١٧).

(٣) هو الإمام الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي أبو محمد، من تصانيفه،الإقتصاد في الإعتقاد، والجامع الصغير، والترغيب في الدعاء والحث عليه، توفي سنة ٦٠٠هـ انظر ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ١) .

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ٨٩) .

(٥) انظر بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٩٧) .

الشبهة الأولى ودفعها: يقولون: إن القول بأن الله لا جهة له وأنه ليس فوقا ولا تحتا ولا يمينا ولا شمالا إلى غير ذلك، يستلزم أن الله غير موجود أو هو قول بأن الله غير موجود ،فإن التجرد من الاتصاف بهذه المتقابلات جملة أمر لا يوسم به إلا المعدوم ومن لم يتشرف بشرف الوجود.

وندفع هذه الشبهة بأمور:

أولها: أن هذا قياس للغائب على الشاهد، وقياس الغائب على الشاهد فاسد، ذلك أن الله تعالى ليس يشبه خلقه حتى يكون حكمه كحكمهم في وجوب أن يكون له جهة من الجهات الست ما دام موجودا، وكيف يقاس المجرد عن المادة بما هو مادي ثم كيف يستوي الخالق وخلقه في جريان أحكام الخلق على خالقه، إن المادي هو الذي يجب أن يتصف بشيء من هذه المتقابلات وأن تكون له جهة من تلك الجهات، أما عين المادي فترتفع عنه هذه الصفات كلها ولا يمكن أن تكون له أية جهة من هذه الجهات جميعها، ونظير ذلك أن الإنسان لا بد أن يكون له أحد الوصفين، فإما: جاهل وإما عالم أما الحجر فلا يتصف بواحد منها ألبتة فلا يقال إنه جاهل ولا إنه عالم بل العلم والجهل مرتفعان عنه بل هما ممتنعان عليه لا محالة لأن طبيعته تأبى قابليته لكليهما وهكذا تنتفي المتقابلات كلها بانتفاء قابلية المحل لها أيا كانت هذه المتقابلات وأيا كان هذا المحل الذي ليس قابلا لها فيمتنع مثلا أن توصف الدار بأنها سمعيه أو صماء وأن توصف الأرض بأنها متكلمة أو خرساء وأن توصف السماء بأنها متزوجة أو أيم وهلم جرا"[1] .

وهذا الكلام باطل وذلك أنه في مقابل النص وذلك أن النصوص الشرعية والفطرة والعقل قد تواترت بإثبات صفة العلو لله عزوجل وعليه فلا يلتفت إلى اللوازم التي التزمتموها، والأقيسة التي اخترعتموها﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ١٤٠].

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣١- ٢٣٢) .

أما قوله" أما عين المادي فترتفع عنه هذه الصفات كلها ولا يمكن أن تكون له أية جهة من هذه الجهات جميعها" فيلزم من كلامه تشبيه الله بالجمادات التي هي غير قابلة للصفات، وهذا يقتضي نفي جميع الصفات عن الله وذلك بهذه الحجة وهذا من أبطل الباطل .

وذلك أن الله سبحانه قد وصف نفسه سبحانه بالعلم، ونزه نفسه سبحانه من النسيان والضلالة وهكذا، ووصف نفسه بالحياة ولا يخفى أن هذه الأوصاف لها ما يقابلها و قد سمى الله نفسه سميعاً بصيراً قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء: ٥٨] وقد سمى بعض خلقه سميعاً بصيراً قال تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢] فلا يلزم من إثبات تلك المسميات الاشتراك بين الخالق والمخلوق، بل أسماء الله إذا أضيفت إليه مختصة به سبحانه لا يشركه فيها غيره، وكذلك أسماء المخلوق وصفاته .(١)

أما قوله " ثانيا نقول لهؤلاء أين كان الله قبل أن يخلق العرش والفرش والسماء والأرض، وقبل أن يخلق الزمان والمكان، وقبل أن تكون هناك جهات ست، فإن قالوا لم يكن له جهة ولا مكان نقول قد اعترفتم بما نقول نحن به وهو الآن على ما عليه كان لا جهة له ولا مكان وإن زعموا أن العالم قديم بقدمه فقد تداووا من داء بداء واستجاروا من الرمضاء بالنار ووجب أن ننتقل بهم إلى إثبات حدوث العالم والله هو ولي الهداية والتوفيق"(٢) .

يقال في الجواب عن هذا أن الله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بالعلو، فصفة العلو له تعالى صفة ذاتيه، فهو سبحانه وتعالى متصف بهذه الصفة، أزلاً وأبداً، فالله في العلو قبل أن يخلق المخلوقات وبعد أن يخلقها، كما دلت على ذلك النصوص

---

(١) انظر التدمرية (ص:٢١ -٢٢) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٢) .

الشرعية، وقد تقدم ذلك .

أما قوله" ثالثا: نقول لهؤلاء إذا كنتم تأخذون بظواهر النصوص على حقيقتها، فماذا تفعلون بمثل قوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦] مع قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الأنعام: ٣] أتقولون إنه في السماء حقيقة أم في الأرض حقيقة أم فيهما معا حقيقة .

وإذا كان في الأرض وحدها حقيقة فكيف تكون له جهة فوق ؟

وإذا كان فيهما معا حقيقة فلماذا يقال له جهة فوق ولا يقال له جهة تحت ؟

ولماذا يشار إليه فوق ولا يشار إليه تحت ؟ ثم ألا يعلمون أن الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحتا بالنسبة إلى غيرنا فأين يذهبون"[(١)] .

أقول إن النصوص الشرعية واضحة الدلالة على علو الله على خلقه، لا يماري فيها ويجادل إلا صاحب هوى .، وقد أجمع على ذلك سلف الأمة، كما سبق ذلك، أما الجواب عن إيراده .

فيقال إن قوله تعالى﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من أدلة علو الله عزوجل على خلقه.

أما قوله تعالى "﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فهذه الآية مما يتمسك به أهل البدع ويحتجون بمثل هذه الآيات على نفي صفة العلو حتى تستقيم لهم أصولهم التي ابتدعوها [(٢)].

وهي بحمد الله واضحة الدلالة وقد بين ذلك أهل السنة .

فهذا الإمام أحمد يورد بعض الآيات التي يتمسك بها أهل البدع، وقد ذكر رحمه الله قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وبين معناها .

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي الكرمي (ص: ١٠٥) .

فقال رحمه الله" معنى قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله مَنْ في السموات وإله مَنْ في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علمه مكان، ولا يكون علم الله تعالى في مكان دون مكان"[١].

والإمام الآجري[٢] رحمه الله بين أن أهل البدع يلبسون بهذه الآية على من لا علم عندهم فيحتجون بهذه الآية وليس في الآية دلالة .

قال " ومما يلبسون به على من لا علم معه احتجوا بقوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وبقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[الزخرف: ٨٤] وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة، كما قال الله تعالى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[آل عمران: ٧] وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فهو كما قال أهل العلم مما جاءت به السنن: إن الله عز وجل على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون .

وقوله عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾.

فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السماوات، وإله من في الأرض، إله يعبد في السماوات، وإله يعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء"[٣].

وقد بين ابن كثير رحمه الله معنى الآية بقوله: "اختلف مفسرو هذه الآية على

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (ص:٢٩٢- ٢٩٣) .

(٢) الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة سمع من جعفر الفريابي وروى عنه أبو نعيم الحافظ وخلق وكان عالماً عاملاً صاحب سنة توفي سنة ٣٦٠ هـ، انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٣٦) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/ ٢٤٣) .

(٣) كتاب الشريعة (٣/ ١١٠٣- ١١٠٤) وانظر كتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ١٣٧) وانظر مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٤) والصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠٠) .

أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بأنه في كل مكان، حيث حملوا الآية على ذلك .

فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ خبرا أو حالا"[(١)].

ونظير هذا أن يقال فلان يملك بالشام والعراق لدل على الملك بالشام والعراق لا أن ذاته فيهما.، أو فلان أمير في خرسان وأمير في سمرقند، وإنما هو موضع واحد وهو يخفى عليه ماوراءه، فكيف العالي فوق الأشياء لايخفى عليه شيء[(٢)] .

وأيضاً يقال إنه "لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة، أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير"[(٣)] .

وعليه فالآية ليس فيها دلالة على نفي علو الله على خلقه، وهي بحمد الله واضحة الدلالة لا لبس فيها ولا إشكال، وهي مؤيدة وشاهده للآيات الدالة على علو الله .

---

(١) تفسير ابن كثير(٢/ ١٢٤) الجامع وانظر تنوير المقباس في تفسير ابن عباس (ص:١٠٥) وتفسير السمعاني (٢/ ٨٧) وتفسير البغوي (٢/ ٨٤) وتفسير البيضاوي (٢/ ٣٩١) وتفسير الشوكاني (٢/ ٩٩) .

(٢) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٤٣) وانظر الحموية (ص:٤٠٤) .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٨١) .

أما قول محمد عبده أن العراقي كفر مثبت الجهة وتأييده له وتعليله "لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية ولا يتأتى غير هذا فإن سمعت منهم سوى ذلك فهو قول متناقض وكلامهم لا معنى له"[(١)] .

فهذا من تلبيس الحق بالباطل، وقد كفر أهل السنة من ينكر صفة العلو لله عز وجل كما نقل ذلك عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله إذ قال " من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر وكذا من قال إنه على العرش، ولا أدري العرش في السماء أم في الأرض" وذلك أن من ينكر صفة العلو قد كذب الله ورسوله .

سئل أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقال: قد كفر لأن الله يقول " ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ " وعرشه فوق سبع سماوات فإن قال، إنه على العرش ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال:هو كافر لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر "[(٢)] .

وهذا منه رحمه الله ؛ لأن علو الله على خلقه، من المعلوم بالضرورة حتى فرعون مع كفره وعتوه على الله فقد علم أنه عزوجل في السماء قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾[غافر: ٣٦ – ٣٧] "ففي هذه الآية بيان بين ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه في السماء فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع إليه"[(٣)] .

* * *

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٤).

(٢) الفقه الأكبر (ص: ١٣٥) وانظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٨٧).

(٣) الرد على الجهمية للدارمي (ص:٤٤– ٤٥)

المطلب الثالث: صفة اليدين

لقد كان موقف الزركشي والسيوطي والزرقاني فيما كتبوه في علوم القرآن موقفاً مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة فهم قد أولوا صفة اليد لله عزوجل ولم يثبتوها كما أثبتتها النصوص الشرعية ويتضح ذلك بنقل أقوالهم .

نقل الزركشي عن السهيلي "اليد في الأصل كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار في قوله ﴿ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥]. ولم يمدحهم بالجوارح ؛ لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر ".

ثم قال "وإذا ثبت هذا فصح قول الأشعري إن اليدين في قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥] صفة ورد بها الشرع" .

فهو بهذا يري أن اليد صفة ورد بها الشرع، وليست اليد في النصوص على ظاهرها التي جاءت بها وإنما صفة جاء بها الشرع غير معلومة المعنى ويؤيد ذلك قوله بعد ذلك .

" فإن قيل وكيف خوطبوا بما لا يعلمون إذ اليد بمعنى الصفة لا يعرفونه، ولذلك لم يسأل أحد منهم عن معناها، ولا خاف على نفسه توهم التشبيه، ولا احتاج إلى شرح وتنبيه .

وكذلك الكفار لو كان لا يعقل عندهم إلا في الجارحة لتعلقوا بها في دعوى التناقض، واحتجوا بها على الرسول، ولقالوا زعمت أن الله ليس كمثله شيء، ثم تخبر أن له يدا .

ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر علم أن الأمر عندهم كان جليا لا خفاء به لأنها صفة سميت الجارحة بها مجازا ثم استمر المجاز فيها حتى نسيت الحقيقة، ورب مجاز كثير استعمل حتى نسي أصله وتركت صفته، والذي يلوح من معنى

هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشيئة فاليد أخص من معنى القدرة ولذا كان فيها تشريف لازم"(١) .

قال الزركشي في قوله تعالى ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] كناية عن كرمه وثنى اليد وإن أفردت في أول الآية ليكون ابلغ في السخاء والجود"(٢) .

والسيوطي كذلك أول اليد بمعنى القدرة "(٣).

والزرقاني لا يثبت لليد حقيقة .

يقول " نقول لهؤلاء ماذا تقولون في قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[الفتح: ١٠] بإفراد اليد مع قوله﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ بتثنيتها ومع قوله﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [الذاريات: ٤٧] بجمعها، فإذا كنتم تعملون النصوص على ظواهرها حقيقة فأخبرونا أله يد واحدة بناء على الآية الأولى، أم له يدان اثنتان بناء على الآية الثانية، أما له أيد أكثر من اثنتين بناء على الآية الثالثة"(٤) .

فإذاً أقوالهم السابقة مخالفة للنصوص الشرعية، ومخالفة لما أجمع عليه أهل السنة قاطبة من إثبات صفة اليد لله عزوجل على ماجاءت به النصوص من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل .

والأدلة على هذا كثيرة وسأورد بعضاً منها:

الأدلة من الكتاب:

قوله تعالى﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ [ص: ٧٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٩١) و(٢/ ١٩٢) .

(٣) الإتقان (٤/ ١٣٦٣) .

(٤) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٢).

وقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[المائدة: ٦٤].

وقوله تعالى" ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾[الزمر: ٦٧].

وأما من السنة " فكثيرة وقد أورد البخاري جملة من الأحاديث الدالة على إثبات صفة اليد لله عزوجل في صحيحه في كتاب التوحيد، وأوردها في باب قول الله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ إشارة منه رحمه الله على أن المراد من الآية اليد الحقيقية لله عزوجل كما جاءت في أحاديث المصطفي ﷺ وأن الواجب إثباتها كما أثبته الله لنفسه وأثبتها له رسولهﷺ .

ومما أورد من هذه الأحاديث حديث الشفاعة الطويل وفيه: عن أَنَسٍ أَنَّ النبي ﷺ قال: «**يَجْمَعُ الله الْمُؤْمِنِينَ يوم الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ لو اسْتَشْفَعْنَا إلى رَبِّنَا حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا هذا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يا آدَمُ أَمَا تَرَى الناس خَلَقَكَ الله بيده وَأَسْجَدَ لك مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كل شَيْءٍ اشْفَعْ لنا إلى رَبِّنَا حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا هذا..**» (١).

ومنها مارواه أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال: "**يَدُ اللهَّ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وقال أَرَأَيْتُمْ ما أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السماوات وَالْأَرْضَ فإنه لم يَغِضْ ما في يَدِهِ وقال وكان عَرْشُهُ على الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**"(٢) .

ومنها رواه عبد اللهَّ بن مسعود أَنَّ يَهُودِيًّا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد إِنَّ اللهَّ يُمْسِكُ السماوات على إِصْبَعٍ والأرضيين على إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ على إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ على إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ على إِصْبَعٍ ثُمَّ يقول أنا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رسول اللهَّ ﷺ حتى بَدَتْ

---

(١) كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٥) برقم (٦٩٧٥) .

(٢) المصدر السابق (٦/ ٢٦٩٧) برقم (٦٩٧٦).

نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] فَضَحِكَ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا له"[١].

فهذه النصوص صريحة في إثبات اليد لله عزوجل .

وقد اتفق أهل السنة على هذا.

يقول أبو حنيفة رحمه الله" في صفات الله " وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن "[٢].

ويقول أبو الحسن الأشعري" أجمعوا على أنه عزوجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه"[٣] .

وقال الإمام ابن خزيمة " نحن نقول: لله جل وعلا يدان، كما أعلمنا الخالق الباريء في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ "[٤] .

وقال الآجري" يقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم بيده كفرت بالقرآن، ورددت السنة وخالفت الأمة.."[٥] .

وقال أبو نصر السجزي " أهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين، وبذلك ورد النص في الكتاب والأثر"[٦] .

وكلام السلف في هذا كثير وهم متفقون على هذا[٧] وذلك؛ لأنه ليس لهم

(١) المصدر السابق (٦/ ٢٦٩٧) برقم (٦٩٧٨).

(٢) الفقه الأكبر (ص: ٢٧).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر لإبي الحسن الأشعري (ص: ٢٢٥- ٢٢٦) .

(٤) كتاب التوحيد (١/ ١٩٣) .

(٥) الشريعة (٣/ ١١٧٨) .

(٦) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٧٣).

(٧) انظر كتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ٢٩٥) وكتاب التوحيد لابن منده(٣/ ٢١) وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٣/ ٤٥٧) والحجة في بيان المحجة لإبي القاسم (١/ ٢٠١) و(٢/ ٣١٠) وكتاب =

مصدر يعولون عليه إلا كتاب الله وسنة رسولهﷺ بخلاف أهل البدع فمصدرهم عقولهم، وما يمليه عليهم شيوخهم، فنسأل الله أن يعصمنا من البدع وأهلها .

أما ماذكره الزركشي من أن معنى اليد صفة ورد بها الشرع وأنها صفة أخص من معنى القدرة، وكذلك ما قاله السيوطي من أن اليد مؤولة بمعنى القدرة، فهذا قول أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة المتأخرين منهم، فإنهم يفسرون اليد بعدة تفاسير كالقدرة والقوة والنعمة .

يقول القاضي عبد الجبار" إن اليدين هاهنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة يقال مالي على هذا الأمر يد أي قوة "[(١)] .

أما المتقدمون فإنهم يثبتون هذه الصفة .[(٢)]

يقول إمام الحرمين الجويني "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، ... والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة.."[(٣)].

ولا شك في بطلان هذه التأويلات وذلك من وجوه[(٤)]:

١. أن تفسيرهم لمعنى اليد بالقدرة أو النعمة خلاف الحقيقة وظاهر اللفظ وذلك أن الأصل في إطلاق اليد هي اليد الحقيقية إلا بقرينة تصرف اللفظ عن حقيقته .

٢. أن اطراد لفظة اليد في كافة الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع تفسيرها بغير اليد المعروفة، ويثبت كونها حقيقة في حقه تعالى فقوله تعالى

= الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ١١٢) ومجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤) .

(١) شرح الأصول الخمسة (ص:٢٢٨) .

(٢) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص: ٢٢٤) و التمهيد للباقلاني (ص: ٢٩٥) والاعتقاد للبيهقي (ص:١٨٣) .

(٣) الإرشاد (ص:١٥٥) وانظر أساس التقديس للرازي (ص:٩٩) وغاية المرام للآمدي (ص:١٣٩).

(٤) انظر مختصر الصواعق (٣/ ٩٤٦).

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله تعالى" ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فلو كانت اليد بمعنى القدرة أو النعمة لم يستعمل منه لفظ اليمين، كما جاء في الحديث **"المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين "**[(١)] فلا يقال هذا في النعمة والقدرة .

قال ابن خزيمة رحمه الله " زعمت الجهمية المعطلة أن معنى قوله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي نعمتاه وهذا تبديل لا تأويل .

والدليل على نقض دعواهم هذه: أن نعم الله كثيرة لا يحصيها إلا الخالق الباريء... ولله يدان لا أكثر منهما كما قال لإبليس عليه لعائن الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فأعلمنا عزوجل أنه خلق آدم بيديه فمن زعم أنه خلق آدم بنعمته كان مبدلاً لكلام الله.

وقال عزوجل ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أفلا يعقل أهل الإيمان أن الأرض جميعاً لا تكون قبضة إحدى نعمتيه يوم القيامة، ولا أن السموات مطويات بالنعمة الأخرى"[(٢)] .

٣. "أن اقتران لفظ الطي والقبض والبسط والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة، هذا في الفعل وهذا في الصفة بخلاف اليد المجازية، فإنها إذا أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد الحقيقية " فيقال مثلاً " له عندي يد " وأنا تحت يده " ونحوها .

"وإنما أوتي هؤلاء من جهة ظنهم أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٧) .

(٢) كتاب التوحيد (١/ ١٩٨) وانظر كتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ٣١٦) والاعتقاد للبيهقي (ص: ١٨٣) والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص :١١٨).

بعض المواضع فظنوا أن كل تركيب وسياق صالح لذلك فوهموا وأوهموا فهب أن هذا يصلح في قوله " لولا يد لك لم أجزك بها" .

أفيصلح في قوله" ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ؟

وفي قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه " إن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً، خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده" أفيصح في عقل أونقل أوفطرة أن يقال: لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثاً"؟ [(١)(٢)] .

٤ . أن تفسير اليد بالنعمة أو القدرة يبطل تخصيص آدم عليه السلام بأنه خلق بيده عزوجل وذلك أن جميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه فأي مزية لآدم على إبليس في قوله﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٣)] .

أما الجواب عن ما أورده الزرقاني وهو أن اليد جاءت في النصوص مفردة وجمعاً ومثناه فيقال " بل له سبحانه يدان اثنتان كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة .

فمن الكتاب "قوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ والمقام مقام تشريف، فلوكان الله خلقه بأكثر من يدين، لذكره سبحانه، حتى يزداد تعظيماً وتشريفاً؛ لأن الشيء يزداد تعظيما بازدياد الصفة التي بها خُلِق .

وقوله سبحانه وتعالى﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وجه الدلالة: أن الله سبحانه رد على اليهود الذي وصفوا يد الله بالإفراد مغلولة، فكذبهم الله بأنه له سبحانه يدان

---

(١) أخرجه الصنعاني في تفسيره عن قتادة عن كعب (٣/ ٤٣) وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن كعب (٧/ ٢٠٧) وورد من طرق أخرى عن حكيم بن جابر قال " أخبرت أن ربكم عزوجل لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء.." أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٧/ ٢٨) والذهبي في العلو(ص: ١٢٥) وصححه الألباني في مختصره (ص: ١٢٩- ١٣٠) .

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ٩٤٩-٩٥٠) .

(٣) انظر كتاب الإبانة لإبي الحسن الأشعري (ص: ١٣١) والاعتقاد للبيهقي (ص: ١٨٣) .

مبسوطتان، والمقام هنا مقام يقتضي كثرة النعم، وكلما كثرت وسيلة العطاء كثر العطاء .، فلوكان لله سبحانه أكثر من يدين لذكرهما الله سبحانه وتعالى .[1]

وأما من السنة ماروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرحمن عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا**»[2]

وأجمع السلف على أن لله يدين اثنتين وقد سبق نقل أقوالهم .

أما الجمع بين النصوص التي جاءت فيها ذكر اليد، فاليد جاءت في النصوص مفردة كقوله تعالى﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وجاءت مثناه كقوله تعالى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ وجاءت مجموعة كقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس: ٧١] فيقال الجمع بين الإفراد والتثنية: أن اليد جاءت مفردة مضافة، والمفرد إذا أضيف فإنه يفيد العموم، فتكون في الآية تعم كل ما ثبت لله من يد .وعليه فيكون المراد جنس اليد لا حقيقة العدد.

وأما الجمع بين التثنية والجمع:فمن وجهين:

١. أنه لا يراد بالجمع في الآية حقيقة معناه وهو الثلاثة فما فوق بل المراد به التعظيم كما قال الله تعالى: إنا " ونحن "وقلنا" وما أشبه ذلك، وعليه فيكون المراد تعظيم هذه اليد وليس المراد أن لله تعالى أكثر من اثنتين .

٢. أو يقال إن أقل الجمع اثنان كما ذهب إليه بعض العلماء فقوله" أيدينا" لا تدل على أكثر من اثنتين فتكون مطابقة للتثنية "في قوله "بل يداه مبسوطتان" ولا يحصل بذلك تعارض .[3]

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١/ ٣٠٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٧).

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (١/ ٣٠١-٣٠٣)

أما ما ذكره من أن اليد جاءت مجموعة ثم استدل بقوله تعالى﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ فهذا غلط، وذلك أنه ليست المراد من الآية اليد الحقيقية، بل المراد القوة وذلك، أنها مصدر آد يئيد بمعنى: قوي، وليس المراد صفة الله ولهذا ما أضافها الله إلى نفسه، بقوله بأيدينا بل قال بأيد . والقوة إنما تسمى: الأيد في لغة العرب لا اليد كما ذكر ذلك ابن خزيمة رحمه الله(١) .

قال الشيخ الأمين الشنقيطي: قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ ليس من آيات الصفات المعروفة بهذا الاسم، لأن قوله﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ ليس جمع يد: وإنما الأيد القوة، فوزن قوله هنا بأيد فعل، ووزن الأيدي أفعل، فالهمزة في قوله: بِأَيدٍ في مكان الفاء والياء في مكان العين، والدال في مكان اللام. ولو كان قوله تعالى: ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ جمع يد لكان وزنه أفعلاً، فتكون الهمزة زائدة والياء في مكان الفاء، والدال في مكان العين والياء المحذوفة لكونه منقوصاً هي اللام .

والأيد، والآد في لغة العرب بمعنى القوة، ورجل أيد قوي، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[البقرة: ٨٧] أي قويناه به، فمن ظن أنها جمع يد في هذه الآية فقد غلط فاحشاً، والمعنى: والسماء بنيناها بقوة "(٢) وقد اتفق المفسرون على هذا .(٣)

* * *

---

(١) انظر كتاب التوحيد (١/ ١٩٨)

(٢) أضواء البيان (٧/ ٤٤٢)

(٣) انظر تفسير مجاهد (٢/ ٦٢١) وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣) وتفسير الطبري (٢٧/ ٧- ٨) وتفسير البغوي (٤ / ٢٣٤) وتفسير ابن كثير(٤/ ٢٣٨)

المطلب الرابع: صفة الوجه

ومن الصفات التي أولت في كتب علوم القرآن صفة الوجه .

يقول الزركشي عفا الله عنه" في النوع الثالث والأربعين " الرابع: إطلاق اسم الجزء على الكل، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] أي: ذاته ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] "(١)

وقال "حكى الواحدي عن أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة: ١١٥] أن الوجه صلة، والمعنى: فثم الله يعلم ويرى قال: والوجه قد ورد صلة مع اسم الله كثيرا كقوله:﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

قلت: والأشبه حمله على أن المراد به الذات كما في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] وهو أولى من دعوى الزيادة"(٢)

وقال السيوطي: ومن ذلك الوجه وهو مؤول بالذات.

وقال ابن اللبان في قوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الأنعام: ٥٢]﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠] المراد إخلاص النية.."(٣)

وهذا بلا ريب مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة لله جل وعلا بما يليق به سبحانه، وقد دل على ذلك النصوص من الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٦٤) .

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٧٢) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٢، ١٥١٠) وانظر مناهل العرفان (٢/ ٢٢٩) .

فمن الكتاب:

١ - قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٢ - وقوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾

٣ - وقوله تعالى" ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وأما من السنة:

فيدل لذلك ما رواه جابر رضي الله عنه" قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الْآيَةُ ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» فقال ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» قال ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ فقال النبي ﷺ: «**هذا أَيْسَرُ**»[(١)] .

ومن ذلك مارواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فِينَا رسول اللهَّ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فقال: **" إِنَّ اللهَّ عز وجل لَا يَنَامُ ولا يَنْبَغِي له أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إليه عَمَلُ اللَّيْلِ قبل عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قبل عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ وفي رِوَايَةِ أبي بَكْرٍ النَّارُ لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إليه بَصَرُهُ من خَلْقِهِ "**[(٢)] .

ومن ذلك دعاء النبي ﷺ الذي رواه لنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ... **"وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إلى لِقَائِكَ في غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللهم زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ "**[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى" كل شيء هالك إلا وجهه" (٦/ ٢٦٩٤) برقم (٦٩٧١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦١) برقم (١٧٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٤) برقم (١٨٣٥١) والنسائي في سننه (١/ ٣٨٧) برقم (١٢٢٨) والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٥) برقم (١٩٢٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٠١) .

وأما إجماع السلف:

فالبخاري رحمه الله بوب في صحيحه في كتابه التوحيد،باب قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ثم ساق حديثاً يدل على ذلك[1] .

وقال ابن خزيمة رحمه الله" نحن نقول وعلماؤنا جميعا في جميع الأقطار أن لمعبودنا عز وجل وجها كما أعلمنا الله في محكم تنزيله فذاوه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا عز وجل من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره محجوب عن أبصار أهل الدنيا لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية"[2].

وبوب الإمام ابن منده[3] في كتابه الرد على الجهمية باب قول الله جل وعز: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص: ٨٨] . وقال الله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

وذكر ما ثبت عن النبي ﷺ مما يدل على حقيقة ذلك"[4]. ثم ساق الأحاديث الدالة على ذلك.

وقال في كتابه التوحيد" ومن صفات الله عزوجل التي وصف بها نفسه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وقال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وكان النبي ﷺ يستعيذ بوجه الله من النار والفتن كلها ويسأل به"[5].

---

(١) (٦/ ٢٦٩٤).

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٥٣) وانظر منه (١/ ٢٥) .

(٣) هو الإمام الحافظ محدث العصر، أبو عبدالله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحى بن مندة، صاحب التصانيف ومنها كتاب التوحيد، والتاريخ، والناسخ والمنسوخ، والإيمان، توفي سنة ٣٩٥هـ انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١) والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٦) .

(٤) (ص:٥٠) .

(٥) (٣/ ٣٦) وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٥٧) والحجة في بيان المحجة (١/ ٢١٥) =

أما ما ذكر في كتب علوم القرآن من تفسير الوجه المضاف إلى الله بالذات، فهذا هو قول أهل الكلام من المعتزلة وبعض الأشاعرة وخاصة المتأخرين " فعندهم أن قوله تعالى" ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ لا تدل على إثبات صفة الوجه لله بل المراد به ذات الله.(١)

ولاشك في بطلان ما ذهبوا إليه: من وجوه .

١ - مخالفته للنصوص الشرعية وما أجمع عليه سلف الأمة، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك.

٢ - أن قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ صريحة في إثبات صفة الوجه لله وذلك، أنه لو كان المراد من الوجه ذات الرب لقال "ذي الجلال " بالخفض .

يقول ابن خزيمة في بيان هذا الوجه"وزعم بعض جهلة الجهمية أن الله عز وجل إنما وصف في هذه الآية نفسه التي أضاف إليها الجلال بقوله ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨] وزعمت أن الرب هو ذو الجلال والإكرام لا الوجه.

قال أبو بكر: أقول وبالله توفيقي، هذه دعوى يدعيها جاهل بلغة العرب لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فذكر الوجه مضموما في هذا الموضع مرفوعا وذكر الرب بخفض الباء بإضافة الوجه .

ولو كان قوله﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾مردودا إلى ذكر الرب في هذا الموضوع

= والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص:٩٦-٩٨) و مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤) .

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٢٧) والعدل والتوحيد للمريسي (ص:٢٦٥-٢٦٦)ومقالات الإسلاميين (ص:١٨٩) دار إحياء التراث العربي والإرشاد للجويني (ص: ١٥٧) وغاية المرام للآمدي (ص:١٤٠) .

لكانت القراءة ذي الجلال والإكرام مخفوضا، كما كان الباء مخفوضا في ذكر الرب جل وعلا .

ألم تسمع قوله تبارك وتعالى﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للرب خفض ذي الباء الذي ذكر في قوله ربك .

ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعة التي كانت صفة الوجه مرفوعة فقال ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ فتفهموا يا ذوى الحجا هذا البيان الذي هو مفهوم في خطاب العرب لا تغالطوا فتتركوا سواء السبيل وفي هاتين الآيتين، دلالة أن وجه الله صفة من صفات الله ، صفات الذات لا أن وجه الله هو الله ولا أن وجهه غيره كما زعمت المعطلة الجهمية لأن وجه الله لو كان الله لقرئ "ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام"[(1)] .

٣- "أن الوجه حيث ورد فإنما ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارده . والمضاف إلى الرب نوعان: أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وناقة الله،.... فهذه إضافة تشريف وتخصيص وهي إضافة مملوك إلى مالكه .

الثاني: صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وقدرته.... فهذه إذا وردت مضافة إليه فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها، إذا عرف ذلك فوجهه الكريم وسمعه وبصره إذا أضيف إليه وجب أن يكون إضافة وصف لا إضافة خلق"[(2)] .

٤- "أنه لا يعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، وغاية ماشبه به المعطل وجه الرب أن قال: هو كقوله" وجه الحائط" ووجه الثوب ... فيقال لهذا المعطل المشبه: ليس الوجه في ذلك بمعنى الذات، بل هذا مبطل لقولك، فإن وجه الحائط أحد جانبيه فهو مقابل لدبره ومن هذا وجه الكعبة ودبرها فهو

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ٦٢- ٦٤) وانظر الإعتقاد للبيهقي (ص: ١٨٣) ومختصر الصواعق (٣/ ٩٩٥) .

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ١٠٠٩).

وجه حقيقة، ولكنه بحسب المضاف إليه، فلما كان المضاف إليه بناء كان وجهه من جنسه .."[1] .

٥- "أن دعوى المعطل أن الوجه صلة كذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى اللغة فإن هذه الكلمة ليست مما عهد زيادتها "[2].

وبهذا يعلم أن صفة الوجه من الصفات الذاتية التي تثبت لله على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى .

* * *

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٩٩٦)

(٢) المصدر السابق (٣/ ٩٩٤)

المطلب الخامس: صفة العينين لله

ومن الصفات التي أولت صفة العينين لله عزوجل .

يقول الزركشي "وأما العين في الأصل فهي صفة ومصدر لمن قامت به ثم عبر عن حقيقة الشيء بالعين قال: وحينئذ فإضافتها للبارئ في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩] حقيقة لا مجاز كما توهم أكثر الناس؛ لأنه صفة في معنى الرؤية والإدراك، وإنما المجاز في تسمية العضو بها وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم فلا يضاف إلى البارئ سبحانه لا حقيقة ولا مجازا"[1]

وقال السيوطي "ومن ذلك العين وهي مؤولة بالبصر أو الإدراك، بل قال بعضهم، إنها حقيقة في ذلك ، خلافا لتوهم بعض الناس أنها مجاز وإنما المجاز في تسمية العضو بها .

وقال ابن اللبان نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته المبصرة التي بها سبحانه ينظر للمؤمنين وبها ينظرون إليه قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقا؛ لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه وقال ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَا﴾[الأنعام: ١٠٤] قال فقوله ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨] أي بآياتنا تنظر بها إلينا، وننظر بها إليك قال، ويؤيد أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بها الصبر لحكم ربه صريحا في قوله ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٣ – ٢٤] قال وقوله في سفينة نوح ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] أي بآياتنا بدليل ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾[هود: ٤١] وقال ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩] أي على حكم

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٧) .

آيتي التي أوحيتها إلى أمك ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧] وقال غيره المراد في الآيات كلاءته تعالى وحفظه "[1]

وهذا مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة من إثبات صفة العينين لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته، والأدلة على هذا من الكتاب: قوله تعالى " ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ " وقوله تعالى ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] " .

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ .

يقول ابن خزيمة رحمه الله " باب ذكر إثبات العين لله عزوجل على ما ثبته الله الخالق الباري لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ " ثم أورد الآيات السابقة ثم قال " فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق الباري لنفسه من العين .."[2] .

وأما من السنة:

عن عبد اللهَّ بن عمر رضي الله عنه قال ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النبي ﷺ فقال: «**إن الله لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّ اللهَّ ليس بِأَعْوَرَ وَأَشَارَ بيده إلى عَيْنِهِ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»[3].

وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب التوحيد في باب "قول الله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ وفيه إشارة إلى أن المقصود من الآية هو إثبات صفة العين لله جل وعلا كما جاء في حديث الدجال .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٢– ١٣٦٣) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٠٦) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٦/ ٢٦٩٥) برقم (٦٩٧٢).

وقال ابن خزيمة رحمه الله" باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عزوجل في قوله " ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] " فبين النبي ﷺ أن لله عينين، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب "[١] .

يقول الدارمي رحمه الله "قول رسول الله ﷺ **"إن الله ليس بأعور"** بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور"[٢]..."والعور عند الناس ضد البصر والأعور عندهم ضد البصير بالعينين"[٣] .

وقد قال ذلك أهل اللغة، أن الأعور هو من ذهبت إحدى عينيه، ولا يقال ذلك إلا لمن له عينين.[٤]

فإذاً قول النبيﷺ **" إن ربكم ليس بأعور"** صريح في أنه ليس المراد إثبات عين واحدة فإن ذلك عور ظاهر تعالى الله عنه" وهل يفهم من قول الداعي اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام" أنها عين واحدة ليس إلا، إلا ذهن أقلف[٥] وقلب أغلف"[٦] .

وممن نص على إثبات العينين لله جل وعلا ابن خزيمة رحمه الله .

يقول " نقول لربنا الخالق عينان، يبصر بهما ما تحت الثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى ومابينهما من صغير وكبير..."[٧] إلى آخر

---

(١) كتاب التوحيد (١/ ١١٠).

(٢) نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي (١/ ٣٢٧) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٠٥) .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨٤) ولسان العرب (٤/ ٦١٢) .

(٥) الأقلف: بين القلف، وهو الذي لم يختن، ويقال: قلب أقلف: إذا لم يع خيراً كأنه مغشى مغطى لا يدخله وعظ، وقلوب غلف: قلف، انظر تهذيب اللغة (٩/ ١٣٥) وأساس البلاغة للزمخشري (ص: ٥٢٠) .

(٦) مختصر الصواعق (١/ ٦٦- ٦٧).

(٧) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١٤) .

كلامه .

وكذلك الأشعري فقد بوب ذلك بقوله" باب الكلام في الوجه، والعينين والبصر واليدين"[1] ثم ذكر الأدلة على ذلك.

وقد قال ابن القيم " قد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وممن صرح بذلك إثباتا واستدلالا أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها فقال في المقالات والإبانة والموجز وهذا لفظه فيها " وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ فهذا الأشعري وغيره لم يفهموا من الأعين أعينا كثيرة ولا من الأيدي أيديا كثيرة على شق"[2] .

وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحده، وهذا كقولك: افعل هذا على عيني، لا يريد بذلك أن له عينا واحدة [3].

أما تأويلهم العين بالبصر أو الإدراك فهذا قول تابعوا فيه الأشاعرة [4] .

وهذا لاشك في بطلانه إذ هو مخالف لظاهر النصوص الشرعية، ولما أجمع السلف عليه وقد سبق بيان ذلك.

وكذا تفسير ابن اللبان بأن نسبة العين لله المراد بها آياته المبصرة فهذا يرده ظاهر اللفظ وذلك أن الله أضاف العين له سبحانه، ولم يضفها إلى آياته .

أما ما يذكره المفسرون من تفسير لمعاني الآيات التي تذكر فيها صفة العين. كقولهم " في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾" بمرأي مني "[5] .

---

(١) الإبانة لإبي الحسن الأشعري (ص: ١٢٠)

(٢) مختصر الصواعق (١/ ٦٨- ٦٩)

(٣) انظر مختصر الصواعق (١/ ٦٤)

(٤) انظر أصول الدين للبغدادي (ص: ١١٠)والإرشاد للجويني (ص: ١٥٥) وأساس التقديس للرازي (ص:٩٥- ٩٦) .

(٥) انظر تفسير الطبري (٦/ ١٦٣) وتفسير البغوي (٣/ ٢١٧) وتفسير ابن عطية (٤/ ٤٤)

وهكذا في بقية الآيات فإن هذا لايستلزم انكار صفة العين لله عزوجل، فإن هذه المعاني صحيحة في نفسها، وهي تدل على هذه المعاني وتدل على إثبات صفة العين لله، فالسلف يفسروها باللازم مع إثبات أصل الصفة بخلاف أهل البدع فإنهم يفسرونها باللازم مع نفي أصل الصفة وهذا لاشك مخالف لظاهر الآيات .[1]

وبهذا يتبين أن الله عزوجل موصوف بأن له عينين تليق بجلاله وعظمته كما دلت على ذلك ظاهر النصوص الشرعية .

❊ ❊ ❊

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣١٤) وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٢٧٨)

المبحث الثاني:
موقفهم من الصفات الفعلية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صفة الاستواء.

المطلب الثاني: صفة النزول وا لمجيء والإتيان.

المطلب الثالث: صفة القرب.

المطلب الرابع: جملة من الصفات الفعلية، المحبة، والرضا، والغضب، والرحمة، والعجب.

المطلب الأول: صفة الإستواء

من الصفات التي خاضوا فيها بغير حق، صفة استواء الله على العرش، يقول الزركشي بعد ذكره الاختلاف في الآيات المتشابهات الواردة في الصفات قال: "ونحن نجري في هذا الباب على طريق المؤولين ، حاكين كلامهم ، ثم قال: فمن ذلك " صفة الاستواء فحكى مقاتل والكلبي عن ابن عباس أن استوى بمعنى استقر وهذا إن صح، يحتاج إلى تأويل، فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم وعن المعتزلة بمعنى استولى وقهر ورد بوجهين:

أحدهما: بأن الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما فأي فائدة في تخصيص العرش!

الثاني: أن الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة، والله تعالى منزه عن ذلك قاله ابن الأعرابي[1] .

وقال أبو عبيد: بمعنى صعد، ورد بأنه يوجب هبوطا منه تعالى حتى يصعد وهو منفي عن الله وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فجعل علا فعلا لا حرفا حكاه الأستاذ إسماعيل الضرير في تفسيره ورد بوجهين:

أحدهما: أنه جعل الصفة فعلا، ومصاحف أهل الشام والعراق والحجاز قاطعة بأن على هنا حرف ولو كان فعلا لكتبوها باللام ألف كقوله ولعلا بعضهم على بعض .

والثاني: أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

---

(١) هو محمد بن زياد أبو عبدالله الشهير بابن الأعرابي، الهاشمي، مولاهم الكوفي، اللغوي النحوي، قال عنه الذهبي" له مصنفات أدبية وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع " توفي سنة ٢٣٠هـ وقيل غير ذلك انظر تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٢) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧) .

[طه: ٦] وهذا ركيك يزيل الآية عن نظمها ومرادها .

قال الأستاذ والصواب ما قاله الفراء والأشعري وجماعة من أهل المعاني إن معنى قوله: ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أقبل على خلق العرش، وعمد إلى خلقه فسماه استواء كقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١] أي قصد وعمد إلى خلق السماء، فكذا هاهنا قال: وهذا القول مرضي عند العلماء ليس فيه تعطيل ولا تشبيه قال الأشعري: على هنا بمعنى في كما قال تعالى: ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾[البقرة: ١٠٢] ومعناه أحدث الله في العرش فعلا سماه استواء..."[(١)] .

ونقل السيوطي كلام الزركشي السابق [(٢)] .

وقال الزرقاني " ولنطبق هذه المذاهب على قوله سبحانه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فنقول يتفق الجميع من سلف وخلف على أن ظاهر الاستواء على العرش وهو الجلوس عليه مع التمكن والتحيز مستحيل؛ لأن الأدلة القاطعة تنزه الله عن أن يشبه خلقه أو يحتاج إلى شيء منه سواء أكان مكانا يحل فيه أم غيره ، وكذلك اتفق السلف والخلف على أن هذا الظاهر غير مراد لله قطعا لأنه تعالى نفى عن نفسه المماثلة لخلقه وأثبت لنفسه الغنى عنهم فقال ليس كمثله شيء وقال: ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ﴾ [الممتحنة: ٦] فلو أراد هذا الظاهر لكان متناقضا .

ثم اختلف السلف والخلف بعد ما تقدم فرأى السلفيون أن يفوضوا تعيين معنى الاستواء إلى الله هو أعلم بما نسبه إلى نفسه، وأعلم بما يليق به، ولا دليل عندهم على هذا التعيين .

ورأى الخلف أن يؤولوا؛ لأنه يبعد كل ا لبعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون وما دام ميدان اللغة متسعا للتأويل وجب التأويل، بيد أنهم افترقوا في هذا

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٢-٥٤) .

(٢) انظر الإتقان (٤/ ١٣٥٨).

التأويل: فرقتين:

فطائفة الأشاعرة: يؤولون من غير تعيين ويقولون إن المراد من الآية إثبات أنه تعالى متصف بصفة سمعية لا نعلمها على التعيين تسمى صفة الاستواء.

وطائفة المتأخرين: يعينون فيقولون إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف لأن اللغة تتسع لهذا المعنى ومنه قول الشاعر العربي:

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف ودم مهراق

أي استولى وقهر، أو دبر وحكم فكذلك يكون معنى النص الكريم: الرحمن استولى على عرش العالم، وحكم العالم بقدرته، ودبره بمشيئته.."[1] .

وهذا التأويل مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسولهﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة من إثبات استواء الرب على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۭ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

والأدلة على ذلك: أن الله سبحانه وتعالى أثبت استواءه على العرش في القرآن في سبعة مواضع قال سبحانه" ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍۢ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال سبحانه وتعالى" ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍۢ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة: ٤].

وعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا قَضَى الله الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ غَلَبَتْ أو قال سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**»[2] .

وقد أجمع على ذلك سلف الأمة .

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٢٨- ٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٤٥) برقم (٧١١٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥١).

يقول أبو عمرو الأوزاعي [١] رحمه الله " كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق العرش، ونؤمن بما وردت به السنة من صفات الله عزوجل"[٢] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله" القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان الثوري، ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ وأن الله على عرشه في سمائه..."[٣] .

وقال إسحاق بن راهوية " قال الله تعالى" الرحمن على العرش استوى" إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة" [٤] .

وقد حكى الدرامي اتفاق كلمة المسلمين على إثبات صفة الإستواء لله .

يقول رحمه الله" وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته"[٥] .

وقد نقل ابن بطة اتفاق المسلمين من الصحابة والتابعين على ذلك، فقال رحمه الله "وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته، بائن من خلقه، وعلمه محيط بجميع خلقه"[٦] .

وقد حكى أبو عبد الله الأندلسي المشهور بابن أبي زمنين[٧] أن أهل السنة

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي، عالم أهل دمشق صاحب سنة وإتباع توفي سنة ١٥٧هـ انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٧/ ٤٨٨) والسير (٧/ ١٠٧).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤) العلو للذهبي (ص: ١٣٦) .

(٣) العلو للذهبي (ص: ١٦٥) وإثبات صفة العلو للمقدسي (ص: ١٢٣- ١٢٤) .

(٤) العلو للذهبي (ص: ١٧٩) .

(٥) نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي (١/ ٣٤٠) .

(٦) كتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ١٣٦) .

(٧) هو الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى المري الأندلسي الألبيري، كان من كبار المحدثين والعلماء و متفنناً في العلم والآداب ، من تصانيفه التي ألفها منتخب الأحكام، واختصار المدونة، وأدب الإسلام، =

يثبتون استواء الرب على العرش يقول " ومن قول أهل السنة: أن الله عزوجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه "[١] .

وقد بوب ابن خزيمة " باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما خبرنا الله جل وعلا.." ثم ذكر الأدلة على ذلك .

ثم قال " فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه لانبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت الجهمية المعطلة إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا: حنطة مخالفين لأمر الله جل وعلا، كذلك الجهمية "[٢] .

ونصوص السلف في إثبات استواء الله على العرش كثيرة يصعب حصرها ، وقد ألفت مؤلفات مستقلة في هذا الباب ككتاب العرش لابن أبي شيبة، وقد توسع في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على إثبات استواء الله على عرشه، وكتاب العرش للإمام الذهبي ونحوها .

أما تأويلهم الاستواء بالاستيلاء فهذا هو قول أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة[٣].

= وأصول السنة، توفي سنة ٣٩٩هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨) والديباج المذهب للمالكي (ص:٢٦٩).

(١) أصول السنة (ص: ٨٨) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣١) وانظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٠) والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٩٢) وكتاب الشريعة للآجري (٣/ ١٠٨١) وكتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٨٥) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٧٥) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٤٢٩) والحجة في بيان المحجة لإبي القاسم الأصفهاني (٢/ ٨١) والاقتصاد في الإعتقاد للمقدسي (ص:٨٠) .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (ص:٢١١) وشرح الأصول الخمسة (ص: ٢٢٦) والمختصر في أصول الدين =

وهو باطل من وجوه:

١ - "أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم، بل أول من قال ذلك بعض الجهمية والمعتزلة"[١].

٢ - أن لفظ استوى في كلام العرب التي بها نزل القرآن نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ومعناه كمل وتم، كما يقال استوى الطعام، وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلي كقوله" ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ " واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

والثاني: مقيد "بعلى" كقوله: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] " وقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

وهذا أيضاً بمعنى العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

والثالث: المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها.[٢]

٣ - أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة كلها جاءت بهذا اللفظ دون لفظ الاستيلاء.

ولو كان معناه استولى لكان استعماله في أكثر موارده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود، وبهذا يتبين

= للقاضي عبدالجبار(ص: ٣٣٣) ضمن رسائل العدل والتوحيد، والإرشاد للجويني (ص: ٤٠) وأساس التقديس (ص: ١١٩) وغاية المرام للآمدي (ص: ١٤١).

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤).

(٢) انظر مختصر الصواعق (٣/ ٨٨٨- ٨٨٩).

أن تفسيرهم استوى بمعنى استولى في غاية الفساد، لأنه لم يطرد استعماله في جميع الموارده [1] .

٤- أن الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أوالقهر أو نحو ذلك عام في المخلوقات كالربوبية، فيضاف إلى السماء والأرض ونحوها، فيقال استوى على السماء وعلى الهواء والبحار والأرض، وعلى ابن آدم وعلى الجبل وعلى الشمس والقمر، وعليه فأي معنى لتخصيصه بالعرش [2] .

يقول الدرامي وهو يناقش من يفسر الاستواء بمعنى الاستيلاء " قلنا فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله، حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه، وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه ؟!! فأي معنى إذاً لخصوص العرش إذ كان عندكم مستويا على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى؟" [3] .

٥- "أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى ؟ فقال " لا تعرف العرب ذلك " هذا وهو من أكابر أئمة اللغة" [4].

أما استدلال الزرقاني بالبيت السابق فهذا من أبطل الحجج وأوهاها، وذلك أنه لم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي، وقد أنكره أئمة اللغة وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، ولا في دواوينها، ومن المعلوم أن الحديث لايحتج به إلا إذا علم صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده [5] .

وقد كان أهل البدع حريصين أن يجدوا في لغة العرب ما يشهد لما يقولون،

---

(١) انظر المصدر السابق (٣/ ٨٩٢).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٥) ومختصر الصواعق (٣/ ٩٢٠).

(٣) الرد على الجهمية للدرامي (ص: ٤١).

(٤) مختصر الصواعق (٣/ ٨٩٠).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦) ومختصر الصواعق (٣/ ٩١٢).

يدل لذلك ما نقله ابن بطة عن ابن الأعرابي " قال أراد ابن أبي دؤاد أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ " بمعنى استولى فقلت "والله ما يكون هذا ولا أصيبه " .[1]

فسبحان الله كيف يستدلون على عقائدهم ببيت محرف ومصنوع ويتركون صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة .

وقد بين الخطابي[2] أن هذا البيت الذي استدلوا به مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الإحتجاج به[3]

وشبهتم في تحريف الإستواء حقيقة، هو ظنهم أن القول بذلك يستلزم مشابهة المخلوقين، كما أشار إلى ذلك الزرقاني في كلامه السابق، فيُظن أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش كان كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام، فيتخيل أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام فلوكان انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها.

ولاشك أن هذا باطل وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أضاف الإستواء إلى نفسه الكريمة، كما أضاف إليها سائر أفعاله وصفاته فلو قدر فرضاً أنه مثل خلقه - تعالى الله عن ذلك- لكان استواؤه مثل استواء خلقه، أما إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه، وأنه سبحانه الغني عن خلقه والخالق لعرشه، علم أنه استواء يليق بجلاله

---

(١) الإبانة لابن بطة (٣/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي الشافعي ، الإمام المحدث الفقيه الأديب، صاحب التصانيف، ومنها شرح البخاري، ومعالم السنن، وغريب الحديث، توفي سنة٣٨٨هـ انظر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (٤/ ٣٨٣) ومعجم الأدباء (٣/ ٢٥١) وطبقات الحفاظ (ص: ٤٠٤) .

(٣) نقله عنه ابن القيم في مختصر الصواعق (٣/ ٨٩٠) .

وعظمته وكبريائه سبحانه وتعالى .[1]

أما ما حكاه الزركشي عن قول الأشعري أن الاستواء هو فعل أحدثه الله في العرش فهذا باطل ترده النصوص الشرعية وقد ذكر شيخ الإسلام ذلك عن الأشعري قال " قول ابن كلاب[2] .

والأشعري... إن الإستواء فعل يفعله الرب في العرش، ومعنى ذلك أنه يحدث في العرش قرباً فيصير مستوياً عليه من غير أن يقوم به نفسه فعل اختياري"[3].

والذي جرهم إلى هذا أصلهم الذي اعتقدوه وهو منع حلول الحوادث .

وبهذا يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه ثابت لله كما أثبته لنفسه وكما أثبته له رسولهﷺ وهو سبحانه أعلم بنفسه وبما يليق به .

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر التدمرية (ص: ٨١- ٨٣) .

(٢) ابن كلاب هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم وكان يلقب كلابا لأنه يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، انظر سير أعلام النبلاء (١١ / ١٧٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣٦) .

المطلب الثاني: صفة النزول والمجيء والإتيان

يرى الزرقاني عفا الله عنه أن ظاهر نزول الرب غير مراد في الحديث ثم يؤيد ذلك بقوله: " أن الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب، وإذا كان ينزل لأهل كل أفق نزولا حقيقيا في ثلث ليلهم الأخير، فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون، ومتى يكون في السماء حقيقة كما تقولون، مع أن الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ولا في ساعة من الساعات كما هو ثابت مسطور لا يماري فيه إلا جهول مأفون" ثم ينقل كلام الغزالي في تقرير ذلك .

فيقول " نقول لهؤلاء ما قاله حجة الإسلام الغزالي، ونصه" نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ، إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه فما أسمعنا نداءه، فأي فائدة في نزوله ؟ ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا، فلا بد أن يكون ظاهر النزول غير مراد، وأن المراد به شيء آخر غير ظاهره، وهل هذا إلا مثل من يريد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه فيكون نقله الأقدام عملا باطلا وسعيه نحو المغرب عبثا صرفا لا فائدة فيه وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل "[(١)].

ويرى الزركشي أن مجيء الله مجيء أمره يقول " ... أن يدل العقل عليهما، أي على الحذف والتعيين كقوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمره، أو عذابه، أو ملائكته؛ لأن العقل دل على أصل الحذف، ولاستحالة مجيء الباري عقلاً، لأن المجيء من سمات الحدوث، ودل العقل على التعيين وهو الأمر ونحوه.."[(٢)] ونقله

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢٣٢- ٢٣٣) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٧١، ٧٥) وانظر (٢/ ٥٤) .

السيوطي عنه .[1] وكذا الزرقاني [2].

وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، فإن صفة النزول والإتيان والمجيء من الصفات الفعلية التي جاءت بها النصوص الشرعية والآثار الشرعية وأجمع على ذلك سلف الأمة .

"فمما يعتبر به من كتاب الله عزوجل في النزول ويحتج به على من أنكره قوله تعالى" ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ﴾ [الفجر: ٢٢] وهذا يوم القيامة، إذا نزل الله ليحكم بين العباد، وهو قوله ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) ﴾ [الفرقان: ٢٥ – ٢٦] فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده، قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء"[3] .

وأما من السنة: فقد تواترت الأخبار وصحت بأن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقد صرح أهل العلم بأن أحاديث النزول بلغت حد التواتر[4].

وقد قال الإمام اللالكائي"[5] سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى ثم قال " رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً"[6] ثم سردها عن أبي هُرَيْرَةَ رضي

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٦٠٨– ١٦٠٩) وانظر(٤/ ١٣٠٥، و ١٣٦٧) .

(٢) انظر مناهل العرفان (٢/ ٢٢٩).

(٣) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٧٤) وانظر كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٢٩١).

(٤) وممن صرح بذلك، عبد الغني المقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١٠٠) وشيخ الإسلام في شرح حديث النزول (ص: ٣٢٣) وابن القيم كما في مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٠) والحافظ الذهبي انظر مختصر العلو (ص: ١١٠) .

(٥) هو الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري الرازي الحافظ الفقيه الشافعي صنف كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة " توفي سنة ٤١٨هـ، انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٣) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤/ ٢٠٧) .

(٦) (٣/ ٤٨١) .

الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال: **"يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له"**(1) .

وقد أجمع على ذلك السلف الصالح يقول الإمام الشافعي " القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان الثوري، ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء"(2) .

وقال الإمام الدارمي بعد أن ساق أحاديث النزول " فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد وتشمروا لدفعها بجد..."(3)

وبوب الإمام ابن خزيمة " باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء العراق والحجاز عن النبي ﷺ ، في نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم.."(4)

وقد صدق رحمه الله فإن الله سبحانه ورسوله ﷺ قد أكمل هذا الدين ولم يترك

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 384) برقم (1094) ومسلم في صحيحه (1/ 521) برقم (758).

(2) العلو للذهبي (ص: 165) وإثبات صفة العلو للمقدسي (ص: 123- 124) .

(3) الرد على الجهمية للدارمي (ص: 93) .

(4) كتاب التوحيد لابن خزيمة (1/ 289)

خيراً إلا ودل الأمة عليه،ولا شراً إلا وحذر الأمة منه .

وقال الإمام الآجري" باب الإيمان والتصديق بأن الله عزوجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ثم قال " الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل ؟

لا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد فكما قبل العلماء عنهم ذلك، كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا من ردها فهو ضال خبيث يحْذرونه ويحذِّرون منه"[1].

وقال الإمام ابن منده" ذكر الآيات المتلوه والسنة المأثورة بالسند الصحيحة في النزول قال الله عزوجل ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ " ثم أورد أحاديث النزول.[2]

وقال الإمام الصابوني"[3] ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، ... وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان، المذكورين في قوله عزوجل " ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ " وقوله عز اسمه " ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ

---

(١) كتاب الشريعة للآجري (٣/ ١١٢٤- ١١٢٦)

(٢) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٢٩١)

(٣) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني النيسابوري، الفقيه المفسر قال عنه الذهبي" كان من أئمة أهل الأثر، له مصنف في السنة" توفي سنة ٤٤٩هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠) وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٧١) .

صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ "[١] .

وممن صرح بحكاية الإجماع أبو الحسن الأشعري " حيث قال " وأجمعوا على أنه عزوجل يجيء يوم القيامة ...وأنه عزوجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبيﷺ "[٢] .

أما ما ذكره الزرقاني بأن ظاهر نزول الرب غير مراد فهذا هو قول أهل الكلام الذي يعتقدون أن ظاهر نصوص الصفات غير مراد، وقد تقدم التفصيل بأن ظاهر النصوص هو الأمر الذي تعبدنا الله به وفصلت الأدلة في ذلك .

وأهل الكلام لما اعتقدوا أن ظاهر النزول غير مراد أولوا النصوص بأن المراد بها نزول الملائكة[٣] أو الرحمة[٤]، وهذا باطل من وجوه:

١. أن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، قد تواترت بها النصوص عن النبيﷺ وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فيكف تستحال حقيقته وتبطل بتأويلات عليلة، وهوﷺ يتكلم بها دائماً، ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على غير الحقيقة كنحو ما فسروها بها . [٥]

٢. "أن أعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على العبارة التي لا توقع لبساً، قد صرح بالنزول مضافاً إلى الرب سبحانه في جميع الأحاديث، ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة، بل يؤكدها، فلو كانت إرادة الحقيقة باطلة وهي منتفية، لزم القدح في علمه أو نصحه أو بيانه"[٦] .

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٩١- ١٩٢).

(٢) رسالته إلى أهل الثغر (٢٢٧- ٢٢٩) .

(٣) انظر مشكل الحديث (ص: ٤٧٢) والإرشاد للجويني (ص:١٦١) .

(٤) انظر المصدر السابق (ص: ٤٧٢) وغاية المرام للآمدي (ص:١٤٢) وأساس التقديس (ص: ٨٨).

(٥) انظر مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٨- ١١٠٩) .

(٦) مختصر الصواعق (٣/ ١١١٣).

قال ابن بطة رحمه الله وهو يناقش من يؤول صفة النزول: " الجهمية ترد هذه الأحاديث وتجحدها وتكذب الرواة، وفي تكذيبها لهذه الأحاديث، رد على رسول اللهﷺ ومعاندة له، ومن رد على رسول اللهﷺ فقد رد على الله... فإذا قامت على الجهمي الحجة، وعلم صحة هذه الأحاديث، ولم يقدر على جحدها قال الحديث صحيح، وإنما معنى قول النبيﷺ **" ينزل ربنا في كل ليلة"** ينزل أمره قلنا: إنما قال النبيﷺ ينزل الله عزوجل" وينزل ربنا" ولو أراد أمره لقال ينزل أمر ربنا فيقول: إن قلنا ينزل؛ فقد قلنا إنه يزول، والله لا يزول، ولو كان ينزل لزال؛ لأن كل نازل زائل، فقلنا: أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين ؟ فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه، وأشد الخلاف؛ لإنكم إن جحدتم الآثار وكذبتم بالحديث رددتم على رسول اللهﷺ قوله، وكذبتم خبره .

وإن قلتم لا ينزل إلا بزوال؛ فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان . لكن نصدق نبيناﷺ ونقبل ما جاء به فإنا بذلك أمرنا وإليه ندبنا، فنقول كما قال " ينزل ربنا عزوجل " ولا نقول إنه يزول؛ بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله ولا نحده ولا نقول: إن نزوله زواله.." (١) .

٣. أن الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عينا قائمة بنفسها وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها فإن كانت عيناً قائمة بنفسها،وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يمكن لها أن تقول من يدعوني فأستجيب له؟

وإن كانت صفة قائمة في غيرها لا تقوم بنفسها فهي صفة من الصفات ولا بد لها من محل ولا يمكن للصفة أن تقول هذا الكلام .(٢)

---

(١) الإبانة لابن بطة (٣/ ٢٣٩-٢٤٠) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٣٧٢- ٣٧٣) وانظر مختصر الصواعق (٣/ ١٢٣٤).

٤. ما قاله الإمام الدارمي رحمه الله في رده على المريسي " أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره أو الأسحار أفبأمره ورحمته يدعو العباد إلى الاستغفار أو، يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا، هل من داع فأجيب هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطي ؟... وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر"[(١)] .

وقال ابن عبد البر" أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدا في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرا قال له كن فيكون، في أي وقت شاء ويختص برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال"[(٢)].

٥. وأيضاً نزول الملائكة ليس مخصوصاً بهذا الوقت بل إنها لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض كما قال تعالى ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢] وقال تعالى ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[مريم: ٦٤].

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال: **"يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وهو أَعْلَمُ بِكُمْ فيقول كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"**[(٣)] [(٤)] .

أما تفسيرهم مجيء الرب بمجيء أمره أو آياته [(٥)] فهذا باطل:

---

(١) نقض عثمان الدارمي على المريسي (١/ ٢١٤) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٤٣) ومختصر الصواعق (٣/ ١٢٣٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٠٢) برقم (٦٩٩٢) ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٣٧٠) .

(٥) انظر شرح الأصول الخمسة (ص:٢٢٩) والإرشاد للجويني (ص: ١٦٠) وأساس التقديس (ص: ٨٤- ٨٥).

١. أن المجيء والإتيان من الله سبحانه على نوعين: مطلق، ومقيد .

فأما المقيد فيتعلق بما قيد كمجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ ﴾ [الأعراف: ٥٢] وقوله تعالى" ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وأما المطلق: كقوله تعالى﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ فهذا لا يكون إلا مجيء الرب سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته .[(١)]

٢.أن مما يبطل دعواهم تلك، أن الله سبحانه وتعالى قد فرق في كتابه بين إتيان الملائكة، وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب، وقد ساقها في سياق واحد قال تعالى" ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام: ١٥٨]، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم، يمتنع أن يكون القسمان واحداً .[(٢)]

أما استدلال الزرقاني في أن ظاهر النزول غير مراد بمسألة اختلاف المطالع، وأنه متى يستوي على عرشه بعد النزول .وهي ما تعرف بمسالة هل يخلو منه العرش أولا ؟

وفي الجواب عن ذلك يقال: إن هذه من المسائل المبتدعة التي أثارها أهل البدع حتى ينفوا حقيقة نزول الرب عزوجل، والذي دعاهم إلى طرح مثل هذه الشبهات، قياس نزول المخلوق على الخالق جل وعلا .

والصواب فيها قول جمهور السلف إنه سبحانه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل ذلك الخلال في كتاب السنة أن حماد بن زيد سئل، قيل له: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" يتحول من مكان إلى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء .

---

(١) انظر مختصر الصواعق (٣/ ١١١٩).

(٢) انظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٩٦) ومختصر الصواعق (٣/ ٨٥٧)

وكذلك ما قاله اسحاق بن راهوية [1] قال دخلت على عبد الله بن طاهر فقال" ماهذه الأحاديث التي ترووها قلت: أي شيء أصلح الله الأمير ؟ قال: ترون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا قلت: نعم رواها الثقات الذين يرون الأحكام قال: أينزل ويدع عرشه ؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه ؟ قال نعم قلت: ولم تتكلم في هذا؟!"[2].

وقولهم: إن الليل يختلف باختلاف المطالع، فهذا إنما يصح إذا جعل نزوله سبحانه وتعالى كنزول الأجسام، وهؤلاء الجهال لما اعتقدوا أن نزوله يلزم منه أن يصير تحت السموات وفوق السماء الدنيا وتحت العرش نفوا حقيقة النزول .

قال شيخ الإسلام : "وأما قول المعترض إن الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول في التقدم والتأخر والطول والقصر فيقال له: الجواب عن هذا كالجواب عن قولك هل يخلو منه العرش أو لا يخلو منه ؟

وذلك أنه إذا جاز أنه ينزل ولا يخلو منه العرش فتقدم النزول وتأخره وطوله وقصره كذلك بناء على أن هذا نزول لا يقاس بنزول الخلق "[3] .

وقال شيخ الإسلام"... من قال إن ثلث الليل يختلف باختلاف البلاد، وهذا قد احتج به طائفة وجعلوا هذا دليلا على ما يتأولون عليه حديث النزول، وهذا الذي ذكروه إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته، فإذا قدر النزول هكذا كان ممتنعا لما ذكروه من أنه لا يزال تحت

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب المعروف بابن راهويه كان أحد أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين توفي سنة ٢٣٨ هـ، انظر تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥) .

(٢) نقل ذلك شيخ الإسلام في شرح حديث النزول – مجموع الفتاوى (٥/ ٣٧٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٨).

العرش في غالب الأوقات أو جميعها..."[1] .

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: "وأما النزول الذي لا يكون من جنس نزول أجسام العباد، فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قدره لبعض الناس أكثر، بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض فيقرب إلى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه..."[2] .

وبهذا يعلم أن نزول الله سبحانه وتعالى ومجيئه قد ثبتت بها النصوص الشرعية وقد اعتقد أهل السنة ذلك من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ومن غير تأويل ولا تكييف .

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٧- ٤٦٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٨).

المطلب الثالث: صفة القرب

يرى السيوطي أن قرب الله الوارد في قوله تعالى﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦] أي بالعلم" (١) .

وهذا يخالف ما جاء عن السلف من إثبات صفة القرب لله عزوجل، وهي من الصفات الفعلية الاختيارية التي أثبتها أهل السنة لله عزوجل من غير تكييف ولا تمثيل، ودل على إثباتها الكتاب والسنة والإجماع، فهو سبحانه وتعالى قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته وهو سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه.

والأدلة على ذلك من الكتاب:

قوله تعالى﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله سبحانه وتعالى﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾ [هود: ٦١].

ومن السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٢) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ.. "**أَيُّهَا الناس أربعوا على أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ ليس تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا..وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ من عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**"(٣) .

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٩٤) برقم (٦٩٧٠) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٦- ٢٠٧٧) برقم (٢٧٠٤) .

وقد أجمع على ذلك سلف الأمة .

يقول الإمام الشافعي رحمه الله " القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان الثوري، ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء..."[(١)] .

وقال الحافظ زكريا بن يحى الساجي[(٢)]" القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم، أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء"[(٣)].

وممن نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام في الواسطية ، بعد حكايته جملةً من الصفات التي أجمع عليها سلف الأمة .

قال "وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه، مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وقوله ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر " أيها الناس، أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً؛ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته" وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه قريب في علوه "[(٤)].

وقربه سبحانه الوارد في النصوص، مقيد مخصوص بنوع من الخلق، كقربه من

---

(١) العلو للذهبي (ص: ١٦٥) وإثبات صفة العلو للمقدسي (ص: ١٢٣- ١٢٤) .

(٢) هو أبو يحى بن زكريا بن يحى بن عبد الرحمن الساجي البصري الحافظ، كان ثقة يعرف الحديث والفقه، صنف مصنفات منها كتاب العلل، وكتاب اختلاف الفقهاء توفي سنة٣٠٧هـ انظر ترجمته طبقات الشافعية لإبي بكر بن شهبة (١/ ٩٤- ٩٥) وانظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧) .

(٣) العلو للذهبي (ص: ٢٠٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٣) .

عابديه وداعيه لا مطلق عام لجميع الخلق، ولم يأت في الكتاب والسنة وكلام السلف، أن القرب يكون عاماً وخاصاً .

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله قال " ليس في كتاب الله لا سنة رسول الله ﷺ ولا قاله أحد من السلف لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا الأئمة الأربعة، وأمثالهم من أئمة المسلمين، ولا الشيوخ المقتدى بهم من شيوخ المعرفة والتصوف وليس في القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلا، بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ فهو سبحانه قريب ممن دعاه"[1] .

فإذاً تفسير قرب الله الوارد في الآية بالعلم خطأ وذلك؛ لأن القرب إنما ورد في النصوص خاصاً ولم يرد عاماً لكل المخلوقات كما جاءت المعية ثم هو في الآية مقيد بالدعاء .

قال شيخ الإسلام في إثبات حقيقة قرب الرب قال " دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر. وأول من أنكر هذا في الإسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة.."[2]

وقال أيضاً " وأما قرب الرب قربا، يقوم به بفعله القائم بنفسه، فهذا تنفيه الكلابية ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك وكذلك كثير من أهل الكلام"[3] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٣) وانظر مختصر الصواعق (٣/ ١٢٥١) .

(٢) شرح حديث النزول (ص: ٣١٨).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٧٧).

ولو أراد من صفة القرب مجرد إحاطته وعلمه بالخلائق لم يخص ذلك في إجابة الداعيين وقرب العابدين .

وأصل الشبهة عندهم في نفي حقيقة القرب، ظنهم أن إثبات حقيقة القرب يلزم أن يكون قربه من جنس حركة الإنسان، إذا مال إلى جهة انصرف عن الأخرى، وهذا باطل فإن قربه عزوجل لاينافي علوه، وأن يخلو منه العرش، فعلوه سبحانه وتعالى من لوازم ذاته، فهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه[1].

وأما ما ذكره السيوطي من أن المقصود من قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦] العلم فهذا قول ضعيف، فإنه لم يأت في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود، حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم، والمقصود من الآية الملائكة وهو المعروف عن المفسرين المتقدمين .[2]

قال شيخ الإسلام " قوله تعالى"﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ لا يجوز أن يراد به مجرد العلم، فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به ولا لمجرد قدرته عليه، ثم إنه سبحانه وتعالى عالم بما يسر من القول وما يجهر به، وعالم بأعماله، فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه .....

ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه قال تعالى" ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ق: ١٦ – ١٧] فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين فلا يجعل أحدهما

---

(١) انظر المصدر السابق، وانظر مجموع الفتاوى (٥/ ١٣٣) وشرح حديث النزول (ص: ٣٠٤) ومختصر الصواعق (٣/ ١٢٥٦) .

(٢) انظر شرح حديث النزول (ص: ٣٥٥) .

هو الآخر، وقيد القرب بقوله ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٧ – ١٨] "[(١)].

وقد بين ابن كثير أن تفسيرهم القرب في الآية بالعلم فرار مما يلزم من وصفه بالحلول والإتحاد، قال رحمه الله في الآية ونحن أقرب إليه ..." يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾"[(٢)].

* * *

---

(١) شرح حديث النزول (ص: ٣٦٩- ٣٧٠) وبيان تلبيس الجهمية(٦/ ٢٥) وانظر مختصر الصواعق (٣/ ١٢٤٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٤) .

المطلب الرابع: جملة من الصفات الفعلية صفة المحبة والغضب والرضا والرحمة والعجب ونحوها

قال السيوطي: " ومن ذلك صفة الحب في قوله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] وصفة الغضب في قوله ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ٦] وصفة الرضا في قوله ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] وصفة العجب في قوله ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ الصافات: ١٢ بضم التاء وقوله ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [الرعد: ٥] وصفة الرحمة في آيات كثيرة، وقد قال العلماء: كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها.

قال الإمام فخر الدين: جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء، لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض، وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس"... والعجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه "[1].

وقال أيضاً " ولأجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحب والمقت في أوصاف الله تعالى، مع أنه لا يوصف بها حقيقة؛ لأنه لو عبر عن ذلك بألفاظ الحقيقة لطال الكلام، كأن يقال يعامله معاملة المحب والماقت، فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره، وابتنائه على التشبيه البليغ،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٨- ١٣٧٠).

فإن قوله ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا ﴾ [الزخرف: ٥٥] أحسن من فلما عاملونا معاملة المغضب، أو فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب"[١].

وما ذكروه باطل، فإن أهل السنة يثبتون هذه الصفات الفعلية لله عزوجل ويعتقدون أنها على حقيقتها وظاهرها اللائق بالله عزوجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والأدلة على ثبوت هذه الصفات كثيرة.

أولاً: صفة المحبة:

فمن الكتاب: قوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] وقوله تعالى" ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤] وقوله تعالى" ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥]، والخلة أعلى أنواع المحبة.

ومن السنة: عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: **" إذا أَحَبَّ الله العبد نَادَى جِبْرِيلَ أن اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ له الْقَبُولُ في أَهْلِ الأرض"**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بَعَثَ رَجُلًا على سَرِيَّةٍ وكان يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ في صلاته فَيَخْتِمُ بـ قل هو الله أَحَدٌ فلما رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلك فَسَأَلُوهُ فقال لِأَنَّهَا صِفَةُ الرحمن وأنا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بها فقال النبي ﷺ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَّ يُحِبُّهُ "[٣].

ثانياً: صفة الغضب:

من الكتاب: قوله تعالى" ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

---

(١) الإتقان (٥/ ١٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٤٦) برقم (٥٦٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٨٦) برقم (٦٩٤٠) ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٧) برقم (٨١٣).

خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].
﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله تعالى" ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد: ٢٨].

ومن السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي "**(١) .

عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "**(٢).

ثالثا: صفة الرضا:

من الكتاب: قوله تعالى" ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٨] وقوله تعالى" ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

ومن السنة قوله ﷺ **" وأعوذ برضاك من سخطك"** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال "**(٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٦٦) برقم (٣٠٢٢) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥١)
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٢) برقم (٤٨٦)
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥) .

رابعاً: صفة العجب:

فمن الكتاب: قوله تعالى" ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٢]. على قراءة الضم (١).

ومن السنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**»(٢).

خامساً: صفة الرحمة:

من الكتاب: وقد وصف الله نفسه بالرحمة في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى" ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٣]. وقوله تعالى" ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقوله تعالى" ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ومن السنة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: « **أترون هذه طارحة ولدها في النار؟** » قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(٣).

عن جَرِيرِ بن عبد اللهِّ قال: قال رسول اللهِّ ﷺ: «**لَا يَرْحَمُ الله من لَا يَرْحَمُ الناس**»(٤).

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي انظر كتاب السبعة في القراءات لإبي بكر أحمد البغدادي (ص: ٥٤٧) وانظر الحجة في القراءات السبع لإبي عبد الله الحسين بن خالويه (ص: ٣٠١-٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩٦) برقم (٢٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٢٣٥) برقم (٥٦٥٣) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٩) برقم (٢٧٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٦٨٦) برقم (٦٩٤١).

وقد أجمع السلف الصالح على إثبات هذه الصفات لله عزوجل .

فهذا الدارمي رحمه الله يسوق الآيات الدالة على إثبات جملة من الصفات الفعلية ومنها، الحب، والغضب، والرضا، والعجب ونحوها. ثم يقول " فهذا الناطق من كتاب الله يستغنى فيه بظاهر التنزيل عن التفسير وتعرفه العامة والخاصة غير هؤلاء الملحدين في آيات الله الذين غالطوا فيها الضعفاء" (١) .

وقد بوب الإمام ابن بطة " باب الإيمان بأن الله عزوجل يغضب ويرضى ويحب ويكره "، ثم قال "والجهمي يدفع هذه الصفات، ويرد نص التنزيل وصحيح السنة، ويزعم أن الله تعالى لا يغضب، ولا يرضى، ولا يحب ولا يكره، وإنما يريد دفع الصفات، وإنكار جحد الموصوف بها، والله قد أكذب الجهمي، وأخزاه وباعده من طريق الهداية، وأقصاه" ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على هذا .(٢)

وبوب رحمه الله باب الإيمان بالتعجب" وذكر الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على هذه الصفة . (٣)

وممن حكى الإجماع على ذلك أبو عثمان الصابوني، فقد بين قول أهل السنة حيث قال: " وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح من السمع .... والرضى والسخط، والحب، والبغض... من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسولﷺ .."(٤)

وقال ابن منده " ذكر ما يدل على أن الله يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه

---

(١) نقض عثمان بن سعيد الدارمي (٢/ ٨٦٦) .

(٢) الإبانة لابن بطة (٣/ ١٢٧) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٣١) .

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٦٥) .

من عباده " ثم ذكر الأدلة على ذلك [(١)]

وقال أيضاً "بيان آخر يدل على ما يرضي الله ويحبه " ثم ذكر الأدلة على ذلك[(٢)].

وقال " بيان آخر يدل على الرحمة والغضب من الله لعبده "ثم ذكر الأدلة على ذلك [(٣)].

وقال أيضاً " ذكر الأخبار المأثورة في التعجب " ثم ذكرها [(٤)].

وقال الإمام عبد الغني المقدسي"ونثبت له الصفة من غير تحديد ولا تشبيه... وكل ما قاله الله عزوجل في كتابه، وصح عن رسوله بنقل العدل عن العدل مثل المحبة...والعجب والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله، وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين واستوحشت منها نفوس المعطلين"[(٥)].

وأما صفة المكر والاستهزاء فهما، من الصفات الفعلية التي لا يوصف بها الله عزوجل وصفا مطلقاً، قال تعالى" ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٥٤]، وقال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾[الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤ – ١٥].

فهذه الصفات لا تطلق على الله إلا على وجه الجزاء والمقابلة لمن فعل ذلك على غير وجه الحق، وذلك، أن الله سبحانه وتعالى إنما أطلقها على نفسه، ولم يطلقها كغيرها من الصفات وإنما كانت مقيدة، فلذا لا تطلق على الله إلا مقيدة فلا يقال، إن

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٢٠٤).

(٢) كتاب التوحيد (٣/ ٢١٨) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٣٩) .

(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٥٤) .

(٥) الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١١٨ – ١٢٣).

الله يمكر ويستهزئ، بل تقيد بما قيدها الله عزوجل فيقال يمكر بمن يمكر به، ويستهزئ بمن يستهزئ به، وهكذا ولا يشتق منها أسماء له، فلا يقال، إن من أسمائه الماكر والمستهزئ .

ولقد نفى الزركشي هذه الصفة عن الله وأولها، وعدها من قبيل المجاز فقال "وكذلك ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ حمل اللفظ على اللفظ، فخرج الانتقام بلفظ الذنب لأن الله لا يمكر"[(1)].

وأصل الشبهة عندهم في تأويل هذه الصفة هو، أن هذه الصفات يذم بها كثيرا فيقال فلان صاحب مكر وكيد، وفي المقابل يمدح المتصف بأضدادها، ولا شك أن التحقيق في هذه الصفات أنها ليست مذمومة بإطلاق، وليست محمودة بإطلاق، بل الصواب فيها التفصيل فتكون محمودة في مقابل الظلم والكذب، وتكون مذمومة في مقابل العدل والحق .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن صفات المكر والخداع والكيد والاستهزاء ونحوها-: (لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيراً، فيقال فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غر من جعلها مجازاً في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيبٍ وذم .

والصواب: أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها، إنما لكونه متضمناً للكذب والظلم أو لهما جميعاً، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله.فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة، ظن الغالطون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازاً، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٥) وانظر الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٩) .

حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسُن من المجازي له أن يخدعه بحقٍ وعدلٍ -إلى أن قال-إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى -إلى أن قال- أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلِم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه ؟"(١).

وقد ناقش ابن جرير الطبري من ينكر هذه الصفات لله فقال رحمه الله: "وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ إنما هو على وجه الجواب وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون على الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه وأوجبه لها .

وسواء قال قائل لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم .

ويقال لقائل ذلك إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك ولم نفرق بين شيء منه فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به ولم يمكر به أخبر أنه قد مكر به ثم نعكس القول عليه في ذلك فلن يقول في أحدهما شيئا إلا ألزم في الآخر مثله، فإن لجأ إلى أن يقول إن الاستهزاء عبث ولعب وذلك عن الله عز وجل منفي.

قيل له إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء أفلست تقول

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٧٣٩- ٧٤٦) وانظر مجموع الفتاوى (٧/ ١١١) .

الله يستهزئ بهم وسخر الله منهم ومكر الله بهم، وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية، فإن قال لا، كذب بالقرآن وخرج عن ملة الإسلام، وإن قال بلى: قيل له أفتقول من الوجه الذي قلت الله يستهزئ بهم وسخر الله منهم يلعب الله بهم ويعبث ولا لعب من الله ولا عبث، فإن قال نعم، وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه وعلى تخطئة واصفه به وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه .

وإن قال لا أقول يلعب الله به ولا يعبث وقد أقول يستهزئ بهم ويسخر منهم قيل فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث والهزء والسخرية والمكر والخديعة، ومن الوجه الذي جاز قيل هذا ولم يجز قيل هذا افترق معنياهما فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر..."(1) .

ويتبين بهذا أن السلف أجمعوا على إثبات هذه الصفات لله عزوجل .

أما قولهم " إن كل صفة تستحيل على الله تفسر بلازمها" فيقال هذه الصفات لا تستحيل على الله وإلا لما وصف الله نفسه بها ووصفه بها رسولهﷺ، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ١٤٠] ويقال أيضاً: إن نفي حقائق هذه الصفات يلزم منه نفي لوازمها، فإن الحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها .

قال ابن القيم" إذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان، وكذلك لفظ اللعنة والغضب والمقت، هي أمور مستلزمة للعقوبة فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها، فإن ثبوت لازم الحقيقة مع انتفائها ممتنع فالحقيقة لا توجد منفكة عن لوازمها" (2).

أما قولهم: عن الصفات السابقة إن هذه الصفات لها أوائل وغايات، وأن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٣٤).

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ٨٧٩) .

الذي يثبت منها غاياتها، وأن أول الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام . وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه الذي هو إرادة الإضرار، وهكذا بقية الصفات .

فيقال إن تفسير هذه الصفات بالإرادة، هو نفي للصفة.

أما قولهم: إن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، فيقال "قول القائل: "الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام " ليس بصحيح في حقنا؛ بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك انتقام أصلا .

وأيضا: فغليان دم القلب يقارنه الغضب، ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه، و الوجل يقارن صفرة الوجه؛ لا أنه هو .

وهذا لأن النفس إذا قام بها دفع المؤذي فإن استشعرت القدرة فاض الدم إلى خارج فكان منه الغضب وإن استشعرت العجز عاد الدم إلى داخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين .

وأيضا فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا،لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلا لنا لا لذاتنا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته "(١).

وقد بين الدارمي رحمه الله تفسير أهل البدع لهذه الصفات، وبين بطلان هذا التفسير قال عنهم في هذه الصفات " فقالوا نقر بها كلها لأنها مذكورة في القرآن لا يمكن دفعها غير أنا لا نقول يحب ويرضى ويغضب ويسخط ويكره في نفسه، ولا هذه الصفات من ذاته على اختلاف معانيها ولكن تفسير حبه ورضاه بزعمهم ما يصيب الناس من العافية والسلامة والخصب والدعة وغضبه وسخطه بزعمهم ما

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١١٩) .

يقعون فيه من البلاء والهلكة والضيق والشدة فإنما آية غضبه ورضاه وسخطه عندهم ما يتقلب فيه الناس من هذه الحالات وما أشبهها لا أن الله يحب ويبغض ويرضى، فيقال: لهؤلاء الملحدين في آيات الله تعالى المكذبين بصفات الله، ما رأينا دعوى أبطل ولا أبعد من صحيح لغات العرب والعجم من دعواكم هذه، ففي دعواكم إذا كان أولياء الله المؤمنون من رسله وأنبيائه وسائر أوليائه في ضيق وشدة وعوز من المأكل والمشرب وفي خوف وبلاء كانوا في دعواكم في سخط من الله وغضب وعقاب، وإذا كان الكافر في خصب ودعة وأمن وعافية واتسعت عليه دنياه من مأكل الحرام وشرب الخمور كانوا في رضى من الله وفي محبة ما رأينا تأويلا أبعد من الحق من تأويلكم هذا"[1] .

وبهذا يعلم أن أهل السنة يصفون الله بأنه سبحانه وتعالى يُحِب ويُحَب، ومن أسمائه الودود فإنه الذي يود من شاء من خلقه، "وأول من عرف في الإسلام أنه أنكر أن الله يحب، ويحب الجهم بن صفوان، وشيخه الجهد بن درهم"[2] [3] .

وهو سبحانه يغضب، وغضبه سبحانه لا نقص فيه بوجه من الوجوه، "فإن الغضب على من يستحق الغضب عليه، من القادر على عقوبته، صفة كمال"[4] .

وهو سبحانه يرضى على من شاء من خلقه، ولا يقال إن المقصود من صفة الرضى إرادة الإحسان، ومن صفة الغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة،

---

(١) نقض عثمان الدارمي على بشر المريسي (٢/ ٨٦٦).

(٢) الجعد بن درهم مؤدب مروان، وهو آخر خلفاء بني أمية، وكان ينسب إليه فيقال مروان الجعدي، أصله من خراسان ويقال إنه من موالي بني مروان سكن دمشق، أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله وهو أول من قال بخلق القرآن وكان آخر أمره إلى الصلب سنة ١٢٤هـ انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣) والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠) .

(٣) منهاج السنة (٥/ ٣٩٢) وانظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦) والتحفة العراقية (ص: ٤٠٥) ومداج السالكين (٣/ ١٩) .

(٤) درء التعارض (٤/ ٩٢) .

وهو خلاف ما قرره أهل السنة من أن الله سبحانه وتعالى يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله وإن كان قد شاءه وأراده .[1]

وهو سبحانه وتعالى موصوف بأنه الرحمن الرحيم، فهو الذي يرحم العباد بمشيئته وقدرته، ولا يقال كما يقوله أهل البدع إنها مؤوله بإرادة الإحسان، بل هي رحمة حقيقة لله على ما يليق بجلاله، والرحمة لا تنفك عن إرادة الإحسان ، فإنه يلزم من الرحمة إرادة الإحسان إلى المرحوم .

فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الإحسان والله أعلم .[2]

* * *

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٨٥) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٣/ ٨٧٩) .

المبحث الثالث: معية الله

قال الزركشي في معرفة تفسيره وتأويله "فصل في الظاهر والمؤول مثال المؤول قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] فانه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله إما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم والرؤية "[١].

قال السيوطي" وأما نحو ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [يونس: ٢٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢] فالمراد به العلم والحفظ والمعونة مجازا"[٢].

صفة المعية لله ثابتة له سبحانه وهي حقيقية ولا يقال إنها مجاز، فتفسر بالعلم والحفظ، والسبب الذي جعلهم يقولون إنها من قبيل المجاز، ظنهم أن ظاهرها يقتضي الاختلاط والممازجة، وهذا لا يدل عليه ظاهر اللفظ، إذ المعية في اللغة إذا أطلقت تفيد مطلق المصاحبة والمقارنة، ولا يلزم منها المخالطة والمماسة .[٣]

"فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: مازلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا، ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة "[٤] .

وهي في كتاب الله على نوعين:

١- معية عامة: ومقتضاها العلم والإحاطة كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٣٠) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١١٩٣) وانظر (٤/ ١٣٧٠، ١٤٨٩).

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٤) والمفردات للراغب (ص: ٤٧٠) وأسرار العربية لإبي البركات الأنباري (ص:١٧٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣) .

وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد: ٤] وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المجادلة: ٧] فالمعية في الآية الأولى عامة لجميع الخلق، والمعية في الآية الثانية عامة لكل متناجيين .

٢- ومعية خاصة: مقتضاها النصرة والتأييد كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل: ١٢٨] وقوله تعالى لموسى" ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه: ٤٦] وقوله تعالى" ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] (١)

فإذاً زعمهم أن ظاهر آيات المعية الاختلاط بالخلق والمماسة باطل: من وجوه:

١- أن القول بأن الله عزوجل ذاته نفسها مختلطة بالمخلوقات هو قول طوائف من الجهمية الذين ينكرون أنه فوق العرش، ويقولون إنه في كل مكان، وهذا مخالف لإجماع السلف .(٢)

٢- "أن الله عزوجل قد بين في القرآن غاية البيان أنه فوق العرش، وأنه مستو على عرشه، بائن من خلقه، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد الكلم الطيب إليه إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه وعلوه على عرشه، وهذه نصوص محكمة فيجب رد المتشابه إليها"(٣) فقولهم هذا مخالف لعلو الله تعالى الذي ثبت بالكتاب والسنة والعقل

---

(١) انظر منهاج السنة (٨/ ٣٧٢- ٣٧٣) وانظر مختصر الصواعق (٣ / ١٢٤٦- ١٢٤٧) .

(٢) انظر بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٦) وانظر مختصر الصواعق (٣/ ١٢٤١) .

(٣) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٤٣).

والفطرة وإجماع السلف .

٣- أن الله عزوجل هو الخالق عزوجل لهذه المخلوقات كما بين ذلك في كتابه وهو سبحانه مالك السموات والأرض وما بينهما وخالقهما، وقد بين أن الأرض قبضته يوم القيامة، وأنه يطوي السموات بيمينه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن جميع هذه المشهودات مخلوقة لله مملوكة لله . وهذه النصوص صريحة في أن الرب تعالى ليس هو عين هذه المخلوقات ولا صفة من صفاتها ولا جزء منها، وهو سبحانه ليس بداخل فيها بل مباين لها، تعالى وتقدس من أن يحل في خلقه .(١)

٤- ما سبق بيانه في أن لفظ "مع" في لغة العرب تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولا تدل على الامتزاج والاختلاط بالخلق بوجه من الوجوه، فضلاً أن يكون ذلك هو حقيقة اللفظ وظاهره، والمتتبع لآيات المعية في القرآن يجد ذلك واضحاً جلياً، يقول تعالى في شأن محمدﷺ وأصحابه" ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾[الحديد: ١٤] " وقوله تعالى﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٤٣] " وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ [الأعراف: ٦٤] " وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

ونحو ذلك من الآيات فهل معنى هذه الآيات التي وصف الله بأن المخلوق مع المخلوق، أن يكون الأول حالاً في الثاني، أو مختلطاً وممتزجا به ؟

فإذا كانت معية المخلوق مع المخلوق لاتقتضي امتزاجاً واختلاطاً، فأن لا تدل على ذلك مع الخالق من باب أولى .(٢)

---

(١) انظر بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٨- ١٩) ومختصر الصواعق (٣/ ١٢٤٣) .

(٢) انظر منهاج السنة (٨/ ٣٧٥- ٣٧٧) وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢١- ٢٣) والفتاوى (٥/ ١٠٣) ومختصر =

٥- "أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص"(١)

وهم لما اعتقدوا أن ظاهرها اختلاطه بالخلق وحلوله فيهم أوجبوا تأويل الآية وصرفها عن ظاهرها، وجعلوا ذلك أصلاً لهم في تأويل سائر الصفات .

قال شيخ الإسلام" والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها أخرى، فعلم أنه ليس المراد بلفظ المعية اختلاطه، وفي هذا أيضا رد على من يدعى أن ظاهر القرآن هو الحلول لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره، ويجعل ذلك أصلا يقيس عليه ما يتأوله من النصوص"(٢)

وبهذا يتضح أن صفة المعية لله على حقيقتها، ولا تقتضي اختلاطاً أوحلولاً حتى يقال إنها صرفت عن ظاهرها .

وقد ذكر ابن بطة برهان ذلك من الحس فقال" وإنك لتجد في الصغير من خلق الله، إنه ليرى الشيء وليس هو فيه، وبينه وبينه حائل، فالله بعظمته وقدرته على خلقه أعظم، ألا ترى أنه يأخذ الرجل القدح بيده وفيه الشراب، فينظر إليه الناظر فيعلم ما في القدح، والله على عرشه وهو محيط بخلقه بعلمه فيهم ورؤيته إياهم وقدرته عليهم"(٣) .

* * *

= الصواعق (٣/ ١٢٤٤-١٢٤٦) .

(١) منهاج السنة (٨/ ٣٧٧) .

(٢) المصدر السابق (٨/ ٣٧٥) .

(٣) الإبانة لابطة (٣/ ١٤٧) .

المبحث الرابع: صفة الحياء

نقل السيوطي عن الرازي نقلا فقال " قال الإمام فخر الدين جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات... وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس.. ..."(١).

وصفة الحياء لله من الصفات الخبرية التي جاء في الكتاب والسنة إثباتها، والدليل قوله تعالى" ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] وقوله تعالى" ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الأحزاب: ٥٣].

والدليل من السنة " ما رواه أبو واقد الليثي رضي الله عنه مرفوعاً ".... وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه "(٢) .

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"إِنَّ اللهَّ حي كَرِيمٌ يستحي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إليه يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ"**(٣).

وصفة الحياء له سبحانه لا تشابه صفة المخلوق، وذلك أنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فكما أن ذاته لا تشابه ذات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشابه صفات المخلوقين، ولا تؤول هذه الصفة لهذه الشبه، "وحياؤه تعالى وصف

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٣٦٨- ١٣٧٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٦٤) برقم (٦٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ١١٠) برقم (٢١٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) وقال هذا حديث حسن غريب، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٨) برقم (٢٣٧٦٥) والحاكم في مستدركه (١/ ٦٧٥) برقم (١٨٣٠) وقال هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين . وصححه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص: ٩٧) وصحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٨).

يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهر بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه، يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر ... ويستحي ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين، وهو من أجل أنه حيي ستير: يحب أهل الحياء والستر من عباده فمن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، ويكره المجاهرة بالفسوق والإعلان بالفاحشة.."[1]

وقال ابن القيم في نونيته:[2]

وهو الحيي فليس يفضح عبده ... عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره ... فهو الستير وصاحب الغفران

* * *

---

(١) شرح النونية لابن عيسى (٢/ ٨٠- ٨١).

(٢) نونية ابن القيم مع شرح ابن عيسى (٢/ ٢٢٧).

المبحث الخامس: رؤية الله

من المسائل التي ذكرت في كتب علوم القرآن التي هي موضوع دراستي، رؤية الله، وكان عرض الزركشي والسيوطي، لهذه المسألة ضمناً لما يرد من الآيات الدالة على ذلك، وقد أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم، وردوا على المعتزلة النافين لها، ونقلوا عن الزمخشري قوله في لن إنها لتأبيد النفي، وردوا قوله هذا.

قال الزركشي "قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران: ٧٧] في إنه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول: فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه قال: وأصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية؛ لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداء والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر انتهى" وهذا بناء منه على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية "[(١)] .

وقال السيوطي في النوع الأربعون في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر في حرف "لن" "وادعى الزمخشري أيضا أنها لتأبيد النفي كقوله ﴿ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ [الحج: ٧٣] ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال ابن مالك وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أن الله لا يرى .

ورد غيره: بأنها لو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٦] ولم يصح التوقيت في ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ [طه: ٩١] ولكان ذكر الأبد في ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٩٥] تكرارا

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٩٢،و ٢٥٩) و(٣/ ٢٤٤) و(٤/ ٢٣٦) .

والأصل عدمه واستفادة التأبيد في ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ ونحوه من خارج .
ووافقه على إفادة التأبيد ابن عطية .

وقال في قوله ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لو بقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبدا ولا في الآخرة لكن ثبت في الحديث المتواتر أن أهل الجنة يرونه.." [1].

وقد نقل السيوطي في المحكم والمتشابه، أن بعض أهل السنة يؤول أحاديث الرؤية على ما يليق بجلاله قال: "قال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم".

وذهبت طائفة من أهل السنة على أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف"[2].

أما الزرقاني فقد أقر بالرؤية ولكنها على مذهب الأشاعرة بأنها رؤية في غير جهة يقول لما تعقب الزمخشري" الزمخشري لم يذكر على إحاطة الرؤية عقلا دليلا ولا شبه دليل سوى أنه يكون المرئي لا في جهة، وهذا نعارضه بالمثل فنقول، يلزمكم استبعاد أن يكون الموجود لا في جهة إذ الاتباع للوهم ببعدهما جميعا والانقياد للعقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا"[3].

رؤية المؤمنين لربهم من أشرف المسائل وأجلها، وهي الغاية التي شمر لها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، ولأجل ذلك فقد اتفق السلف على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة وقد تواترت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وأجمع

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١١٧٢- ١١٧٣) وانظر (٥/ ١٦٩٦) .
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٥٦) .
(٣) مناهل العرفان (٢/ ٦٢).

على ذلك سلف الأمة.

والأدلة على ذلك من الكتاب:

١- قوله تعالى" ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وجه الدلالة: أن الله عزوجل أضاف هذه الآية النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعداه بأداة "إلى" الصريحة في نظر العين، ولم يكن ثمة قرينة تصرف حقيقة النظر إلى غيره، فهذا يدل على أن المراد منها حقيقة النظر إلى الرب عزوجل . (١)

٢- قوله تعالى" ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦] فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، عن صُهَيْبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قال يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شيئا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ قال فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فما أُعْطُوا شيئا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عز وجل**» ثُمَّ تَلَا هذه الْآيَةَ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٢).

٣- قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥] .

قال الإمام مالك" لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"(٣) .

وقال الإمام الشافعي" ولما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا، أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد، لما عبده في الدنيا"(٤).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٩) وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢٩٢) وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٦٣) برقم (١٨١) .

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥١٨).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٦٠).

وأما من السنة: فالأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الدالة على الرؤية متواترة: فمن ذلك عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال أُنَاسٌ يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ فقال: «**هل تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قالوا لَا يا رَسُولَ اللَّهِ قال: «**هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قالوا لَا يا رَسُولَ اللَّهِ قال: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يوم الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ..**» (1) .

وعن جَرِيرِ رضي الله عنه قال كنا عِنْدَ النبي ﷺ فَنَظَرَ إلى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا على صَلَاةٍ قبل طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا...**»(2).

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أُنَاسًا في زَمَنِ النبي ﷺ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ قال النبي ﷺ: «**نعم هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ ليس فيها سَحَابٌ؟**» قالوا لَا قال: «**وَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ ليس فيها سَحَابٌ؟**» قالوا لَا قال النبي ﷺ: «**ما تُضَارُونَ في رُؤْيَةِ اللَّهِ عز وجل يوم الْقِيَامَةِ إلا كما تُضَارُونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**» (3) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا وما بين الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ..**»(4) .

وقد أجمع على ذلك سلف الأمة يقول الإمام أحمد رحمه الله" والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم، لا يختلف فيها أهل

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 2403) برقم (6204) ومسلم في صحيحه (1/ 163) برقم (183) .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 203) برقم (529) ومسلم في صحيحه (1/ 439) برقم (633).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 1671) برقم (4305) ومسلم في صحيحه (1/ 167) برقم (183).
(4) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 1355) برقم (4597) ومسلم في صحيحه (1/ 163) برقم (180) .

العلم"[1]

وقال الإمام الدارمي بعد سياقه لجملة من أحاديث الرؤية " فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها ولا ينكرونها، ولا يستنكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال "[2].

وقد ذكر ابن خزيمة أن العلماء لم يقع بينهم اختلاف في رؤية الله جل وعلا في الآخرة، قال رحمه الله" أهل قبلتنا من الصحابة والتابعات، والتابعين، ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء؛ من أهل عصرنا لم يختلفوا، ولم يشكوا، ولم يرتابوا: أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عياناً .."[3] .

وقال في موضع آخر" وقد أعلمت قبل أن العلماء لم يختلفوا أن جميع المؤمنين يرون خالقهم في الآخرة لا في الدنيا، ومن أنكر رؤية المؤمنين خالقهم يوم المعاد، فليسوا بمؤمنين عند المؤمنين بل هم أسوأ حالا في الدنيا عند العلماء من اليهود والنصارى والمجوس، كما قال ابن المبارك نحن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نقدر أن نحكي كلام الجهمية "[4] .

وقد تتابع أهل العلم من أهل السنة على حكاية هذا الإجماع [5].

أما أهل البدع فقد كان لهم موقف من رؤية الله فقد أنكرها المعتزلة وأولوها بتأويلات باطلة[6] تردها النصوص الصريحة المتنوعة في إثباتها.

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص: ٢٦٢) .

(٢) الرد على الجهمية للدرامي (ص: ١٢٢).

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٤٨) .

(٤) المصدر السابق (٢/ ٥٨٧) .

(٥) انظر رسالة الأشعري إلى أهل الثغر (ص: ٢٣٧) وكتاب الشريعة للآجري (٢/ ٩٨٠) وكتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ٤٨، ٧٠)

(٦) انظر شرح الأصول الخمسة (ص:٢٧٠) وانظر العدل والتوحيد للرسي (ص: ٢٦٠)

أما الأشاعرة فقد أثبتوها، وردوا على المعتزلة في إنكارها ،ولكنهم قالوا يرى لا في جهة[1] وأصل الشبهة عندهم أنهم لو أثبتوا مطلق الرؤية، لرجع إلى قولهم في نفي العلو لله بالبطلان، لذا قيدوا هذه الرؤية بأنها من غير جهة . حتى يسلم لهم قولهم السابق .

وقد ناقش قولهم شيخ الإسلام وبين بطلان قولهم: وسأشير إلى شيء من هذه الوجوه:

١- أن كون رؤية الله مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي، أمر قد ثبتت بها النصوص الشرعية وقد أجمع السلف والأئمة،على هذا، وقولهم هذا انفردوا به عن سائر طوائف الأمة وقد اعترف بذلك الرازي .[2]

٢- أن النبي ﷺ شبه لهم رؤية الله برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيهاً للمرئي بالمرئي، وإنما تشبيه الرؤية بالرؤية، فإذا كانت رؤية الله كرؤية الشمس والقمر دل على أنه يرى سبحانه في جهة من الرائي، وإلا لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة .[3]

٣- أن قوله ﷺ « **هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب**» [4] و«**هل تضارون في القمر ليس دونها سحاب**» فشبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: إنه يرى في غير جهة يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم، إذ الحجاب لا يكون إلا لجسم ولما يكون في جهة "[5] .

---

(١) انظر الإقتصاد للغزالي (ص: ٩١) والأربعين في أصول الدين (ص: ٢١٢) إشارات المرام (ص:٢٠١) الغنية في أصول الدين لإبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري (ص: ١٤٢) المواقف للإيجي (ص: ٢٩٩- ٣٠٠)

(٢) انظر محصل أفكار المتقدمين (ص: ١٨٩) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٣٠، ٤٤٤)

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٣٣)

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٣٠٣).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٤٣٤) .

٤- أن النبيﷺ نفي الضير والضيم، في رؤية الله، فهذا يدل على أنه يرى من جهة، وذلك لأن الضير والضيم، إنما يكون للرؤية التي تكون في جهة من الرائي فهذا قد يلحقه فيه ضيم وضير، أما رؤية ما لا جهة له لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفى. [١].

٥- أن الأشاعرة في إثباتهم لرؤية الله ونفيهم لعلو الله، متناقضون، بخلاف المعتزلة الذي نفوا الأمرين، وذلك لأن إثباتهم للرؤية يقتضي إثباتهم للعلو، ونفيهم للعلو يقتضي نفيهم للرؤية، وقد اعترف بعض محققي الأشاعرة كالرازي[٢] بذلك، فجره ذلك إلى تأويل الرؤية فقال المقصود بها زيادة انكشاف بخلق مزيد من الإدراك لهم، فهم فسروها بنوع من العلم، وهذا يجعل الخلاف بينهم وبين المعتزلة النافين لرؤية الله لفظيا .[٣]

وبناء على قولهم ألزمهم المعتزلة بلازم لا محيد لهم عنه وهو نفي الرؤية عن الله وذلك لنفيهم الجهة والمقابلة والعلو[٤].

وقد بين أبو نصر السجزي رحمه الله أن قول الأشعرية موافق لقول المعتزلة وقد عقد فصلاً في بيان أن الأشعرية موافقون للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول.

فقال" وأما موافقتهم للمعتزلة: فإن المعتزلة قالت: لا تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار وأنه ليس بمرئي .

وقال الأشعري: هو مرئي ولا يرى بالأبصار عن مقابلة، فأظهر خلافهم وهو موافق لهم"[٥].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٣٤) .

(٢) انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص: ١٨٩).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٥) و(٦/ ٤١) ودرء التعارض (١/ ٢٥٠) .

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٢٨) .

(٥) رسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٣٧) .

وقال أيضاً " فهو إذا قال إنه يرى بالأبصار لم يجز في العقل أن تكون الرؤية عن غير مقابلة، وإن قال إن الرؤية لا تخص البصر، عاد إلى قول المعتزلة، وصارت الرؤية في معنى العلم الضروري، وقد حكي عن بعض متأخر يهم أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلت إن الرؤية هي العلم لا غير"(١).

وقال يحيى بن العمراني"(٢) وأما الدليل على إبطال قول الأشعرية فهو: أن الشرع ورد بثبوت الرؤية لله تعالى بالأبصار فحمل ذلك على الرؤية المعهودة، وهو ما كان عن مقابلة بدليل قوله ﷺ " كما ترون القمر ليلة البدر" ولا يقتضي ذلك تحديداً ولا تجسيماً لله، كما لا يقتضي العلم به تحديداً ولا تجسيماً .

وإن قالوا: إن الرؤية لا تختص بالأبصار، رجعوا إلى قول المعتزلة في نفي الرؤية، وأن المراد بالرؤية العلم به علماً ضرورياً وقد حكي عن بعض متأخري الأشعرية أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلت إن الرؤية العلم لا غير"(٣) .

وبهذا يعلم أن رؤية المؤمنين لربهم مما ثبتت به النصوص الشرعية، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، وأنه لا صحة لما نقله السيوطي أن بعض أهل السنة أول الرؤية، ولم يؤولها إلا الأشاعرة، وقد سبق نقل كلامهم .

* * *

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١١٩) .

(٢) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني أبو الحسين، كان شيخ الشافعية في اليمن، وكان إماماً زاهداً،سلفي العقيدة صنف كثيرا من التصانيف منها، الانتصار، البيان وهو من الكتب الكبار في المذهب الشافعي توفي سنة٥٥٨هـ انظر ترجمته في طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي (ص: ١٧٤- ١٨٢) وطبقات الشافعية للسبكي (٧/ ٣٣٦) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٣٢٧) .

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٦٤٧) .

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن .

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من القرآن .

المبحث الثاني: موقفهم من نزول القرآن .

المبحث الثالث: موقفهم من إعجاز القرآن .

المبحث الرابع: موقفهم من تفاضل القرآن .

المبحث الخامس: الوحي وما يتعلق به .

المبحث الأول:

موقفهم من القرآن:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج أهل السنة في صفة الكلام .

المطلب الثاني: منهج أهل السنة في القرآن .

المطلب الثالث: مناقشة أقوال المخالفين والرد عليهم .

لقد كان موقف السيوطي والزرقاني من القرآن، موافقاً لطريقة الأشاعرة، حيث وصفوا القرآن بأنه معنى قائم بذات الله وأنه قديم، هذا ما نقله السيوطي في الإتقان عن بعض العلماء ولم يعقب بشيء .

وإليك نص كلامه قال رحمه الله" بعد مانقل عن البيهقي[1] في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] أي أسمعناه الملك وأفهمناه إياه.

ثم نقل عن أبي شامة[2] قوله " وهذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى"[3] .

وكذلك الزرقاني رحمه الله تعالى في كتابه مناهل العرفان فقد أطال الكلام في تعريف القرآن وذكر أن القرآن كلام الله قد يطلق ويراد به الكلام النفسي وهذا إطلاق المتكلمين، وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي، وهذا إطلاق الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية.

وسأنقل نصوصاً من كلامه، قال رحمه الله "معلوم أن القرآن كلام الله وأن كلام الله غير كلام البشر ما في ذلك ريب ومعلوم أيضا أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدري أي التكلم وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلم به،

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله أبوبكر البيهقي، كان فقيهاً محدثاً أصولياً، له من المصنفات دلائل النبوة، وشعب الإيمان ، والسنن الكبير، توفي سنة ٤٥٨هـ انظر طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ٢٣٣) وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٨) .

(٢) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي الأصولي المعروف بأبي شامة صنف شرحاً للشاطبية، وله كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، والمرشد الوجيز، توفي سنة ٦٦٥هـ انظر معرفة القراء الكبار للذهبي (٢/ ٦٧٤) وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦٥) وشذرات الذهب للعكبري (٥/ ٣١٨) .

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (ص: ٣٥) وانظر الإتقان للسيوطي (١/ ٢٩٢- ٢٩٣).

وكل من هذين المعنيين لفظي ونفسي.

فالكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري، هو تحريك الإنسان للسانه وما يساعده في إخراج الحروف من المخارج .

والكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر هو تلك الكلمات المنطوقة التي هي كيفية في الصوت الحسي وكلا هذين ظاهر لا يحتاج إلى توضيح .

أما الكلام النفسي بالمعنى المصدري فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح فيتكلم بكلمات متخيلة يرتبها في الذهن بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلماته اللفظية.

والكلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر هو تلك الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتبا ذهنيا منطبقا عليه الترتب الخارجي ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك.. ثم قال : كذلكم القرآن كلام الله ولله المثل الأعلى قد يطلق ويراد به الكلام النفسي وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي..."[١] إلى أخر كلامه وسنقف عند كلامه هذا في مناقشة أقوالهم إن شاء الله.

وسيكون الكلام حول هذا المبحث في عدة مطالب:-

المطلب الأول: منهج أهل السنة في صفة الكلام

المطلب الثاني: منهج أهل السنة في القرآن

المطلب الثالث: مناقشة أقوال المخالفين والرد عليهم

---

(١) مناهل العرفان (١/ ١٧)

المطلب الأول: - منهج أهل السنة في صفة الكلام: -

وفيه تمهيد:و مسألتان:

المسألة الأولى: أدلة أهل السنة على إثبات صفة الكلام لله .

المسألة الثانية: إثبات أن كلام الله متعلق بمشيئته واختياره .

تمهيد:- إن من أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، أنهم يصفون الله بما وصفه به نفسه وبما وصفه به رسولهﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ويؤمنون بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسولهﷺ في هذا الباب مع نفي مماثلته للمخلوق .

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

والله سبحانه موصوف بصفات الكمال الدالة على الجمال والجلال قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧] أي الوصف الأعلى وهو سبحانه منزه عن صفات النقص والعيب[(١)].

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: " لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه"[(٢)].

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن الأوزاعي: قال " كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات"[(٣)] .

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٧) وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٦٠) والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (٢/ ١٩٤) و مجموع الفتاوى (٣/ ٣).

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٢٧) .

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٤) وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٨٢) وقال الذهبي هذا إسناد صحيح، =

ونقل اتفاق الفقهاء على هذا الأصل محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة بقوله: " اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عزوجل من غير تفسير ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لاشيء"(١).

وبين شيخ الإسلام مراده بقوله" من غير تفسير" أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات (٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله" لا يوصف الله تبارك الله وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه ولا يتعدى القرآن والحديث "(٣).

وقال الإمام الترمذي بعد سياقه لبعض الأحاديث في صفات الله تعالى: "والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا تروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا يقال كيف وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه "(٤).

= وصحح اسناده ابن تيمية في درء التعارض (٦/ ٢٦٢) وجود اسناده ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦).

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الإعتقاد (٣/ ٤٨٠) برقم (٧٤٠) وابن قدامة في ذم التأويل (ص: ١٤) وانظر مجموع الفتاوى (٤/ ٤) واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص: ١٣٨).

(٢) الفتوى الحموية (ص: ٣٣٣).

(٣) انظر ذم التأويل لابن قدامة (ص: ٢٢) و مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

(٤) قال هذا معقباً على حديث أبي سعيد الخدري في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار =

وقال الإمام ابن جرير الطبري: " فإن قال لنا قائل فما الصواب من القول في معاني الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله عزوجل ووحيه وجاء ببعضها رسول الله ﷺ؟

قيل: الصواب من هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾" فيقال الله سميع بصير، له سمع وبصر...."[(١)] .

وقال الإمام ابن خزيمة: " فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون؛ لأن مالا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمدﷺ "[(٢)] .

وقال شيخ الإسلام: " وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسولهﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل"[(٣)] .

وكلام السلف في هذا الأصل العظيم كثير يصعب استقصاؤه ولولا خشية الإطالة لنقلت كثيرا من كلامهم .[(٤)]

= برقم (٢٥٥٧) انظر تحفة الأحوذي (٧/ ٣١٧) .

(١) التبصير في معالم الدين (ص: ١٤٠) .

(٢) كتاب التوحيد (١/ ٢٦) .

(٣) منهاج السنة (٢/ ٥٢٣) و مجموع الفتاوى (٣/ ٣) .

(٤) انظر كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٧) واعتقاد السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ١٦١) ورسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٢١) وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٨٠) والحجة في بيان المحجة =

المسألة الأولى: أدلة أهل السنة على إثبات صفة الكلام

وقبل أن أذكر معتقد أهل السنة في صفة الكلام وأدلتهم أقدم بمقدمتين في غاية الأهمية:-

المقدمة الأولى: في بيان حقيقة الكلام والمتكلم في لغة العرب .

المقدمة الثانية: الأقوال في مسمى الكلام والمتكلم .

أولاً: المقدمة الأولى: في بيان حقيقة الكلام والمتكلم في لغة العرب:

١) حقيقة الكلام في اللغة:-

كَلَمَ: حيث تقلبت فمعناه الدلالة على القوة والشدة في تصريفاتها، وتفريعاتها في لغة العرب فمثلاً "كلم" بمعنى جرح وكلّم بمعنى تحدث، وقلب هذه المادة "ملك" فيه قوة ، "ولكم" فيه قوة "وكَمُل" فيه قوة بحيث إن الشيء إذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه، إذا كان ناقصاً غير كامل، فهذه المادة اشتقاقها تدل على القوة والشدة ولا تدل على خفاء ولين ولا رخاوة .[١]

وهذا يدل على أن حديث النفس لا يسمى في اللغة كلاماً .[٢]

وقال الأزهري: " كلم " قال الليث الكلم الجراح، والجمع كلوم وتقول كلمته وأنا أكلمه كلما، وأنا كالم وهو مكلوم قال تعالى" أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم "، والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة واحدة مؤلفة من جماعة حروف لها معنى "[٣] .

= للأصفهاني (١/ ١٨٨) والإبانة لابن بطة (٣/ ٣٢٦) و مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦) .

(١) انظر الخصائص لابن جني (١/ ١٣) وانظر العين للخليل الفراهيدي (٥/ ٣٧٨) والمحيط في اللغة لإبي القاسم إسماعيل بن عباد (٦/ ٢٧٣) .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (١/ ٢٧٣) .

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ١٤٧)

وفي المصباح المنير "الكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم" [(١)].

وقال ابن فارس " الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما: يدل على نطق مفهم، والأخر يدل على جراح .

فالأول: الكلام نقول كلمته أكلمه تكليماً، وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته ثم يتوسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمه"[(٢)].

ثانياً: ٢) حقيقة المتكلم:- اسم فاعل من التكلم، وهو من قامت به صفة الكلام فبها صار متكلماً فالكلام صفة إذا قامت بموصوف سمي متكلماً، ولا يصح وصفه بذلك إلا مع قدرته عليه إذ لولم يكن قادراً على الكلام لسمي أخرساً؛ فإن الأخرس هو الذي لا يقدر على الكلام إما خلقة أو عيباً، ولا يقال عن ساكت إنه متكلم ولو قامت بقلبه المعاني والأفكار .[(٣)]

والمقدمة الثانية: -الأقوال في مسمى الكلام والمتكلم:

أولاً:- الأقوال في مسمى الكلام أربعة أقوال:

١- قيل: هو اسم لمجرد الحروف، ومسماه هو اللفظ، وأما المعنى فليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه، وهذا قول المعتزلة، لذلك قالوا في كلام الله إنه مخلوق منفصل عن الله، لأن الكلام هو الألفاظ والحروف وهذه لا يجوز أن تقوم بالله فجعلوها مخلوقة منفصلة .[(٤)]

---

(١) للفيومي (٢/ ٥٣٩) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٣١) .

(٣) انظر الرد على الجهمية والمشبهة للإمام عبد الله بن قتيبة ضمن كتاب عقائد السلف (ص: ١٧٤) وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٢) والتسعينية (١/ ٢٩٦) وشرح الكوكب المنير لابن النجار (٢/ ٢٤) والعقيدة السلفية للجديع (ص: ٦٣).

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة(ص: ٥٢٨) وكتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد للجويني (ص: =

٢- وقيل: هو اسم لمجرد المعنى، فمسماه هو المعنى، وإطلاق الكلام على اللفظ والحروف مجاز؛ لأنه دال عليه، وهذا قول الكلابية والأشعرية، الذين يقولون إن الكلام هو المعنى المدلول عليه باللفظ، ولقولهم هذا، قالوا في كلام الله إنه معنى قائم بالنفس، ليس بحروف ولا أصوات ثم قالوا عن القرآن المتلو إنه ليس كلام الله، بل هو حكاية أو عبارة عن كلام الله لأن الكلام عندهم هو المعنى فقط أما إطلاق اللفظ عليه مجاز[١] .

٣- وقيل: إن الكلام يطلق على كل من اللفظ والمعنى بطريق الاشتراك اللفظي، وهذا قول بعض متأخري الأشعرية [٢]، لجأوا إليه كمخرج من التناقض الذي وقعوا فيه[٣]، ويلاحظ أن التعبير بالمشترك اللفظي لا يقتضي أن يكون بينهما تقارب في المعنى بل هما بمنزلة المشتري الذي يطلق على الكوكب وعلى المبتاع .[٤]

٤- وقيل: إن الكلام يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً وهذا قول السلف والفقهاء والجمهور، ولذلك قالوا في كلام الله تعالى من القرآن وغيره إنه شامل للفظ والمعنى .[٥]

ثانياً:- أهم الأقوال في "من المتكلم "أو "حقيقة المتكلم"

١- إن المتكلم من فعل الكلام، ولو كان منفصلاً عنه، فعله في غيره وهذا قول

= ١٠٢) انظر درء التعارض (٢/ ٣٢٩) والإستقامة (١/ ١٠٤) ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٣٣) والتسعينية (١/ ٢٩٨) وانظر تيسير التحرير لأمير بادشاه (١/ ٦٩) .

(١) انظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد للجويني (ص: ١٠٢) ونهاية الإقدام (ص: ٣٢٠).
وكتاب الأربعين للرازي (ص:١٧٤) انظر كتاب الغنية في أصول الدين لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري (ص: ٩٩).

(٢) كالجويني انظر الإرشاد (ص: ١٠٨) وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢٥٤) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣٥) والمصدر السابق .

(٤) انظر هذه الأقوال درء التعارض (٢/ ٣٢٩) والإستقامة (١/ ١٠٤) و مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣٣) و(١٢/ ٦٧) والتسعينية(٢/ ٤٣٦) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٢٤٥) .

(٥) انظر المصادر السابقة، وشرح الكوكب المنير (٢/ ٣٥) .

المعتزلة والجهمية وهؤلاء يقولون صفة فعل منفصل عن الموصوف لا صفة ذات، ولذلك أنكروا صفة الكلام الثابتة لله وقالوا إن كلام الله مخلوق .

٢- إن المتكلم:- هو من قام به الكلام ولو لم يكن بفعله ولا هو بمشيئته وقدرته وهذا قول الكلابية، والأشعرية ، فهم يقولون هو صفة ذات لازمة للموصوف لا تتعلق بمشيئته ولا قدرته ولذلك قالوا في كلام الله إنه المعنى النفسي القائم بالله .(١)

٣- إن المتكلم من جمع الوصفين فقام به الكلام، وقدر عليه فهو من تكلم بفعله ومشيئته، وقام به الكلام وهذا قول السلف فهم يقولون صفة ذات وصفة وفعل.(٢)

المسألة الأولى:- أدلة أهل السنة على إثبات صفة الكلام .

اتفق أهل السنة على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم إذا شاء متى شاء كيف شاء، فهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه بحرف وصوت يسمع، وصفة الكلام أزلية النوع، حادثة الآحاد أي أن أحاد الكلام يتجدد، وأن القرآن كلامه سبحانه غير مخلوق، كما دل على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .(٣)

وسأذكر بعض الأدلة على إثبات صفة الكلام، وأن كلامه بحرف وصوت:-

أولاً:الأدلة من الكتاب والسنة:-

١- ما جاء من الآيات والأحاديث التي فيها نسبة القول إلى الله سبحانه وتعالى وهذه كثيرة ، كقوله تعالى" ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة: ٣٠] " وكقوله تعالى" ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

---

(١) انظر كتاب الغنية (ص: ١٠٣) .

(٢) انظر درء التعارض (١٠/ ٢٢١) ومنهاج السنة (٢/ ٣٧٦) والتسعينية (١/ ٢٩٨) .

(٣) انظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٥) و مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٢) و(١٢/ ٤١) و(٦/ ٥٢٧) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٤) .

ومن الأحاديث قوله ﷺ في حديث زيد بن خالد الجهني:" **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب..**"[1].

وقوله ﷺ: " **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له...**"[2] فهذه الأدلة تدل على أن الله سبحانه وتعالى هو المتكلم وهو القائل سبحانه وتعالى .[3]

٢- من الأدلة أيضاً ما ورد في القرآن والسنة من ذكر مناداته ومناجاته لخلقه سبحانه وتعالى منها قوله تعالى" ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [القصص: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

ومن السنة: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: "**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** "[4] .

وأيضاً ما جاء في حديث عبد الله بن أنيس سمعت النبي ﷺ يقول" **يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان**"[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٥١) برقم (٩٩١) ومسلم في صحيحه (١/ ٨٣) برقم (٧١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٨٤) برقم (١٠٩٤) .

(٣) انظر الرد على الجهمية للدرامي (ص: ١٥٥) والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٨١) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٥) برقم (١٦٠٨٥) والبخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٤٩) والحاكم في المستدرك(٢/ ٤٧٥) وصححه الذهبي ووافقه الذهبي، وقد صحح الحديث ابن القيم وأجاب عن كل العلل التي قيلت فيه انظر مختصر الصواعق (٣/ ١٢٨٤) .

والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، والصوت لا يكون إلا كلاماً، والكلام لا يكون إلا حروف منظومة .[(١)]

قال الإمام البخاري مقرراً إثبات كلام الله عزوجل " وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه صوت الخلق، لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا "[(٢)] .

٣- ومن الأدلة على ذلك، أن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى" ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٤٨].

وقال تعالى عن العجل " ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه: ٨٩] " فعلم من هذا أن نفي رجع القول، ونفي التكليم نقص، ومن كان كذلك فإنه لا يستحق أن يعبد ويؤله .[(٣)]

٤- ما جاء في القرآن والسنة من إثبات الكلام لله عزوجل، وأنه سبحانه يكلم أنبياءه وخلقه[(٤)].

ومن ذلك تكليم الله لموسى قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] " وقوله" ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤] " وقال

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٠) ورسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٦٦) وانظر مختار الصحاح (ص: ٢٧٢) .

(٢) خلق أفعال العباد (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٧) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٧٥) .

(٤) انظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٥) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٣٣٣) وكتاب الشريعة للآجري (٣/ ١١٠٧) والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٨٥) و مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣١) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٨) .

تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٥٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥].

ومن السنة ماروى جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه بالموقف فيقول **" ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي "**[١].

وحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان"**[٢].

ومن ذلك تكليم الله لوالد جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه لما قتل شهيداً في أحد بلا واسطة ولا حجاب قال جابر رضي الله عنه: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي يا جابر مالي أراك منكسراً ؟ قلت يا رسول الله: استشهد أبي، قتل يوم أحد وترك عيالاً وديناً قال أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال قلت بلى يا رسول الله قال **"ما كلم الله أحد قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال: يا عبدي تمن على أعطك قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانياً، قال الرب عزوجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون"**، قال وأنزلت هذه الآية" ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩][٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ١٨٤) برقم (٢٩٢٥) وقال حديث غريب صحيح، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٩٠) برقم (١٥٢٢٩) وصححه الألباني في السلسلة برقم (١٩٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٢٩) برقم (٧٠٧٤) ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٣٠) برقم (٣٠١٠) وقال هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة (١/ ٦٨) برقم (١٩٠) والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٦١) برقم (١٤٩٢٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٤) وقال حديث صحيح ولم يخرجاه، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤١٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب =

وقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: " **ائتوا موسى عبداً كلمه الله** "(١) .

أما ما جاء عن السلف في هذا الباب فكثير جدا:

يقول الإمام أبو سعيد الدارمي " فالله المتكلم أولاً و آخراً، لم يزل لـه الكـلام، إذ لا متكلم غيره ولا يزال له الكلام، إذ لا يبقى متكلم غيره فيقول لمن الملك اليوم، أنا الملك، أين ملوك الأرض فلا ينكر كلام الله عزوجل إلا من يريد إبطال ما أنـزل الله عزوجل، وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام "(٢) .

وقال أبو بكر الخلال " أخبرني على بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لم يكلم موسى فقد كفر بـالله، وكـذب بـالقرآن ورد على رسول الله ﷺ أمره، يستتاب من هذه المقالة، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

قال وسمعت أبا عبد الله قـال "﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾" قلـت لأبي عبد الله يكلم عبده يوم القيامة قال نعم، فمـن يـقضي بـين الخلائـق إلا الله عزوجـل يكلم عبده ويسأله، الله متكلم لم يزل الله يأمر بما شـاء ويحكـم، ولـيس لـه عـدل ولا مثل كيف شاء وأنى شاء"(٣).

وقال الإمام الآجري رحمه الله " أما بعد فإنه من ادعى أنه مسلم، ثـم زعـم أن الله لم يكلم موسى فقد كفر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قيل لأنه رد القرآن وجحد السنة، وخالف جميع علماء المسلمين وزاغ عن الحق"(٤) .

وقال ابن بطة" اعلموا رحمكم الله أنه من زعم أنه على ملة إبراهيم عليه السلام وديـن محمد عليه السلام وأنه من أهل شريعة الإسلام، ثم جحد أن الله كلم موسى فقد أبطل فيما

= والترهيب (٢/ ١٣٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢٤) برقم (٤٢٠٦) ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٠) برقم (١٩٣) .

(٢) الرد على الجهمية (ص: ١٥٥) .

(٣) السنة للخلال (٦/ ١٧) ونقله عنه درء التعارض (٢/ ٣٧- ٣٨) .

(٤) كتاب الشريعة (٣/ ١١٠٧) .

ادعاه من دين الإسلام، وكذب في قوله إنه من المسلمين ورد على الله قوله، وكذب بما جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ ورد الكتاب والسنة وإجماع الأمة "[1].

وأختم بنقل كلام شيخ الإسلام حيث يقول رحمه الله" اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به، وأن كلامه غير مخلوق"[2] .

المسألة الثانية: إثبات أن كلام الله متعلق بمشيئته واختياره

إن من الأصول الإعتقادية التي أجمع عليها السلف الصالح، وصف الله سبحانه وتعالى بأنه يتكلم وكلامه سبحانه متعلق بمشيئته واختياره، فهو سبحانه لا يزال متكلماً إذا شاء متى شاء بما شاء، وهذا قول أهل السنة قاطبة في كل الصفات الاختيارية كالكلام والنداء، والرضا والغضب والحب والبغض والرحمة والنزول وغير ذلك من صفاته سبحانه وتعالى التي تقوم بمشيئته واختياره .[3]

وقد خالف أهل البدع في إثبات هذه الصفات الاختيارية كما سيأتي تقريره إن شاء الله ومناقشتهم في ذلك .

ويحسن في هذا المقام ذكر تقسيم الصفات من حيث تعلقها بذات الله ومشيئته فأقول:-

إن صفات الباري تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:-

١- **صفات ذاتية**:- وهي التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، وهي التي لم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى متصفاً بها كالغنى، والقدرة والعلو والرحمة ونحوها .

٢- **صفات فعلية**: وهي التي تتعلق بمشيئته وإرادته واختياره ويعبر عنها(بالأفعال

---

(١) كتاب الإبانة لابن بطة (٣/ ٣٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣٢) .

(٣) انظر الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٥٥) وكتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٢٩) و مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٢) ودرء التعارض (٢/ ٥) والعقيدة السلفية للجديع (ص: ١٧٧) وشرح الهراس على الواسطية (ص: ١٥٩) .

الاختيارية) كالنزول والإتيان، والمحبة والرضا، والغضب .[1]

ومعنى تعلقها بمشيئته واختياره أنه تعالى لا يزال متكلماً إذا شاء ولا يزال رحيماً إذا شاء ولا يزال خالقاً إذا شاء وهكذا، فالصفة ثابتة له في الأزل وهي متعلقة بمشيئته، فإن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، وإن شاء خلق وإن شاء لم يخلق، وإن شاء غضب وإن شاء رضي .[2]

والصفات الفعلية قسمان:-

١- منها ما يكون دائماً صفة فعلية كمثل صفة الغضب والرضا فإنها متعلقة بمن يغضب عليه ويرضى عنه .

٢- ومنها ما يكون آحاده صفة فعل واختيار، وأصله صفة ذات فتكون الصفة ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار آحاد الفعل .[3]

مثال ذلك صفة الكلام، فكلامه سبحانه وتعالى من أوصافه الذاتية لأن الله عزوجل لم يزل ولا يزال متكلماً، وكلامه سبحانه من أوصافه الفعلية لأنه سبحانه يتكلم متى شاء بما شاء مع من شاء .[4]

والتفريق بين النوع والآحاد أصل مهم عند أهل السنة، وذلك أن أهل البدع إنما ضلوا وانحرفوا في صفة الكلام لعدم تفريقهم بين النوع والآحاد، أو بين أصل الصفة وعين الصفة، فباعتبار أصل الصفة ونوعها صفة ذات، وباعتبار آحاد الصفة

---

(١) انظر التنبيهات اللطيفة على الواسطية لابن سعدي (ص: ٤١) والتنبيهات السنية لعبد العزيز الرشيد (ص:٢٣) والصفات الإلهية د.محمد الجامي (ص: ٢٠٤) .

(٢) انظر العقيدة السلفية للجديع (ص: ١٧٥) .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لصالح آل الشيخ (٢/ ١١٩٠) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤) ومختصر الصواعق (ص: ٦٥٠) ولوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١٣٤)، والتنبيهات اللطيفة (ص: ٧٥) .

وعينها صفة فعل .[1]

قال شيخ الإسلام" في مسألة القرآن " طائفة ادعت قدم أعيان الكلام إما المعنى الواحد المعين وإما الحروف المعينة، أو الأصوات والحروف المعينة، حتى قالوا إن ما سمعه موسى كان قديماً،لم يزل الله متصفاً به، وإنما يتجدد السماع فقط، وقالوا إنه لم يناده في ذلك الوقت كما دل عليه القرآن حيث يقول :﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [طه: ١١] بل مازال منادياً له في الأزل، ولكن تجدد سماع موسى لذلك النداء، وطائفة قالت: بل نوع الكلام حادث بعد أن لم يكن إما حادثاً في غيره فيكون مخلوقاً وإما في نفسه فيكون حادثاً أو محدثاً غير مخلوق .

ثم قال والسلف والأئمة قالوا لم يزل الله متكلماً إذا شاء فالفرق بين دوام النوع وقدمه، ودوام الشيء المعين وقدمه يكشف الحجاب عن الصواب في هذا الباب الذي اضطرب فيه أولوا الألباب"[2] .

وقال رحمه الله في موضع آخر" ومن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين النوع والعين تبين له فصل الخطأ من الصواب في مسألة الأفعال، ومسألة الكلام والخطاب"[3] .

والأدلة على أن كلامه سبحانه وتعالى متعلق بمشيئته واختياره كثيرة:-

الأدلة من القرآن:-

١ - قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [النمل: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٣٠]، وقوله تعالى:

---

(١) انظر الصفدية (٢/ ١٤٠) و مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤) .

(٢) الصفدية (٢/ ١٣٩- ١٤٠) وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٥) .

(٣) الصفدية (١/ ٦٥) .

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾.

قال شيخ الإسلام " وفي هذا دليل على أنه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك، ولما فيها من معنى الظرف "[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [القصص: ٦٢].

وجه الدلالة " أنه وقت النداء بظرف محدود، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه "[٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

وجه الدلالة " أن الله جعل كلامه معلقاً بإرادته ومشيئته، وهذا من أظهر الأدلة على تعلق كلامه تعالى بمشيئته.[٣]

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ففي هذه الآيات توقيت كلامه سبحانه وتعالى بوقت معين، فهذا يدل على أن آحاد الكلام يتجدد وأنه سبحانه وتعالى يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء.[٤]

٥- وقوله تعالى" ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ق: ٣٠] " قال ابن القيم " عن هذه الآية " ومحال أن يقول سبحانه لجنهم ﴿ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ قبل خلقها ووجودها"[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣١) مختصر الصواعق (٤/ ١٣١٨) ومعارج القبول (١/ ٢٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣١) و(٦/ ٢٢٢) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٨) ومعارج القبول (١/ ٢٤٧).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٥) ودرء التعارض (٢/ ٨٧) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣١٨).

(٤) انظر مختصر الصواعق (٤/ ١٣١٨) ومعارج القبول (١/ ٢٤٧).

(٥) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٢٠).

ثانياً: الأدلة من السنة:-

١ - قوله ﷺ: لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية " **أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟**" قالوا الله ورسوله أعلم، قال: "**قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ..**"[١] .

٢ - وقوله ﷺ: " **إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: قال الحق، قال الحق وهو العلي الكبير**"[٢] .

وأصرح منه اللفظ الآخر " **إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا..**" الحديث[٣] .

وجه الدلالة: أن كلام الله سبحانه وتعالى في هذه الأحاديث مقيد بوقت، ففي الحديث الأول مقيد بالليلة، والحديثان الآخران مقيدان بالظرف، فهذا يدل على أن الله كلامه سبحانه وتعالى يقع في ذلك الوقت المحدد دون غيره .

٣- ومن الأدلة على ذلك ما جاء من تكليم الله عزوجل لأهل الجنة، ومنه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون ومالنا لا نرضى، وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ قالوا يارب أي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً** "[٤] .

٤ - وأيضاً من الأدلة ما جاء من تكليم الله عزوجل لأهل النار .

ومنه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى**

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٣٦) برقم (٤٤٢٤) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٥) برقم (٤٧٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحه برقم (١٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٩٨) برقم (٦١٨٣) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٦) برقم (٢٨٢٩).

لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك- أحسبه قال: ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك» .[1]

فهذه الأحاديث لم يقع التكليم بها بعد، وإنما يقع يوم القيامة فهذا من أوضح الأدلة والبراهين على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته واختياره .[2]

وسئل الإمام أحمد بن حنبل: الله عزوجل يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عزوجل، يكلم عبده ويسأله، الله متكلم لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم وليس له عدل ولا مثل كيف شاء، وأنى شاء"[3].

وقال الإمام أحمد رحمه الله في الرد على الجهمية" وكذلك تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان" .

وقال بعد ذلك "إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ولا نقول إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام"[4].

وقال أبو عبد الله ابن حامد[5] في كتابه في أصول الدين"ومما يجب الإيمان به والتصديق أن الله متكلم، وأن كلامه قديم وأنه لم يزل متكلماً في كل أوقاته موصوفا بذلك وكلامه قديم غير محدث كالعلم والقدرة"[6].

وقال" ولا خلاف عن أبي عبد الله أن الله كان متكلماً قبل أن يخلق الخلق وقبل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٩٩) برقم (٦١٨٩) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٠) برقم (٢٨٠٥).

(٢) انظر مختصر الصواعق (٤/ ١٣٢٢) والعقيدة السلفية للجديع (ص: ١١٦) .

(٣) سأله حنبل بن اسحاق انظر درء التعارض (٢/ ٣٧).

(٤) الرد على الزنادقة و الجهمية(ص: ٢٦٩ - ٢٧٦).

(٥) هو الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبدالله البغدادي، قال عنه أبو يعلى" إمام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم " من مصنفاته، شرح الخرقي، وشرح أصول الدين، توفي سنة ٤٠٣هـ انظر طبقات الحنابلة (٢/ ١٧١) والبداية والنهاية (١١٨ ٣٤٩).

(٦) انظر درء التعارض (٢/ ٧٥).

كل الكائنات وأن الله كان فيما لم يزل متكلماً كيف شاء، وكما شاء، وإذا شاء أنزل كلامه، وإذا شاء لم ينزله"[1] .

إلى آخر كلامه رحمه الله.

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله الذي أقول به: "إن القرآن كلام الله ووحيه، وتنزيله غير مخلوق، ومن قال إن القرآن أو شيئاً منه، وعن وحيه وتنزيله مخلوق أو يقول إن الله لا يتكلم بعدما كان تكلم به في الأزل أو يقول: إن أفعال الله مخلوقة أو يقول إن القرآن محدث أو يقول إن شيئاً من صفات الله، صفات الذات، أو اسما من أسماء الله مخلوق فهو عندي جهمي يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه"[2].

وقال أيضاً رحمه الله "زعم بعض جهلة هؤلاء الذين نبغوا في سنيننا هذه: أن الله لا يكرر الكلام فلا هم يفهمون كتاب الله، إن الله أخبر في نص الكتاب في مواضع أنه خلق آدم، وأنه أمر الملائكة بالسجود، فكرر هذا الذكر في غير موضع، وكرر كلامه لموسي مرة بعد مرة أخرى، وكرر ذكر عيسى ابن مريم في مواضع وحمد نفسه في مواضع "﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الكهف: ١] " و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١] وكرر زيادة على ثلاثين كرة "﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ [الرحمن: ١٣] ولم أتوهم أن مسلماً يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين "[3] .

وهذا الكلام من ابن خزيمة قاله في قصته مع الكلابية لما اعتنق بعض تلامذته مذهب الكلابية ولقد ذكر شيخ الإسلام هذه الحادثة نقلاً عن الحاكم في تاريخ نيسابور، وأشار أبو إسماعيل الأنصاري إلى هذه القصة في مناقب أحمد بن حنبل ومما

---

(١) نقله عنه شيخ الإسلام، انظر درء التعارض (٢/ ٧٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٠) ودرء التعارض (٢/ ٧٩) وانظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٩) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٧١) ودرء التعارض (٢/ ٧٩ - ٨٠) و انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٠) .

قاله فيها "وجاءت طائفة فقالت:" لا يتكلم بعد ما تكلم، فيكون كلامه حادثاً ثم قال بعد ذكره لموقف أبي بكر ابن خزيمة من هؤلاء"،"فطار لتلك الفتنة ذلك الإمام أبو بكر فلم يزل يصيح بتشويهها، ويصنف في ردها كأنه منذر جيش حتى دون في الدفاتر، وتمكن في السرائر، ولقن في الكتاتيب، ونقش في المحاريب أن الله متكلم، إن شاء تكلم، وإن شاء سكت، فجزى الله ذلك الإمام وأولئك النفر الغر عن نصرة دينه وتوقير نبيه خيراً "[(١)].

وقال أبو نصر السجزي في كتابه المسمى بالإبانة في مسألة القرآن، "فأما الله تعالى فإنه متكلم فيما لم يزل، ولا يزال متكلماً بما شاء من الكلام، يسمع من يشاء من خلقه ماشاء من كلامه إذا شاء ذلك، ويكلم من شاء بتكليمه بما يعرفه ولا يجهله، وهو سبحانه حي عليم متكلم لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء" [(٢)]

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٨) ودرء التعارض (٢/ ٧٧ – ٧٨).

(٢) كتابه هذا في عداد المفقود كما أشار إلى ذلك د/ محمد باكريم با عبد الله عند تحقيقه لكتاب أبي نصر الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص:٣٩) ولكن اقتبس هذا الكلام شيخ الإسلام انظر درء التعارض(٢/ ٨٨).

المطلب الثاني منهج أهل السنة في القرآن

اتفق أهل السنة قاطبة من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ونحوهم سلفاً وخلفاً على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل على الحقيقة والقرآن وهو كلام الله لفظه ومعناه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف . (١)

والأدلة على ذلك كثيرة:

أولاً: من الكتاب: -

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] والاحتجاج بهذه الآية من وجهين:

أ- أن الله تعالي فرق بين الخلق والأمر، وهما صفتان من صفاته أضافها إلى نفسه، أما الخلق ففعله، وأما الأمر فقوله وكلامه، وقد أخبرنا الله في آية أخري أن القرآن من أمره، قال تعالي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢] يعني القرآن الكريم (٢)، فجعله من الأمر، والأمر غير مخلوق ويدل لذلك قوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فهل يتوهم مسلم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه ؟ (٣)

---

(١) انظر الرد على الجهمية للدرامي (ص: ١٨٤) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٤٠٤) والشريعة للآجري (١/ ٤٨٩) ونقض عثمان بن سعيد الدرامي (١/ ٥٤٩) والرد على من يقول القرآن مخلوق لأحمد بن سليمان النجاد (ص: ٣٢) و(ص: ٦٩) حكاية المناظرة في القرآن لأبي محمد عبد الله المقدسي (ص: ٤٧) وانظر السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٣٢) وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٥/ ٢٦) وتفسير ابن كثير (٤/ ١٢٣) .

(٣) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة(١/ ٣٩٠- ٣٩١) وخلق أفعال العباد(٢/ ٦٢) وانظر كتاب الإبانة لابن بطة (١/ ٢٢٢) وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٣٩) وكتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٢٩) و العقيدة =

ومن السنة قول النبي عليه الصلاة والسلام لجويرية رضي الله عنها لما رآها جالسة في المسجد وأطالت الجلوس **"قال لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته"** [(١)] .

"ففرق بين خلق الله وبين كلماته، ولو كانت كلماته من خلقه لما فرق بينهما [(٢)] .

(ب) أن الخلق إنما يكون بالأمر كما قال تعالي ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقوله تعالي﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم: ٢٥].

فقوله تعالي:"كن" هو أمر، وكلامه الذي به يكون الخلق، فلو كان مخلوقاً لاحتاج خلقه إلى أمر والأمر إلى أمر إلى مالا نهاية وهذا تسلسل باطل .

وقد احتج بهذه الآية أعني ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ جمع من السلف على أن القرآن غير مخلوق منهم على سبيل المثال سفيان بن عيينة والإمام أحمد احتجاجاً على المعتزلة .

قال رحمه الله قلت: قال الله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ففرق بين الخلق والأمر .
وكذا البخاري رحمه الله و غيرهم[(٣)] .

٢- قوله تعالى﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ

= السلفية لعبد الله الجديع (ص: ١٢٢) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠) برقم (٢٧٢٦) .

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٣٩٦) وكتاب السنة للخلال (٥/ ١٣٨) و التسعينية (٢/ ٥٧٤) .

(٣) انظر كتاب السنة للخلال (٥/ ١٣٨) وخلق أفعال العباد (٢/ ٦٣) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٣٩١) والاعتقاد للبيهقي (ص: ١٩٢) .

بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ففي الآيات السابقة أضاف الله سبحانه وتعالى الكلام إلى نفسه فقال "كلام الله " فدل هذا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[١].

٣- وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١-٣] فلما جمع في الذكر بين القرآن الذي هو كلامه وصفته، وبين الإنسان الذي هو خلقه ومصنوعه، خص القرآن بالتعليم، والإنسان بالتخليق، فلو كان القرآن مخلوقاً كالإنسان لقال خلق القرآن والإنسان. [٢]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرعد: ٣٧].

فسمى الله تعالى القرآن علماً ولهذا احتج الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الجهمية فيما كتبه للمتوكل[٣] في مسألة القرآن بهذه الآية [٤]

٤- ومن الأدلة أن الله سبحانه توعد بسقر لمن قال عن القرآن أنه قول البشر قال تعالى: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدثر: ١١ – ٢٦].

---

(١) انظر كتاب السنة للخلال (٦/ ٥٥) وكتاب الشريعة للآجري (١/ ٤٨٩) والإبانة لابن بطة (١/ ٢١٦) وكتاب الحيدة للكناني (ص: ٤٢) و مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧١) وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤٢٧).

(٢) انظر كتاب الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٩٢).

(٣) المتوكل على الله الخليفة أبو جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي استخلف فأظهر السنة وتكلم عنها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة ونصر أهلها قتل سنة ٢٤٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٣٥٠).

(٤) انظر كتاب السنة للخلال (٦/ ١٠٦- ١٠٧) وكتاب الإعتقاد للبيهقي (ص: ١٩٢) العقيدة السلفية للجديع (ص: ٢٨).

قال الطحاوي[1] رحمه الله: "إن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعد بسقر حيث قال ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ "علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر" .[2]

وقال الدارمي رحمه الله " وقوله تعالى " ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾[المدثر: ٢٥]، وقول هؤلاء الجهمية هو مخلوق، واحد لا فرق بينهما فبئس التابع وبئس المتبوع قال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١] ... إلى قوله تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المدثر: ٢٦] يعني أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد [3]، ولكنه قول الله عز وجل .[4]

ثانياً: الأدلة من السنة:

١-ما رواه جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على الناس في الموقف فيقول ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[5] .

---

(١) الطحاوي: هو الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي سمع من هارون بن سعيد الأيلي ويونس بن عبد الأعلى وروى عنه أحمد بن القاسم الخشاب وخلق توفي سنة ٣٢١هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٨٠٨) وانظر طبقات الحنفية لأبي محمد الوفاة (١/ ١٠٢).

(٢) انظر شرح الطحاوية (١/ ١٧٢) والاعتقاد للبيهقي (ص: ١٩٤) .

(٣) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٩/ ١٥٧) وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٣) .

(٤) انظر كتاب الرد على الجهمية للدارمي (ص:١٨٤) والاعتقاد للبيهقي (ص:١٩٤) و مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٥٩)، وانظر درء التعارض (١/ ٢٥٨) .

(٥) أخرجه أبو داوود في كتاب السنة برقم (٤٧٣٤) باب في القرآن انظر سنن أبي داود (٤/ ٢٣٤) والترمذي في جامعه كتاب " فضائل القرآن برقم (٢٩٢٥) وقال هذا حديث غريب صحيح انظر الترمذي (٥/ ١٨٤)

=

يعني القرآن،فهذا نص صريح على أن القرآن كلام الله غير مخلوق [1].

٢-وحديث خولة بنت حكيم السلمية قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول **" من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك "**[2].

وجه الدلالة: أنه لو كانت كلمات الله مخلوقة لما أمر العبد أن يستعيذ بها إذ الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، وقد احتج الإمام أحمد بهذا الحديث على أن القرآن غير مخلوق.[3]

٣-حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ- : **إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب،فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة"**[4] وهذا الحديث قد احتج به الإمام أحمد رحمه الله على من يقول بخلق القرآن، قال رحمه الله " قول ابن عباس حجة عليهم، أول ما خلق الله القلم" [5] . وكلام الله قبل أن يخلق القلم .[6]

وقال الآجري " وقد احتج أحمد بحديث ابن عباس " إن أول ما خلق الله

= وابن ماجه في كتاب السنة باب فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧٣) برقم (٢٠١) وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ٥٩٤) .

(١) انظر خلق أفعال العباد (٢/ ٤٧) وانظر الإبانة لابن بطة (١/ ٢٣٠) والسنة للخلال(٦/ ١٠٣) و مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٠) برقم (٢٧٠٨) .

(٣) انظر كتاب خلق أفعال العباد (٢/ ٢٣٢) وكتاب السنة للخلال (٦/ ٨٦)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٤٠١- ٤٠٢) وكتاب التوحيد لابن منده (٣/ ١٣٥)، و مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١٣) .

(٤) أخرجه أبو داود(٤/ ٢٢٥) في كتاب السنة، برقم (٤٧٠٠) والترمذي (٥/ ٤٢٤) برقم (٣٣١٩) وقال هذا حديث حسن غريب" وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (٤١) .

(٥) رواه الطبراني في تفسيره (٢٩/ ١٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣) وفي الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٠٧) برقم (١٣٣) .

(٦) كتاب السنة للخلال (٦/ ٣٨) .

القلم الحديث " وذكر أنه حجة قوية على من يقول القرآن مخلوق، كأنه يقول قد كان الكلام قبل خلق القلم وإذا كان أول ما خلق الله من شيء القلم، دل على أنه كلامه ليس بمخلوق، ولأنه قبل خلق الأشياء(١)

وأما الإجماع: فقد حكاه غير واحد من السلف، وسأورد بعض النقول عنهم فمن ذلك:

ما قاله عمرو بن دينار (٢) " رحمه الله " أدركت أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج إليه يعود". (٣)

وقال اسحاق بن راهويه بعد هذا الأثر، وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ،من البدريين، والمهاجرين، والأنصار مثل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير وأجلة التابعين، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة (٤).

وحكى الإجماع أيضاً الإمامان أبو زرعة (٥) وأبو حاتم (٦)حينما سألهما عبد

---

(١) الشريعة (١/ ٥١٠)، والسنة للخلال (٦/ ٣٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٢٤٤).

(٢) هو عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الإمام الكبير الحافظ الجمحي، أحد الأعلام وشيخ الحرم وكان من أوعية العلم والاجتهاد توفي سنة ١٢٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠)، وانظر تهذيب الكمال للمزي (٢٢/ ٥).

(٣) أخرجه الخلال في السنة (٦/ ٢٦) والدارمي في الرد على الجهمية ص:١٨٩)، وابن جرير الطبري في صريح السنة (ص: ١٩)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٧)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٦٠)، وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٤١٩).

(٤) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٩٨).

(٥) هو عبيد الله بن عبد الكريم القرشي مولاهم، محدث حافظ من أئمة السلف من مصنفاته " الضعفاء والمتروكون " توفي سنة ٢٦٤ هـ، انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٧).

(٦) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي محدث فقيه من أئمة السلف وأعلامهم توفي سنة ٢٧٧هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧).

الرحمن بن أبي حاتم [1] حيث يقول: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصرا وشاماً ويمناً، فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته " [2].

وقد ساق الإمام اللالكائي في كتابه " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة القول بذلك عن خمس مائة وخمسين نفساً كلهم يقولون " القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر "[3]

ثم قال رحمه الله " وهؤلاء خمس مائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة . [4]

وما أحسن ما قاله ابن القيم في نونيته " الكافية الشافية "

قال رحمه الله:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان .

واللالكائي الإمام حكاه عن ... هم بل حكاه قبله الطبراني [5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد بن أبي حاتم الحنظلي الرازي أحد الأئمة في الحديث حافظ بن حافظ توفي سنة ٣٢٧هـ انظر طبقات الشافعية لأبي شهبة (١/ ١١١) .

(٢) انظر شرح أصول الإعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٨) وانظر اثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي (ص: ١٢٥)، ودرء التعارض (٦/ ٢٥٧) والعلو للذهبي (ص: ١٨٨) .

(٣) (٢/ ٣٤٤) .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٤٤)

(٥) (ص: ٧٦)

وقال أبو عبد الله البخاري – رحمه الله – بعد أن قرر أن القرآن كلام الله غير مخلوق قال " ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ما وصفنا وهم الذين أدوا الكتاب والسنة بعد النبي – ﷺ – قرناً بعد قرن، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال النبي – ﷺ – **"أنتم شهداء الله في أرضه"**[١][٢].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٦٠) برقم (١٣٠١) ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٥٥) برقم (٩٤٩)

(٢) خلق أفعال العباد (٢/ ١١٣)

المطلب الثالث: مناقشة أقوال المخالفين والرد عليهم

لقد تقدم القول بأن كتاب السيوطي والزرقاني، في علوم القرآن، جاء موافقاً لمذهب الأشاعرة في هذه المسألة .

وسأنقل بعض أقوالهم في هذا الباب

نقل السيوطي _ عفا الله عنه _ قول أبي شامة في الإتقان في القول بقدم القرآن[1] ولم يعلق بشيء .

قال رحمه الله" بعد مانقل عن البيهقي في قوله تعالى" ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر: ١] " أي أسمعناه الملك وأفهمناه إياه".

ثم نقل عن أبي شامة قوله " وهذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى"[2] .

أما الزرقاني عفا الله عنه فقد ملأ كتابه بأقوال الأشاعرة وأدلتهم، مستخدماً ضرب الأمثلة حتى إن الناظر فيه والقارئ غير المميز والبصير بأقوام القوم، ليرى هذا الكلام هو الحق وهو الذي يجب أن يعتقد .

وسأنقل بعض كلامه، قال رحمه الله تعالى:

"معلوم أن القرآن كلام الله وأن كلام الله غير كلام البشر ما في ذلك ريب ومعلوم أيضا أن الإنسان له كلام قد يراد به المعنى المصدري أي التكلم وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر أي المتكلم به وكل من هذين المعنيين لفظي ونفسي ....

---

(١) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة (ص: ٣٥) وانظر الإتقان (١/ ٢٩٢) .

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (ص: ٣٥) وانظر الإتقان للسيوطي (١/ ٢٩٢- ٢٩٣).

ثم قال كذلكم القرآن كلام الله ولله المثل الأعلى، قد يطلق ويراد به الكلام النفسي، وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي..."[1] .

إلى آخر كلامه وأورد المصنف أدلة يرى أنها تؤيد ما ذهب إليه.

ثم ذكر المصنف تعريف القرآن عند المتكلمين وأنه كلام الله، وكلام الله قديم غير مخلوق .

يقول رحمه الله " ثم إن المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين:

أحدهما: أن القرآن علم أي كلام ممتاز عن كل ما عداه من الكلام الإلهي.

ثانيهما: أنه كلام الله وكلام الله قديم غير مخلوق فيجب تنزهه عن الحوادث وأعراض الحوادث .

ويقول أيضا "وقالوا إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية،من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس، وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية وهي مترتبة غير متعاقبة كالصورة تنطبع في المرآة مترتبة غير متعاقبة .

وقالوا في تعريفهم هذا: إنها حكمية؛ لأنها ليست ألفاظا حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات .

وقالوا: إنها أزلية ليثبتوا لها معنى القدم.

وقالوا : إنها مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية لينفوا عنها أنها مخلوقة.

وكذلك قالوا إنها غير متعاقبة؛ لأن التعاقب يستلزم الزمان والزمان حادث، وأثبتوا لها الترتب ضرورة أن القرآن حقيقة مترتبة بل ممتازة بكمال ترتبها

---

(١) مناهل العرفان (١ / ١٧ – ١٨) .

وانسجامها.

ثم قال " إذا عرفت هذا الإطلاق الأول عند المتكلمين، سهل عليك أن تعرف إطلاقهم الثاني للقرآن الكريم، وهو أنه تلك الكلمات الحكمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية،وهو تعريف للقرآن كلام الله بما يشبه المعنى الحاصل بالمصدر لكلام البشر النفسي.

وهناك إطلاق ثالث للقرآن يقول به المتكلمون أيضا، لكن يشاركهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية ذلك: أنه هو اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه التي سنذكرها بعد قليل، فهو مظاهر وصور لتلك الكلمات الحكمية الأزلية التي أشرنا إليها آنفا. ويطلق القرآن إطلاقا رابعا: على النقوش المرقومة بين دفتي المصحف باعتبار أن النقوش دالة على الصفة القديمة والكلمات الغيبية واللفظ المنزل وهذا إطلاق شرعي عام"(١) .

فإذاً خلاصة أقوالهم في كلام الله:

١ - أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس .

٢ - وأنه قديم أزلي قائم بذات الله فهو غير متعلق بمشيئة الله واختياره

٣ - أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله وليس كلام الله .

هذه أبرز المسائل التي حواه كلامهم .

والمذهب الأشعري قام مذهبهم في كلام الله على هذه المسائل .

يقول ابن القيم وهو يبين معتقد الأشعري في كلام الله، وذلك بعد حكايته لمذاهب الفرق في كلام الله .

قال رحمه الله: "المذهب الخامس مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب وهو صفة قديمة أزلية، ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم، ولا

---

(١) مناهل العرفان (١ / ١٩- ٢٠) .

له أبعاض ولا له أجزاء، وهو عين الأمر، وعين النهي، وعين الخبر، وعين الاستخبار ، الكل واحد، وهو عين التوراة و عين الإنجيل و القرآن والزبور وكونه أمرا و نهيا و خبرا و استخبارا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له؛ فإنه لا ينقسم بنوع و لا جزء، و كونه قرآنا و توراة و إنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، و إذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا و المعنى واحد .

وهذه الألفاظ عبارة عنه و لا يسميها حكاية، و هي خلق من المخلوقات وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي و لا سمع من الله و عنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة"[1] .

وبين شيخ الإسلام رحمه الله أن قول الأشاعرة في كلام الله جزء من مذهبهم في الصفات الاختيارية القائمة بالله فإنهم لا يثبتون قيام الصفات الاختيارية بالله، وأول من ابتدع مقالة نفي الصفات الفعلية القائمة بالله، ومقالة القول بقدم كلام الله، وأنه كلام الله وأنه معنى واحد ليس بحرف و لا صوت ابن كلاب وتبعه على ذلك الأشاعرة، فإن الناس قبل ابن كلاب كانوا في الصفات على قولين:

- قول أهل السنة الذين يثبتون جميع الصفات، كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والكلام والوجه واليدين والعين والمجيء والنزول والاستواء والغضب والمحبة وغيرها، دون أن يفرقوا بين صفات الذات وصفات الفعل المتعلقة بمشيئته وقدرته .
- وقول الجهمية والمعتزلة الذين ينفون جميع هذه الصفات دون تفريق، ولم

---

(١) مختصر الصواعق (٤/ ١٣١٠) وانظر مقالات الإسلاميين لإبي الحسن الأشعري (ص:٥٨٤) وانظر رسالة السجزي لأهل زبيد (ص: ٨٠- ٨٥) وانظر حكاية المناظرة في القرآن لابن قدامة (ص:١٧ – ١٨) ومجموع الفتاوى (١٢ / ٤٩ -٥٠ و ١٦٥) والتسعينية لابن تيمية (٢ / ٤٣٢) وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(١ / ١٧٣).

يكن هناك قول ثالث غيرهما حتى جاء ابن كلاب فأثبت لله الصفات المعنوية والذاتية كالعلم والإرادة والكلام والوجه واليدين، ونفي ما يتعلق بمشيئته وإرادته مما يقوم بذاته من الصفات الإختياريه وتبعه على ذلك الأشعري وجمهور الأشاعرة .

وكذلك كانوا في كلام الله على قولين:

- قول المعتزلة والجهمية الذين يقولون أن كلام الله مخلوق، خلقه في غيره ولذلك قالوا بخلق القرآن .
- قول أهل السنة الذين يثبتون صفة الكلام وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء، وأنه كلم موسى ويكلم عباده يوم القيامة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وهذا شامل لحروفه ومعانيه وأن نوع الكلام قديم وجنسه حادث، بناء على أن الله يتكلم بمشيئته وإرادته .

ولم يكن هناك قول ثالث حتى جاء ابن كلاب فابتدع القول بإن كلام الله قديم، وأنه معنى واحد وأنه لا يتعلق بمشيئة الله وإرادته .(١)

وبين أبو نصر السجزي نشأة قول الأشاعرة في كلام الله في رسالته العظيمة الموسومة " الرد على من أنكر الحرف والصوت .

قال رحمه الله "اعلموا ـ أرشدنا الله وإياكم ـ أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي(٢) والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١٢٦١).

(٢) القلانسي هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي من معاصري أبي الحسن لا من تلامذته انظر تبيين المفتري لابن عساكر (ص: ٣٩٨).

واتساق وإن اختلفت به اللغات .

وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات وقالوا: الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة .

وقالت العرب: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم مثل: زيد وعمرو وحامد والفعل مثل: جاء وذهب وقام وقعد والحرف الذي يجئ لمعنى مثل: هل وبل وما شاكل ذلك .

فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الوارد في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد وهي لا توجب علما وألزمتهم المعتزلة أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت ويدخله التعاقب والتأليف وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله لأن ذات الله سبحانه لا توصف بالاجتماع والافتراق والكل والبعض والحركة والسكون وحكمة الصفة الذاتية حكم الذات .

قالوا: فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله سبحانه خلق له أحدثه وأضافه إلى نفسه كما تقول:عبد الله، وخلق الله وفعل الله .

فضاق بابن كلاب وأضرابه النفس عند هذا الإلزام لقلة معرفتهم بالسنن وتركهم قبولها وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل فالتزموا ما قالته المعتزلة وركبوا مكابرة العيان وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة المسلم والكافر وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام وإنما يسمى ذلك كلاماً على المجاز لكونه حكاية أو عبارة عنه وحقيقة الكلام: معنى قائم بذات المتكلم .

فمنهم من اقتصر على هذا القدر، ومنهم من احترز عما علم دخوله على هذا الحد فزاد فيه ما ينافي السكوت والخرس والآفات المانعة من الكلام، ثم خرجوا من

هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله سبحانه تجسيم وإثبات اللغة فيه تشبيه......

فألجأهم الضيق مما يدخل عليهم في مقالتهم إلى أن قالوا: الأخرس متكلم وكذلك الساكت والنائم ولهم في حال الخرس والسكوت والنوم كلام هم متكلمون به ثم أفصحوا بأن الخرس والسكوت والآفات المانعة من النطق ليس بأضداد الكلام وهذه مقالة تبين فضيحة قائلها في ظاهرها من غير رد عليه .

ومن علم منه خرق إجماع الكافة ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله لم يناظر بل يجانب ويقمع ولكن لما عدم من ينظر في أمر المسلمين محنا[1] بالكلام مع من ينبغي أن يلحق بالمجانين"[2] .

وقرر ابن القيم رحمه الله تعالى أن مذهب الأشاعرة في كلام الله مبني على مسألة انكار قيام الأفعال الاختيارية بالرب .

قال رحمه الله بعد عرضه لمذهب الأشاعرة: "وهذا المذهب مبني على مسألة انكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى، ويسمونها مسألة حلول الحوادث وحقيقتها انكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته "[3].

وبعد العرض الموجز لمنشأ وأصل قول الأشاعرة في كلام الله نعود لمناقشتهم في المسائل التي ذكروها .

---

(١) محنا: أي ابتلينا وامتحنا يقال محنته وامتحنته: بمنزلة خبرته واختبرته، قال ابن فارس " الميم والحاء والنون كلمات ثلاث على غير قياس، الأولى المحن الاختبار ومحنه وامتحنه " انظر معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٠٢) ولسان العرب (١٣/ ٤٠١) .

(٢) رسالة السجزي (ص: ٨٠-٨٤) .

(٣) مختصر الصواعق (٤/ ١٣١٢) .

المسألة الأولى: قولهم عن كلام الله "إنه المعنى القائم بالنفس دون الحروف والألفاظ"

وقد قال الأشاعرة بهذا القول حيث أثبتوا صفة الكلام لله بإجمال خلافا للمعتزلة والجهمية وغيرهم من النفاة، فقالوا إن هذه الصفة ثابتة قائمة بالله، ولكنهم فسروها بأنها معنى يقوم بذات الله، لازم له أزلا وأبدا، وسموا هذا المعنى بالكلام النفسي .

ومنشأ الخطأ عند الفرق في كلام الله هو تحريفهم حقيقة الكلام في لغة العرب، فالأشاعرة والكلابية قالوا عن الكلام: إنه اسم لمجرد المعنى، فمسماه هو المعنى، وأما إطلاق الكلام على اللفظ فهذا من باب المجاز لأنه؛ دال عليه.

ومن هنا وقع الغلط فقالوا عن كلام الله إنه المعنى القائم بالنفس ليس بحروف ولا أصوات .

وأما المعتزلة فقالوا عن الكلام إنه اسم لمجرد الحروف ومسماه هو اللفظ، وأما المعنى فليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه لذلك قالوا في كلام الله إنه مخلوق منفصل عن الله .

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا عن الكلام إنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا، لذا صح اعتقادهم في كلام الله من القرآن وغيره فقالوا إنه اللفظ والمعنى، وقد تقدم بيان ذلك بأبسط من هذا(١).

والجويني قرر أن المعتزلة قد تخبطوا في حقيقة الكلام وأنه الحروف المنتظمة ثم تعقب كلامهم بالنقض ثم بين حقيقة الكلام عند الأشاعرة وأنه القول القائم بالنفس .

ثم قال " فإن قال لنا قائل ما حد الكلام عندكم ؟

قلنا: من أئمتنا من يمتنع من تحديد الكلام،ثم قال:

---

(١) انظر (ص: ٣١٦) .

الأولى: أن نقول الكلام هو القول القائم بالنفس، وإن رمنا تفصيلا فهو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات "[1] .

وكلامهم باطل من وجوه:

١ -أن حقيقة الكلام في لغة العرب تتضمن اللفظ والمعنى جميعا كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعا .[2]

وسبق وأن بينت حقيقة الكلام في لغة العرب ونقلت عن بعض أهل اللغة فمن ذلك ما قاله ابن فارس " إن الكاف واللام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مفهم "[3] .

فقوله "نطق " يدل على كلام ملفوظ به وإلا لما سمي نطقا، وقوله " مفهم " يدل على أن هذا الكلام له معنى مفهوم.

وكما سبق في المصباح المنير " إن الكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم "[4].

وأيضا واشتقاق لفظة الكلام تدل على القوة والشدة والتأثير[5] "لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده"[6] وهذا يدل على أن كلام النفس لا يسمى في اللغة كلاماً.

فإذاً هذه النقول التي نقلتها عن بعض أهل اللغة تؤيد أن الكلام المطلق إنما يشمل اللفظ والمعنى ليس اللفظ دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ ولا يدل على أحدهما إلا بقرينة.

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد للجويني (ص: ١٠٢) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ٦٧).

(٣) تقدم ذلك في (ص: ٣١٦).

(٤) تقدم ذلك في (ص: ٣١٦).

(٥) انظر الخصائص لابن جني (١ / ١٣).

(٦) الإتقان للسيوطي (٢ / ٣٤١) .

وبهذا يعلم أن قول الزرقاني عفا الله عنه أن الكلام يطلق ويراد به الكلام النفسي، ويطلق ويراد به الكلام اللفظي لا أساس له من الصحة، وليس له حظ من النظر إذ الأصل في إطلاق الكلام يراد به اللفظ والمعنى جميعا إلا إذا قيد .

٢- أن حقيقة الكلام في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة وفي جميع الأمم يتناول اللفظ والمعنى جميعا .

قال شيخ الإسلام " وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول وهذا كلام فلان أو كلام فلان فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا، لشموله لهما ليس حقيقة في اللفظ فقط كما يقوله قوم ولا في المعنى فقط كما يقوله قوم ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم"(١) .

والأدلة على ذلك كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[فاطر: ١٠]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[الأنعام: ١٥٢].

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: **" إن الله تجاوز لإمتي عما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تتكلم "**(٢) ففرق النبي ﷺ بين حديث النفس وبين الكلام، فعفي عن حديث النفس ولم يعف عن الكلام ، ويؤيد هذا فهم الراوي قتادة رحمه الله حيث قال بعد هذا الحديث "إذا طلق في نفسه فليس بشيء ".

ومن السنة أيضا قول معاذ للنبي ﷺ " وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: **"ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٥٦).

(٢) أخرجه البخاري(٥/ ٢٠٢٠) برقم (٤٩٦٨) ومسلم (١ / ١١٦) برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ألسنتهم "[1]

فبين أن الكلام إنما يكون باللسان .

وقوله ﷺ: **"كلمتان ثقيلتان في الميزان، خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "**[2][3].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله "لا ريب أن النفس الذي هو القلب يوصف بالنطق والقول كما يوصف بذلك اللسان، وإن كان القول والنطق عند الإطلاق يتناول مجموع الأمرين، ولهذا كان من جعل النطق والقول هو لما في اللسان فقط بمنزلة من جعله لما في القلب فقط، ومن جعل اللفظ مشتركا بينهما فقد جمع البعيدين ....ثم قال " ومن لم يسلك هذا المسلك انهالت عليه الحجج لما نفاه من الحق، فإن دلالة الأدلة الشرعية واللغوية والعرفية على شمول الاسم لهما وعلى تسمية أحدهما بالآخر أكثر من أن تحصر "[4]

وابن القيم قرر هذه المسألة وذكر أن الكلام حقيقة في الأمرين معاً: قال بعد ما ذكر اختلاف الطوائف في مسمى الكلام " وقالت طائفة بل الكلام حقيقة في الأمرين على سبيل الجمع، فكل منهما جزء مسماه، فدلالته عليهما بطريق المطابقة، ودلالته على كل واحد منهما بمفرده بطريق التضمن، وهذا قول أكثر العقلاء فإنما استحق الاسم للفظه ومعناه كما أن الإنسان إنما استحق اسم الإنسان لجسمه ونفسه فمجموعهما هو الإنسان "[5] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٣١) والترمذي (٥/ ١١) وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٢ / ١٣٨) برقم (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦ / ٢٤٥٩) برقم (٦٣٠٤) ومسلم (٤ / ٢٠٧٢) برقم (٢٦٩٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٥٦) و (٧ / ١٣٢).

(٤) التسعينية (٢ / ٦٧٥) وانظر الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص: ٨٠-٨٢) .

(٥) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٩٩)

٣- أن هذا القول مخالف لإجماع السلف وذلك أنه "لم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة وعلماء البدعة فيمتنع أن يكون الكلام - الذي هو أظهر صفات بني آدم كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٣] ولفظه لا تحصى وجوهه كثرة - لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولا لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا غيرهم "[(١)] .

والسجزي رحمه الله يحكي الإجماع على ذلك فيقول " اعلموا ـ أرشدنا الله وإياكم ـ أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب .... والأشعري .... في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات .

فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه.... خرقوا الإجماع المنعقد عليه بين الكافة المسلم والكافر"[(٢)] .

وابن الجوزي[(٣)] بين أن الناس لم يختلفوا في القرآن حتى جاء الأشعري فادعى دعواه ، قال رحمه الله " لم يختلف الناس في غير ذلك إلى أن نشأ علي بن إسماعيل

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ١٣٤)

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ٨٠ - ٨٢)

(٣) ابن الجوزي هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي الفقيه الحنبلي الواعظ، صنف في فنون عديدة منها زاد المسير توفي سنة ٥٩٧ هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢١ / ٣٦٥) وفيات الأعيان (٣/ ١٤٠).

الأشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عن له، فادعى أن الكلام صفة قائمة بالنفس فأوجبت دعواه هذه أن ما عندنا مخلوق "[1] .

ويؤيد هذا الإجماع القائم من أهل السنة ما شهد به كبار الأشاعرة وهو الرازي بأن هذا القول لم يسبقهم إليه أحد، قال " إن المعنى الذي يقول به أصحابنا فهو غير مجمع عليه، بل لم يقل به أحد إلا أصحابنا " [2].

٤- أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت فإنهم يقولون كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وإنما النظم المسموع مخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام[3] .

٥- أن الأشاعرة لم يتصوروا معنى الكلام النفسي الذين يقولون به، ولم يحدوه بتعريف وضابط يميزه عن غيره .

قال شيخ الإسلام " الكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو بل ولا تصورتموه واثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد ابن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة لا يذكر في بيانها شيء يعقل بل يقول، هو معنى يناقض السكوت والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم

---

(١) صيد الخاطر (ص: ١٩٧) .

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (ص: ١٧٤) .

(٣) انظر التسعينية لشيخ الإسلام (٣ / ٨٦٣) وشرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٠٠) .

يثبتوه"[1].

٦-أن المسلمين أجمعوا على أن القرآن معجز للخلق، وأن الله سبحانه وتعالى قد تحداهم عن أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، فعجزوا عن ذلك، فدل على أن هذا المتحدى به والمعجز هو هذا القرآن الذي هو كلام الله لفظه ومعناه، الموجود بين دفتي المصحف لا المعنى النفسي وذلك أنه لا يتصور ولا يعلم ما هو فكيف يتحدى به ؟ ويدل لذلك قوله وتعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

يقول أبو القاسم الأصبهاني عند هذه الآية " وهذا في موضوع اللغة إشارة إلى شيء حاضر، فلو كان كلام الله معنى قائما في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولم يجز أن يمتحنهم بالإتيان بمثله لأن فيه تكليف مالا يطاق ولا يجوز ذلك "[2].

وقال ابن قدامة المقدسي عند هذه الآية " فأشار إلى شيء حاضر وتحداهم بالإتيان بمثله، ولا يجوز التحدي بما لا يعلم ولا يدرك ما هو ؟[3]

وابن قدامة حكى الإجماع في هذه المسألة فقال " أجمعوا على أن القرآن معجز للخلق، عجزوا عن الإتيان بعشر سور أو سورة مثله، وإنما يتعلق ذلك بهذا القرآن"[4].

٧- أن القول بهذا القول يلزم منه لوازم سيئة وفاسدة، ومن أعظم هذه اللوازم الباطلة القول بخلق القرآن مع أنهم كانوا من أشد الناس فرارا من هذا القول، بل إنهم كانوا يشنعون على المعتزلة القول بهذا القول، وقد التزموا بهذا اللازم وقرروه

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٢٩٦) وانظر العقيدة السلفية لعبد الله الجديع (ص: ٣٦٧) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٢١٣) وشرح الطحاوية (٢/ ٢٠٣) .

(٣) حكاية المناظرة في القرآن (ص: ٢٦) وانظر رسالة السجزي لأهل زبيد(ص:١١٧) والفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم (٢/ ٤٨) .

(٤) المصدر السابق (ص: ٣٢)

واعترف به أئمة الأشاعرة[1] بيد أنهم يقولون بخلق اللفظ دون المعنى، والمعتزلة يقولون بخلق اللفظ والمعنى " فتأمل هذه الأخوة التي بين هولاء وبين هولاء المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل فالمعتزلة قالوا هذا الكلام العربي وهو القرآن حقيقة لا عبارة عنه وهو كلام الله، وأنه مخلوق، ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف وجوزوا دوسه بالأرجل؛ لأنه بزعمهم ليس فيه إلا الجلد والورق "[2] .

أما الجواب عن أدلتهم:

يرى الزرقاني أن الأصل في إطلاق الكلام الكلام النفسي، قال بعد ما قرر أن الكلام البشري لفظي ونفسي " ومن الكلام البشري النفسي بنوعيه قوله تعالى ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾[يوسف: ٧٧]، ومنه الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل فقال "إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحبطت أجري ؟ فقال عليه الصلاة والسلام **" لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن "**[3] .

ثم يقول فأنت ترى أن النبي ﷺ سمى ذلك الشيء الذي تحدثت به النفس

---

(١) انظر المواقف في علم الكلام للإيجي (ص: ٢٩٤)

(٢) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٨٢)

(٣) هذا الحديث لا يثبت من جهة اسناده، فقد رواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٢٢) وبنحوه في الأوسط (٣/ ٣٧١) وقال الطبراني " لم يروه عن أبان بن تغلب إلا سيف بن عميرة، ولايروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٤) " في اسناده سيف بن عميرة قال الأزدي يتكلمون فيه "وذكره ابن حبان في الثقات وقال يغرب (٨ / ٢٩٩) وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (٢/ ٣٥) وفال سيف بن عميرة الكوفي يروي عن التابعين ثم نقل كلام الأزدي، وكذا الذهبي أورده في المغني في الضعفاء (١ / ٢٩٢) واكتفى بنقل قول الأزدي وقال ابن حجر في التقريب (ص: ٢٦٢) صدوق له أوهام، وللمزيد في دراسة اسناد الحديث انظر كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم د / خالد السبت (١ / ١٨٧) .

كلاما مع أنه كلمات ذهنية لم ينطق بها الرجل مخافة أن يحبط بها أجره، وهذا الإطلاق من الرسول ﷺ يحمل على الحقيقة لأنها الأصل ولا صارف عنها "[1].

وقبل أن أجيب عن استدلال الزرقاني أود أن أشير إلى أن كلام الزرقاني السابق في كلام الله وتقسيم الكلام إلى لفظي ونفسي والأدلة التي استدل بها إلى آخر كلامه السابق، هذا الكلام مستقى من كلام شهاب الدين الألوسي[2] برمته مع تغيير في بعض الألفاظ وتوضيح، من كتابه " روح المعاني "[3].

أما الجواب عن قوله تعالى ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾[يوسف: ٧٧] فقالوا هذه الآية دليل اثبات الكلام النفسي، ولكن قد يقول قائل: ما وجه استدلاهم بهذه الآية على اثبات الكلام النفسي ؟

يجيب عن هذه الألوسي رحمه الله إذ يقول عند هذه الآية " استدل بعضهم بالآية على اثبات الكلام النفسي بجعل" قال" بدلاً من أسر"[4] فهذا وجه استدلاهم بالآية حيث أثبت القول لما في نفسه .

ولا دلالة من هذه الآية على الكلام النفسي بوجه من الوجوه وذلك لما يأتي:

١ - أن يوسف عليه السلام قال ذلك في نفسه ولم يبدها لهم كما هو ظاهر الآية وحينئذ فلا حجة لهم فيه وهذا قول جمهور المفسرين .

يقول ابن كثير رحمه الله" قوله تعالى: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [يوسف: ٧٧] يعني الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ

---

(١) مناهل العرفان (١ / ١٨)

(٢) شهاب الدين أبي الفضل السيد محمود بن عبد الله بن محمود العلامة أبو الثناء الألوسي البغدادي مفتي الحنفية من تصانيفه روح المعاني توفي سنة ١٢٧٠هـ انظر هداية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين لإسماعيل البغدادي (٦ / ٤١٨).

(٣) (١ / ١٠).

(٤) روح المعاني (١٣ / ٣٣).

أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٧]أي تذكرون قال هذا في نفسه ولم يبدها لهم "[١].

٢- أن قول يوسف عليه السلام مقيد بالنفس، ودلالة اللفظ المقيد بالنفس، خلاف دلالة اللفظ المطلق، وعلى هذا لا يصح الاستدلال بالآية، على أن الأصل في الكلام هو الكلام النفسي .

أما استدلالهم بحديث أم سلمة رضي الله عنها فلا حجة لهم فيه لما يلي:

أولاً: الحديث ضعيف لا تقوم به حجة وقد تقدم الكلام عليه.

ثانياً: أن هذا الحديث مخالف ومناقض لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين وذلك أن الله سبحانه وتعالى علق الأحكام على الألفاظ لا على ما في النفس، فلا يدخل الرجل في دين الإسلام حتى ينطق بالشهادة، ولا يقع الطلاق حتى يتلفظ بلفظ الطلاق ولا يحصل العتق حتى يتلفظ به، وشاهد ذلك من القرآن قوله تعالى:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[ق: ١٨] مع قوله ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه " وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله، فقال **"ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم "**[٢] فجعل المؤاخذه هنا على ما يتلفظ ويتكلم به، ويدل لذلك قوله ﷺ: **"إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس"**[٣].

واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته.

واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم بذلك أن الكلام النفسي وما يدور في خلد

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٨٧) وانظر تفسير الطبري (١٣ / ٣٨) وتفسير البغوي (٢ / ٤٤١) وتفسير القرطبي (٩ / ٢٣٩) وتفسير روح المعاني للالوسي (١٣ / ٣٣) وفتح القدير للشوكاني (٣ / ٦٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٣٤٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧).

الإنسان ليس بكلام وإلا لبطلت به الصلاة .

ثالثاً: أن الكلام في الحديث مقيد بالكلام النفسي بدلالة اسم الإشارة، ودلالة الكلام المقيد بالنفس خلاف دلالة المطلق .[1]

أما قول الزرقاني" وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية ...

إلى أن قال وقالوا في تعريفهم هذا " إنها حكمية لأنها ليست ألفاظا حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات[2]...إلى آخر كلامه " فقوله هذا قد تابع فيه الأشاعرة .

يقول الباقلاني وهو من محققيهم " ويجب أن يعلم أن الله تعالى لا يتصف كلامه القديم بالحروف والأصوات ولاشيء من صفات الخلق "[3] .

ويقول الجويني إمام الحرمين "والكلام عند أهل الحق معنى يقوم بالنفس ليس بحرف ولا صوت"[4] .

وقال الغزالي " وأنه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت بحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان"[5] .

وقولهم هذا مخالف لما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من وصفه سبحانه بالكلام وأن كلامه بحرف وصوت ونصوص الكتاب والسنة متظافرة في هذا، وإجماع العقلاء منعقد على كون الكلام حرفا وصوتا، ولا يعرف هذا القول إلا بعد ظهور ابن كلاب وأضرابه كما تقدم بيان ذلك من كلام السجزي رحمه الله .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٥ / ٣٥).

(٢) مناهل العرفان (١/ ١٩) .

(٣) الإنصاف (ص: ١٤٩).

(٤) كتاب الإرشاد (ص: ١٢٧) .

(٥) قواعد العقائد (ص: ٥٨- ٥٩) .

والأدلة على أن الله سبحانه متكلم بحرف وصوت

١- ما تقدم من الآيات التي جاءت بلفظ النداء، والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا بصوت[١].

٢- أن الله فرق بين إيحائه إلى سائر النبيين، وبين تكليمه لموسى عليهم السلام، في قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣] يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١] حيث فرق سبحانه بين الإيحاء والتكليم من وراء حجاب، فلو كان تكليمه لموسى إلهاما ألهمه موسى من غير أن يسمع صوتا لم يكن ثمة فرق بين النوعين، فعلم من هذا أن كلامه سبحانه إنما هو بحرف وصوت مسموع بالأذان[٢].

٣-أن النصوص الشرعية بينت أن القرآن هو هذه السور والآيات، ولا خلاف بين العقلاء كلهم مسلمهم وكافرهم في أنها حروف، وقد افتتح الله تعالى كثيرا من سور القرآن بالحروف المقطعة قال تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ١ - ٢]، وقال تعالى: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١-٢].

وإطلاق لفظ الحرف على القرآن جاء في السنة وأقوال الصحابة وإجماع الأمة، قال ﷺ: **" أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة**

---

(١) انظر مختار الصحاح (ص:٢٧٢) والرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٦٦) و مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣٠) والعقيدة السلفية لعبد الله الجديع (ص: ١٦٣).

(٢) انظر الرد على من أنكر الحرف والصوت(ص: ١٦١) وحكاية المناظرة لابن قدامه (ص: ٤٠)، و مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣١-٥٣٢) والعقيدة السلفية للجديع (ص: ١٦١).

البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته "[(١)] .

وحكى ابن قدامة الإجماع فقال " اتفق أهل الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على عدد حروف القرآن فعدها كل أهل مصر وقالوا عددها كذا وكذا "[(٢)] وهذا يدل أن كلام الله إنما يكون بحرف.[(٣)].

٤- أن الإجماع منعقد بين الخلق كلهم على أن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت ولا يعرف أن أحدا خالف في هذا حتى نبغ ابن كلاب فابتدع هذا القول من تلقاء نفسه .

يقول أبو نصر السجزي رحمه الله: "فقول خصومنا إن أحداً لم يقل إن القرآن كلام الله حرف وصوت كذب وزور، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك صار كالإجماع"[(٤)] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: " واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادى بصوت، نادى موسى، وينادى عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف "[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٥٥٤) برقم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .
(٢) حكاية المناظرة (ص: ٤٠) .
(٣) انظر الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٥٤) والرد على من يقول" ألم " حرف لينفي الألف والميم عن كلام الله لابن مندة (٦٩-٧٧) وحكاية المناظرة (ص: ٣٦) .
(٤) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٦٩).
(٥) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٤-٣٠٥) .

وقال:" وليس في الأئمة والسلف من قال إن الله لا يتكلم بصوت، بل قد ثبت عن غير واحد من السلف والأئمة، أن الله يتكلم بصوت، وجاء ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التي فيها ذكر تكلم الله بالصوت، ولا ينكرها منهم أحد "(١).

وقد أنكر الإمام أحمد على من يقول إن كلام الله بلا صوت.

قال عبد الله بن أحمد: قلت لإبي:إن ههنا من يقول: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: " يابني هولاء جهمية زنادقة، إنما يدورون على التعطيل "(٢)

المسألة الثانية: وصفهم القرآن الذي هو كلام الله بالقدم وأنه أزلي قائم بذات الله

وقد نقل السيوطي هذا القول عن أبي شامة بعد إيراده كلام البيهقي في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [القدر: ١] أي أسمعناه الملك وأفهمناه إياه ....

قال أبو شامة " وهذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى "(٣).

وكذلك الزرقاني قرر هذه المسألة بعد أن أورد تعريف المتكلمين للقرآن ، قال: "ثم إن المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين:

أحدهما: أن القرآن علم أي كلام ممتاز عن كل ما عداه من الكلام الإلهي .

ثانيهما: أنه كلام الله وكلام الله قديم غير مخلوق فيجب تنزهه عن الحوادث وأعراض الحوادث.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٢٧) .

(٢) نقل هذا النص شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٦٨) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٩٣) والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لإبي شامة (ص: ٣٥).

وقال: في تعريف المتكلمين لكلام الله بالمعنى الأول الشبيه بالمعنى المصدري البشري " إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية . من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس".

ثم قال: "وهذه الكلمات أزلية .....ثم قال:وقالوا إنها أزلية ليثبتوا لها معنى القدم"[(١)] .

ومعنى قولهم بأزلية الكلام وقدمه، أي أن كلام الله غير متعلق بمشيئة الله واختياره فهو سبحانه لا يتكلم متى شاء بما شاء تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا؛ وهم في قولهم هذا محتذون بقول أسلافهم (الأشاعرة) حذو القذة بالقذة .

يقول ابن فورك[(٢)] " كلام الله تعالى أزلي قديم سابق لجملة الحوادث وإنما أسمع وأفهم لمن أراد من خلقه على ما أراد في الأوقات والأزمنة لا أن عبر كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان[(٣)]"

ويقول الآمدي ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون الباري تعالى متكلما بكلام قديم أزلي نفساني احدى الذات ليس بحروف ولا أصوات"[(٤)] .

ومذهبهم في كلام الله مبني على نفيهم لقيام الصفات الاختيارية بالله وهذا خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم يعتقدون اتصاف الله سبحانه وتعالى بالصفات الاختيارية كالكلام والرضا والغضب والحب والرحمة والنزول

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ١٩) .

(٢) الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني توفي سنة ٤٠٦هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية الفقهاء لابن الصلاح (١/ ١٣٦) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٧٢) .

(٣) مشكل الحديث (ص: ٢٩٠) .

(٤) غاية المرام (ص: ٨٨) .

والإتيان والمجيء وغير ذلك من الصفات التي تقوم بمشيئته واختياره، كما دلت على ذلك النصوص من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف: ١١].

فأمر الله للملائكة بالسجود إنما وقع بعد خلقه لآدم عليه السلام وتصويره ولم يأمرهم في الأزل وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩] فإنما قال له (كن) بعد أن خلقه من تراب لا في الأزل وقوله تعالى في الإرادة ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢] وقوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ [الإسراء: ١٦]. وقوله تعالى ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

يقول شيخ الإسلام رحمه عند هذه الآيات "جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال مثل" "إن" و "أن" وكذلك "إذا" ظرف لما يستقبل من الزمان فقوله "إذا أراد" و"إن شاء الله" ونحو ذلك يقتضي حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة"[(١)].

ومن الآيات التي تدل على إثبات الصفات الاختيارية لله قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥] فانتقام الله منهم إنما وقع جزاء لغضب الله عليهم ولم يقع قبل ذلك.

وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٨] فإحباط أعمالهم إنما كان بعد أن أسخطوا الله،

---

(١) جامع الرسائل (٢/ ١٤) تحقيق محمد رشاد سالم.

لكراهيتهم رضوانه، فدل ذلك على أن غضب الله عليهم لم يكن في الأزل، والآيات المبرهنة على اتصاف الله بالصفات الاختيارية أكثر من أن تحصر فإذاً لم يبق لصاحب حجة، حجة بعد هذا لوكانو ا يعقلون ! !

والأشاعرة نفوا قيام الصفات الاختيارية بالله بناءً على نفي حلول الحوادث، وأن ما حلت به الحوادث فهو حادث، وهذا أصل مشترك بين جميع الطوائف وإن كانوا يختلفون في تطبيقه .

فالمعتزلة: قالوا يجب نفي جميع الصفات عن الله؛ لأن ما قامت به الصفات قامت به الأعراض، وما قامت به الأعراض فهو حادث.، فهم يعتبرون الصفات أعراضاً وحوادث، لو قامت بالله تعالى للزم قيام الاعراض والحوادث به، لذلك أنكروا جميع الصفات عن الله .

وأما الكلابية والأشعرية: فقالوا بإثبات الصفات السبع، وهي لازمة لذات الله أزلاً وأبداً وقالوا لا نسميها أعراضا، لأن صفات الله عندنا باقية .

أما الصفات الاختيارية فسموها حوادث، لذلك قالوا بوجوب نفيها، طرداً لدليلهم [1].

فإذاً وصفهم كلام الله بالقدم بإطلاق باطل، وذلك لأن كلام الله سبحانه وتعالى باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، وباعتبار آحاده متجدد، أي أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كيف شاء بما شاء متى شاء، وقد سبق التفصيل في هذه المسألة وذكر الأدلة وأقوال السلف فيها .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى " وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبحانه

---

(١) انظر جامع الرسائل (٢ / ٤) ومختصر الصواعق (ص: ٦٤٨) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٥٣) و(٣ / ٩٨٤) والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات د. عبد القادر عطا صوفي (١/ ٣٦٦) و(٢/ ٦) والعقيدة السلفية لعبد الله الجديع (١٧٧) .

متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم "[1].

أما وصفهم القرآن بالقدم فهذا قول لم يقله أحد من سلف هذه الأمة، وأول من شهر عنه هذا القول ابن كلاب .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله "لم يقل أحد من السلف إن القرآن قديم، و إنما قالوا هو كلام الله غير مخلوق و قالوا لم يزل الله متكلما إذا شاء و متى شاء و كيف شاء و كما شاء، و لا قال أحد منهم إن الله في الأزل نادى موسى، ولا قال إن الله لم يزل، ولا يزال يقول يا آدم يا نوح يا موسى يا إبليس و نحو ذلك مما أخبر أنه قال، ولكن طائفة ممن اتبع السلف اعتقدوا أنه إذا كان غير مخلوق فلابد أن يكون قديما، إذ ليس عندهم إلا هذا و هذا، و هؤلاء ينكرون أن يكون الله يتكلم بمشيئته و قدرته أو يغضب على الكفار إذا عصوه أو يرضى عن المؤمنين إذا أطاعوه أو يفرح بتوبة التائبين إذا تابوا أو يكون نادى موسى حين أتى الشجرة و نحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة .....

وأتباع السلف يقولون إن كلام الله قديم أي لم يزل متكلما إذا شاء لا يقولون إن نفس الكلمة المعينة قديمة كندائه لموسى و نحو ذلك لكن هؤلاء اعتقدوا أن القرآن و سائر كلام الله قديم العين وإن الله لا يتكلم بمشيئته و قدرته، ثم اختلفوا فمنهم من قال القديم هو معنى واحد هو جميع معانى التوراة و الإنجيل و القرآن. ومنهم من قال: بل القرآن القديم هو حروف أو حروف و أصوات و هي قديمة أزلية قائمة بذات الرب أزلا و أبدا و هي متعاقبة في ذاتها و ماهيتها لا في و جودها. والمقصود أن هذين القولين لا يقدر أحد أن ينقل واحدا منهما عن أحد من السلف

---

(١) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٩٥) .

أعني الصحابة و التابعين لهم بإحسان و سائر أئمة المسلمين المشهورين بالعلم والدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق في زمن أحمد بن حنبل و لا زمن الشافعي ولا زمن أبي حنيفة و لا قبلهم، وأول من أحدث هذا الأصل هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب[1]".

ومنشأ الغلط عند أهل البدع أنهم لم يفرقوا بين نوع الكلام وبين آحاده، حتى قالوا إنه نادى موسى في الأزل وينادي الأنبياء في الأزل كما تقدم ذلك .

أما السلف ففرقوا بينهما، فيقولون إن نوع الكلام قديم أي لم يزل الله سبحانه متكلماً إذا شاء وأما آحاده فمتجددة .[2]

يقول شيخ الإسلام " والسلف قالوا لم يزل الله تعالى متكلما إذا شاء، فإذا قيل كلام الله قديم بمعنى أنه لم يصر متكلما بعد أن لم يكن متكلما ولا كلامه مخلوق ولا معنى واحد قديم قائم بذاته بل لم يزل متكلما إذا شاء فهذا كلام صحيح .

ولم يقل أحد من السلف إن نفس الكلام المعين قديما، وكانوا يقولون القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود، ولم يقل أحد منهم إن القرآن قديم ولا قالوا إن كلامه معنى واحد قائم بذاته ولا قالوا إن حروف القرآن أو حروفه وأصواته قديمة أزلية قائمة بذات الله وإن كان جنس الحروف لم يزل الله متكلما بها إذا شاء "[3].

وقال في موضع آخر "وكلام الله غير مخلوق عند سلف الأمة وأئمتها وهو أيضا يتكلم بمشيئته وقدرته عندهم لم يزل متكلما إذا شاء فهو قديم النوع، وأما نفس النداء الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به كما قال تعالى﴿ فَلَمَّآ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٨٥) .

(٢) انظر الصفدية (٢ / ١٦٠) وانظر مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٧٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٥٦٧) .

أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [طه: ١١].

وكذلك نظائره فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة "[١].

وبهذا التقرير نعلم أن ما ذكر في كتب علوم القرآن من اطلاق لفظ القدم على القرآن أو على كلام الله قول باطل مخالف للشرع والعقل .

المسألة الثالثة: وصف القرآن بأنه مظاهر وصور لكلام الله سبحانه وتعالى

وهذا القول ذكره الزرقاني في كتابه مناهل العرفان بعد ذكره لتعريف المتكلمين للقرآن قال " وهناك إطلاق ثالث للقرآن يقول به المتكلمون أيضا لكن يشاركهم فيه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية ذلك أنه هو اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائصه التي سنذكرها بعد قليل **فهو مظاهر وصور لتلك الكلمات الحكمية الأزلية التي أشرنا إليها آنفا** ويطلق القرآن إطلاقا رابعا على النقوش المرقومة بين دفتي المصحف باعتبار أن النقوش دالة على الصفة القديمة والكلمات الغيبية واللفظ المنزل وهذا إطلاق شرعي عام "[٢].

وهذا الكلام عجيب من المؤلف حيث وصف المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام بأنه مظاهر وصور لكلام الله إذا فهو عبارة أو حكاية عن كلام الله كما يقوله الأشاعرة، وقولهم هذا يبطل أن يكون هذا القرآن العربي الذي بين أيدينا،كلام الله حقيقة إذ كلام الله عندهم هو المعنى القائم في نفس الباري أزلا وأبدا.

وأما هذا القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله وإنما هو عبارة عن كلام الله، فهم بهذا القول قد وافقوا المعتزلة في القول بخلق القرآن كما بين ذلك كثير من

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٥٧٧) و (١٢ / ٥٤) والصفديه (٢ / ١٦٠) .

(٢) (١ / ١٤) .

أهل العلم، منهم أبو نصر السجزي حيث عقد فصلا في اثبات موافقة الأشعرية للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول: قال رحمه الله "قالت المعتزلة: السور والآي مخلوقة، وهي قرآن معجز .

وقال الأشعري: القرآن كلام الله سبحانه والسور والآي ليست بكلام الله سبحانه وإنما هي عبارة عنه، وهي مخلوقة .

فوافقهم في القول بخلقها، وزاد عليهم بأنها ليست قرآن ولا كلام الله سبحانه"(١) .

وقد بين شيخ الاسلام أن الأشاعرة فرقوا بين اللفظ والمعنى ، فأثبتوا أن حروف القرآن مخلوقة فقال رحمه الله في حكايته لمذهبهم " والتزم هؤلاء أن حروف القرآن مخلوقة ، وإن لم يكن عندهم الذي هو كلام الله مخلوقاً ، وفرقوا بين كتاب الله وكلامه ، فقالوا كتاب الله هو الحروف وهو مخلوق ، وكلام الله هو معناها غير مخلوق ، وهؤلاء والأولون متفقون على خلق القرآن الذي قال الأولون إنه مخلوق ، واختلف هؤلاء أين خلقت هذه الحروف ؟ هل خلقت في الهواء ؟ أو في نفس جبرائيل ؟ أو أن جبرائيل هو الذي أحدثها أو محمد"(٢)

وكذلك ابن القيم رحمه الله بقوله " وبعض متأخريهم صرح بأن الله خلق تلك المعاني في قلب الرسول، وخلق العبارة الدالة عليها في لسانه فعاد القرآن إلى عبارة مخلوقة دالة على معنى مخلوق في قلب الرسول ويعجب هذا القائل من نصب الخلاف بينهم وبين المعتزلة .

وقال:ما نثبته نحن في المعنى القائم بالنفس فهو من جنس العلم والإرادة .

والمعتزلة لا تنازعنا في ذلك، غاية ما في الباب:أنا نحن نسميه كلاما وهم يسمونه علما وإرادة، وأما هذا النظم العربي الذي هو حروف وكلمات وسور وآيات فنحن وهم متفقون على أنه مخلوق لكن هم يسمونه قرآنا ونحن نقول هو عبارة عن

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص:١٣٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥)

القرآن أو حكاية عنه .

قال ابن القيم:فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل فالمعتزلة قالوا هذا الكلام العربي وهو القرآن حقيقة لا عبارة عنه وهو كلام الله"[1] .

بل الأشاعرة أنفسهم مقرون بهذا فهذا الباجوري[2] يصرح بهذا فيقول "مذهب أهل السنة – يريد الأشعرية – أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق ، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق "[3] .

وهم بقولهم هذا جعلوا القرآن نصفين نصف من كلام الله وهو المعنى النفسي، والنصف الآخر وهو اللفظ ليس من كلام الله بل هو مخلوق.

"ومن هنا استخف كثير من أتباعهم بالمصحف وجوزوا دوسه بالأرجل لأنه بزعمهم ليس فيه إلا الجلد والورق"[4]

وهذا لم يكن معروفا عند الأولين بل كانوا يعظمونه ويحترمونه لأجل كونه عبارة عن الكلام النفسي فتعظيمه لدلالته على العظيم، فجاء متأخروهم وبعض أتباعهم فأعرضوا عن ذلك، لما رأوا أن مجرد كونه دليلا على كلام الله لا يوجب الاحترام .[5]

فسبحان الله كيف فعلت البدعة بأصحابها الأفاعيل إذ جرتهم من بدعة إلى

---

(١) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٨١) .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري أشعري شافعي، شيخ الجامع الأزهر من مصنفاته تحفة المريد على جوهرة التوحيد حاشية على أم البراهين توفي سنة (١٢٧٧) انظر الأعلام (١ / ٦١) ومعجم المؤلفين (١/ ٨٤).

(٣) تحفة المريد (ص: ٢٢٣) .

(٤) مختصر الصواعق (ص: ٤/ ١٣٨٢) .

(٥) انظر رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص:٢٠١) ومجموع الفتاوى (٨ / ٤٢٥) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣٨٢) والعقيدة السلفية الجديع (ص:٤٣٩) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ١٢٩٨) .

كفر والعياذ بالله .

وهذا يؤيد ما قاله شيخ الإسلام "فالبدع تكون في أولها شبرا،ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذراعا وأميالا وفراسخ "[1].

وقولهم هذا باطل مخالف لما أجمع سلف الأمة وأئمتها في القرآن وأنه كلام الله تكلم به حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف .ومما يؤيد هذا:

١. أن الله تحدى الخلق أن يأتوا بمثله في مواضع عديدة والتحدي إنما يقع على الإتيان بمثل هذا الكتاب ولا يقول عاقل أن التحدي منصب على الإتيان بمثل ما في نفس الباري قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة:٢٣] لأن ما في النفس لا يدرى ما هو، ولا يسمى سورا فكيف يطلب منهم أن يأتوا بمثله؟[2]

٢. أن الله سبحانه أخبر بتنزيله وشهد بإنزاله على رسوله فقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٣]، وقال تعالى:﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦]، والمنزل على رسول الله ﷺ هو هذا القرآن العربي لفظه ومعناه دون ما في النفس .[3]

---

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٤٢٥) .

(٢) انظر البرهان في بيان القرآن لابن قدامة المقدسي (ص: ٣١) وحكاية المناظرة لابن قدامة (ص:٢٦) .

(٣) انظر البرهان في بيان القرآن (ص: ٣٤) ومنهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف د.علي الشهراني (ص: =

٣. أن الله أمر بقراءته والاستماع له والإنصات إليه وأخبر أنه يسمع ويتلى فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وهذه الصفات من صفات الوجود، لأن ما في النفس لا يمكن أن يوصف بهذه الصفات.[١]

ومما يؤيد ذلك من سنة النبي عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ **"خيركم من تعلم القرآن وعلمه "**[٢].

والحديث الآخر **" أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو"**[٣].

قال ابن قدامة " فهذه الأخبار وما شابهها تدل على أن النبي ﷺ ما أراد بالقرآن سوى هذا الكتاب المنزل عليه الذي يعرفه المسلمون قرآنا ولم يرد به ما تقول هذه الطائفة إنه معنى في نفس الباري "[٤].

٤. ومن الأدلة على ذلك ما أجمعت عليه الأمة من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في هذا القرآن وأنه كلام الله الذي نزل به جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام.

قال أبو نصر السجزي رحمه الله "لا خلاف بين المسلمين أجمع في أن القرآن كلام الله عزوجل وأنه الكتاب المنزل بلسان عربي مبين الذي له أول وآخر،وهو ذو

= ٤٧٤).

(١) انظر البرهان في بيان القرآن (ص: ٣٤- ٣٥) ومنهج ابن قدامة (ص: ٤٧٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤/ ١٩١٩) برقم (٤٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو (٣/ ١٠٩٠) برقم (٢٨٢٨).

(٤) البرهان في بيان القران (ص: ٤٣).

أجزاء وأبعاض،وأنه شيء ينقري ويتأتى أداؤه وتلاوته "[1] .

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله "ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ....وهو الذي بلغه الرسول أمته .... وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الألسنة ويكتب في المصاحف كيفما تصرف بقراءة قاريء ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تلي وفي أي موضع قريء وكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها، كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم ."[2]

وقال ابن قدامة رحمه الله "ولم يزل السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والأئمة بعدهم يعظمون هذا القرآن، ويعتقدون أنه كلام الله ويتقربون إلى الله بقراءته ويقولون إنه غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر ."[3]

٥. أن قولهم في القرآن إنما بنوه على أن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالنفس وأنه قديم أزلي لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته وهذا الأساس الذي بنوه على مذهبهم باطل[4] كما سبق وأن بينته وفصلته .

* * *

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٠٥) وانظر البرهان في بيان القرآن (ص:٤٧) وحكاية المناظرة في القرآن (ص: ٣٢) ومجموع الفتاوى (١٢ / ٢٣٥) .

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص:١٦٥- ١٦٦).

(٣) حكاية المناظرة (ص: ٤٦)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٢٠/ ٣٧٦)

المبحث الثاني: نزول القرآن

لقد كان موقف الزركشي والسيوطي والزرقاني من نزول القرآن مخالفاً لمنهج أهل السنة وذلك، أنهم لم يثبتوا حقيقة نزول القرآن، فتارة فسروه بمعنى إظهار القرآن، وتارة فسروه بالإعلام، وسأورد أقوالهم بنصها ثم أعقب عليها.

يقول الزركشي "اعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزل: واختلفوا في معنى الإنزال فقيل معناه: إظهار القرآن، وقيل: إن الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان، والتنزيل له طريقان: أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملائكة وأخذه من جبريل. والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه والأول أصعب الحالين .

ونقل بعضهم عن السمرقندي حكاية ثلاثة أقوال في المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم ما هو:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به....

والثاني: أنه إنما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه و سلم بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه و سلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وإنما تمسكوا بقوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

والثالث: أن جبريل صلى الله عليه و سلم إنما ألقى عليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ثم أنه أنزل به كذلك بعد ذلك "[(١)] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١ / ١٦٤) .

وأما السيوطي فقد نقل كلام الزركشي السابق وزاد بعض النقول ومنها مانقله عن الطيبي قوله " لعل نزول القرآن على النبي أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه". وما نقله عن القطب الرازي بقوله " الإنزال لغة: بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى أسفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام، فهو مستعمل فيه في معنى مجازي، فمن قال القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى، ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القرآن هو الألفاظ، فإنزاله مجرد إثباته في اللوح المحفوظ، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين .

ويمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى الثاني، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم"[1] انتهى .

وكذلك الزرقاني أطال في تعريف النزول وذكر استعمالاته وأول معناه إلى الإعلام، قال رحمه الله "جاء التعبير بمادة نزول القرآن وما تصرف منها في الكتاب والسنة ومن أمثلته قوله سبحانه في سورة الإسراء " ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء: ١٠٥] وقوله ﷺ **" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف "**[2] وهو حديث مشهور بل قيل فيه بالتواتر كما سيأتي، لكن النزول في استعمال اللغة يطلق، ويراد به الحلول في مكان والأوي به، ومنه قولهم نزل الأمير المدينة .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٨٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤ / ١٩٠٩) برقم (٤٧٠٦).

والمتعدي منه وهو الإنزال يكون معناه إحلال الغير في مكان وإيواءه به، ومنه قوله جل ذكره ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

ويطلق النزول إطلاقا آخر في اللغة على انحدار الشيء من علو إلى سفل نحو نزل فلان من الجبل.

والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل ومنه قوله سبحانه ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الحج: ٦٣] ولا ريب أن كلا هذين المعنيين لا يليق إرادته هنا، في إنزال الله للقرآن ولا في نزول القرآن من الله لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية.

والقرآن ليس جسما حتى يحل في مكان أو ينحدر من علو إلى سفل، سواء أردنا به الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الغيبية الأزلية، أم أردنا به نفس تلك الكلمات، أم أردنا به اللفظ المعجز لما علمت من تنزه الصفة القديمة ومتعلقها، وهو الكلمات الغيبية عن الحوادث وأعراض الحوادث، ولما تعرفه من أن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها كما يقولون.

إذاً فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح، وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته.

أما على أن المراد بالقرآن الصفة القديمة، أو متعلقها فإنزاله، الإعلام به بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ، وفي بيت العزة من السماء الدنيا وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبي ﷺ، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي اللزوم؛ لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلا ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق به مطلقا وإذاً فالمجاز مرسل.

وأما على أن المراد بالقرآن اللفظ المعجز، فمعنى إنزاله الإعلام به أيضا، ولكن بوساطة إثباته هو أو إثبات داله، فإثباته هو بالنسبة لإنزاله على قلب النبي، وإثبات

داله بالنسبة إلى اللوح المحفوظ وبيت العزة والعلاقة اللزوم كذلك والمجاز مرسل كسابقه، ويمكن أن يكون هذا التجوز من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، بأن يشبه إعلام السيد لعبده بإنزال الشيء من علو إلى سفل، بجامع أن في كل من طرفي التشبيه صدورا من جانب أعلى إلى جانب أسفل، وإن كان العلو والسفل في وجه الشبه حسيا بالنسبة إلى المشبه به ومعنويا بالنسبة إلى المشبه .

وأنت خبير بأن النزول مطاوع الإنزال فما يجري من التجوز في أحدهما يجري نظيره في الآخر .وقل مثل ذلك في التنزيل والتنزل .

وكأن وجه اختيار التعبير بمادة الإنزال وما تصرف منها أو التقى معها هو التنويه بشرف ذلك الكتاب نظرا إلى ما تشير إليه هذه المادة من علو صاحب هذا الكتاب المنزل علوا كبيرا كما قال تعالى في فاتحة سورة الزخرف﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢ – ٣].

ثم إن تأويل الإنزال بالإعلام على ما رأيت هو الأقرب والأوفق بالمقام وذلك من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن تعلق الكلام تعلق دلالة وإفهام ولا ريب أن القرآن كلام فتأويل إنزاله بالإعلام رجوع إلى ما هو معلوم من تعلقه ومفهوم من تحققه .

ثانيها: أن المقصود من ثبوت القرآن في اللوح وفي سماء الدنيا وفي قلب النبي هو إعلام الخلق في العالمين العلوي والسفلي بما شاء الله دلالة البشر عليه من هذا الحق .

ثالثها: أن تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأي إطلاق من إطلاقاته وعلى أي تنزل من تنزلاته"[1] .

وتفسيرهم هذا لمعنى النزول مصادم لما جاء به صريح الكتاب والسنة وما عليه

---

(١) مناهل العرفان (١ / ٣٧) .

سلف هذه الأمة، ولا يعلم في اللغة ولا في الشرع معنى النزول بمثل ما قالوه، بل هذا محض افتراء على الشرع وعلى لغة العرب، والذي قادهم إلى هذا تحكيمهم عقولهم، وتقديمهم لها على ما جاء به الله ورسوله وما أجمع عليه سلف هذه الأمة وهم بهذا قد شابهوا المشركين الذين إذا قيل لهم ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وسأبين معنى النزول في اللغة والشرع .

معناه في اللغة " أصله من الانحطاط والهبوط من علو إلى سفل .

يقول ابن فارس رحمه الله " النون والزاء واللام كلمة صحيحة، تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولا،ونزل المطر من السماء نزولا، والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل"(١) .

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله "النزول في الأصل هو انحطاط من علو، قال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره" (٢) .

لكن لو قال قائل جاء في لغة العرب تسمية ما يعد للضيف نزلاً كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٢] وجاء أيضا تسمية المكان المعد للضيف نزل ، وجاء تسمية المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل فما العلاقة بين هذه الأشياء وبين معنى النزول ؟

يقال في الجواب عن هذا إن" الضيافة سميت نزلا لأن العادة أن الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى إليه بضيافته فيه فسميت نزلا لأجل نزوله ، ونزل ببني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤١٧) .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٤٨٨) وانظر تهذيب اللغة للأزهري (١٣ / ١٤٥) .

ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٩] لأنه كان راكباً في السفينة، وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لأنهم يكونون ركباناً فينزلون والمشاة تبعا للركبان "[١].

أما معناه شرعاً: هو معناه في اللغة وهو الهبوط من علو إلى سفل، وذلك؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، وهذا المعنى هو ظاهر مادل الشرع عليه[٢] وهو الذي أجمع السلف عليه وهو القول بنزول القرآن الكريم حقيقة، والأدلة على نزول القرآن كثيرة، وقد ورد لفظ النزول في القرآن خمساً وتسعين ومائتي مرة، في أربعة وأربعين تصريفاً .[٣]، فمن ذلك قوله تعالى﴿ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٤]. قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] . قال تعالى: ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢].

فقد صرح الله سبحانه في هذه الآيات بأن القرآن منزل على محمد عليه الصلاة والسلام .

ومن أعظم الأدلة على هذا أن الله سبحانه قد شهد بنزول القرآن على رسوله وكفى بالله شهيدا وقد أشهد على ذلك أيضاً ملائكته المكرمين قال سبحانه ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣] ثم قال بعدها ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢ / ٢٥٣)

(٢) انظر مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٠)

(٣) انظر كتاب نزول القرآن والعناية به في عهد النبي عليه الصلاة والسلام د. محمد الشايع (ص: ٣) .

ولفظ النزول في كتاب الله جاء على ثلاثة أنواع:[1]

١- نزول مقيد بأنه منه، وهذا لم يرد إلا في القرآن كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال تعالى ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [غافر٢]، وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ [الجاثية: ٢] "والتنزيل بمعنى المنزل، تسمية المفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا قال السلف: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، منه بدأ . قال أحمد وغيره وإليه يعود أي هو المتكلم به"[2] .

٢- نزول مقيد بالسماء، وهذا يشمل نزول الملائكة، ونزول العذاب، ونزول المطر من السحاب وغير ذلك، والسماء اسم جنس لكل ما علا، فإذا قيد بشيء معين تقيد به . ومنه نزول المطر من السماء قال تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗا ﴾[الرعد: ١٧] فقوله من السماء مطلق أي في العلو ثم بينه سبحانه في موضع آخر قال تعالى﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٩] أي أنه منزل من السحاب . ومن ذلك نزول الملائكة بالوحي قال تعالى﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢]. ومن نزول العذاب من السماء قوله تعالى ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٩].

٣- نزول مطلق لا يختص بنوع معين، ومن هذا إنزال السكينة وقال تعالى ﴿ فَأَنزَلَ

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٨)، ٢٤٧، ١٥ / ٢٢١) وانظر مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٤٨) .

ﭐللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٦] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٤] ومن ذلك إنزال الميزان قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الحديد: ٢٥] وإنزال الحديد قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهذا النوع لا يخرج عن الأقسام السابقة، وذلك أن معنى النزول ظاهر فيه كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله بقوله "وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق؛ لأنه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته، فإن الحديد إنما يخلق في المعادن، والمعادن إنما تكون في الجبال، فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦].

وهذا مما أشكل أيضا، فمنهم من قال جعل، ومنهم من قال خلق، لكونها تخلق من الماء فإن به يكون النبات الذي ينزل أصله من السماء وهو الماء، وقال قطرب جعلناه نزلا ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة؛ فان الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتى بطون أمهاتها، ويقال للرجل قد أنزل الماء، وإذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب إنزاله وهو على جنب إما وقت الجماع، وإما بالاحتلام، فكيف بالأنعام التي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الإناث .

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعى وإنما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام "[1] .

وبهذا يتبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٥٤) .

المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا لكان خطابا بغير لغتها .[1]

فإذاً ما ذكر في كتب علوم القرآن من تأويل النزول باطل باللغة والشرع، وهم بهذا قد وافقوا الجهمية والأشاعرة كما حكى شيخ الإسلام عنهم بقوله " فمن الجهمية من يقول أنزل بمعنى خلق كقوله تعالى "﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان، ومن الكلابية من يقول نزوله بمعنى الإعلام به وإفهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه"[2] .

يقول الباقلاني مقررا معنى النزول " ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال"[3].

وأصل الشبهة عندهم في تأويل معنى النزول أن إثبات معنى النزول على حقيقته، يستلزم إثبات صفة العلو وهم ينكرون هذه الصفة[4]، وذلك لما يلزم منها من المكانية. كما يقول ذلك الزرقاني بعد ما نقل اطلاقات النزول .

قال: "ويطلق النزول إطلاقا آخر في اللغة على انحدار الشيء من علو إلى سفل نحو نزل فلان من الجبل والمتعدي منه يكون معناه تحريك الشيء من علو إلى سفل . ومنه قوله سبحانه﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [الرعد: ١٧] .

ولا ريب أن كلا هذين المعنيين لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن، ولا في نزول القرآن من الله لما يلزم هذين المعنيين من المكانية والجسمية . والقرآن ليس

---

(١) انظر المصدر السابق (١٢ / ٢٥٧).

(٢) المصدر السابق (١٢ / ٢٤٦) .

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده (ص: ١٤٦) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٨ / ٢٦) .

جسما حتى يحل في مكان، أو ينحدر من علو إلى سفل، سواء أردنا به الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الغيبية الأزلية، أم أردنا به نفس تلك الكلمات، أم أردنا به اللفظ المعجز لما علمت من تنزه الصفة القديمة ومتعلقها، وهو الكلمات الغيبية عن الحوادث وأعراض الحوادث ولما تعرفه من أن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها كما يقولون "[1] .

ويحاول الزرقاني أن يتأول النصوص التي جاءت بلفظ التنزيل فيقول بعد الكلام السابق " إذاً فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح،وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته .

أما على أن المراد بالقرآن الصفة القديمة، أو متعلقها، فإنزاله الإعلام به بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ، وفي بيت العزة من السماء الدنيا، وبواسطة ما يدل عليه من الألفاظ الحقيقية بالنسبة لإنزاله على قلب النبي، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي هي اللزوم؛ لأن إنزال شيء إلى شيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلا، ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق به مطلقا، وإذاً فالمجاز مرسل، وأما على أن المراد بالقرآن اللفظ المعجز، فمعنى إنزاله الإعلام به أيضا، ولكن بوساطة إثباته هو أو إثبات داله، فإثباته هو بالنسبة لإنزاله على قلب النبي، وإثبات داله بالنسبة إلى اللوح المحفوظ وبيت العزة والعلاقة اللزوم كذلك والمجاز مرسل كسابقه .

ويمكن أن يكون هذا التجوز من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، بأن يشبه إعلام السيد لعبده بإنزال الشيء من علو إلى سفل، بجامع أن في كل من طرفي التشبيه صدوراً من جانب أعلى إلى جانب أسفل، وإن كان العلو والسفل في وجه

---

(١) مناهل العرفان (١ / ٣٧) .

الشبه حسيا بالنسبة إلى المشبه به ومعنويا بالنسبة إلى المشبه"[1].

وهنا المؤلف يصرح بأن علو الله على خلقه، إنما هو علو معنوي وليس حسيا، وهذا يؤيد ما تقدم ذكره من أن منشأ الشبهة عندهم في إثبات النزول الحقيقي، أن النزول إنما يكون من علو والله عندهم ليس في العلو تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، بل صفة العلو ثابتة لله .

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف على إثبات صفة العلو لله كما دلت عليها أيضا العقول والفطر السليمة، وهذه المسألة أظهر من أن توضح، والعجيب من المؤلف إنكاره لهذه الصفة وقد بلغت أدلتها من الكثرة والوضوح مبلغا عظيما،حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي " في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى في عال على الخلق، وأنه فوق عباده "[2] .

والحافظ الذهبي يعد إيراد النصوص في هذه المسألة عيا، ثم أورد قول القائل:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[3]

ولعظم هذه المسألة فقد أولوها أهل العلم اهتماما كبيرا، فصنفوا فيها المصنفات، ولا يخلوا كتاب من كتب العقيدة من الحديث عن هذه المسألة .

ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن من أدلة علو الله على خلقه التصريح بتنزيل الكتاب منه، قال في النونية[4]:

هذا وسادسها وسابعها النزو ل كذلك التنزيل للقرآن
والله أخبرنا بأن كتابه تنزيله بالحق والبرهان
أيكون تنزيلا وليس كلام من فوق العباد أذاك ذوإمكان

---

(١) مناهل العرفان (١ / ٣٨) و(٢/ ٢٣٤) .
(٢) نقل ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ١٢١).
(٣) انظر مختصر العلو (ص: ١٠٢).
(٤) انظر النونية بشرح ابن عيسى (١ / ٤١٢) .

أيكون تنزيلا مــــن الرحمن والرحمن ليس مباين الأكوان

وقد تقدم التفصيل في صفة العلو وأدلتها وإجماع أهل العلم .

فإذاً ما ادعاه الزرقاني من تأويل النزول بالإعلام باطل، وذلك من عدة وجوه:

١- أن ما ذكره من مجاز النزول، وأن المقصود به الإعلام، لا يعرف في كتاب ولا سنة ولا لغة ولا شرع ولا عرف ولا استعمال .

٢- أنه لو عرف استعمال ذلك بقرينة، لم يكن موجبا، ولا مسوغا، لإخراج اللفظ عن حقيقته حيث لا قرينة .[١]

٣- أن تفسير النزول بمعنى الإعلام لا يعرف في اللغة، ولكن هذا تفسير من لا يثبت لله عزوجل كلاما إلا الكلام النفسي الذي لا يسمع[٢]، وتقدم نقل بعض أقوال أهل اللغة في هذا الشأن [٣] .

قال شيخ الإسلام " ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى "[٤].

وقال ابن القيم "والتنزيل والإنزال حقيقة مجيء الشيء أو الإتيان به من علو إلى سفل . هذا هو المفهوم منه لغة وشرعاً "[٥] .

٤- أن النزول ورد في القرآن الكريم مؤكداً بالمصدر الذي يفيد وقوع الفعل حقيقة لا مجازا[٦] .

---

(١) مختصر الصواعق (٣/ ١١٠١).

(٢) انظر القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم لمحمد هشام طاهري (١ / ٥٩٧).

(٣) انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٤١٧) والمفردات للراغب الأصفهاني (ص: ٤٨٨) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ٢٥٧) .

(٥) مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٠).

(٦) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١١١) والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (/ ٥٩٩).

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٣].

٥- أما ما ادعاه الزرقاني من لازم إثبات حقيقة النزول وهو المكانية والجسمية فيقال أتترك النصوص الصريحة بمثل هذه الترهات،التي لم تبن على تقوى من الله ورضوان،ولم يعرفها السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فكيف تطوى عنهم وتكشف لمن جاء بعدهم.؟

٦- يقال لهم لا يلزم من نزول القرآن الجسمية، وذلك أنه لا يلزم أن يكون الكلام المنقول جسما وذاتاً بنفسه، ثم إن الكلام عرض وليس ذاتاً، والأعراض تقوم بذواتها، لا بنفسها فكلام الله عزوجل قائم به، وسمعه جبريل ونقله إلى محمد ﷺ ولا يلزم من ذلك مفارقة صفة الرب عن ذاته.[1]

٧- أما تأويل الزرقاني للنزول واستناده إلى أن الله يجب أن ينزه عن الحوادث وأعراض الحوادث، وهذه المسألة أعني مسألة حلول الحوادث من الأصول العقلية عند الأشاعرة والتي عارضوا بها مدلول السمع، ونتيجة ذلك، تأولوا صفات الله وهذا الدليل هو المسلك المشهور عند المعتزلة، وأخذه عنهم جمهور الأشاعرة، وخلاصة الدليل أنهم قالوا: لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، ولا يعرف إثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما به يعلم حدوث الأجسام، ثم استدلوا على حدوث الأجسام، بأنها لا تخلو من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث، لذلك نفت المعتزلة جميع الصفات عن الله لأن ما قامت به الصفات قامت به الأعراض وما قامت به الأعراض فهو حادث.

أما الكلابية والأشاعرة فنفوا الصفات الاختيارية عن الله؛ لأنها حوادث

---

(١) انظر القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (١ / ٥٩٩)

فيجب نفيها.[1]

وهذا المسلك باطل من وجوه كثيرة منها:

١- أن هذا الدليل طويل كثير المقدمات، لا يفهمها كثير من الناس، وهذا بخلاف الدليل الشرعي فهو قليل المقدمات، ولصعوبة مسلكهم هذا وعسر تصوره، نجد أن أصحاب هذه الطرق لم يتفقوا على مقدمة واحدة من مقدماتها، فبينهم من الاختلاف، والتنازع الشيء الكثير، وهذا لاشك كاف في إبطاله .[2]

٢- أنه دليل مبتدع في دين الله لم يدع إليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه من بعده ولا أئمة السلف، وإنما حدث بعد المائة الأولى وانقراض عهد التابعين، فلو كانت معرفة الرب عزوجل والإيمان به موقوفة عليه، للزم أنهم كانوا غير عارفين بالله ولا مؤمنين به، وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين .

يقول شيخ الإسلام في إبطال هذا الدليل " الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أحداً بسلوك هذا السبيل، فلو كانت المعرفة موقوفة عليه وهي واجبة لكان واجباً، وإن كانت مستحبة كان مستحباً، ولو كان واجباً أو مستحباً لشرعه رسول الله ﷺ، ولو كان مشروعاً لنقلته الصحابة "[3]

وقد اعترف أصحابهم بهذا، يقول الغزالي " فليت شعري متى نقل عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا لمن جاءهم مسلماً، الدليل على أن العالم حادث: أنه لا يخلو عن الأعراض، ومالا يخلو عن الحوادث حادث "[4] .

٣- أنه يلزم عليه لوازم فاسدة من نفي صفات الله ونفي قدرته على الفعل وكل هذا

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٨٤) ودرأ تعارض العقل والنقل (١ / ٣٠٢ ٣٠٣).

(٢) انظر الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٢/ ٢٠٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠) .

(٤) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص: ٨٩) .

خلاف المعقول الصحيح وخلاف الكتاب والسنة[1].

فإذاً كلام الزرقاني السابق لا يعدو أن يكون تكرار وتقليد لأقوال الأشاعرة دون تحرير ونظر.

أما ما نقله الزركشي والسيوطي في تفسيرهم لمعنى النزول، وأن معناه أن الله ألهم كلامه جبريل وهو في السماء، وهو عال عن المكان، وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض، أو أن معنى النزول أن يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه.[2]

وأيضا ماحكاه الزركشي عن السمرقندي في المنزل على النبي عليه الصلاة والسلام ماهو:

"أحدها أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به....
والثاني أنه إنما نزل جبريل على النبي ﷺ بالمعاني خاصة وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب وإنما تمسكوا بقوله تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك).
والثالث أن جبريل ﷺ إنما ألقى عليه المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ثم أنه أنزل به كذلك بعد ذلك"[3] فباطل، وذلك أن هذه الأقوال تنفي سماع جبريل عليه السلام القرآن من الله، وهذا مخالف لما أجمع عليه سلفنا الصالح، من أن القرآن نزل من الله لفظا ومعنى وسمعه جبريل منه سبحانه وسمعه محمد ﷺ من جبريل وليس لجبريل عليه السلام ولا لمحمد ﷺ فيه إلا التبليغ والأداء.[4]

---

(١) انظر درأ تعارض العقل والنقل (١ / ٩٧) ومجموع الفتاوى (٥ / ٥٤١-٥٤٥) وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣ / ٩٩١) والأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٢/ ٢٠٧- ٢٧٣).

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١ / ١٦٤) وانظر الإتقان في علوم القرآن (١ / ٢٨٩ -٢٩٢).

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن (١ / ١٦٤) ونقله كذلك السيوطي في الإتقان (١ / ٢٩٢)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ٥٣٠- ٥٤٤) (١٢ / ١١٧ – ١٣٩) وشرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٩٥) =

والأدلة على هذا كثيرة منها:

١- قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٣]. ففي هذه الآية بيان لمعنى نزول القرآن، وأنه أنزله روح القدس من الله ومقتضى هذا أنه سمعه من الله ولم يؤلفه.[١]

٢- قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) ﴾ [الأنعام: ١١٤].

٣- قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

فهذه الآيات تبطل أن يكون جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، وتبطل من يقول إنما ألهمه جبريل فعبر عن القرآن، ونحو هذه الأقوال، فإن هذا القرآن العربي لابد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا.[٢]

وأما من السنة:

فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري في باب قوله تعالى ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ " ثم أورد جملة من الأحاديث.

ومنها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ " يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك،

= وتوضيح المقاصد لابن عيسى (١ / ٢٧٧) ومختصر الصواعق (٤/ ١٣٩٦).

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٠).

وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ..." الحديث[(١)] .

وعن عبد الله بن أوفى رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: **"اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب وزلزلهم "**[(٢)].

وأورد الإمام أبوبكر بن خزيمة رحمه الله في كتابه التوحيد[(٣)]،" باب من صفة تكلم الله بالوحي" حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ **" إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، قال:فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا أتاهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ قال:يقول الحق .قال فينادون: الحق الحق"**[(٤)] فهذا الحديث صريح في أن جبريل يسمع الوحي من الله سبحانه وتعالى .

والدليل من الإجماع:

يقول أبوحامد الإسفراييني[(٥)] " مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ"[(٦)].

وقال قوام السنة أبو القاسم الأصفهاني رحمه الله " كلام الله تعالى مدرك مسموع بحاسة الأذن، فتارة يسمع من الله تعالى، وتارة يسمع من التالي، فالذي

---

(١) (٦/ ٢٧٢٢) برقم (٧٠٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٢٢) برقم (٧٠٥١) .

(٣) انظر (١/ ٣١٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٣٢٧) .

(٥) هو أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد بن أبي طاهر الإسفراييني، شيخ الشافعية بالعراق، من مصنفاته كتاب في أصول الفقه ت ٤٠٦هـ انظر طبقات الفقهاء للشيرازي (ص: ١٣١) وطبقات الشافعية لابن أبي شهبة (١/ ١٧٢) .

(٦) ونقله ابن عيسى في توضيح المقاصد في شرح نونية ابن القيم (١ / ٢٧٧) .

يسمعه من الله تعالى من يتولى خطابه بنفسه بلا واسطة ولا ترجمان "[1] .

وقال في موضع أخر " ومذهب علماء السنة وفقهائهم أنه (أي القرآن) الذي تكلم الله به وسمعه جبريل من الله، وأدى جبريل إلى النبي ﷺ وتحدى به النبي عليه الصلاة والسلام، وجعله الله عزوجل دلالة على صدق نبوته ومعجزة، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة عليهم حسب ما سمعه من جبريل عليه السلام ونقله السلف إلى الخلف قرنا بعد قرن "[2] .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله "نص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة، أنا نقرأ القرآن بأصواتنا والقرآن كلام الله لفظه ومعناه، سمعه جبريل من الله وبلغه إلى محمد ﷺ وسمعه محمد منه وبلغه محمد إلى الخلق"[3] .

وقال في موطن أخر " والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله وسمعه محمد من جبريل، وبلغه محمد إلى الناس، وأنذر به الأمم"[4].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله " والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه ﷺ إلى أمته "[5] .

وبهذا يتبين أن مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة أن الله تكلم بالقرآن فسمعه جبريل منه سبحانه وبلغه إلى محمد ﷺ .

أما الأشاعرة فقد اضطربت أقوالهم في كيفية إيحاء الله القرآن إلى جبريل كما

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١ / ٢٨٤) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (١ / ٤٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ٩٨) وانظر شرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٩٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ٧٥) و (١٢ / ٥٥٤) و (١٢ / ٢٩٨ و ١٢٧) .

(٥) فتح الباري (١٣ / ٥٦٥) .

نقل ذلك في بعض كتب علوم القرآن .

وسبب هذا الاضطراب يعود إلى عقيدتهم في كلام الله، وذلك أن اعتقادهم في كلام الله أنه المعنى القائم في نفس الله، وأنكروا أن يكون كلام الله بحرف وصوت، فهو إذاً ليس مسموعاً[(1)] .

ولذلك تنوعت أقوالهم واختلفت[(2)] . قال بعضهم: إنه أخذه من اللوح المحفوظ، وقال بعضهم: إن الله ألهمه إياه وهو في السماء، وبعضهم يقول: إن الله يخلق القرآن فيكون مكتوبا في اللوح المحفوظ ثم ينزل به إلى النبي ﷺ، ومنهم من يقول: إن الله يخلق القرآن في الهواء فيسمعه جبريل فيبلغه إلى النبي ﷺ[(3)] .

وأقوالهم هذه مبنية على أصل فاسد هو القول بخلق القرآن،وهذه هي مقالة الجهمية .

يقول الباقلاني " ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال . والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].

فيجب أن تعتقد ها هنا أربعة أشياء هنا: منزل، ومنزل، ومنزول عليه، ومنزول به . فالمنزل هو الله تعالى لقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ [الحجر: ٩] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ [النحل: ٤٤] والمنزل على الوجه الذي بيناه من كونه نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال كلام الله تعالى القديم الأزلي القديم

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام د. عبد الله القرني (ص: ٥٠).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٠) وانظر مختصر الصواعق (ص:٦٥٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٠) وانظر الإرشاد للجويني (ص: ١٣٥) غاية المرام للآمدي (ص:١١١) وشرح الجوهرة للباجوري (ص: ١٧٦).

بذاته، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ والمنزل عليه قلب النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ والمنزول به هو اللغة العربية التي تلا بها جبريل، ونحن نتلوا بها إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ والنازل على الحقيقة المنتقل من قطر إلى قطر، قول جبريل عليه السلام. يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٨ – ٤٣] وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ١٥ – ٢٩] وهذا إخبار من الله تعالى بأن النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى قول جبريل لا قول شاعر ولا قول كاهن "[١].

والباقلاني هنا يفرق بين نزول كلام الله الذي هو المعنى القديم الأزلي القائم بذاته فيفسر ذلك بإنه نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال.

أما النازل حقيقة فهو قول جبريل، وليس كلام الله؛ لأن الكلام عنده هو المعنى النفسي، أما اللفظ فهو لفظ جبريل، وهذا مما يؤكد ما سبق ذكره من أن سبب اضطرابهم إنما بسبب إنكارهم أن يكون كلام الله بصوت .

وبهذا يظهر التلازم بين إثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه بصوت مسموع وبين كيفية وحي الله لجبريل بالقرآن ونزوله به.

فأهل السنة يؤمنون بكلام الله وأنه بصوت مسموع، فلذلك لم تضطرب أقوالهم بل آمنوا بأن الله يتكلم بالقرآن فيسمعه جبريل من الله، فينزل به إلى النبي

---

(١) الإنصاف للباقلاني (ص: ١٤٦) .

ﷺ، نزولاً حقيقياً، ولم يؤولوا ذلك، بل صرحوا بها نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا بخلاف أهل البدع فإنهم على النقيض من هذا .

ولقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن ما وقع في كتاب السيوطي من أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ: هل هذا من قول أهل السنة والجماعة أو هو من أقوال أهل البدع ؟

فأجاب رحمه الله " هذه المقالة اغتر بها كثير من الجهلة، وراجت عليهم، والسيوطي رحمه الله مع طول باعه وسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة. وهذه المقالة مبنية على أَصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم. وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها، انكار أَن يكون الله متكلمًا حقيقة، ويلزم هذه المقالة من الكفر والإلحاد والزندقة وإنكار الرسالة، ووصف الله تعالى بالخرس، وتشبيهه بآلهة المشركين الأصنام التي لا تنطق، وغير ذلك من المحاذير الكفرية ما يعرفه أَهل العلم، فإن الذي عليه أَهل السنة والجماعة قاطبة أَن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاءَ ومتى شاءَ وكيف شاءَ، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى، وبلغه إلى محمد ﷺ.

والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول: خلقه في اللوح المحفوظ، وأَخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ، وجاءَ به إلى محمد ﷺ. ومنهم من يقول: خلقه في جبريل. ومنهم من يقول: خلقه في محمد، إلى غير ذلك من أَقوالهم."(١) .

ثم ذكر الأدلة على كلام الله ونزول القرآن، ثم نقل كلام شيخ الاسلام رحمه الله.

فإذاً القول بأن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من غير الله سواء كان من اللوح المحفوظ أو بالتلقي الروحاني باطل من وجوه ":

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١ / ٢١٤) .

١ - أن قولهم هذا مبني على اعتقادهم في كلام الله حيث جعلوا كلام الله هو المعنى القائم بالنفس وليس بحرف ولا صوت، وسبق الرد على هذا الكلام وبيان بطلانه وما بني على باطل فهو باطل .

٢ - أن النصوص دلت على أن جبريل يسمع الوحي من الله تعالى حقيقة دون واسطة والقرآن من جملة الوحي ومن هذه النصوص حديث عبد الله بن مسعود. الذي سبق ذكره.

٣- أن النزول لم يرد مقيدا في النصوص بأنه منه سبحانه إلا في حق القرآن قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل: ١٠٢] فدل على أن نزول القرآن منه سبحانه نزولاً حقيقياً، وأن جبريل سمعه من الله عزوجل(١).

قال شيخ الاسلام رحمه الله " هذه الآية أيضا تبطل قول من يقول إن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق، أما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون، أن القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره، فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول، فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا "(٢) .

٤ - أن القول بذلك يستلزم أن يكون القرآن العربي هو لفظ جبريل أو محمد ﷺ، وهذا هو الذي استقر عليه المذهب الأشعري وتقدم نقل قول الباقلاني حيث صرح

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٨ و٢٤٨) وآراء ابن حجر الهيتمي لمحمد الشايع (ص: ٣٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٠) .

بأن اللفظ لفظ جبريل .

٥- أن انكار تكلم الله بالوحي، يستلزم أن يكون الوحي كله إلهاما، ويستلزم المساواة بين تكليم الله لموسى وإيحائه إلى غيره،وهذا بلا شك باطل، فإن الوحي قد يكون كلاما وقد يكون إلهاما إما بواسطة أو بغير واسطة. (١)

ولهذا ألزم الحافظ ابن حجر من أنكر أن يكون كلام الله بصوت أن يكون غاية مايثبتونه لله تعالى مجرد إلهام(٢).

٦- أن القول بأن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أوبالتلقف الروحاني ولم يسمعه من الله يلزم منه لوازم باطلة:

أ- يلزم منه أن يكون بنو إسرائيل أرفع درجة من محمد ﷺ، وذلك أن بني إسرائيل قد أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه سبحانه لموسى عليه السلام، بينما محمد ﷺ أخذه من جبريل، وجبريل من الكتاب.(٣)

ب- ويلزم لمن قال إن الله ألقى إلى جبريل المعاني وإن جبريل عبر عنها بالكلام العربي أن يكون جبريل ألهمه إلهاما وهذا الإلهام يكون لآحاد المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة: ١١١] وقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[القصص: ٧] وقد أوحى إلى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الأنبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل.(٤)

وما أجمل ما قاله ابن القيم في نونيته حيث لخص الأقوال السابقة وذكر قول

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ٥٤٠) والمعرفة في الإسلام للقرني (٥٨).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٥٩) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٧).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٨).

أهل الحق

وذلك بعدما تكلم عن صفة الكلام وذكر من خالف من الفرق، قال رحمه الله[1]:

إن الذي جاء الرسول به لمخـ ... لوق ولم يسمع من الديـان
والخلف بينهـم فقيـل محمـد ... أنشـاه تعبيرا عن القـرآن
والآخرون أبـو وقالوا إنما ... جبريل أنشـاه عن المنـان
وتكايست أخرى وقالت إنـه ... نقل من اللوح الرفيع الشـأن
فاللوح مبدؤه ورب اللوح قد ... أنشأه خلقا فيـه ذا حدثـان
هذى مقالات لهم فانظر ترى ... في كتبهم يا مـن لـه عينان
لكن أهل الحـق قالوا إنما ... جبريل بلغه عـن الرحمـن
ألقاه مسموعا له مـن ربه ... للصادق المصدوق بالبرهان

وبهذا يتبين أن القول الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن القرآن كلام الله نزل من عند الله لفظا ومعنى وتكلم الله به فسمعه جبريل وبلغه إلى محمد ﷺ.

ولا ينا في ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤]. فإن كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة لا ينافي أن

---

(١) الكافية الشافية بشرح ابن عيسى (١ / ٢٦٥).

يكون جبريل نزل به من عند الله وذلك لأن كونه في اللوح المحفوظ فإن اللوح فيه كل ما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة ومن جملة ذلك القرآن الذي سينزله الله على محمد ﷺ، ونزوله جملة إلى سماء الدنيا فهو بمثابة نقل جزء مما في اللوح وهو جملة القرآن، وعلى هذا يكون القرآن موجودا في اللوح المحفوظ حينما جرى القلم بما هوكائن وماسيكون،ثم جرى نقله إلى سماء الدنيا جملة في ليلة القدر،ثم نزل منجما في عشرين سنة، وكلما أراد الله إنزال شيء منه تكلم سبحانه بما أراد أن ينزله فيسمعه جبريل عليه السلام عن الله تعالى ولا منافاة بين تلك الحالات الثلاث. والله أعلم[1].

والسيوطي بعدما ذكر الأقوال السابقة قال "ويؤيد أن جبريل تلقفه من الله سماعا ثم ذكر حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه السابق، وكأنه مال إلى هذا القول.

ولقد رأى الزرقاني أن أمثل الأقوال في كيفية أخذ جبريل للقرآن أنه أخذه من الله سماعا[2] ثم استدل بحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه "إذا تكلم الله بالوحي "[3]والله أعلم .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٦) وانظر تتمة أضواء البيان (٩ / ٢١٣) وانظر شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين (ص: ٢٤٩).

(٢) انظر مناهل العرفان (١/ ٤٢) .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ من حديث النواس بن سمعان وروي عنه بلفظ آخر" إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ...". رواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥١٥) وابن جرير في تفسيره (٢٢ / ١٠٩) وابن أبي حاتم وابن مردوية كما في الدر المنثور (٦ / ٦٩٨) وابن خزيمة في التوحيد (رقم ٢٧٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٥١١) .

وفي اسناده نعيم بن حماد قال النسائي ضعيف انظر تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٧٦) والوليد بن مسلم كثير تدليس التسوية انظر التقريب (ص: ٥٨٤) ونقل أبو زرعة النصري عن دحيم قوله عن الحديث" لا أصل له" انظر السير (١٠/ ٦٠٢) .

المبحث الثالث:
موقفهم من إعجاز القرآن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ضابط المعجزة.

المطلب الثاني: القرآن معجزة هذه الأمة.

المطلب الثالث: قدر المعجزة من القرآن.

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن.

إن من المسائل العظيمة والمهمة مسألة إعجاز القرآن، وتكمن عظم هذه المسألة في صلتها بدلائل النبوة، وصدق رسالة نبينا محمد ﷺ، ولذلك اهتم بها العلماء وأولوها العناية الفائقة وصنفوا فيها المصنفات،

وسيكون المبحث في عدة مطالب:

المطلب الأول: ضابط المعجزة

المطلب الثاني: القرآن معجزة هذه الأمة

المطلب الثالث: قدر المعجز من القرآن

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن

وفيه تمهيد تعريف المعجزة لغة

المعجزة هي اسم فاعل من الإعجاز – أعجز الشيء يعجزه إذا فاته، وضعف عن طلبه وإدراكه، يقال أعجزني فلان إذا فاتني وعجزت عن إدراكه وطلبه واللحوق به، قال ابن فارس "عجز" العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والاخر على مؤخر الشيء .

فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز أي ضعيف .

وقولهم: إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه ويقولون المرء يعجز لا محالة، ويقال أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، ولن يعجر الله تعالى شيء أي لا يعجز الله تعالى عنه متى شاء، وفي القرآن: ﴿لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] ... ويقال فلان عاجز فلانا إذا ذهب فلم يوصل إليه . وقال تعالى: ﴿يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٣٨] "[١]

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٢)

والعجز نقيض الحزم، عجز الأمر يعجزه، ويقال أعجزت فلاناً إذا لقيته عاجزاً، والعجز الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز عدم القدرة .

وفي الحديث **" كل شيء بقدر حتى العجز والكيس "**[1] ومنه سميت العجوز عجوزاً لعجزها في كثير من الأمور . والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء .[2]

والخلاصة أن أصل العجز" التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره كما ذكر في الدبر وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة"[3] .

وقيل في تعريف الإعجاز اصطلاحاً:" هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير"[4] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٥)

(٢) انظر لسان العرب (٥/ ٣٦٩- ٣٧٠) ومختار الصحاح للرازي (ص: ١٧٤)

(٣) مفردات غريب القرآن (ص:٣٢٢)

(٤) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (١/ ٦٥)

المطلب الأول: ضابط المعجزة

يرى السيوطي أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة "[1].

وكذلك الزرقاني " تكلم الزرقاني عن المعجزة وعرفها بقوله "هي أمر يعجز البشر، متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هي أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه .

فإذا قام إنسان ما وادعى أنه مبعوث الله إلى خلقه ورسوله إلى عباده وقال إن آية صدقي فيما أدعيه أن يغير الله الذي أرسلني عادة من عاداته على يدي، وأن يخرج الآن عن سنة من سننه العامة في وجوده، ثم قال وسيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب، من باب ترون أنكم فيه نابغون وعليه قادرون وإني أتحداكم زرافات"[2].

وهذا الضابط ذكره جمهور المتكلمين ونحوهم [3] حتى ذكروا لها شروطا أوصلها بعضهم إلى ستة وبعضهم أوصلها إلى سبعة.

يقول التفتازاني[4] "المعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة "[5].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٧٣) .

(٢) مناهل العرفان (١/ ٦٣) .

(٣) انظر المغني للقاضي عبدالجبار (١٥/ ١٩٧) وشرح الأصول الخمسة (ص: ٥٦٩) وأصول الدين للبغدادي (ص:١٧٠) والإرشاد للجويني (ص: ٣٠٧-٣١٥) وغاية المرام(ص:٣٣٣- ٣٣٤) .

(٤) سعد الحق مسعود بن عمر التفتازاني، الشافعي، صنف كثيراً من المصنفات منها شرح تلخيص المفتاح وشرح العقائد، وشرح مقاصد الكلام، توفي سنة ٧٩٢هـ انظر الدرر الكامنة (٦/ ١١٢) وطبقات المفسرين للداودي (ص: ٣٠١).

(٥) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٧٦) .

وقد ذكر هذا الضابط المعتزلة حيث اشترطوا في المعجزة أن تكون خارقة للعادة، فعندهم كل ما خرج عن الأمر المعتاد فإنه معجزة، فهم ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية،وقرروا ذلك؛ بأن قصروا خرق العادة للأنبياء فقط .

يقول القاضي عبد الجبار" إن العادة لا تخرق إلا عند إرسال الرسل ولا تنخرق لغير هذا الوجه لأن خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث"[(١)] .

وبناء على هذا فقد كذبوا بما يذكر من خوارق السحر والكهان، وكرامات الأولياء [(٢)].

يقول شيخ الإسلام" والمعتزلة.. ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق إلا لنبي، والتزموا طرداً لهذا: إنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة ...وأنكروا الكهانة... وأنكروا كرامات الأولياء "[(٣)] .

أما الأشاعرة فقالوا المعجزة الأمر الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة، فإذاً خرق العادة عندهم جائز مطلقاً، وأن كل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين بل ومن السحرة، ولكن الفرق اقتران دعوى النبوة وهو التحدي [(٤)].

ويقال لمن جعل المعجزة الأمر الخارق للعادة:

أولاً: أن وصف آيات الرسل وبرهان صدقهم بأنه أمر خارق للعادة، لم يأت به كتاب الله وسنة رسولهﷺ وسلف هذه الأمة، وذلك أن هذا الوصف وصف مجمل

---

(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد (١٥ / ١٨٩) .

(٢) انظر كتاب النبوات (١/ ١٢٩- ١٣٠) .

(٣) كتاب النبوات (١/ ٤٨٤).

(٤) انظر كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (ص: ٤٦) وأصول الدين للبغدادي (ص:١٧٥ – ١٨٥) والإرشاد للجويني (ص: ٣٠٧-٣١٥) .

لا ينضبط وهو عديم التأثير " فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم"[(١)] فما يخبر الله النبي من الغيب من الخبر المعصوم هو مما يختص بهم وليس هو لغيرهم، فضلاً عن كونه معتاداً، وكذلك آية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين .[(٢)]

ثانياً: أن يقال لهم ماذا تريدون من كونه خارقاً للعادة، فإن أردتم به أنه لا يوجد له نظير في العالم فهذا باطل؛ فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل قد تكون بعض الآيات كإحياء الموتى آية لغير واحد من الأنبياء .

وإن أردتم به، أن آيات بعض الأنبياء لا نظير لها، كالقرآن والعصا، والناقة، فهذا إن قيل في بعض الآيات لم يلزم ذلك في سائر الآيات .

وإن أردتم أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة؛ بحيث ليس فيهم من يقدر على ذلك فهذا ليس بحجة؛ فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر، وكذلك من برز في فن من الفنون فإنه يوصف بإنه يقدر على ما لايقدر عليه أحد في زمنه، وليس هذا دليلاً على النبوة؛ فكتاب سيبويه مثلاً مما لايقدر على مثله عامة الخلق، وليس بمعجز وذلك؛ لأنه ليس مختصاً بالأنبياء بل موجود لغيرهم .

فإذاً كون الشيء معتاداً، مأخوذ من العود، وهذا يختلف بحسب عادة الناس فما خرج عن عادتهم في لباسهم وطعامهم، خارق لعادتهم، فهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن هذا الوصف وصف لا ينضبط، ولهذا لم يصف الله آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولكن إذا قيل من شرط المعجزة أن تكون خارقةً للعادة بمعنى أنها لا تكون معتادة للناس فهذا ظاهر معروف لكل أحد .[(٣)]

---

(١) النبوات (١/ ١٦٣).

(٢) انظر كتاب النبوات (١/ ١٦٣- ١٦٤) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦/ ٤٩٦) .

(٣) انظر كتاب النبوات (١/ ١٧٠- ١٧٣).

ثالثاً: أن مجرد كون المعجزة خارقة للعادة ليس كافياً لوجهين:

١ - "أن كون الشيء معتاداً وغير معتاد أمر نسبي إضافي، ليس بوصف مضبوط تتميز به الآية، بل يعتاد هولاء مالم يعتد هولاء؛ مثل كونه مألوفاً، ومجرباً، ومعروفاً ونحو ذلك من الصفات الإضافية.

٢ - أن مجرد ذلك مشترك بين الأنبياء وغيرهم وإذا خص ذلك بعدم المعارضة، فقد يأتي الرجل بها لايقدر الحاضرون على معارضته ويكون معتاداً لغيرهم كالكهانة والسحر وقد يأتي بها لا يمكن معارضته وليس بآية لشيء لكونه لم يختص بالأنبياء."(١) .

وسبب الغلط عند من جعل المعجزة أمراً خارقاً للعادة، أنهم جعلوا هذا الوصف هو الوصف المعتبر وفرق بين أن يقال إن المعجزة لابد أن تكون خارقة للعادة، وبين أن يقال كونه خارقاً للعادة هو المؤثر، فإن الأول جعله شرطاً لها، وأما الثاني جعله موجباً لا شرطاً.

وهذا كما يقال إن العلم والبيان والقرآن لا يكون إلا من حيٍّ، أو أن كونه حياً يوجب أن يكون عالماً قارئاً، ففرق بين العبارتين .(٢)

أما ما ذكروه في تعريف المعجزة وأنها تكون مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة. فهذا كما سبق هو قول الأشاعرة وذلك أنهم جعلوا جنس آيات الأنبياء من جنس السحر والكهانة والكرامات، ولكن آيات الأنبياء اقترن بها دعوى النبوة وسلمت من المعارضة عند تحدي الرسول بالمثل وبهذا فارقت جنس السحر والكهانة ونحوها (٣)وهذا باطل من وجوه:

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٧٣ - ١٧٤).

(٢) انظر المصدر السابق (١/ ٢١٥).

(٣) انظر كتاب النبوات (١/ ٤٨٥) والمصادر السابقة .

الأول: أن حقيقة قولهم في جعلهم المعجزة الخارق مع التحدي، أن المعجزة في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل، سواء كان المعجز في نفسه خارقاً أو غير خارق، فهي عندهم لم تدل لكونها في نفسها وجنسها دليلاً، بل لاستدلال المدعي للنبوة، صارت دليلاً.[1]

وقد صرحوا بهذا يقول الباقلاني" إن المعجز ليس بمعجز لجنسه ونفسه، ولا لحدوثها وإنما يصير معجزاً للوجوه التي ذكرناها، ومنها التحدي، والاحتجاج"[2].

ويقول الجويني" فإن المعجزة لا تدل بعينها، وإنما لتعلقها بدعوى النبي الرسالة"[3].

الثاني: أنه بناء على قولهم وطريقتهم، يقال بأن المعجزات لم تتميز بوصف تختص به، وإنما امتازت بدعوى النبوة، وهذا حقيقة قولهم وقد صرحوا به، وهذا لاشك في بطلانه إذ يلزم عليه لوازم باطلة منها:

١-أنه يلزم عليه تسوية آيات الأنبياء في الحد والحقيقة لسحر السحرة، وهذا فاسد معلوم بالاضطرار من دين الرسل .

٢- أن هذا من أعظم القدح في الأنبياء إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان .[4].

الثالث : مما يبين ضعف هذا الضابط الذي التزموه في تعريف المعجزة " أنه قد ادعى جماعة من الكذابين النبوة، وأتوا بخارق من جنس الكهان والسحرة، ولم يعارضهم أحد في ذلك المكان والزمان، وكانوا كذابين؛ فبطل قولهم أن الكذاب إذا أتى بمثل خوارق السحرة والكهان، فلابد أن يمنعه الله ذلك الخارق، أو يقيض له

---

(١) انظر المصدر السابق (١/ ٢٤٢، ٤٨٥- ٤٨٦).

(٢) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص:٤٨) .

(٣) الإرشاد (ص: ٣١٩) .

(٤) انظر كتاب النبوات (١/ ٢٢٩- ٢٣٠) .

من يعارضه"[١] كما يقوله الباقلاني[٢] وهذا كالأسود العنسي[٣] الذي ادعى النبوة باليمن في حياة النبي ﷺ واستولى على اليمن .

الرابع: "أن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها، ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته، وإن خلت عن هذين القيدين، وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمدﷺ فإنه دليل على صدقه، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به."[٤] .

الخامس: أن الدليل الدال على المدلول عليه، لا يشترط فيه استدلال أحد به، فكل ما كان النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، فهو دليل وإن لم يستدل أحد به، فالآيات أدلة وبراهين بنفسها تدل على المدلول عليه سواء استدل به النبي أو لم يستدل به .[٥]

وبهذا يتبين ضعف هذا الضابط في الذي ذكروه في ضابط المعجزة.

* * *

---

(١) النبوات (١/ ٤٩٦) .

(٢) انظر البيان للباقلاني (ص: ٩٤- ٩٥).

(٣) هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي، ذو الخمار، ويلقب بالأسود كان كاهناً مشعبذاً، فتنبأ باليمن، واستولى على بلاده، وكان ذلك في حياة النبي ﷺ فقتله المسلمون، وبشر رسول ﷺ أصحابه بمقتله . انظر البداية والنهاية (٦/ ٣٠٦- ٣١٠)

(٤) النبوات (١/ ٤٩٨).

(٥) انظر المصدر السابق (١/ ٥٠٠) .

المطلب الثاني: القرآن معجزة هذه الأمة

إن مما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن دستور هذه الأمة وجعله معجزتها الكبرى، التي لا تنقرض بانقراض عصر النبوة، بل هي باقية مستمرة إلى قيام الساعة، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين، فإن أجلها محدود .

وقد أشار الزركشي إلى هذا في معرفة إعجازه" فقال عن إعجاز القرآن" وهو علم جليل، عظيم القدر، لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١] وقال سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة إلا وهي معجزة وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾[العنكبوت: ٥٠ – ٥١]، فأخبر أن الكتاب آية من آياته، وأنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره، وآيات سواه من الأنبياء، ولما جاء به ﷺ إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء، تحداهم على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، يقال: تحدى فلان فلانا إذا دعاه إلى أمر ليظهر عجزه فيه ونازعه الغلبة في قتال أو كلام غيره، ومنه أنا حُدَيّاك أي ابرز لي وحدك .

واعلم أن النبي ﷺ تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا افتراه فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور تشاكل القرآن قال تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] ثم كرر هذا فقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:

٢٣] أي من كلام مثله، وقيل: من بشر مثله، ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان؛ فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨]. فقد ثبت أنه تحداهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه؛ لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا، ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر وتارة قالوا: شعر وتارة قالوا: أساطير الأولين كل ذلك من التحير والانقطاع "[١].

وقال" لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز "[٢].

والسيوطي رحمه الله ذكر أن معجزة هذه الأمة باقية مستمرة وعلل ذلك بقوله" لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر"[٣].

وبين معنى قولهﷺ **" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً"**[٤].

فقال" قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٩-٦٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦١).

(٣) الإتقان (٥/ ١٨٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠٥) برقم (٤٦٩٦) ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) برقم (١٥٢).

لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا" [(١)] .

ولا شك أن ما ذكره الزركشي والسيوطي والزرقاني في أن القرآن معجزة هذه الأمة هو الحق، والأدلة على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى العرب أهل الفصاحة والبلاغة في أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا عن الإتيان بمثله، وقص الله علينا ذلك وكان هذا التحدي على مراحل:

أولاً: تحداهم الله أن يأتوا بقرآن مثله قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨]. وقال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٣ – ٣٤] فالله سبحانه في هذه الآيات نوه بشرف القرآن العظيم، فتحدى به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك؛ لم يقدروا عليه ووقع ما أخبر الله، إذ عجزوا على الإتيان بمثله مع توفر الدواعي عندهم على معارضته فهم أهل الفصاحة والبلاغة.[(٢)]

ثانياً: ثم تحداهم الله بأن يأتوا بعشر سور مثله، وذلك لما زعموا أن هذا القرآن محض افتراء من النبيﷺ قال تعالى" ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٣ – ١٤].

قال ابن كثير" بين تعالى إعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، وذاته لا يشبهها شيء، تعالى

---

(١) الإتقان (٥/ ١٨٧٤) وانظر مناهل العرفان (٢/ ٢٦٣) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٦٣) وتفسير ابن سعدي (٢/ ٩٣٧) .

وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

ثم قال تعالى﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ أي: فإن لم يأتوا بمعارضة مادعوتموهم إليه، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك"[1] .

ثالثاً: ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، وذلك لما عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله قال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٣ -٢٤].

يخاطب الله في هذه الآية المشركين فقال لهم ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أي إن كنتم في شك مما نزل على رسولنا محمدﷺ من هذا القرآن، وادعيتم أنه من عند غير الله، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله فإنكم لن تستطيعوا إلى ذلك سبيلا.[2]

وقال تعالى متحديا لهم أيضاً في الإتيان بسورة من مثله" ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس: ٣٧ – ٣٨].

وكل هذه التحديات التي تحداهم بها لم يتصد لها أحد من بلغاء الناس وفصحائهم في عهد النبي ﷺ، وهذا مما يدل على صدق رسالته صلوات الله وسلامه عليه، وأن هذا القرآن ليس من عنده .[3]

وإعجاز القرآن مستمر وليس مختصاً بزمن النبي ﷺ .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٠) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٦٠) .

(٣) انظر الجواب الصحيح (١/ ٤٢٧) وانظر أحكام القرآن لابن عثيمين (١/ ٨٦).

يقول ابن حزم" إن إعجاز القرآن باق إلى يوم القيامة، والآية بذلك باقية إلى يوم القيامة كما كانت، وهذا هو الحق الذي لا يحل القول بغيره، لأنه نص قول الله عزوجل يقول تعالى"﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨].

فهذا نص جلي على أنهم لا يأتون بمثله، بلفظ الاستقبال، فصح يقيناً أن ذلك على الأبد، وفي المستأنف أبداً، ومن ادعى بأن المراد بذلك الماضي فقد كذب، لأنه لا يجوز أن تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل إلى معنى ماضي إلا بنص آخر جلي وارد بذلك، أو إجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره، أوضرورة، ولا سبيل إلى أحد هذه الوجوه"[١].

وقد عد القاضي عياض[٢] أن من وجوه إعجاز القرآن "كونه آيةً باقيةً لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه، فقال:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، و قال:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] و سائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها"[٣].

ومن الأدلة على أن القرآن معجزة هذه الأمة قولهﷺ **" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً"**[٤] .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٤٨-٤٩).

(٢) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن عياض اليحصبي، الإمام، كان إمام وقته في الحديث وعلومه عالماً بالتفسير، فقيهاً أصولياً، من مصنفاته إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، وكتاب الشفا، وترتيب المدارك، توفي سنة ٥٤٤هـ انظر طبقات الحفاظ (ص: ٤٧٠)و الديباج المذهب (ص: ١٦٨) .

(٣) كتاب الشفا (١/ ٢٧٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠٥) برقم (٤٦٩٦) ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) برقم (١٥٢) .

قال النووي في معنى هذا الحديث" أما معاني الحديث فالحديث ... اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أن كل نبي أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله، فلهذا قال أنا أكثرهم تابعاً، وذكر قولاً آخر وهو "أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا صلى الله عليه و سلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أومتفرقين في جميع الأعصار، مع اعتنائهم بمعارضته، فلم يقدروا وهم أفصح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة"[(1)] .

وقال ابن كثير" معناه أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله"[(2)] .

وقال ابن حجر" وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى، أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، كما كان السحر فاشيا عند فرعون، فجاءه موسى بالعصا على

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٨٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٦) .

صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره .

وكذلك أحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه و سلم في الغاية من البلاغة، جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، فلم يقدروا على ذلك .

وقيل: المراد أن القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة، بخلاف غيره من المعجزات، فإنها لا تخلو عن مثل .

وقيل: المراد أن كل نبي أعطى من المعجزات ما كان مثله، لمن كان قبله صورة أو حقيقة، والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله، فلهذا أردفه بقوله، **"فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"** .

وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزه القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده .

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

قلت: ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام واحد فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضا"(1).

---

(1) فتح الباري (٩/ ٦-٧) وانظر عمدة القاري (٢٠/ ١٣) .

وأجمع المسلمون على ذلك كما نقل ذلك ابن حزم بقوله" وهذا لا ينكره أحد مؤمن ولا كافر وأجمع المسلمون على ذلك"[1].

وبهذا يعلم أن القرآن آية وبرهان لرسولنا ولهذه الأمة، ويعلم ذلك من وجوه جملة وتفصيلاً .

أما جملة ؛ فإنه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علماً متواتراً أن القرآن هو آية هذه الأمة، وتواترت بذلك الأخبار، وهذا ظاهر في القرآن إذ فيه تحدي الأمم بالمعارضة.[2]

"وأما التفصيل: فيقال نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الزجز ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس؛ عربهم وعجمهم"[3]

وهذا مما يبرهن على أنه من كلام رب الأرباب.

* * *

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٤٨).

(٢) انظر الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٢) .

(٣) المصدر السابق (٥/ ٤٣٣).

المطلب الثالث: قدر المعجز من القرآن

قال الزركشي فيما نقله عن الباقلاني " في قدر المعجز من القرآن.

قال القاضي أبو بكر ذهب عامة أصحابنا وهو قول أبى الحسن الأشعري في كتبه إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها، قال: فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز، قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر .

وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة .

وقد حكي عنهم نحو قولنا، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ،بل شرط الآيات الكبيرة .

وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها، ولم يخص . ولم يأتوا بشيء منها، فعلم أن جميع ذلك معجز .

وأما قوله تعالى ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ فلا يخالف هذا لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة وهو يؤكد مذهب أصحابنا وإن كان قد يتأول قوله ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ على القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قولة تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾ لا يأتون بمثله على القبيل؛ لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الإتيان بجميعه من أوله إلى آخره .

فإن قيل: هل يعرف إعجاز السور القصار بما يعرف به إعجاز الطوال ؟ وهل يعرف إعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه على ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها ؟

قلنا: إن أبا الحسن الأشعري قد أجاب عن ذلك، بأن كل سورة قد علم كونها

معجزة بعجز العرب عنها، وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول: إنه يصح أن يكون علم ذلك توقيفاً.

والطريقة الأولى أسد، وتظهر فائدتها في أن الأولى تبين أن ما علم به كون جميع ألقرآن معجزا موجود في كل سورة قصرت أو طالت، فيجب أن يكون الحكم في الكل واحدا، والأخرى تتضمن تقدير معرفة إعجاز القرآن بالطريق التي سلكناها"[1].

والسيوطي نقل ذلك أيضاً [2]

والذي يظهر والعلم عند الله أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره، ولا يحد بسورة كما حدده الأشاعرة[3].

١- وذلك لقوله تعالى" ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٣ – ٣٤]. والتحدي هنا بجنس القرآن ونوعه.[4] ثم من أين لهم تقييد ذلك بسورة،؟

فإن قالوا: حجتنا قول الله تعالى ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ فيقال لهم لا حجة لكم في استدلالكم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى "لم يقل إن مادون السورة ليس معجزاً بل قال تعالى﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن معجز"[5].

٢- أن قولهم هذا: يلزم منه لوازم باطلة وقد بين ذلك ابن حزم رحمه الله في نقاشه لهذا القول فقال " نعارضهم في تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول أخبرونا

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٧١) وانظر إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٥٤- ٢٥٥).

(٢) انظر الإتقان (٥/ ١٨٩٦).

(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ٥٢).

(٤) انظر البرهان (٢/ ٧٢) والإتقان (٥/ ١٨٩٦) ودراسات في علوم القرآن للرومي (ص: ٢٩٦).

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٥٢).

ماذا تعنون بقولكم إن المعجز مقدار سورة ؟ أسورة كاملة لا أقل؟ أم مقدار الكوثر في الآيات؟ أم مقدارها في الكلمات؟ أم مقدارها في الحروف؟ ولا سبيل إلى وجه خامس، فإن قالوا المعجز سورة تامة لا أقل، لزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرها أو من أولها ليست معجزة، وهكذا كل سورة، وهذا كفر مجرد لا خفاء به، إذ جعلوا كل سورة في القرآن سوى كلمة من أولها أو من وسطها أو من آخرها لمقدور على مثلها، وإن قالوا: بل مقدارها من الآيات لزمهم أن آية الدين ليست معجزة؛ لأنها ليست ثلاث آيات، ولزمهم مع ذلك أن ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ١ – ٣] معجز، كآية الكرسي وآيتان إليها؛ لأنها ثلاث آيات، وهذا غير قولهم، ومكابرة أيضا أن تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كلمة غير معجزة، ولزمهم أيضا أن ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضحى: ١] ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ [العصر: ١] هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات؛ لأنهن ثلاث آيات، فإن قالوا: هن متفرقات غير متصلات، لزمهم إسقاط الإعجاز عن ألف آية متفرقة، وإمكان المجيء بمثلها، ومن جعل هذا ممكنا، فقد كابر العيان وخرج عن الإسلام، وأبطل الإعجاز عن القرآن، وفي هذا كفاية لمن نصح نفسه...

وإن قالوا: بل في عدد الكلمات أو قالوا: عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم: أحدهما: إبطال احتجاجهم بقوله تعالى﴿ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ لأنهم جعلوا معجزا ما ليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار؛ فلاح تمويههم .

والثاني: أن سورة الكوثر عشر كلمات اثنان وأربعون حرفا وقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣] اثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا، وإن اقتصرنا على الأسماء فقط، كانت عشر كلمات اثنين وستين حرفا، فهذا

أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر، فينبغي أن يكون هذا معجزا عندكم"[1] .

ثم بين بعد ذلك القول الحق فقال" والحق من هذا هو ما قاله الله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأن كل كلمة قائمة المعنى، يعلم إذا تليت أنها من القرآن، فإنها معجزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبدا"[2] .

وشيخ الإسلام قال: " إن القرآن له شأن اختص به، لا يشبه كلام البشر، لا كلام نبي ولا غيره وإن كان نزل بلغة العرب، فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله"[3].

فإذاً بهذا يعلم أن الإعجاز متعلق بالقرآن قليله وكثيره فيدخل في ذلك السورة القصيرة والآية والآيتان.

* * *

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٥٢-٥٣).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٦) .

المطلب الرابع: وجوه إعجاز القرآن:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: هل الإعجاز واقع في اللفظ أو المعنى

المسألة الثانية: إعجازه بالصرفة

المسألة الثالثة: من وجوه إعجاز القرآن

المسألة الأولى: هل معجزة القرآن في لفظه أو معناه

بين الزركشي هذه المسألة وأشار إلى الخلاف فيها .

قال رحمه الله" ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجز، واختلفوا في إعجازه .

فقيل: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلفت في ذلك مالا تطيق وفيه وقع عجزها، والجمهور على أنه إنه إنما وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ"[1].

وقال أيضاً: " قال بعض الأئمة: ليس الإعجاز المتحدى به إلا في النظم، لا في المفهوم؛ لأن المفهوم لم يمكن الإحاطة به، ولا الوقوف على حقيقة المراد منه، فيكف يتصور أن يتحدى بما لا يمكن الوقوف عليه؟"[2] .

وكذلك السيوطي نقل كلام الزركشي السابق وبين الصواب فيها فقال" لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء، فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٥-٦٦).

الذي هو صفة الذات، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق وبه وقع عجزها، وهو مردود؛ لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به، والصواب ما قاله الجمهور، أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ"[(١)] .

وقال الزرقاني بعد كلام سابق ".... "بيد أنا نلفت نظرك إلى أن المراد هنا في مبحث الترجمة هو اللفظ المعجز، لا الصفة القديمة صفة الكلام، ولا الكلمات النفسية الحكمية، ولا النقوش المكتوبة على ما قررناه ثمة، وإنما كان المراد بالقرآن خصوص اللفظ المعجز؛ لأن الترجمة أضيفت إليه، وبدهي أن الترجمة لا تتناول إلا ما كان لفظا حقيقيا، مصورا بصورة الحرف والأصوات، ولا تتناول الصفة القديمة، ولا الكلمات الحكمية الغيبية، ولا النقوش المكتوبة اللهم إلا بضرب من التأويل"[(٢)] .

وهذا الذي ذكروه باطل، وذلك أنه مبني على اعتقادهم في كلام الله، وأنه الكلام النفسي وأن القرآن إنما هو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله،
وسبب قولهم هذا، أن مسمى الكلام عندهم إنما هو المعنى فقط ، وأما اللفظ فهو دليل للمعنى فقط فهم يفرقون بين المعنى واللفظ، فالمعنى هو كلام الله، وأما الألفاظ فهي ليست من كلام الله، ولذلك صرحوا في أن ما في المصحف مخلوق، هذا هو اعتقاد الأشاعرة في كلام الله، وقد فصلت قولهم وأبطلته في مبحث سابق، ولا حاجة إلى تكرار ذلك .[(٣)]

ومن الوجوه التي رد أهل السنة على الأشاعرة في مازعموه من الكلام النفسي، هو أن التحدي إنما يكون بهذا القرآن، وذلك؛ لأن مافي النفس لا يدرك ولا يعقل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٨٧٩).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٩٨).

(٣) انظر (ص: ٣٤٦).

ولا يعلم ماهو،فكيف يتحدى به؟ وقد قرر ذلك السيوطي وقد فصلت ذلك في الرد على قولهم .

ولذلك تناقض قول الأشاعرة في هذه المسألة، فإنهم زعموا أن الألفاظ ليست من كلام الله، وأن كلام الله هو المعنى النفسي القائم بذات الله، لكنهم لما أرادوا أن يقرروا الإعجاز، تناقضوا فقرروا أن الإعجاز في الألفاظ، وليس في الصفة القديمة، وهم بهذا ناقضوا أنفسهم إذ زعموا أن الإعجاز وقع في غير كلام الله، بل وقع فيما هو مخلوق، وهذا بناء على اعتقادهم في أن هذا اللفظ المتلو ليس كلام الله، بل هو مخلوق خلقه جبريل أو محمد عليهم الصلاة والسلام .

وقد بين أبو نصر السجزي رحمه الله تناقض الأشاعرة في اعتقادهم في كلام الله، وبطلان قولهم إذ بين أن للأشعري قولين .

فقال" اختلف قول الأشعري أيضاً في الإعجاز فقال في موضع: الإعجاز يتعلق بهذا النظم، وليس ذلك بكلام الله عزوجل، وإنما عبارة عنه .

وأما صفة الله تعالى فلا يجوز أن يقال: إن الخلق يعجزون عنها كما لا يجوز أن يقال: يقدرون عليها، فجعل المعجز غير القرآن، وإجماع الأمة حاصل على أن القرآن هو المعجز للكافة، فمن زعم أنه ليس بعجز والمعجز غيره كان راداً لخبر الله سبحانه وخارقاً للإجماع، وذلك كفر .

وقال في غير ذلك الموضع: الإعجاز متعلق بكلام الله، وكلام الله شيء واحد لا سورة فيه ولا حرف، وفي هذا القول تكذيب للنص وإحالة .

فأما التكذيب فإن الله سبحانه قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، وقال ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ . فبين أن التحدي واقع إلى مثل كلامه القرآن وإلى سورة منه ... وقوله: إن المعجز هو الكلام وليس بسورة تكذيب للنص أيضاً .

والإحالة هي في أن التحدي واقع إلى الإتيان بمثل ما يعلم ويعقل، ولو كان بخلاف ذلك لما صح جملة لأن؛ العقل يقتضي أن لا يتحدى واحد إلى الإتيان بمثل مالا يدري ماهو، ولا يعقل معناه"[1] .

وكذلك ابن حزم قال:" روى عن الأشعري وهو أن المعجز الذي تحدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى، ولم يفارقه قط، ولا نزل إلينا ولا سمعناه، وهذا كلام في غاية النقصان والبطلان، إذ من المحال أن يكلف أحد أن يجيء بمثل لما لم يعرفه قط ولا سمعه.

وأيضا: فيلزمه ولا بديل هو نفس قوله أنه إذا لم يكن المعجز إلا ذلك، فإن المسموع المتلو عندنا ليس معجزا بل مقدورا على مثله، وهذا كفر مجرد لا خلاف فيه لأحد، فإنه خلاف للقرآن؛ لأن الله تعالى ألزمهم بسورة أو عشر سور منه، وذلك الكلام الذي هو عند الأشعري هو المعجز ليس له سورا ولا كثيرا، بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين، وله قول كقول جميع المسلمين أن هذا المتلو هو المعجز"[2].

والأشاعرة لهم قولان في هذه المسألة ولكن جمهورهم على أن الإعجاز والتحدي إنما وقع بالألفاظ كما قرر ذلك الباقلاني .

يقول الباقلاني" إن قال قائل: بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك ؟

قيل: الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له، وإن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة

---

(١) رسالة السجري إلى أهل زبيد (ص: ١١٧-١١٨).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٤٨).

التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات له على أن يكونوا مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى به النبي .

ولا يجب أن يقدر مقدر أو يظن ظان، أنا حين قلنا إن القرآن معجز وإنه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله - أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات، وقد بينا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزا، لكونه عبارة عن الكلام القديم ؛ لأن التوراة والإنجيل عبارة عن الكلام القديم وليس ذلك بمعجز في النظم والتأليف، وكذلك ما دون الآية - كاللفظة - عبارة عن كلامه وليست بمنفردها بمعجزة .

وقد جوز بعض أصحابنا أن يتحداهم إلى مثل كلامه القديم القائم بنفسه، والذي عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره، وعلى ذلك أكثر مذاهب الناس، ولم نحب أن نفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذي حكيناه وما يتصل به؛ لأنه خارج عن غرض كتابنا؛ لأن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، وإلى مثل هذا النظم وقع التحدي .

فبينا وجه ذلك، وكيفية ما نتصور القول فيه، وأزلنا توهم من يتوهم أن القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة، أو شيء مؤلف أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من إطلاق القول فيما مضى"[(١)].

وقال الآمدي " إن المعجز هو الصفة القديمة القائمة بذات الرب تعالى، ولا ما يتعلق من القراءة بكسب القاريء، بل وجه الإعجاز فيه قد يتقرر من وجهين:

فتارة نقول: إن المعجز هو إظهار ذلك المقروء القائم بالنفس على لسان الرسول بما خلق الله من العبارات الدالة عليه، فلا يكون كلامه الدال هو المعجز ولا المدلول بل إظهار ذلك المدلول بكلامه عند تحديه بنبوته، ولا محالة أن ذلك مما

---

(١) إعجاز القرآن (ص: ٢٦٠- ٢٦١) وانظر التمهيد للباقلاني (ص: ١٧٨- ١٧٩) .

يتقاصر عن تحصيله أرباب الفكر، ويكل دونه حذاق أهل النظر، وذلك كما ذكرناه في قضية المتحدى بإظهار ما في الصندوق ونحوه .

وتارة نقول: إن المعجز هو هذه العبارات وهذه الكلمات، من جهة ما اشتملت عليه من الفصاحة والبلاغة والنظم المخصوص، وذلك مما لا يدخل تحت قدرة النبي، ولا هو متوقف على إرادته، بل هو مقدور ومخلوق لله تعالى، وما هو مقدور له ومتعلق كسبه فليس إلا حفظه وتلاوته ونسبته إليه كنسبته إلينا، فإنا نعلم من أنفسنا عند قراءته والشروع في تلاوته، أن ما هو متعلق كسبنا منه ليس إلا القراءة والتلاوة دون النظم والبلاغة"[1].

وكذلك الجويني يرى أن المعجزة لها أوصاف ومنها " أن تكون فعلاً لله فلا يجوز أن تكون المعجزة صفة قديمة"[2].

إذا تبين هذا فيقال كيف يكون الإعجاز في غير كلام الله، وفيما هو عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه ؟

ولاشك أن هذا بحد ذاته إبطال لقولهم .

وبهذا يظهر أن الإعجاز واقع في القرآن الذي هو الألفاظ والمعاني، فهو كلام الله لفظه ومعناه، ليس الألفاظ دون المعاني، ولا المعاني دون الألفاظ، وهذا هو قول أهل السنة، بدليل قوله تعالى" ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد قال أبو القاسم الأصبهاني عند هذه الآية " وهذا في موضوع اللغة إشارة إلى شيء حاضر فلو كان كلام الله معنى قائما في نفسه لم يصح الإشارة إليه، ولم يجز

---

(١) غاية المرام (ص: ٣٥١).

(٢) الإرشاد (ص: ٣٠٨) .

أن يمتحنهم بالإتيان بمثله لأن فيه تكليف مالا يطاق ولا يجوز ذلك "[1] .

المسألة الثانية: إعجازه بالصرفة

إن من الأوجه التي تذكر في وجوه إعجاز القرآن، إعجازه بالصرفة أي أن الله صرف العرب عن معارضته .

فهل هذا الوجه يصح إدخاله ضمن أوجه إعجاز القرآن ؟

أشار الزركشي والسيوطي والزرقاني إلى هذا القول وأبطلوه، وسأناقش هذا القول. قال الزركشي: " بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز، وقد اختلف فيه على أقوال:

أحدهما: وهو قول النظام[2]-: إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره .

هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا غيره وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله ؟

---

(١) انظر المحجة في بيان المحجة ((٢ / ٢١٣) وشرح الطحاوية (٢/ ٢٠٣).

(٢) هو إبراهيم بن سيّار النظام البصري، أبو اسحاق، متكلم من شيخ المعتزلة، انفرد بمسائل، من تصانيفه، الطفرة، والجواهر والأعراض، وكتاب النبوة، وحركات أهل الجنة، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين، انظر طبقات المعتزلة للمرتضي (ص: ٤٩) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١) وتاريخ بغداد (٦/ ٩٧) .

وأيضا: يلزم من القول بالصرفة فساد آخر، وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة .

قال القاضي أبو بكر: ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع معجزا، فلا يتضمن الكلام فضلا على غيره في نفسه، وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم أن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه، ولا بأعجب من قول فريق منهم: إنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله في هذا الباب، وإنما يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد، وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكما"[١].

وكذلك السيوطي نقل كلام الزركشي السابق [٢] والزرقاني كذلك فند هذا القول وأبطله[٣] .

فهذا القول أول من قال به النظام من المعتزلة، وتبعه عليه آخرون.

قال النظام" الآية الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم"[٤].

وقال " أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبى عليه السلام ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦١-٦٢) .

(٢) انظر الإتقان (٥/ ١٨٧٩) .

(٣) انظر مناهل العرفان (٢/ ٣٢٠).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٢٥).

الإخبار عن الغيوب .

فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف وفى هذا عناد منه لقول الله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله"[1].

فهو بهذا يقرر أن القرآن ليس معجزاً في نفسه، وإنما أصبح معجزاً بفعل الله الذي صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم على المعارضة لو لم يصرفهم الله، وهو تأثر في هذا القول بالهنود في كتابهم الفيدا[2] إذ زعموا أنهم لايستطيعون الإتيان بمثله، وذلك لأن براهما قد منعهم الإتيان بمثله، وصرفهم عن ذلك، فتلقفت هذه الأفكار ونقلوها إلى المسلمين وطبقوها على القرآن.[3]

وهذا القول أعني أن (القول بالصرفة مصدره الهنود)، ليس ببعيد، وذلك لما ذكره البغدادي في ترجمة النظام صاحب نظرية الصرفة، من أنه قد أعجب بقول البراهمة، لذلك أنكر النبوات والمعجزات .

يقول البغدادي"[4] عنه " أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على

---

(١) الفرق بين الفرق (ص:١٢٨) وانظر (ص: ١٥١، ٢١٨) .

(٢) وهم قبيلة بالهند فيهم أشراف، ويقولون أنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم، وهم ينكرون النبوات، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند،، ولهم كتاب مقدس وهو الفيدا وتعرف باسم الهندوسية أيضاً انظر الفصل في الملل والنحل (١/ ٦٣) وانظر أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي(ص: ٣٤-٣٧) ومابعدها، والموسوعة الميسرة في الأديان والفرق (٢/ ٧٢٤).

(٣) انظر الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها د٠ سامي عطا حسن (ص: ٦) وانظر مباحث في إعجاز القرآن د. مصطفى مسلم (ص: ٥٨).

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي الأستاذ أبو منصور البغدادي، الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة ومنها تفسير القرآن، والفرق بين الفرق، والتحصيل في أصول الفقه، توفي سنة ٤٢٩هـ =

إظهار هذا القول خوفا من السيف، فأنكر إعجاز القران في نظمه، وأنكر ما روى في معجزات نبينا ﷺ من انشقاق القمر، وتسبيح الحصا في يده، ونبوع الماء من بين أصابعه، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه السلام إلى إنكار نبوته"[1].

وقد قال الجاحظ والرماني[2] من المعتزلة، بقول النظام، إلا أنهما لم ينكرا إعجازه من جهة البلاغة والنظم، بخلاف النظام فقد أنكر إعجازه من هذه الجهة.

ومن هنا تباينت آراء بعض الباحثين في قول الجاحظ والرماني،هل هو موافق لقول النظام، أو هو مباين له، فقال بعضهم: إن قول الجاحظ والرماني مباين لرأي النظام. فالصرفة عند الجاحظ" ضرب من التدبير الإلهي، والعناية الربانية، جاءت لمصلحة المسلمين حتى يحفظ القرآن من عبث العابثين، وتشكيك المشككين، الذين يمكنهم أن يخدعوا الناس، ويزوروا أمامهم الحقائق، وقد صرف الله نفوس القوم عن معارضة القرآن، لا ؛ لأنهم قادرون على مثله والله منعهم من ذلك كما قال - النظام -، ولكن لئلا يكون لأهل الشغب وضعاف الإيمان متعلق للطعن والتشكيك، وإفساد عقائد ذوي النفوس المريضة"[3].

يقول الجاحظ" ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحداهم بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك، فجاء بأمر فيه أدنى شبهة، لعظمت القضية على الأعراب، وأشباه الأعراب، والنساء، وأشباه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين

= وقيل غير ذلك انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٢) وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٣٦).

(١) الفرق بين الفرق (ص: ١١٤) وانظر التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية للاسفراييني (ص: ٧٢).

(٢) هو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني، النحوي كان إماماً في العربية عالماً بالأدب من مصنفاته، النكت في إعجاز القرآن، توفي سنة ٣٨٤هـ انظر معجم الأدباء (٤/ ١٩١) وميزان الإعتدال في نقد الرجال للذهبي (٥/ ١٧٩).

(٣) الصرفة ودلالتها (ص: ١٣).

عملا، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب، ولكثر القيل والقال"[1] .

فالجاحظ يرى أن إعجاز القرآن من جهة صرف العرب عن معارضته لا ينافي إعجازه من جهة بلاغته وروعته .

ويؤكد ذلك تصريحه بأن وجه إعجاز القرآن إنما في النظم والتأليف، كما في قوله السابق[2] .

وقول الرماني قريب من قول الجاحظ فهو يرى أن الإعجاز من جهة صرفة عن المعارضة، ومن جهة بلاغته [3] .

بينما يرى فريق آخر أن قول الجاحظ والرماني موافق لقول النظام، وأن الجاحظ متناقض ومضطرب في قوله، وذلك؛ لأنه جمع بين القول بالصرفة، والقول بأن إعجازه أيضاً من جهة بلاغته ونظمه[4] .

والذي يظهر أن الجمع بين القول بإعجازه من جهة الصرفة، ومن جهة نظمه وبلاغته فيه نوع من التناقض، وذلك؛ لأن القول بإن إعجازه من جهة صرف العرب عن معارضته، يدل على أن الإعجاز ليس في نفس القرآن، وإنما في شيء خارج عنه، فلولا صرف الله العرب عن معارضته لعارضوه، فهو مقدرو لهم، فكيف يجمع بينه وبين القول بأنه معجز في نفسه، وذلك لأنه؛ لو كان معجزا في نفسه ما احتاج إلى أن يُصرف العرب عن معارضته .

وقد كان موقف القاضي عبد الجبار المعتزلي معارضاً لمذهب أصحابه، إذ أبطل

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ (٤/ ٨٩).

(٢) انظر الصرفة ودلالتها (ص: ١٤).

(٣) انظر النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص: ١١٠- ١١١).

(٤) انظر فكرة إعجاز القرآن (ص:٥٦) د. نعيم الحمصي، وإعجاز القرآن للرافعي (ص: ١٤٦-١٤٧) وانظر كتب الإعجاز البلاغي في القرآن دراسة عقدية نقدية أحمد العاكش، رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود (ص: ٢٠٠).

القول بالصرفة ورد عليهم[1].

بيان وجوه بطلان القول بالصرفة:

والقول بإن إعجاز القرآن بالصرفة باطل من وجوه كثيرة:

١- ما ذكره الخطابي في " إن دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] فأشار سبحانه في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها، لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها"[2] .

وبهذا الوجه رد القاضي عبد الجبار المعتزلي على أصحابه في القول بالصرفة إذ يقول " لوكان الوجه الذي تعذر عليهم المنع (الصرفة) لم يصح ذلك؛ لأنه لا يقال في الجماعة إذا امتنع عليهم شيء إن بعضهم يكون ظهيراً لبعض؛ لأن المعاونة والمظاهرة إنما تمكن مع القدرة ولا تصح مع العجز والمنع وهذا يبين أنهم لو كانوا قادرين متمكنين لما أمكنهم أن يأتوا بمثله، ولا يكون كذلك إلا لمزية القرآن"[3] .

وقد أشار إلى هذا الوجه الزركشي والسيوطي فيما تقدم النقل عنهم.

٢- أن الأمة أجمعت على أن الإعجاز متعلق بالقرآن، فهو معجز بنفسه، وليس بشيء خارج عنه، والقول بأن إعجاز القرآن بالصرفة فيه خرق لهذا الإجماع، فيكون المعجز هو الصرف والمنع لا القرآن .[4]

يقول السمعاني رحمه الله" ونقول: إن القران في نفسه معجز، لا يجوز أن يأتي

---

(١) انظر إعجاز القرآن للقاضي عبدالجبار (ص: ٢١٧- ٢١٨).

(٢) انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي (١٩- ٢٠) وانظر البرهان الكاشف في إعجاز القرآن للزملكاني (ص: ٥٣-٥٤).

(٣) إعجاز القرآن للقاضي (ص: ٣٢٣) .

(٤) انظر إعجاز القرآن للباقلاني (ص:٣٠) وانظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦١-٦٢) والإتقان (٥/ ١٨٨٠).

أحد بمثله في جزالته وفصاحته ونظمه، وكذلك من حيث معانيه هو معجز الخلق عن الإتيان بمثله، ومع تحدي الرسول صلوات الله عليه وسلم وطلبه إياهم أن يأتوا بمثله فعجزوا عنه، ولا نقول كما قال بعض المبتدعة: إن نفس القران ليس بمعجز، فإن فصاحة بعض الفحول من شعراء الجاهلية لا تكون دون فصاحته وإنما الإعجاز في القران هو أن الله عز وجل منع الخلق عن الإتيان بمثله مع قدرتهم عليه وهذا قول باطل وزعم كاذب"[1] .

وقد حكى الإجماع القرطبي بعد حكايته القول بالصرفة، قال "وهذا فاسد، لأن الإجماع قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إن المنع والصرفة هو المعجز ، لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك علم أن نفس القرآن هو المعجز ، وأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن كذلك مألوفا معتادا منهم، دل على أن المنع والصرفة ، لم يكن معجزا "[2] .

٣- أنه لوكان المعجز هو المنع والصرف كما يقولون لجاء القرآن في مستوى كلام الناس، وفي أدنى درجات البلاغة؛ لأن ذلك أقوى في الحجة؛ وأبين في الدلالة والبرهان.

وقد ذكر هذا الوجه الباقلاني، فقال" لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع، لكان مهما حط من رتبة البلاغة فيه ومنع من مقدار الفصاحة في نظمه، كان أبلغ في الأعجوبة، إذا صرفوا عن الإتيان بمثله ومنعوا من معارضته وعدلت دواعيهم عنه، فكان يستغني عن إنزاله على النظم البديع وإخراجه في

---

(١) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٣٠) وانظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥) وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٦٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٧٥) .

المعرض الفصيح العجيب"[1] .

٤ - أن على هذا القول يلزم منه، أن العرب اختلفت قدراتهم البلاغية بعد سماع القرآن، وتراجعت عنها قبل سماع القرآن، وهذا باطل، وذلك؛ لأنه لوكان صحيحاً لاحتجوا على النبي ﷺ وأخبروه بأنهم قدراتهم اختلفت عما كانت عليه .[2]

قال شيخ الإسلام " فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه ... وكذلك أيضا يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه"[3] .

والقول بالصرفة متفرع عن اعتقادهم في أن القرآن مخلوق خلقه الله في بعض الأجرام كما قرر ذلك ابن كثير .

يقول رحمه الله" وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكفرة عن معارضته، مع إنكار ذلك أو هو سلب قدرتهم على ذلك، فقول باطل، وهو مفرع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق خلقه الله في بعض الأجرام، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق، وقولهم هذا كفر وباطل وليس مطابقا لما في نفس الأمر، بل القرآن كلام الله غير مخلوق تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علوا كبيرا، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن الإتيان بمثله ولو تعاضدوا وتناصروا"[4] .

ولعلي أختم بقول شيخ الإسلام، قال رحمه الله "ومن أضعف الأقوال، قول

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٩) وانظر الصرفة ودلالتها (ص: ٣١) .

(٢) انظر الرسالة الشافية للجرجاني (ص: ١٤٦- ١٥٤).

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٤٣١- ٤٣٢) .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٦٩) .

من يقول من أهل الكلام، إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما مثل قوله تعالى لزكريا ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ [مريم: ١٠].

وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام، فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات، بمنزلة من يقول إني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم وأضربهم جميعهم وأجوعهم وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم مع ذلك من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة، ولو قدر أن واحدا صنف كتابا يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعرا يقدر أمثاله أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال عارضوني وإن لم تعارضوني فأنتم كفار مأواكم النار ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد، فإذا لم يعارضوه كان هذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة .

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم أنا رسول الله إليكم جميعا، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم كلهم طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق . ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدا لا يأتي بمثله .

فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين:

فإن كانوا قادرين ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد فهذا من

أبلغ الخوارق .

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقا على تقدير النقيضين النفي والإثبات فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر .

فهذا غاية التنزل وإلا، فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر، كما قد أخبر الله به في قوله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾"[١] .

المسألة الثالثة: وجوه إعجاز القرآن:

عرض الزركشي لبعض وجوه إعجاز القرآن، ولقد ذكر اثني عشر قولاً في وجوه إعجاز القرآن: وسأشير إليها باختصار:

١-قول النظام المعروف بالصرفة، وقد تقدم مناقشة هذا القول.

٢- وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وقد اختاره ابن الزملكاني[٢] [٣].

٣- ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب، ورد هذا القول؛ لأنه يستلزم نفي الإعجاز عن الآيات التي لا خبر فيها .

---

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٩- ٤٣١)

(٢) هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري، كمال الدين الزملكاني، صاحب علم المعاني والبيان، وكان قوي المشاركة في فنون العلم، من مصنفاته، البرهان الكاشف، والمفصل على المفصل، توفي سنة ٦٥١هـ انظر ترجمته تاريخ الإسلام (٤٨/ ١٠١) والعبر في خبر من غبر (٥/ ٢٠٨) كلاهما للذهبي وانظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣١٦) .

(٣) انظر البرهان الكاشف لابن الزملكاني (ص: ٥٤) والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٢).

٤- ماتضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين، ورده بالرد السابق.
٥- إخباره عن الضمائر وما في النفوس قبل أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل.
٦- أن الإعجاز حاصل بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه وقد قد صححه ابن عطية[١]
٧- ما اختاره الرازي من أن وجه الإعجاز فيه من جهة فصاحته، وغرابة أسلوبه، وسلامته من جميع العيوب وغير ذلك مقترناً بالتحدي .[٢]
٨- ما اختاره الباقلاني وهو أن الإعجاز وقع من جهة النظم والتأليف والترصيف، وخروجه عن جميع وجوه النظم المعتادة عند العرب .[٣]
٩- أن إعجاز القرآن شيء عجيب لا يمكن التعبير عنه، لأنه لا يدرك .
١٠- أن الإعجاز حاصل من حيث استمرار الفصاحة والبلاغة من جميع أنحائها في جميع القرآن استمراراً لا توجد له فترة .
١١- أن الإعجاز فيه من جهة بلاغته .
١٢- "قول أهل التحقيق إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد عن انفراده فإنه جمعه كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك ممالم يسبق".[٤]

وقد نقل هذه الوجوه السيوطي وزاد على ذلك[٥].

١- قول المراكشي: الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في علم البيان .
٢- قول الراغب الأصفهاني أن الإعجاز من وجهين، أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه

---

(١) المحرر الوجيز (١/ ٥٢).
(٢) انظر نهاية الإيجاز (ص: ٨٢).
(٣) انظر إعجاز القرآن (ص: ٣٥ و ٥٠) .
(٤) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٢- ٧١) .
(٥) انظر الإتقان (٥/ ١٨٨٠) .

والثاني: بصرف الناس عن معارضته .

٣- قول ابن سراقة أن إعجاز القرآن من وجوه كثيرة، وكلها حكمة وصواب .

٤- قول الرماني: أن إعجازه يظهر من جهات، منها ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والإخبار عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة .

٥- قول القاضي عياض أن إعجازه في أربعة وجوه: منها حسن تأليفه وفصاحته، وصورة نظمه العجيب، وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما أنبأ به من أخبار القرون السالفة .(١)

أما الزرقاني: فقد ذكر أربع عشرة وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، ولكن هذه الوجوه منها ما هو داخل، فيما ذكره الزركشي والسيوطي، ومنها ما هو أقرب إلى الخصائص منها إلى الوجوه .

والأقوال السابقة في وجوه إعجاز القرآن بينها تداخل وهي تجتمع في هذه الأقوال:

القول الأول: أن وجه الإعجاز فيه الإخبار بالمغيبات، ويشمل الأخبار الغيبية الماضية من أحوال القرون السابقة، وهذه الأخبار لم يتلقاها الرسول ﷺ عن أحد من البشر، ولم يقرأها في كتاب، فدل ذلك على أن هذا القرآن إنما هو من الله، وليس هو من افتراء محمدﷺ بل هو وحي تلقاه من الله ولهذا يشير الله إلى هذا في كثير من الأخبار الغيبية قال تعالى بعد ذكر أخبار مريم عليها السلام ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٤]. وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح عليه السلام ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ

---

(١) انظر الإتقان (٥/ ١٨٧٩- ١٨٩٥) .

﴿٤٩﴾ [هود: ٤٩]. ونحوها من الآيات، ويشمل هذا الوجه الأخبار الغيبية المستقبلة التي وقعت كما أخبر القرآن من ذلك هزيمة الروم لفارس كما قال تعالى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم: ١ – ٥].

وهذا الوجه اتفق على ذكره كثير ممن تكلم في إعجاز القرآن .(١)

أما ما جاء عن الرازي من إنكار جعله من وجوه الإعجاز، وكذلك ما جاءعن الزركشي(٢) فمرادهم حصر وجوه الإعجاز في هذا الوجه، ويدل لذلك قول الرازي" ومنهم من قصر وجه الإعجاز على اشتماله على الغيوب وهو أيضاً باطل لأن التحدي وقع بكل سورة، والأخبار عن الغيوب لم يوجد في كل سورة "(٣)

وقد أقر الزركشي أنه من أنواع الإعجاز، إلا أنه أنكر انحصار الوجوه في هذا الوجه وكذلك الخطابي قبلهم، إذ عد الإخبار بالغيوب من أنواع الإعجاز ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة .(٤)

القول الثاني: أن وجه الإعجاز فيه نظمه وبلاغته وفصاحته، وهذا اتفق على ذكره كثير ممن كتب في وجوه إعجاز القرآن، قال الرماني" أما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها فهو معجز وهو بلاغة

---

(١) انظر النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص: ١١٠) وانظر إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٣) إعجاز القرآن للخطابي (ص: ٢٣) والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ٣٨١) والبرهان للزركشي (٢/ ٦٣) والإتقان (٥/ ١٨٨٠).

(٢) انظر البرهان (٢/ ٦٣) .

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (ص: ٨٢) .

(٤) انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص: ٢٣) وانظر كتب الإعجاز البلاغي للعاكش (ص: ٢٣١-٢٣٢).

القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"[1] .

وقال الباقلاني" نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن، كما يخرج عن عادة كلام الإنس، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾"[2] [الإسراء: ٨٨].

القول الثالث: أن وجه الإعجاز فيه علومه ومعارفه، وقد أشار إلى هذا السيوطي[3] وقد بنى السيوطي كتابه معترك الأقران على علوم القرآن وعد كل علم من علوم القرآن وجها من وجوه الإعجاز، وقد أوصلها إلى خمسة وثلاثين وجهاً فعد منها المحكم والمتشابه، المناسبة، ووقوع الناسخ والمنسوخ، إلى آخر ما ذكر .

القول الرابع: لا حصر لوجوه إعجازه، وأنه معجز بكل ما تقدم فهو معجز من جهة بلاغته ومن جهة الإخبار بالغيب، ومن جهة نظمه، ومن جهة علومه.

قال شيخ الإسلام" وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك .

ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن

---

(١) النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص: ٧٥) وانظر إعجاز القرآن للقاضي عبدالجبار(ص: ٢٤٧) وانظر الحيوان للجاحظ (٤/ ٩٠) وإعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٥) والحجة في بيان المحجة (١/ ٣٨٠) ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي (ص: ٨٣) وانظر للاستزادة كتب الإعجاز البلاغي للعاكش (ص:١٧٦، ٢٢٢).

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٨) .

(٣) انظر كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ١٢) .

جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: ٥٤] وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٨].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له"(١).

وقرر هذا الزركشي رحمه الله وقد قال إنه قول أهل التحقيق، كما سبق نقله، وذكر بعضا من هذه الوجوه.

وكذلك السيوطي رحمه الله، قرر ذلك بقوله" والصواب أنه لانهاية لوجوه إعجازه"(٢).

ولعل هذا القول هو أقرب الأقوال، وإن كانت الأقوال السابقة لا تناقض بينها وذلك لأن كل قوم تنبهوا لمعنى، لم يتنبه إليه الآخرون. كما قرر ذلك شيخ الإسلام.

* * *

---

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٨- ٤٢٩).

(٢) معترك الأقران (١/ ٥).

المبحث الرابع: موقفهم من تفاضل القرآن

عرض الزركشي لهذه المسألة فقال " وقد اختلف الناس في ذلك فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض؛ لأن الكل كلام الله وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينهما.... واحتجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه. قال ابن حبان في حديث أبى بن كعب رضي الله عنه **"ما أنزل الله في التوارة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن"**[1] إن الله لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطى لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه.

قال "وقوله أعظم سورة" أراد به في الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض.[2]

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث، ثم اختلفوا فقال: بعضهم الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب، بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا.

وقيل: بل يرجع لذات اللفظ وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا في

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٥٣) برقم (٧٧٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٣) وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨٧٥).

(٢) صحيح ابن حبان (٣/ ٥٦).

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد: ١] وما كان مثلها، فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق ...

وتوسط الشيخ عز الدين فقال: كلام الله في الله أفضل من كلام الله في غيره، فـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] أفضل من ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾..."[1].

ثم ذكر أصل الخلاف في المسألة وهو أن كلام الله شيء واحد أو لا ؟ .

ثم ذكر أن الأشعري عنده أنه لا يتنوع في ذاته، إنما هو بحسب متعلقاته .[2]

ثم ذكر قول الحليمي وأن التفضيل يرجع إلى أمور:

أحدها: أن تكون آيتا عمل ثابتتان في التلاوة، إلا أن إحداهما منسوخة والأخرى ناسخة.

فنقول: إن الناسخ خير، أي أن العمل بها أولى بالناس وأعود عليهم، وعلى هذا فيقال آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من آيات القصص؛ لأن القصص إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والتبشير، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص، فكل ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصول، خير لهم مما يحصل تبعا لما لا بد منه .

والثاني: أن يقال: إن الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى، وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسيته أفضل أو خير، بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدرا .

والثالث: أن يقال: سورة خير من سورة، أو آية خير من آية، بمعنى أن القارئ يتعجل بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأدى منه بتلاوتها عبادة، كقراءة آية الكرسي، وسورة الإخلاص والمعوذتين، فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٩) .

(٢) انظر المصدر السابق (١/ ٣٠٠).

يخشى، والاعتصام بالله جل ثناؤه، ويتأدى بتلاوتها منه لله تعالى عبادة، لما فيها من ذكر اسم الله تعالى جده بالصفات العلا على سبيل الاعتقاد لها، وسكون النفس إلى فضل الذكر وبركته، فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم وإنما يقع بها علم.."[1] إلى آخر كلامه، والسيوطي نقل كلام الزركشي السابق [2].

والزركشي والسيوطي لم يحررا القول في هذه المسألة، إذ اكتفى بعرض الأقوال فيها فقط .

وقبل أن أبدأ بعرض الأقوال ومناقشتها لابد من تحرير محل النزاع :

أولاً: إن مما لا نزاع فيه بين السلف والخلف تفاضل قراءة العباد فيما بينهم، وتفاضلهم فيما يترتب على تلك القراءة من كثرة الثواب وقلته، وأن بعضهم أفضل من بعض . وهذا راجع إلى عمل العبد لا إلى كلام الله .

وإنما النزاع في تفاضل نفس كلام الله لا من حيث قراءة العبد، فهل كلام الله بعضه أفضل من بعض.؟[3] .

والقول بتفاضل نفس كلام الله، قول جميع الصحابة وقول جمهور العلماء من الأولين والآخرين، ولم يقل أحد من السلف إن كلام الله لا يتفاضل في نفسه، وإنما ظهر هذا القول واشتهر بعد المائتين لما أظهرت الجهمية بدعة خلق القرآن.[4]

ولاشك أن النصوص الشرعية والآثار السلفية ناطقة بتفاضل كلام الله، وسأورد بعض الأدلة الدالة على ذلك:

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٤) والبرهان في علوم القرآن (١/ ٣٠١) .

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢١٣٩).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢، ٦٠) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢، ٥٣، ٤٦، ١٣) وانظر درء التعارض (٧/ ٢٧١- ٢٧٢).

أولاً: من الكتاب

١- قولـه تعـالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦]. "فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى "[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وجه الدلالة: أن الله قابل القرآن جميعه، بسورة آياتها سبع، وهي سورة الفاتحة، فدل ذلك وقوع التفاضل بين الآيات وذلك؛ لأن الله فاضل بينها لما قابل القرآن بسورة الفاتحة وذلك لما اشتملت عليه المعاني العظيمة، من الثناء والتحميد للرب والإستعانه والدعاء ونحو ذلك.[(٢)]

٣- قوله تعالى﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣]. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥٥].

وجه الدلالة: أن الله جعل كلامه فيه ما هو حسن وفيه ما هو أحسن[(٣)]، فدل ذلك على وقوع التفاضل في كلام الله .

ثانياً: من السنة:

١- عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم**»؟ قال قلت الله ورسوله أعلم قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم** » ؟ قال قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠) .

(٢) انظر المصدر السابق (١٧/ ١٥).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣).

ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**»[١] .

٢- قول رسول الله ﷺ لكعب رضي الله عنه: قال لي "**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**"، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: "﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[٢]

٣- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أحدكم أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ**» فَشَقَّ ذلك عليهم وَقَالُوا أَيُّنَا يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ الله؟ فقال: «**الله الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»[٣] فهذه النصوص النبوية صريحة في تفاضل كلام الله، وتفاضل القرآن الذي جاء في النصوص ليس باعتبار نسبته إلى المتكلم، وإنما هو باعتبار معانيه، وباعتبار ألفاظه [٤] فالتفاضل فيه من جهة المتكلم فيه، "فإن كلامه الذي وصف به نفسه وأمر في بالتوحيد أعظم من كلامه الذي ذكر فيه بعض خلقه، وأمر فيه بما هو دون التوحيد"[٥].

وقد خالف في ذلك الأشاعرة، فأنكروا تفاضل القرآن، لا لإجل تماثله عندهم، بل لأنه عندهم معنى واحد لايتعدد ، فلو كان يدخله التفاضل، للزم من ذلك تعدد كلام الله، إذ التماثل والتفاضل لا يعقل إلا مع التعدد وهم لا يقرون بذلك.

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر قول الأشاعرة في كلام الله وأنه معنى واحد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) برقم (٨١٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢٣) برقم (٤٢٠٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١٦) برقم (٤٧٢٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) برقم (٨١١) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٧/ ١٢٩) .

(٥) درء التعارض (٧/ ٢٧٣).

قائم بذاته هو الأمر بكل مأمور...." فهذا الكلام الذي تقوله الكلابية، وإن كان جمهور العقلاء يقولون: إن مجرد تصوره كاف في العلم بفساده، فلا يمكن على هذا القول الجواب بتفضيل كلام الله بعضه على بعض، ولا مماثلة بعضه لبعض؛ لأن الكلام على قولهم شيء واحد بالعين لايتعدد ولا يتبعض، فيكف يمكن أن يقال: هل بعضه أفضل من بعض أم بعضه مثل بعض ولا بعض له عندهم؟"[1] .

وقال " فمن قال إن الكلام معنى واحد قائم بذات المتكلم، لم يمكنه أن يجيب عن هذه المسألة بجواب صحيح، فإذا قيل له كلام الله بعضه أفضل من بعض ؟ امتنع الجواب على أصله بنعم أولا، لامتناع تبعضه عنده "[2] .

وبين أن مانقل عن الأشعري وموافقيه من القول في هذه المسألة بالنفي أو الإثبات غلط عليهم "إذ كلام الله عندهم ليس له كل ولا بعض، ولا يجوز أن يقال هل يفضل بعضه بعضاً أولا يفضل، فامتناع التفاضل فيه عنده كامتناع التماثل، ولا يجوز أن يقال إنه متماثل ولا متفاضل إذ ذلك لا يكون إلا بين شيئين "[3].

أما المعتزلة فقد أقروا بالتفاضل، وذلك لأن القرآن عندهم مخلوق، وتفاضل بعض المخلوقات على بعض مما لا ينازع فيه أحد [4].

ومن هنا وقع الغلط عند الأشاعرة، إذ ظنوا أن القول بالتفاضل لا يكون إلا على قول المعتزلة القائلين بخلق القرآن، فلذلك فروا من هذا القول وأنكروه لإجل ما ظنوه من التلازم .

وليس الأمر كذلك فإن سلف الأمة يقولون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٤٧- ١٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥٦).

(٤) انظر المصدر السابق (١٧/ ٧٠).

ويقولون مع ذلك إن كلام الله بعضه أفضل من بعض .(1)

أما حجة المانعين فقد عرض لها الزركشي في كلامه السابق:

أولاً: قولهم إن التفضيل يشعر بنقص المفضول، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه .

والجواب عنها: من وجهين:

١- أن يقال إن تفاضل القرآن وغيره من كلام الله ليس بالنظر إلى المتكلم به، فإن هذا لا تفاضل فيه، ولكن التفاضل من جهة المتكلم فيه، فكلامه الذي وصف به نفسه أفضل لاشك من كلامه الذي وصف به بعض خلقه .

٢- أن يقال إن المفاضلة بين شيئين لا يلزم من ذلك تنقص المفضول، وقد قال الله تعالى في شأن الرسل عليهم الصلاة والسلام "﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ولا يلزم من تفضيل بعضهم على بعض انتقاص النبي الآخر ولكن جعل الله مرتبة هذا النبي أعلا وأفضل من هذا النبي، ولا يعني ذلك أن في هذا المفضول نقصاً . ولذلك نهي عن التفضيل بين الأنبياء إن كان على سبيل التنقص بالمفضول، أو كان على سبيل الهوى والعصبية . يدل لذلك قوله ﷺ " في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "**لاتخيروا بين الأنبياء**"(2).

ثانياً: أما قولهم إن كلامه من صفاته، وصفاته وأسمائه لا تفاضل بينها، فهذا القول لا تدل عليه النصوص الشرعية، ولم يقله أحد من السلف، بل النصوص الشرعية دالة على تفاضل أسمائه وصفاته ويشهد لذلك ما رواه عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه قال: سمع النبي ﷺ رجلا يدعو وهو يقول: "اللهم إني أسألك

---

(١) المصدر السابق (١٧/ ٥٤، ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٣٤) برقم (٦٥١٨) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٥) برقم (٢٣٧٤).

بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»(١) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**»(٢).

وجه الدلالة أنه "وصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها"(٣).

قال شيخ الإسلام: " وقول القائل " صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال ليس فيها نقص" كلام صحيح، لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض، كان المفضول معيباً منقوصاً خطأ منه، فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه أفضل من بعض، ولهذا يقال دعا الله باسمه الأعظم، وتدل على أن بعض صفاته أفضل من بعض، وبعض أفعاله أفضل من بعض "(٤).

أما تأويلهم النصوص التي في المفاضلة بعظم الأجر وكثرة الثواب، فالجواب عن ذلك من وجهين:

١- أن يقال ليس هذا محل النزاع، وإنما النزاع كما ذكر سابقاً في نفس كلام الله هل يتفاضل، أم لا، لأن اختلاف ثواب العبد كثرة وعظماً، مما لا ينازع فيه أحد كما تقدم ذلك(٥) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٠) برقم (٢٣٠١٥) وأبوداود (٢/ ٧٩) برقم (١٤٩٣) والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٥) برقم (٣٤٧٥) وقال هذا حديث حسن غريب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٧٠٠) برقم (٦٩٨٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٩١) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/ ٨٩- ٩٠).

(٥) انظر المصدر السابق (١٧/ ٥٢، ٦٠).

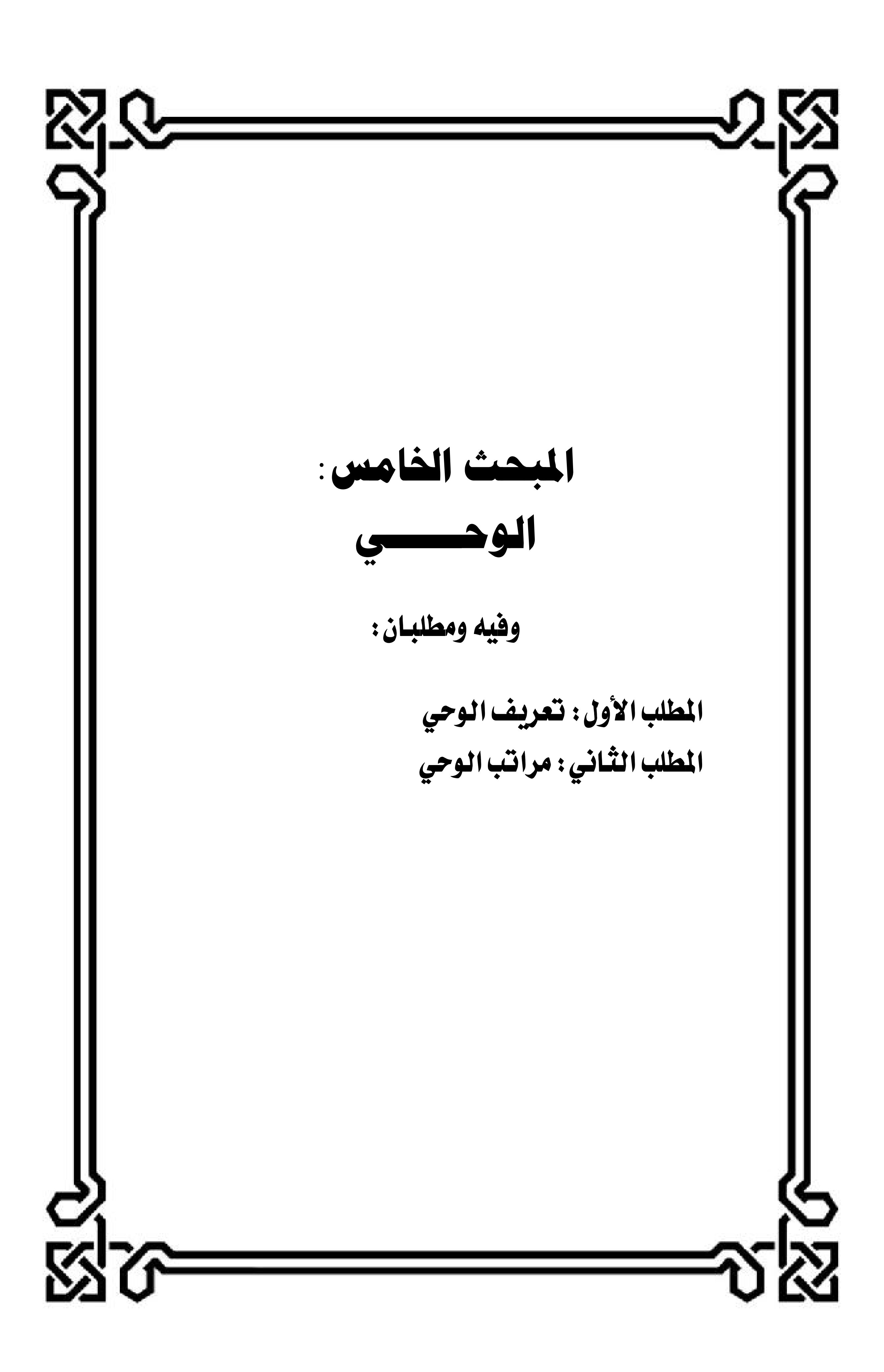
٢- أن التفاضل في الأجر والثواب مستلزم، لأن يكون العمل فاضلاً في نفسه، وإلا لما تفاضل في أجره وثوابه .

يقول شيخ الإسلام في رد قولهم هذا" ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب أو قلته من غير أن يكون الكلام في نفسه أفضل، كان بمنزلة من جعل عملين متساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أن العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية"[(١)] .

وبهذا يظهر أن القول بتفاضل كلام الله بعضه على بعض هو الذي تدل عليه النصوص الشرعية، والحق في اتباع ما جاءت به النصوص .

* * *

(١) المصدر السابق (١٧/ ٢١٠) وانظر درء التعارض (٧/ ٢٧٣)



المبحث الخامس:
الوحـــــي

وفيه ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوحي

المطلب الثاني: مراتب الوحي

تمهيد: حاجة البشر إلى الوحي:

إن من رحمة الله بعباده أن بعث إليهم الرسل، وأنزل معهم الشرائع والكتب التي حاجة و ضرورة العباد إليها فوق كل ضرورة، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا باتباع هذا الوحي والايمان به والتسليم به .

ولذلك سمى الله سبحانه هذا الوحي المنزل منه سبحانه وتعالى روحا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢] لأن به يحيا به الإنسان وبفقدانه يموت ويصبح عديم الحياة والروح فهو منغمس في ظلمات الجهل والشرك والكفر لا يخرج منها .

وقال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] فهذا وصف المؤمن، كان ميتا في ظلمة الجهل والشرك، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان والتوحيد، وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات لا يخرج منها بل هو متقلب بين تلك الظلمات، قد تراكمت عليه فهو في غم وهم وحزن .

قال تعالى في وصف حال الكفرة ووصف تلك الظلمات ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

ولقد امتن الله على هذه الأمة بأن بعث فيهم رسولا، يزكيهم ويعلمهم ويخرجهم من الضلال الذي يعيشون فيه قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالى ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة: ١٥١]. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في بيان حاجة الناس إلى الوحي والرسالة "والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات قال الله تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشى به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات.

وسمى الله تعالى رسالته روحا، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢] فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور فالروح الحياة والنور النور"[١].

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٣- ٩٤ و٩٩) وانظر زاد المعاد لابن القيم (١ / ٦٩) ومفتاح دار السعادة (٢/ ٣١٨)

المطلب الأول: تعريف الوحي

الوحي لغة: الإشارة والكتابة والرسالة، والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال وحيت إليه الكلام وأوحيت ووحى وحيا، وأوحى أيضا أي كتب، والوحي: المكتوب والكتاب، وأوحى إليه بعثه، وأوحى إليه ألهمه. ووحى إليه وأوحى: كلمه بكلام يخفيه من غيره، ووحى إليه وأوحى: أومأ، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ١١]، فأوحى إليهم أي أشار إليهم، والعرب تقول أوحى ووحى وأومى وومى بمعنى واحد. والوحي: ما يوحيه الله إلى أنبيائه، وسمى وحيا؛ لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه، قال تعالى ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] معناه يسر بعضهم إلى بعض فهذا أصل الحرف .(١)

وفي تهذيب اللغة: (أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا، ... وكذلك الإشارَةُ والإيماءُ يسمى وَحْياً، والكتابة تسمى وَحْياً .

قال اللهُ تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى: ٥١] معناه إلا أنْ يُوحِي اللهُ إليه وحياً، فيُعلمه بما يعلم البشر أنه أَعْلَمَه إمّا إلْهَاماً وإما رُؤْيَا، وإما أن يُنْزِل عليه كِتَاباً، كما أَنْزَل على موسى أو قُرآناً يُتْلَى عليه كما أَنْزَل على محمدٍ، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسبابُ الإعلام فيها)(٢).

وقال ابن فارس " الواو والحاء والحرف المعتدل، أصل يدل على إلقاء علم في

---

(١) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٣٢٠) وتهذيب اللغة للأزهري (٥ / ١٩٢) ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٣٧٩) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٥ / ١٩٣).

خفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي الإشارة والرسالة والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحي كيف كان.

... وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه، والوحي السريع، والوحي الصوت "[1].

والوحي العجلة، يقولون الوحي الوحي، والوحاء والوحاء، يعني البدار البدار، والوحاء والوحاء يعني الإسراع، يقال توح يا هذا في شأنك أي أسرع، ووحى فلان ذبيحته إذا ذبحها ذبحاً سريعاً، والوحي على فعيل: السريع وتوح بالشيء أسرع، وشيء وحي، عجل سريع، وتوحاه توحية أي عجله.[2]

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: "أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة، قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة"[3].

فإذاً مما سبق يتضح أن المعنى اللغوي للوحي يدور حول ثلاثة معان: هي الإعلام، والسرعة والخفاء فيكون" القول الجامع في معنى اللغوي: أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، ومنه الإلهام الغريزي، كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة، كالوحي إلى أم موسى، ومنه ضده وهو وسوسة الشيطان، قال تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَـٰدِلُوكُمۡ ﴾[الأنعام: ١٢١]"[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦ / ٩٣) وانظر كتاب العين للخليل الفراهيدي (٣ / ٣٢١).

(٢) انظر المصادر السابقة، وتهذيب اللغة للأزهري (٥ / ١٩٣) وغريب الحديث لابن الأثير (٥ / ١٦٢). ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٣٨٢) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥١٥).

(٤) الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا (ص: ٤٤) .

والوحي في القرآن و بمعناه اللغوي يتناول عدة أمور[1]:

١- الإرسال قال تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[القصص: ٧].

٣- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل، قال تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل: ٦٨].

٤- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا عليه السلام إلى قومه، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ١١].

٥- الأمر الكوني للجمادات قال تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾[فصلت: ١٢]. وقال تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة: ١ – ٥].

٦- وسوسة الشيطان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾[الأنعام: ١٢١].

٧- ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[الأنفال: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم: ١٠].

أي فأوحى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ما أوحى الله إليه[1] .

---

(١) انظر كتاب العين للخليل الفراهيدي (٣/ ٣٢٠) وتهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٩٢) والمفردات في غريب القرآن (ص: ٥١٥) وانظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص: ٦٢١) ولسان العرب لابن منظور (١٥ / ٣٧٩) وانظر الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا (ص: ٤٤).

أما تعريف الوحي اصطلاحاً:

فقد تعددت التعريفات فيه فمنهم من يسهب، ومنهم من يوجز وسأشير إلى شيء من هذه التعريفات :

الوحي: يطلق ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى، ويطلق ويراد به المعنى المصدري، فمنهم من عرفه من الجهة الأولى، ومنهم من عرفه من الجهة الثانية .

أما تعريفه من الجهة الأولى: فهو كلام الله المنزل على أحد أنبيائه، وما أنزله عليهم من الشرائع والحكم .(٢)

أما تعريفه من الجهة الثانية الذي بمعنى الإيحاء: فهو إعلام الله بالشرع.(٣)

وقيل: إعلام الله أنبياءه الشيء إما بكتاب، أو برسالة ملك، أو منام أو إلهام.(٤)

وقيل: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة(٥) .

وهذه التعريفات الناظر فيها يجد أنها متوافقة لا اختلاف بينها، والفرق في بيان طرق هذا الوحي وذلك أن منهم من يبين في التعريف نوع وطرق هذا الوحي، فتجده يقول في التعريف إعلام الله أنبياءه الشيء، ثم يبين نوع ذلك فيقول إما بكتاب أو برسالة ملك أو منام أو إلهام، وهكذا في التعريف الآخر، فإذاً لا مشاحة في الاصطلاح مادام المضمون متفقاً .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٧ / ٤٧) وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٥٠).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١ / ٩) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (١/ ١٤).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/ ٩) .

(٤) انظر تحفة الاحوذي بشرح الترمذي للمباركفوري (١٠ / ١٠٨) .

(٥) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة (ص:٧٩).

ولعل تعريف الأمام الزهري[1] أجمعها، وذلك أنه جمع بين الوحي الذي بمعنى اسم المفعول به الموحى، وبين المعنى المصدري الذي بمعنى الإيحاء .

فيقول رحمه الله لما سئل عن الوحي: "الوحي ما يوحي الله إلى النبي من أنبيائه عليهم السلام، فيثبت الله عزوجل ما أراد من وحيه في قلب النبي، يتكلم به النبي ويبيينه، وهو كلام الله ووحيه "[2].

أما التعريف الذي ذكر في بعض كتب علوم القرآن[3]، ولم يعقب عليه !!!

وهو قولهم بأنه " عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة"[4] .

فهذا التعريف قد بني على أصول المتكلمين، الذين ينفون أن يتكلم الله بصوت مسموع، ولهذا خص الوحي الذي يكون بصوت بما يكون بواسطة الملائكة، وأما ما يكون بغير واسطة فعنده أنه لا يكون بصوت .

ويلزم من هذا ما التزمه المتكلمون على اختلاف طوائفهم، من القول بخلق القرآن؛ لأن لفظه إذا لم يكن مسموعا من الله فلا بد أن يكون مخلوقا[5] ، ولهذا فقد التزم صاحب التعريف بهذا اللازم وأقر بخلق القرآن إذ يقول عفا الله عنه.

"ورد أن الله كلم بعض أنبيائه، ونطق القرآن بأنه كلام الله فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا بد أن يكون شأنا من شؤونه قديما بقدمه، أما الكلام

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر القرشي الإمام العلم حافظ زمانه توفي سنة ١٢٥هـ انظر سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٢٦).

(٢) انظر كتاب الشريعة للآجري (٣/ ١٤٦٤) .

(٣) كمثل محمد أبو شهبة في كتابه المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٧٩) ومناع القطان في كتابه مباحث في القرآن (ص: ٢٩) .

(٤) هذا تعريف محمد عبده انظر رسالة التوحيد (ص: ١٦٣) ونقله تلميذه محمد رشيد رضا في الوحي المحمدي (ص: ٤٤) .

(٥) انظر كتاب المعرفة في الإسلام للدكتور عبد الله القرني (ص: ٣٣).

المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فلا خلاف في حدوثه ولا في أنه خلق من خلقه"[1] .

وتقدم الكلام في أن التفريق بين الكلام القديم والحادث، واثبات أن كلام الله هو القديم دون الحادث هو الأصل الذي ابتدعه ابن كلاب وتبعه الأشاعرة .

وهذا التعريف غير منضبط وذلك أنه لا يتفق مع الألفاظ والمعاني الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة، برهان ذلك أن النبي ﷺ حين سئل كيف يأتيك الوحي فأجاب **" أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"**[2] .

وقوله تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[الشورى: ٥١]. وقوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

أين العرفان من هذه النصوص المتقدمه؟ ثم ما ضابط هذا العرفان الذي يجده الشخص من نفسه ؟ وذلك أن هذا "العرفان يدخل فيه مكاشفات الصوفي، وفراسة المؤمن، وتأملات الفيلسوف، وينطبق على كل شعور باطني ضروري لدى أي عاقل، لذا فهو إلى تعريف الإلهام هنا أقرب منه إلى تعريف الوحي؛ لأن هذا التعريف ينطبق على بعض أنواع الوحي لكنه لا يشملها، فالقرآن وتكليم الله لموسى، وكلام الله الذي ينقل بواسطة الملك، لا يكون عرفانا يجده الشخص من نفسه لأن العرفان شيء لا ينضبط وليس له مفهوم محدود كمفهوم كلام الله"[3] .

ثم إن قوله " يجده الشخص من نفسه " باطل لا يصح ذلكم أن الوحي ليس

---

(١) انظر رسالة التوحيد (ص: ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (١/ ٤) برقم (٢) ومسلم (٤ / ١٨١٦) برقم (٢٣٣٣).

(٣) كتاب الاتجاهات العقلانية الحديثة د. ناصر العقل (ص:١٦٠) .

من نفس الإنسان بل هو من خارجها، فهو من الله سبحانه وتعالى لا من نفس الإنسان، بل إن هذا الزعم هو الشبهة التي زعمها أعداء الإسلام في الوحي حين زعموا أنه تكوّن في نفسه بطريق الكشف التدرجي، أو زعموا أنه الوحي النفسي"[1].

أما قوله " مع اليقين بأنه من قبل الله " فهذا باطل أيضا، وذلك أن اليقين دعوى تحتاج إلى دليل، فإن بعض النفوس قد تستيقن ما تجده من عرفان بأنه من عند الله وما هو من عنده، بل هو من الشيطان، فما الوساوس التي تخطر في نفس الإنسان فيما يتعلق في عبادته لربه إلا من هذا القبيل فتجده يستجيب لهذه الوساوس، اعتقادا أنها تنبيه إلهي لهم بتقصيرهم في العبادة فيعيدونها مرات، ودعوى اليقين قد تحدث من الصالحين وأولياء الله، وقد تحدث من أولياء الشياطين.

ولقد بين شيخ الإسلام: أن الشياطين تلعب بعقول بعض الجهلة من الصوفية والمبتدعة، فقد يسمع الشخص خطابا أو يرى من يأمره بقضية، ويكون ذلك الخطاب من الشيطان، ويكون الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله، وقد يقول له: أنا الخضر، أو الياس، أوأنا محمد . أو إبراهيم الخليل، أو المسيح، أو أبو بكر، أو الشيخ فلان ممن يحسن الظن به، وقد يطير به في الهواء، أو يأتيه بطعام أو شراب فيظن هذا كرامة فيصدقها الشخص، ويجد في نفسه اليقين الجازم بأنها من الله، وتكون حقيقتها شيطان لبس عليه.[2]

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د.فهد الرومي (ص: ٤٨٧) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٧١) وانظر منهج المدرسة العقلية للرومي(ص: ٤٨٧)والاتجاهات العقلانيه(ص١٦١) .

المطلب الثاني: مراتب الوحي

للوحي الذي يعلم الله به أنبيائه ورسله مراتب ومقامات وكيفيات، قد جاءت النصوص ببيانها، وقد أجمل الله تلك المقامات والمراتب في آية واحدة قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١]. وقد اشتملت هذه الآية على ثلاث مقامات ومراتب:

الأولى: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه بحيث لا يمتري النبي في أن هذا الذي ألقي في قلبه من الله تعالى كما جاء عن ﷺ أنه قال: **" إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب "**[(١)] .

وقد فسر جمع من المفسرين الوحي هنا بالإلقاء في روع النبي ﷺ[(٢)].

ويدخل في الوحي رؤيا المنام التي يراها الأنبياء، فإن رؤياهم حق، ولذلك بادر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه مأمور بذبحه، قال تعالى في إبراهيم وابنه إسماعيل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٢ – ١٠٥] ورؤيا المنام أول مراتب الوحي بالنسبة لنبينا عليه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٦)من حديث أبي أمامة، والبغوي في شرح السنة (١٤ / ٣٠٣- ٣٠٤) من عدة طرق عن ابن مسعود مرفوعا، والقضاعي في مسند الشهاب (٢ / ١٨٥) والطبراني في المعجم الكبير(٨ / ١٦٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥) انظر كشف الخفاء للعجلوني (١/ ٢٦٨) وقد صحح الحديث الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث مشكلة الفقر برقم (١٥).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٦ / ٥٣) وتفسير ابن كثير (٤ / ١٢٢) وانظر تفسير أبي السعود ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨/ ٣٧) وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤٤) وتفسير السعدي (٤ / ١٦٠١) .

الصلاة والسلام، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح "(١) .

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب:

وذلك كما كلم الله تعالى موسى عليه السلام قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١١ – ١٤].

وكما كلم سبحانه وتعالى آدم عليه السلام ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣٣] ومن ذلك تكليم الله لنبينا محمد ﷺ في المعراج حيث قال: **"فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة"**(٢) .

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك، وقد دل على هذا قوله تعالى في الآية السابقة ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[الشورى: ٥١] وهذا الرسول المراد جبريل عليه السلام، وقد يكون غيره في أحوال قليلة، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه " بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (١/ ٤) برقم (٣) ومسلم (١ / ١٣٩) برقم (١٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١ / ١٤٦) .

لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته"[1]

صفات وأحوال مجيء الملك إلى الرسول:

تقدم الكلام على أن من مراتب الوحي أن يكون بواسطة الملك، وقد جاءت النصوص ببيان أحوال وصفات الملك عند مجيئه إلى الرسول، ومجملها تعود إلى ثلاثة أحوال:

الأول: أن يراه الرسول ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، ولم يحدث هذا لرسولنا عليه الصلاة والسلام إلا مرتين:

١-بعد البعثة بثلاث سنوات، فعن جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال **" بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني"**[2] .

٢- عندما عرج به إلى السماء، وهاتان المرتان مذكورتان في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ٥ – ١٧].

الثاني: من أحوال الملك أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس[3] فيذهب عنه وقد

---

(١) (١ / ٥٥٤) وانظر الرسل والرسالات (ص: ٥٨) وعالم الملائكة (ص: ٤٦) كلاهما لعمر الأشقر وانظر زاد المعاد لابن القيم (١ / ٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (١/ ٥) برقم (٤) .

(٣) صلصلة الجرس هو صوت وقع الحديد، أي طنينه وشبهه بالجرس؛ لأنه صوت لا يفهمه في أول وهلة حتى يتثبت ولذلك قال "وهو أشده علي " والصلصلة المذكورة، صوت الملك بالوحي انظر كشف المشكل من أحاديث الصحيحين لابن الجوزي (٤/ ٣١٠) .

=

وعى عنه الرسول ﷺ ما قال، فعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ: **"أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال "**[1].

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويخاطبه ويعي عنه قوله، وهذه أخف الأحوال على الرسول ﷺ ودليل هذا ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث السابق عندما سأله الحارث بن هشام قال **"وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول"** ومن ذلك ما جاء في صورة رجل عليه أثر السفر لما سأل عن أركان الإسلام .[2]

❊ ❊ ❊

= وانظر فتح الباري لابن حجر (١ / ٢٦) ومقدمة الفتح (ص: ٢٢٢) ولسان العرب (١١ / ٣٨٢)

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (١/ ٤) برقم (٢) وأخرجه مسلم (٤ / ١٨١٦)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٣٦) برقم (٨)

الفصل الرابع:

المسائل المتعلقة بالقدر:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أفعال العباد

المبحث الثاني: التحسين والتقبيح

المبحث الثالث: حقيقة الظلم

المبحث الأول: أفعال العباد

يرى الزركشي والسيوطي أن أفعال العباد أضيفت إليهم على جهة الكسب،وهذا الكسب لا تأثير له، قال الزركشي عفا الله عنه" الثالث لاختلافهما في جهتي الفعل كقوله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[الأنفال: ١٧]. أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير، ولهذا قال الجمهور إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى .

وكذا قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال: ١٧] أي ما رميت خلقا إذ رميت كسبا، وقيل: إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال، وهما بكسب الرامي وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز و جل"[(١)] .

والسيوطي نقل كلام الزركشي [(٢)] .

وقال في موضع آخر" قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة، وأشكل على ذلك ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ فإن المنفي فيه هو الحقيقة .

وأجيب: بأن المراد بالرمي هنا المترتب عليه، وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة، والتقدير وما رميت خلقا إذ رميت كسبا، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء"[(٣)] .

والزرقاني عرض لهذه المسألة، ووصف قول الأشاعرة بأنه قول أهل السنة، ولم يكتف بذلك، بل قرر أن الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة في خلق أفعال العباد

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣٩، ١٠١، ١٣٢) و (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٤٨٠) .

(٣) الإتقان (٥/ ١٦٩٧).

سائغ، وأن لكلتا الطائفتين وجهة نظر قوية وسائغة، وذلك لما أراد أن يمثل بمثال للتعصب وهوى النفس قال " وكذلك نرى من أمثلة هذا التعصب والسير مع الهوى، أن يرمي بعض المغالين من أهل السنة إخوانهم المعتزلة بالشرك والوثنية؛ لاعتقادهم أن العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية .

ونعتقد أن كلتا الطائفتين لو أنصتت إلى وجهة نظر صاحبتها في هدوء ونصفة لاجتمعنا على الإنسانية التي تجمع الجميع وعلى الإسلام الذي يؤلف بين الجميع، وعلى الاحترام الذي يجب أن يسود الجميع فإن لكل شرعة ومنهاجا في حدود الإسلام وأدلة الإسلام .

ولنقف برهة بجانب هذا المثال، مثال خلق الأفعال، ليتضح الحال ولنقيس عليه النظائر والأشباه عند الاختلاف والاشتباه، ولنعلم أن المتخالفين في ذلك ما زالوا مع خلافهم إخوانا مسلمين تظلهم راية القرآن ويضمهم لواء الإسلام" .

ثم استعرض الزرقاني أدلة كل من المعتزلة وأهل السنة (الأشاعرة) على قولهم في خلق أفعال العباد ، حتى يبرر أن الخلاف بينهم سائغاً فقال: "في القرآن الكريم والسنة النبوية نصوص كثيرة على أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن مرجع كل شيء إليه وحده، وأن هداية الخلق وضلالهم بيده سبحانه مثل قوله عز وجل ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[الزمر: ٦٢] ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[فاطر: ٣]. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦] ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩ ﴾ [الأنعام: ٣٩] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾[الأنعام: ١١٢] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ﴾[هود: ١١٨] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾[يونس: ٩٩] ﴿ ۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ ﴾[الكهف: ٥٧] ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾ [يس: ٩ – ١٠] ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام: ١٢٥] ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

وكذلك يقول النبي ﷺ: **" إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل"** ويقول: **"الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"** ويقول: **"يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك"** إلى غير ذلك. هذه النصوص وأمثالها، إذا نظر العبد إليها لا يسعه إلا أن يرد الأمور كلها إلى الله، معتقدا أنه الواحد الأحد لا شريك له في ملكه ولا في ناحية من ملكه، وهي أفعال التكليف من عباده وكأن نسبة الأفعال إلى العباد هي الأخرى محض فضل من الله، على حد ما قال ابن عطاء الله من فضله وكرمه عليك أن خلق العمل ونسبه إليك .

ويظاهر هذه الأدلة النقلية، أدلة أخرى عقلية ناطقة بوحدانية الله في كل شيء، وبأن العبد لا يعقل أن يكون خالقا لما اختاره من أفعاله؛ لأنه لو كان خالقا لها لكان عالما بتفاصيلها، ولكنه يشعر من نفسه بأنه تصدر عنه أشياء كثيرة جدا من عمله الاختياري دون أن يعرف تفاصيلها، كخطوات المشي وحركات المضغ في الأكل ونحوها وإذا فليس العبد هو الخالق لها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤].

ثم استعرض بعد ذلك أدلة المعتزلة فقال : "بجانب هذا توجد نصوص كثيرة أيضا من الكتاب والسنة، تنسب أعمال العباد إليهم، وتعلن رضوان الله وحبه للمحسنين فيها، كما تعلن غضبه وبغضه للمسيئين منهم، ومن ذلك قوله سبحانه ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[فصلت: ٤٦] ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[الإسراء: ٧] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ﴾[العنكبوت: ٤] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[الزمر: ٧] ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ

أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١] ﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سبأ: ٢٥] ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٥] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧] ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥]. ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢].

وكذلك نقرأ في السنة النبوية "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم" "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" "يا عباس بن عبد المطلب اعمل لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيئا" إلى غير ذلك. وهذه نصوص إذا نظر العبد إليها لا يسعه إلا أن يرد أعمال العباد الاختيارية إليهم، معتقدا أنهم يستحقون ثوابها، إن أحسنوا، وعقابها إن أساؤوا .

ويظاهر هذه الأدلة النقلية، أدلة عقلية أيضا شاهدة بعدالة الله وحكمته؛ لأن العبد لو لم يكن موجدا لما اختار من أعماله لما كان ثمة وجه لاستحقاقه المثوبة أو العقوبة، وكيف يثاب أو يعاقب على ما ليس له ولم يصدر منه .

غيري جنى وأنا المعذب فيكم　　　فكأنني سبابة المتندم

ثم بعد ذلك قرر قول الأشاعرة في قولهم بالكسب جمعاً بين الأدلة فقال :

أهل السنة بهرتهم النصوص الأولى والأدلة العقلية التي بجانبها، فرجحوها وقالوا: إن العبد لا يخلق أفعال نفسه الاختيارية، إنما هي خلق الله وحده، وإذا قيل لهم: كيف يثاب المرء أو يعاقب على عمل لم يوجده هو؟ وكيف يتفق هذا وما هو مقرر من عدالة الله وحكمته في تكليف خلقه ؟

قالوا: إن العباد – وإن لم يكونوا خالقين لأعمالهم – كاسبون لها .

وهذا الكسب هو مناط التكليف ومدار الثواب والعقاب، وبه يتحقق عدل الله

وحكمته فيما شرع للمكلفين .

وهكذا حملوا النصوص الأولى على الخلق، وحملوا الثانية على الكسب، جمعا بين الأدلة...

أما المعتزلة فقد بهرتهم النصوص الثانية وما يظاهرها من برهان العقل، فرجحوها وقالوا: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وإذا قيل لهم: أليس الله خالق كل شيء ومنها أعمال العباد ؟

قالوا: بلى إنه خالق كل شيء حتى أعمال عباده الاختيارية بيد أنه خلق بعض الأشياء بلا واسطة وخلق بعضها الآخر بواسطة، وأعمال المكلفين من القبيل الثاني، خلقها الله بوساطة خلق آلاتها فيه وآلاتها هي القدرة الكلية والإرادة الكلية الصالحتان للتعلق بكل من الطرفين، وليس لنا من حول ولا قوة سوى أننا استعملناها على أحد وجهيها إما بحسن الاختيار وإما بسوء الاختيار .

ثم لا مانع عندنا من القول بأنه سبحانه خالق لأفعال عباده ولكن على سبيل المجاز باعتبار أنه خالق أسبابها ووسائلها .

وإذا قيل لهم: إن مذهبكم يستلزم أن يكون لله شركاء كثيرون في فعله، وهم عباده المكلفون وهذا يناقض عقيدة التوحيد وبرهان الوحدانية ؟

قالوا: لا نسلم هذا ولا نقول به، فإن الوحدانية ليس معناها نفي وجود ذوات أو صفات أو أفعال لغيره، إنما معناها نفي أن يكون لغيره شبه به في ذاته أو صفاته أو أفعاله، وأنتم يا أهل السنة لا تمنعون وجود ذوات لا تشبه ذاته، ولا تمنعون وجود صفات لا تشبه صفاته، فلم تمنعون وجود أفعال من العباد لا تشبه أفعاله ؟ وهو ما نقول به في خلق العباد لأعمالهم، فإنها لا تشبه أفعال الله بحال .

هكذا تجد لكلتا الطائفتين وجهة نظر قوية وتأويلا سائغا فيما تؤوله من النصوص المقابلة للنصوص التي بهرتها فرجحتها، ونجد أيضا أن كلتا الطائفتين لا تلتزم المحظور التي تحاول الأخرى أن تلزمها إياه في مقام الحجاج والجدال، بل

توجه رأيها توجيها ينأى بها عن الوقوع في المحظور.

ثم نجد كلتا الطائفتين يتلاقيان أخيراً بعد طول المطاف عند نقطة الاعتقاد السديد بوحدانية الله وحكمة الله، ولكن على الوجه الذي استبان لها وراج عندها..."[1] .

ولاشك أن هذا مخالف لما جاء في الكتاب والسنة وما قرره أهل السنة والجماعة، وذلك أنهم مع إيمانهم بقضاء الله وقدره ، وأن ما يحدث في هذا الملكوت لا يخرج عن قضاء الله وقدره، وأن ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، مع إيمانهم بذلك يؤمنون أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم، ما أقدرهم الله عليه، ومكنهم منه .[2]

وقد اتفق أهل السنة على أن أفعال الإنسان الاختيارية مستندة إليه، وأنه فاعل لها، ومحدث لها حقيقة لا مجازاً، برهان ذلك أن الله ورسوله وصف العبد بأنه يعمل ويفعل .

والقرآن مملوء بالإخبار بأن العباد هم الذين يؤمنون، وهم الذين يكفرون، ويكسبون، ويطيعون، ويعصون، ويقيمون الصلاة،ويؤتون الزكاة، ويحجون ويعتمرون، وهم الذين يسرقون، ويزنون، ولم يقل أحد من السلف والأئمة إن العبد ليس بفاعل ولا مختار، ولا مريد ولا قادر، بل هو مجبور على أفعاله .[3]

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المؤمنون:

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٣٢- ٣٦) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩) .

(٣) انظر منهاج السنة (٣/ ٢٣٥) و مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩) .

٦٣] ولكن أفعالهم وإراداتهم ومشيئتهم تابعة لمشيئة الله، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣٠] وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] فأثبت للعبد مشيئة وفعلاً، في قوله: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ثم بين أن مشيئة العبد متعلقة بمشيئة الله في قوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة .

وقد بوب ابن بطة رحمه الله باباً في ذلك قال: " الباب الرابع في ذكر ما أعلمنا الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئته وأن الخلق لايشاؤون إلا ماشاء الله عزوجل"[(١)] ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك والأحاديث والآثار .

أما أهل البدع فقد خالفوا أهل السنة وتباينت آراؤهم في هذه المسألة:

فالجهمية الجبرية قالوا: إن العباد مجبورون على أعمالهم لا قدرة لهم ولا إرادة، والله هو الخالق وحده لأفعالهم وإراداتهم .[(٢)]

والمعتزلة القدرية قالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، وأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وأن إرادتهم مطلقة مستقلة عن إرادة الله .[(٣)]

وأما الأشاعرة فقالوا إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب للعباد، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل، فهم لما أرادوا أن يأخذوا قولاً وسطاً بين تلك الأقوال اخترعوا نظرية الكسب، وقد اضطربوا في فهمها وتصورها، لذلك اختلفت آراؤهم في تحديد ماهيتها .[(٤)]

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٧٣).

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧) الفصل لابن حزم (٣/ ١٤) والفرق بين الفرق (ص: ١٩٩).

(٣) انظر المغني (٨/ ٣) والمحيط بالتكليف (ص: ٣٤٠) وشرح الأصول الخمسة (ص: ٣٣٦) .

(٤) انظر الإرشاد للجويني (ص: ١٨٨) والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧) وغاية المرام (ص: ٢٢٣) وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص: ٢٤٨) .

وقد بين ابن القيم اضطرابهم في بيان معنى الكسب، وذكر عدة أقوال لهم.

قال ابن القيم " وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطراباً عظيماً، واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً "[(١)] .

يقول الأشعري في معنى الكسب " ومعنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فكل من وقع منه الفعل بقدرة قديمة، فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب، وهذا قول أهل الحق. "[(٢)] .

وقال الآمدي " في بيان معنى الكسب" أما الكسب فأحسن ما قيل فيه: إنه المقدور بالقدرة الحادثة، وقيل: هو المقدور القائم بمحل القدرة "[(٣)] .

ويقرب الأشاعرة معنى الكسب بمثل يضربونه فيقولون " الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر عليه آخر، على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله، كان حصول الحمل بأقواهما ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً، كذلك العبد لا يقدر على الإنفراد بفعله، ولو أراد الله الإنفراد بإحداث ماهو كسب للعبد قدر عليه ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلا وإن وجد الفعل بقدرة الله تعالى"[(٤)] .

"والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع المقدور ولا صفة من صفاته بها، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه، وتابعه على ذلك عامة أصحابه"[(٥)] .

ومنشأ الغلط عندهم هو عدم تفريقهم بين ما يقوم بالله من الأفعال، وما هو

---

(١) شفاء العليل (١/ ٣٦٩) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص: ٥٣٩) .

(٣) غاية المرام للآمدي (ص: ٢٢٣) .

(٤) أصول الدين للبغدادي (ص: ١٣٣- ١٣٤) .

(٥) شفاء العليل (١/ ٣٦٩) .

منفصل عنه فيقولون الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، ولذلك قالوا في أفعال العباد هي مفعولة لله وهي فعله .

قال شيخ الإسلام في بيان ذلك: "....طائفة من أهل الكلام المثبتين للقدر ظنوا أن الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق، فلما اعتقدوا أن أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله، قالوا: فهي فعله فقيل لهم: مع ذلك أهي فعل العبد ؟ فاضطربوا فمنهم من قال هي كسبه لا فعله، ولم يفرقوا بين الكسب والفعل بفرق محقق، ومنهم من قال بل هي فعل بين فاعلين، ومنهم من قال بل الرب فعل ذات الفعل والعبد فعل صفاته. والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله، بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها، فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله، كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها، وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله فهي فعل العبد وهي مفعولة للرب . لكن هذه الصفات لم يخلقها الله بتوسط قدرة العبد ومشيئته بخلاف أفعاله الاختيارية، فإنه خلقها بتوسط خلقه لمشيئة العبد وقدرته، كما خلق غير ذلك من المسببات بواسطة أسباب أخر"[1] .

فإذاً ما ذكر في كتب علوم القرآن من نسبتهم لما أضيف إلى العباد بأنه كسب له، وأنه لا تأثير له هو قول الأشاعرة ، وهو قول باطل من وجوه:

الأول: أن كسب الأشاعرة لا حقيقة له، وأنه لا يعقل معناه، ولذلك اضطربوا في

---

(١)مجموع الفتاوى (٢/ ١١٩- ١٢٠) .

تصور معناه، وتعريفه . وهذا دليل واضح على بطلان قولهم .[1]

الثاني: أن حقيقة مذهبهم تؤول إلى مذهب الجهمية الجبرية القائلين بإن العبد مجبور على أفعاله وذلك؛ لأن القدرة إذا لم يكن لها تأثير أصلاً في الفعل، كان وجودها كعدمها .

وقد صرح الإيجي بذلك" فقال " إن العبد مجبور على جميع أفعاله"[2]

ولذلك قال جمهور العقلاء عن هذا القول إنه كلام متناقض غير معقول.[3]

الثالث: "أن الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمد ويذم على فعله ويكون حسنة له أو سيئة، فلو لم يكن إلا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها"[4]

الرابع: "أن من المستقر في فطر الناس، أن من فعل العدل هو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب، فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلاً لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم"[5] وهذا من أبطل الباطل .

وبهذا يعلم أن الله هدى المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار، وليس مجبور على فعله،وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حقيقية، فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه

---

(١) انظر كتاب النبوات لابن تيمية (١/ ٤٦٢) .

(٢) المواقف (ص: ٣٢٤) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ١١٩- ١٢٠) .

القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم .

وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض.[(١)]

أما الجواب عن تفسير الزركشي والسيوطي للآية فيقال إن هذه الآية من أدلة الأشاعرة في إثبات الكسب .

وجوابه أن يقال: أن القتل والرمي الذي نفاه الله عنهم، وعن نبيه ﷺ هو القتل والرمي الخارج عن قدرة العبد المعتاد، وليس هو فعل العبد، ومباشرته للقتال والرمي، وذلك؛ لأن قتلهم حصل بأمور خارجة عن قدرتهم مثل إنزال الملائكة وإلقاء الرعب في قلوبهم .

وكذلك رميه ﷺ لم يكن في قدرته أن التراب يصيب أعينهم كلهم ويرعب قلوبهم، وإنما كان مقدوره كان هو الحذف والإلقاء، فلذلك نفي عنهم لعدم قدرتهم عليه، ويؤيد هذا أن هذا النفي لم يأت في شيء من الأفعال المأمور بها إلا في القتل والرمي ببدر ولو كان هذا لعموم خلق الله أفعال العباد لم يختص ببدر .

وبذلك يصح الجمع بين النفي والإثبات) ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أي ما أصبت ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ إذ طرحت، ولكن الله رمى أصاب.[(٢)]

---

(١) انظر شفاء العليل (١/ ١٩٩- ٢٠٠) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٤٠)

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ١٨) و(١٥/ ٤٠) وشفاء العليل، (١/ ٢١٧) وتفسير الطبري (٩/ ٢٠٤-٢٠٥) وتفسير السمعاني (٢/ ٢٥٤) وتفسير البغوي (٢/ ٢٣٧-٢٣٨) .

تنبيه:

أورد الزركشي رحمه الله في وقوع التعارض بين الآية والحديث قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل: ٣٢] مع قوله ﷺ "**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**"[١] وأجاب عن ذلك، قال الزركشي: (فصل في وقوع التعارض بين الآية والحديث).

ومنه قوله تعالى﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ مع قوله ﷺ "**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**".

وأجيب بوجهين:

أحدهما: ونقل عن سفيان وغيره كانوا يقولون: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل له حديث أبي هريرة إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم " رواه الترمذي[٢] .

والثاني: أن الباء في الموضعين مدلولها مختلف ففي الآية باء المقابلة وهي الداخلة على الأعراض وفي الحديث للسببية؛ لأن المعطي بعوض قد يعطي مجانا .

وأما المسبب فلا يوجد بدون السبب ومنهم من عكس هذا الجواب .

وقال: الباء في الآية للسببية، وفي الحديث للعوض، وقد جمع النبي صلى الله عليه و سلم بقوله "**سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**"[٣].

فالزركشي ذكرهنا ثلاثة أجوبة ، اثنان منها متجهان، وهما الأول والثالث كم سيأتي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٣٧٣) برقم (٦٠٩٨) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٠) برقم (٢٨١٦) .

(٢) (٤/ ٦٨٥) برقم (٢٥٤٩) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٣) البرهان (٢/ ٤٣).

أما الثاني وهو القول بأن الباء في الآية باء المقابلة فغلط؛ فإن الله جعل الأعمال سبباً لدخول الجنة، ولم يجعلها عوضاً ، وعلى هذا تكون الباء التي في الإثبات غير الباء التي في النفي .

فالمنفي في قوله ﷺ **"لن يدخل الجنة أحد بعمله"** باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل الجنة .

والباء التي في قوله تعالى ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٤] وغيرها باء السبب أي بسبب عملكم .

وفي بيان هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: قوله ﷺ: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالاقتصاد، قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله" وقال: **"إن هذا الدين متين وإنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد تبلغوا"** .

فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا .

فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة إن زاد زاد أجرته وإن نقص نقص أجرته، وله عليه أجرة يستحقها، كما يستحق البائع الثمن فنفى ﷺ أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة .

والباء هنا كالباء الداخلة في المعاوضات، كما يقال استأجرت هذا بكذا وأخذت أجرتي بعملي وكثير من الناس قد يتوهم ما يشبه هذا وهذا غلط من وجوه: **أحدها:** أن الله تعالى ليس محتاجا إلى عمل العباد كما يحتاج المخلوق إلى عمل من يستأجره بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح **"إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني"**[(١)] والعباد إنما يعملون لأنفسهم كما قال تعالى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٨١٦)

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾وقال ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة ويعطونه أجرة نفعه لهم .

الثاني: أن الله هو الذي من على العامل بأن خلقه أولا وأحياه ورزقه، ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب، ثم بأن يسر له العمل وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان .

والمخلوق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره، فكيف يتصور أن يكون للعبد على الله عوض وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به ؟ وهل تكون إحدى نعمتيه عوضا عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكلتيهما ؟

الوجه الثالث: أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ، ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلا له ومعادلا حتى يكون عوضا، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل .

الرابع: أن العبد قد ينعم ويمتع في الدنيا بما أنعم الله به عليه مما يستحق بإزائه أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة...

الخامس: أن العباد لا بد لهم من سيئات ولا بد في حياتهم من تقصير، فلولا عفو الله لهم عن السيئات، وتقبله أحسن ما عملوا لما استحقوا ثوابا .. .... ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طلبت الشفاعة من أفضل الخلق آدم ونوح وإبراهيم وموسى واعتذر كل منهم بما فعل "قال لهم عيسى اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[(١)] .

ولهذا قال في الحديث لما "قيل له ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه" فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله وتجاوزه عن العبد وإلا

---

(١) تقدم تخريجه .

فلو ناقشه على عمله لما استحق به الجزاء قال الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾[الأحقاف: ١٦] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الزمر: ٣٣ – ٣٥].

وإذا تبين ذلك، أفاد هذا الحديث، ألا يعجب العبد بعمله بل يشهد نعم الله عليه وإحسانه إليه في العمل وأنه لا يستكثر العمل، فإن عمله لو بلغ ما بلغ إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه لم يستحق به شيئا...

فقوله ﷺ: **"سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله"** ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولد اعتقادها هذه المفاسد، وقوله: ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يثبت السبب الموجب لأن يفعله العبد ...

فالعمل الصالح في الدنيا سبب للدخول والدرجة، وإن كان الله يدخل الجنة بدون هذا السبب . كما يدخل الأبناء تبعا لآبائهم، وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدونه، كالموت الذي يكون بالقتل، ويكون بدون القتل، ومن فهم أن السبب لا يوجب المسبب، بل لا بد أن يضم الله إليه أمورا أخرى وأن يدفع عنه آفات كثيرة وأنه قد يخلق المسبب بدون السبب[1] " .

وقال رحمه الله في موضع آخر بعد مابين أن الباء في الآية سببيه، وأن الباء في الحديث باء العوض "....وهنا ضل فريقان فريق: أخذوا بالقدر وأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة وظنوا أن ذلك كاف وهؤلاء يؤول أمرهم إلى الكفر بالله وكتبه ورسله .

وفريق: أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر متكلين

---

(١) جامع الرسائل (١/ ١٤٧– ١٥٢) .

على حولهم وقوتهم وعملهم وهم جهال ضلال، فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به عن حاجة منه إليهم، وإنما أمرهم بما فيه صلاحهم، ولا نهاهم عن شيء بخلا بل نهاهم عما فيه فسادهم، وكما قال يا عبادي لن تبلغوا ضري"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله" وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلا بدخولها، وإن كان سببا، ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله" ولا تنافي بين الأمرين لوجهين: **أحدهما**: ما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ويدل على هذا حديث أبي هريرة **"أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم"**[2] .

والثاني: أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلا بحصوله، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله **"سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحدا منكم لن ينجو بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا ألا أن يتغمدني الله برحمته"** ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله سبحانه وتعالى المستعان"[3] .

أما ما ذكره الزرقاني من أن الخلاف بين المعتزلة وبين أهل السنة في خلق أفعال العباد خلاف سائغ وأن لهم وجه نظر قوية وسائغة فيها، فهذا زعم باطل، فكيف

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ١٨١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٥) برقم (٢٥٤٩) وقال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .

(٣) حادي الأرواح (ص: ٦١) .

يكون الخلاف سائغاً وقد جعلوا شريكاً لله تعالى في خلقه؟، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتت خالقَين، وهم أثبتوا خالِقين، ولاشك أن قولهم تكذيب لله ورسوله، فهم قد أخذوا بعض النصوص، وتركوا نصوصاً أخرى كثيرة، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . فكيف يكون قولهم قوياً وسائغاً ؟

وهذا القول من قائله دليل على قله علمه، وفقهه لما يسوغ الخلاف فيه وما لا يسوغ .

والعجيب من الزرقاني!! أنه في موضع آخر تعقب الزمخشري، ورد عليه في هذه المسألة وبين بطلان قوله ؟(1) .

وبعد أن قرر أن الخلاف بين أهل السنة (الأشاعرة عنده) والمعتزلة سائغٌ، أنكر تجريح الفرقة المخالفة، لهذه المسألة وذلك؛ لأن الله لم يكلفنا العلم بهذه المسألة، ولم يفرضها علينا وذكر أن السلف الصالح لم يتكلموا في هذه المسألة، وأن الواجب علينا أن نلوذ بالصمت .

قال " ... فكيف يرضى منصف إذاً بتجريح إحداهما ورميها بأشنع التهم من كفر أو شرك أو هوى وماذا علينا أن نرجح ما نرجح من غير تسفيه للجانب الآخر بل ماذا علينا أن نلوذ بالصمت ونعتصم بالسكوت فلا نخوض في أمثال هذه الدقائق العويصة والمسالك الملتوية البعيدة لا سيما أن الرحمن الرحيم لم يكلفنا بها ولم يفرضها علينا .

ولقد كان سلفنا الصالح يؤمنون بوحدانية الله وعدله ويؤمنون بقدره وأمره ويؤمنون بهذه النصوص وتلك النصوص، ويؤمنون بأن العبد يعمل ما يعمل، وأن الله خالق كل شيء، ويؤمنون بأنه تعالى تنزه في قدره عن أن يكون مغلوبا أو عاجزا

---

(1) انظر مناهل العرفان (٢/ ٦١).

وتنزه في أمره وتكليفه عن أن يكون ظالما أو عابثا، ثم بعد ذلك يصمتون فلا يخوضون في تحديد نصيب عمل الإنسان الاختياري من قدرة الله ونصيبه من قدرة العبد ولا يتعرضون لبيان مدى ما يبلغ فعل الله في قدره ولا لبيان مدى ما يبلغ فعل العبد في أمثال أمره ذلك ما لم يعلموه ولم يحاولوه؛ لأنهم لم يكلفوه وكان سبحانه أرحم بعباده من أن يكلفهم إياه؛ لأنه من أسرار القدر أو يكاد والعقل البشري محدود التفكير ضعيف الاستعداد ومن شره العقول طلب ما لا سبيل لها إليه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥] "[1].

فقوله: إن الله لم يكلفنا العلم بهذه المسألة وأن السلف الصالح لم يتكلموا فيها قول باطل ظاهر البطلان، وذلك لأن القول بأن العباد يخلقون أفعالهم، فيه تنقص لمقام الربوبية وجناية على رب العالمين، وتكذيب لما جاء في النصوص، وذلك أن النصوص الشرعية متواترة في إثبات خلق الله لأفعال العباد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الزمر: ٦٢ – ٦٣] وقال تعالى: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٦٢] والنصوص في هذا المقام كثيرة، فيدخل في ذلك خلقه عزوجل لأفعال العباد.

ومن أصرح الأدلة وأوضحها دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى قوله تعالى "﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] فهذه الآية صريحة في إثبات خلق الله لأفعال العباد، وإن كانت الآيات السابقة دالة على ذلك ولكن هذه الآية أصرح منها.

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٣٦-٣٧).

ومن الأحاديث الدالة على إثبات خلق الله لأفعال العباد ماصح عن النبيﷺ أنه قال: **"إن الله يصنع كل صانع وصنعته"** قال البخاري رحمه الله"... وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة"[(١)].

وفي لفظ آخر: **" إن الله خالق كل صانع وصنعته"**[(٢)].

وروي هذا عن حذيفة رضي الله عنها موقوفاً[(٣)].

قال البيهقي" فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف ما دلت عليه الآيات، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقي الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلقه ولكانوا أتم قدرة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه..."[(٤)].

ومما جاء عن السلف ما قاله يحيى بن سعيد[(٥)] رحمه الله "مازلت أسمع من أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة"[(٦)].

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني" ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد إنها مخلوقة لله تعالى، لا يمترون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه"[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٦٦) برقم (١٢٤) والبيهقي في القضاء والقدر(ص: ١٧١) وصحح الحديث ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٦٧) برقم (٢٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٦٧).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٤٤).

(٥) هو يحيى بن سعيد بن فروخ الحافظ الكبير أبو سعيد التميمي مولاهم، البصري القطان كان رأساً في العلم والعمل، توفي سنة ١٩٨هـ انظر الكاشف للذهبي (٢/ ٣٦٦).

(٦) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٧٠).

(٧) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٧٩- ٢٨٠).

وقد بوب الإمام اللالكائي باباً فقال " سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عزوجل وما روي من سنة رسول الله ﷺ في إثبات القدر وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين، من علماء الأمة أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عزوجل طاعاتها ومعاصيها"[1] وذكر ما روي عن الصحابة والتابعين في ذلك .

وبهذا يعلم بطلان قوله إن الله لم يفرض علينا العلم بهذه المسألة وأن السلف لم يتكلموا بهذه المسألة .

ويرى الزرقاني عدم تضليل المعتزلة يقول " الخلاف في لواحق العقائد والأصول كثير الشبه بالخلاف في الأحكام والفروع؛ لهذا كله تراني لا أذهب مع الذاهبين في تضليل المعتزلة وتسفيه أحلامهم ونبزهم بألقاب الكفر والفسوق كما لا أذهب مع الذاهبين في تجهيل أهل السنة وتحقيرهم ونبزهم بالجهالة والجمود والهوى ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور: ١٦ – ١٨] "[2] .

وهذا القول منه مخالف لما أجمع عليه سلف هذه الأمة، وذلك أن هذه الفرقة اتفق السلف على تضليلهم، بل حذروا من مجالستهم والإستماع إلى حديثهم، وسأورد بعض ما جاء عن السلف في ذلك .

جاء عن ابن طاووس[3] رحمه الله لما كان ابنه جالسا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم قال فأدخل ابن طاوس أصبعيه في أذنيه، وقال لابنه أي بني أدخل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٨٩) .

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٣٧) .

(٣) هو عبدالله بن طاووس الإمام المحدث الفقيه أبو محمد اليماني، سمع من أبيه وأكثر عنه ومن عكرمة وعمرو بن شعيب، ولم يأخذ عن الصحابة، قال الذهبي" ويسوغ أن يعد من صغار التابعين لتقدم وفاته وكان من أعلم الناس بالعربية توفي سنة ١٣٢هـ انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٣) .

أصبعيك في أذنيك واسدد لا تسمع من كلامه شيئا"[1] .

وقد كانوا يحذرون من سماع كلامهم وحضور مجالسهم، بل يرون هجرانهم وعدم السلام عليهم وقد بوب الآجري " باب ذكر هجرة أهل البدع والأهواء " ثم قال: "ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا أن يهجر جميع أهل الأهواء من مثل الخوارج والقدرية والمرجئة والجهمية وكل من ينتسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، وصح عنه ذلك فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه، ولا يجالس، ولا يصلى خلفه ولا يزوج، ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه ولا يعامله ولا يناظره ولا يجادله، بل يذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك. فإن قال قائل: فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله .؟ قيل له: لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلاما يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت . إلا أن يضطرك الأمر إلى مناظرته، وإثبات الحجة عليه بحضرة سلطان أو ما أشبهه لإثبات الحجة عليه . فأما لغير ذلك فلا . وهذا الذي ذكرته لك مقول من تقدم من أئمة المسلمين، وموافق لسنة رسول الله "[2] .

ومما جاء عن الأئمة في تضليل المعتزلة ما قاله الإمام الطحاوي بعد ذكره لعقيدته، قال رحمه الله "فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الدرية، مثل المشبهة والمعتزلة، والجهيمة والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة، وخالفوا

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٤/ ٢٩٨- ٢٩٩) والبيهقي في كتاب القضاء والقدر (ص: ٣٢٣).
(٢) الشريعة (٥/ ٢٥٤٠).

الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق "[1].

وباستعراض بعض عقائد المعتزلة يظهر فيه ضلالهم، وبعدهم عن الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف، فهم " مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات، ومن أصولهم الفاسدة أنهم يصفون الله بما يخلقه في العالم، إذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به، فيسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره، ومريد بإرادة يحدثها لا في محل .

وقولهم: أن رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذي يخلقه من الثواب والعقاب .

وقولهم: أنه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الأقوال التي إذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة عليهم لا سيما لما أظهروا القول بأن القرآن مخلوق، وعلم السلف أن هذا في الحقيقة هو إنكار لكلام الله تعالى وأنه لو كان كلامه هو ما يخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له فيكون إنطاقه للجلود يوم القيامة وإنطاقه للجبال والحصى بالتسبيح وشهادة الأيدي والأرجل ونحو ذلك كلاما له"[2] .

"وقد بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك العدل، ثم تكلموا في النبوة والشرائع، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين

---

(١) العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز (٢/ ٧٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٥) .

المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال، فهذه أصولهم الخمسة التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول"[1].

فهل يشك بعد ذلك في تضليل هذه الفرقة أو يتوقف في تضليلها ؟

* * *

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٤٠٣)

المبحث الثاني: التحسين والتقبيح

تكلم الزرقاني عن هذه المسألة عند إيراده شبهة المنكرين لجواز النسخ عقلاً، وأجاب عن شبهتهم، ولكن قرر فيها رأي الأشاعرة، قال: "الشبهة الرابعة ودفعها" يقولون إن النسخ يستلزم اجتماع الضدين واجتماعهما محال، وبيان ذلك أن الأمر بالشيء يقتضي أنه حسن وطاعة ومحبوب لله، والنهي عنه يقتضي أنه قبيح ومعصية ومكروه له تعالى، فلو أمر الله بالشيء ثم نهى عنه أو نهى عن الشيء ثم أمر به لاجتمعت هذه الصفات المتضادة في الفعل الواحد الذي تعلق به الأمر والنهي".
ثم قال: "وندفع هذه الشبهة بأن الحسن والقبح وما اتصل بهما ليست من صفات الفعل الذاتية حتى تكون ثابتة فيها لا تتغير، بل هي تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل، وعلى هذا يكون الفعل حسنا وطاعة ومحبوبا لله ما دام مأمورا به من الله، ثم يكون هذا الفعل نفسه قبيحا ومعصية ومكروها له تعالى ما دام منهيا عنه منه تعالى .
والقائلون بالحسن والقبح العقليين من المعتزلة يقرون بأنهما يختلفان باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، وبهذا التوجيه ينتفي اجتماع الضدين؛ لأن الوقت الذي يكون فيه الفعل حسنا غير الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحا فلم يجتمع الحسن والقبح في وقت واحد على فعل واحد"[1].

وقال في عرض شبهة المنكرين لجواز نسخ الطلب قبل التمكن من امتثاله .
الشبهة الثالثة ودفعها "يقولون إذا قال الشارع صوموا غدا لزم أن يكون صوم الغد حسنا وفيه مصلحة، فإذا نهى عنه قبل مجيء الغد لزم أن يكون قبيحا فيه مفسدة، واجتماع الحسن والقبح في شيء واحد في آن واحد محال" .

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ١٥٧) .

قال: وندفع هذه الشبهة:

أولا: بأنها قامت على أساس باطل هو قاعدة الحسن والقبح العقليين وتقرير بطلان هذه القاعدة معروف عند الأشاعرة من أهل السنة .

ثانيا: أن نهي الشارع عن الشيء المطلوب قبل التمكن من أدائه يتبين منه أن ذلك الشيء قبيح عقلا متى نهى الله عنه، أما طلبه قبل ذلك فلا يدل على حسنه هو إنما يدل على حسن ما اتصل به مما استلزمه ذلك الطلب وهو إيمان العباد به واطمئنان نفوسهم إليه وعزمهم على تنفيذه وفي ذلك ما فيه من ترويضهم على الطاعة وتعويدهم الامتثال وإثابتهم على حسن نياتهم وكأن المأمور به في هذه الصورة هو المقدمات التي تسبق الفعل لا نفس الفعل بدليل نسخ الفعل قبل التمكن من امتثاله لكنهم أمروا بالفعل نفسه لأن عزمهم عليه والإتيان بمقدماته لا يتأتى إلا بالأمر على هذه الصورة فتأمل"[1] .

فالزرقاني هنا قرر رأي الأشاعرة في هذه المسألة ، وقد اختلفت أقوال الطوائف في هذه المسألة، وقبل أن أذكر الأقوال أحرر محل النزاع.

تحرير محل النزاع:

لانزاع بين الطوائف في معرفة العقل كون الفعل ملائماً للفاعل، نافعاً له أو كونه ضاراً له منافراً، وكذلك في كونه قد يكون صفة كمال وصفة نقص . هذا محل اتفاق الجميع، وإنما النزاع في كون الفعل سبباً للثواب والعقاب، أي أن ما يعرف حسنه وقبحه عقلاً هل مستلزم ذلك للثواب والعقاب ؟[2] .

فالمعتزلة يرون أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والحاكم بالحسن

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ١٨٠) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٩٠) و (١١/ ٣٤٧) ومنهاج السنة (١/ ٤٤٩) و(٣/ ٢٨) ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٤١٢) .

والقبح هو العقل، فمنشأ الحسن والقبح نفس الفعل، والشرع كاشف ومبين لهما، والثواب مترتب عليهما، وإن لم يرد الشرع بذلك [1]. وبناء على ذلك قالوا إن الشرك والظلم والكذب ونحوها من القبائح معلومة بالعقل، وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة، وإن لم يأتهم رسول .[2]

وأما الأشاعرة قالوا إن الحسن والقبح شرعيان، فلا يدرك حسن الشيء وقبحه إلا بالشرع، فهما صفتان إضافيتان في الأفعال فلا تدرك بالعقل، وعلى هذا قالوا لا حسن ولا قبيح، ولا شر فيهما قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه لا تفعل، والحسن ما قيل فيه افعل، فإذاً الحسن والقبح نشأ من نفس تعلق الأمر والنهي به، ولو عكست القضية فحسن ما قبحه، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً والثواب والعقاب مترتب على التحسين والتقبيح الشرعيين .[3]

وهدى الله أهل السنة والجماعة فقالوا إن الحسن والقبح ثابت بالعقل والسمع، فهم يثبتون التحسين والتقبيح شرعياً وعقلياً، ولذلك قالوا الشرك والظلم والكذب كل ذلك شر وقبيح، قبل مجيء الرسول، ولكن العقوبة إنما تستحق بمجيء الرسول، فإذاً الحسن والقبح العقلي لا يستلزم التعذيب وإنما يستلزمه مخالفة المرسلين، وبهذا قال عامة السلف وأكثر المسلمين وعليه يدل الكتاب والسنة.[4]

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله حقيقة الخلاف بين الطوائف فقال " إذا أمر الله بأمر، فإنه حسن بالإتفاق، وإذا نهى عن شيء فإنه قبيح بالإتفاق، لكن حسن

---

(١) انظر المغني (٦/ ٢٦، ٣٠ – ٣٤) والمحيط بالتكيف (ص: ٢٣٥، ٢٣٩) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١١/ ٦٧٧) .

(٣) انظر الإرشاد (ص: ٢٥٨) ونهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص: ٢٠٨) ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (ص: ٢٠٢) والمواقف للإيجي (ص: ٣٢٣) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٩٠، ٤٣١) و(٣/ ١١٤) ودرء التعارض (٨/ ٤٩٢) والرد على المنطقيين (ص:٤٦٥) ومفتاح دار السعادة (٢/ ٣٣٠) ومدارج السالكين (٣/ ٤٨٨) ، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٨٤) .

الفعل وقبحه.

إما: أن ينشأ من نفس الفعل، والأمر والنهي كاشفان،أو: ينشأ من نفس تعلق الأمر والنهي به، أو: من المجموع ، فالأول: قول المعتزلة ... والثاني: قول الأشعرية ومن وافقهم من الظاهرية ..وهؤلاء يجعلون علل الشرع مجرد أمارات، ولا يثبتون بين العلل والأفعال مناسبة .. وإما أن يكون ذلك ناشئاً من الأمرين وهذا مذهب الأئمة "[1].

قال ابن القيم" وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت للفعل في نفسه، وأنه لا يعذب الله عليه إلا بعد إقامة الحجة بالرسالة، وهذه النكتة هي التي فاتت المعتزلة والكلابية كليهما، فاستطالت كل طائفة منهما على الأخرى لعدم جمعها بين هذين الأمرين، فاستطالت الكلابية على المعتزلة بإثباتهم العذاب قبل إرسال الرسل، وترتيبهم العقاب على مجرد القبح العقلي، وأحسنوا في رد ذلك عليهم، واستطالت المعتزلة عليهم في إنكارهم الحسن والقبح العقليين جملة وجعلهم انتفاء العذاب قبل البعثة دليلاً على انتفاء القبح واستواء الأفعال في أنفسها، وأحسنوا في رد هذا عليهم، فكل طائفة استطالت على الأخرى بسبب إنكارها الصواب،
وأما من سلك هذا المسلك الذي سلكناه فلا سبيل لواحدة من الطائفتين إلى رد قوله، ولا الظفر عليه أصلاً فإنه موافق لكل طائفة على ما معها من الحق مقرر له، مخالف لها في باطلها، منكر له "[2].

وقال رحمه الله في توضيح المذهب الحق " والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل ....أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضاره والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا

---

(١) شرح الأصفهانية (ص: ٧٠٤- ٧٠٥) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٣٠- ٣٣١) .

عقاب إلا بالأمر والنهي وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحا موجبا للعقاب مع قبحه في نفسه بل هو في غاية القبح والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع"[1] .

وبهذا يعلم أن الزرقاني في قوله " إن الحسن والقبح وما اتصل بهما ليست من صفات الفعل الذاتية حتى تكون ثابتة فيها لا تتغير بل هي تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل وعلى هذا يكون الفعل حسنا وطاعة ومحبوبا لله ما دام مأمورا به من الله ثم يكون هذا الفعل نفسه قبيحا ومعصية ومكروها له تعالى ما دام منهيا عنه منه تعالى" قد تابع فيه الأشاعرة.

يقول الجويني " العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع، وموجب السمع "[2] .

ومنشأ الغلط عندهم: أنهم لما اتفقوا على أن الحسن والقبح إذا فسرا بكون الفعل نافعاً للفاعل ملائماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفة ذلك بالعقل، ظنوا أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن كونه نافعاً للفاعل ملائماً له، وكونه ضاراً للفاعل منافراً له، وليس الأمر كذلك بل جميع ما أمر الله به وما أوجبه وندب إليه نافعة لفاعليها ومصلحة لهم، وجميع الأفعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم .[3]

ولاشك في بطلان قولهم هذا وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا القول مخالف للنصوص الشرعية، وذلك أن القرآن مملوء

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣١).

(٢) الإرشاد (ص: ٢٥٨) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٩٠).

بذكر أن الحسن والقبح ثابتان في الأشياء في أنفسها ومن ذلك قوله تعالى" ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾[الأعراف: ٢٨ – ٢٩] فبين الله أنها فحشاء بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ " فهذا "دليل على أنها في نفسها فحشاء، وأن الله لا يأمر بها يكون كذلك، ولو كان كونه فاحشة إنما علم بالنهي خاصة كان بمنزلة أن يقال إن الله لا يأمر بما نهى عنه، وهذا يصان منه كلام آحاد العقلاء، فكيف بكلام رب العالمين" .[1]

وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فهذا دليل على أنها فواحش في نفسها لا تستحسنها العقول، فعلق بها التحريم لفحشها [2] .

وقوله تعالى في وصف نبينا عليه السلام، ووصف رسالته ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وجه الدلالة" أن الله أمرهم بالمعروف الذي تعرفه العقول، وتقر بحسنه الفطر، فأمرهم بما هو معروف في نفسه عند كل عقل سليم، ونهاهم عما هو منكر في الطباع والعقول بحيث إذا عرض على العقول السليمة أنكرته أشد الإنكار،كما أن ما أمر به إذا عرض على العقل السليم قبله أعظم قبول وشهد بحسنه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: بم عرفت أنه رسول الله ؟

فقال ما أمر بشيء فقال العقل: ليته ينهى عنه ! ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به" .

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٣٥) .

(٢) انظر المصدر السابق (٢/ ٣٢٩).

فهذا الأعرابي قد أقر عقله وفطرته بحسن ما أمر به، وقبح ما نهى عنه، ومما يدل على صحة ذلك قوله:"﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾" فهذا صريح في أن الحلال كان طيباً قبل حله، وأن الخبيث كان خبيثاً قبل تحريمه، إذ لوكان الطيب والخبيث إنما استفيد من التحريم والتحليل كان بمنزلة أن يقال يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم، وهذا باطل إذ لا فائدة فيه.[1]

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يحتج على فساد مذهب من عبد غيره بالأدلة العقلية التي تقبلها الفطر والعقول، ويجعل ما ركبه في العقول من حسن عبادة الخالق وحده وقبح عبادة غيره، وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر هاهنا، ولولا أنه مستقر في العقول والفطر حسن عبادته وشكره وقبح عبادة غيره وترك شكره لما احتج عليهم بذلك أصلا، وإنما كانت الحجة في مجرد الأمر وطريقة القرآن صريحة فيه " كقوله تعالى حكاية عن صاحب ياسين أنه قال لقومه محتجا عليهم بما تقر به فطرهم وعقولهم ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يس: ٢٢] "فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله وهو أن كونه سبحانه فاطرا لعباده يقتضي عبادتهم له وأن من كان مفطورا مخلوقا فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه ولا سيما إذا كان مرده إليه فمبدأه منه ومصيره إليه وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته ثم احتج عليهم بما تقر به عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره وإنها أقبح شيء في العقل وأنكره فقال: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يس: ٢٣ – ٢٤] أفلا تراه كيف لم يحتج عليهم بمجرد الأمر بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة".

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٢٧- ٣٢٩) .

وقولــه تعــالى" ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج: ٧٣]، "فضرب لهم سبحانه مثلا من عقولهم يدلهم على قبح عبادتهم لغيره وإن هذا أمر مستقر قبحه وهجنته في كل عقل وإن لم يرد به الشرع وهل في العقل أنكر وأقبح من عبادة من لو اجتمعوا كلهم لم يخلقوا ذبابا واحدا وإن يسلبهم الذباب شيئا لم يقدروا على الانتصار منه واستنقاذ ما سلبهم إياه وترك عبادة الخلاق العليم القادر على كل شيء الذي ليس كمثله شيء أفلا تراه كيف احتج عليهم بما ركبه في العقول من حسن عبادته وحده وقبح عبادة غيره"(١).

فهذه الأدلة دالة على إثبات الحسن والقبح العقليين .

الوجه الثالث : أن إنكار التحسين والتقبيح العقلي بدعة ابتدعها الأشعري، لم يقله أحد من سلف الأمة وذلك أن المعتزلة لما قرروا مذهبهم بإثبات التحسين والتقبيح العقليين ، وتعلق العذاب بهما، أظهر الأشعري قوله مبالغة منه في مخالفة المعتزلة (٢) وقد بين السجزي رحمه الله كيف أظهر الأشعري هذا القول فقال رحمه الله" ... وإنما ضاق به النفس لما قالت له المعتزلة، الظلم قبيح في العقل، وإذا أراد الله شيئاً ثم عذب عليه كان ظلماً فركب الطريقة الشنعاء في أن لا حسن في العقل ولا قبيح "(٣).

الوجه الرابع: أنه يلزم من قولهم هذا لوازم باطلة وهي أن "الأفعال كلها سواء في نفس الأمر وأنها غير منقسمة في ذواتها إلى حسن وقبيح ولا يميز القبيح بصفة اقتضت قبحه بحيث يكون منشأ القبح وكذلك الحسن فليس للفعل عندهم منشأ حسن ولا قبح ولا مصلحة ولا مفسدة ولا فرق بين السجود للشيطان والسجود

---

(١) مفتاح درا السعادة (٢/ ٣٣١- ٣٣٣) .

(٢) انظر درء التعارض (٩/ ٥٠) والرد على المنطقيين (ص: ٤٦٥) .

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٤٠) .

للرحمن في نفس الأمر ولا بين الصدق والكذب ولا بين السفاح والنكاح إلا أن الشارع حرم هذا وأوجب هذا فمعنى حسنه كونه مأمورا به لا أنه منشأ مصلحة ومعنى قبحه كونه منهيا عنه لا أنه منشأ مفسدة ولا فيه صفة اقتضت قبحه ومعنى حسنه أن الشارع أمر به لا أنه منشأ مصلحة ولا فيه صفة اقتضت حسنه"[1].

ولاشك في بطلان هذا اللازم وذلك لأن الله قد فطر عباده عن استحسان الصدق والعدل والكرم ، وفطرهم على استقباح أضدادها .

الوجه الخامس : أن قولهم هذا مبني على قولهم بنفي الأسباب والحكم عن أفعال الله تعالى، فإنهم يقولون إن الله خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع بل فعل ذلك لمحض المشيئة والإرادة فلما نفوا التعليل عن أفعال الله[2]، منعوا التحسين والتقبيح عقلاً .[3]

قال ابن القيم " وكل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه وما تضمنه من المصالح ودرء المفاسد فلا يمكنه ذلك إلا بتقرير الحسن والقبح العقليين إذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهى لم يتعرض في إثبات ذلك لغير الأمر والنهي فقط"[4] .

الوجه السادس : أن الأشاعرة لم يلتزموا بقولهم السابق في التحسين والتقبيح الشرعيين، بل ناقضوا أنفسهم، وذلك بقولهم بوجوب معرفة الله، بالنظر أو القصد إلى ذلك . وهذا كاف في بطلان قولهم .

وقد عقد السجزي رحمه الله فصلاً في أن الأشاعرة متفقون مع المعتزلة في كثير من مسائل الأصول، قال رحمه الله " الفصل الخامس في بيان أن فرق اللفظية والأشعرية موافقون في كثير من مسائل الأصول وزائدون عليهم في القبح وفساد

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر نهاية الإقدام للشهرستاني (ص: ٢٢٢) والمواقف للإيجي (ص: ٣٣١- ٣٣٢) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٨١- ٩٠، ٤٢٨- ٤٢٩) وانظر شرح الأصفهانية (ص: ٧٠٥) .

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٤٠٨) .

القول في بعضها، وذكر من جملة ذلك هذه المسألة فقال " قالت المعتزلة الزنا والسرقة، وأخذ أموال الناس بغير حق، وما شاكل ذلك حرام وهو قبيح في العقل قبل التحريم.

وقال الأشعري: العقل لا يقتضي حسن شيء ولا قبحه، وإنما عرف القبيح والحسن بالسمع، ولولا السمع ما عرف قبح شيء ولا حسنه، ثم زعم أن معرفة الله سبحانه واجبة بالعقل، قبل ورود السمع، وأن تارك النظر فيها مع التمكن منه مستحق العقوبة "[1]

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله وجه تناقضهم

قال رحمه الله" قول من يقول لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم فإنه على هذا التقدير لا وجوب إلا بعد البلوغ على المشهور، وعلى قول من يوجب الصلاة على ابن عشر سنين أو سبع لا وجوب على من لم يبلغ ذلك ، وإذا بلغ هذا السن فإنما يخاطبه الشرع بالشهادتين وإن كان لم يتكلم بهما وإن كان تكلم بهما خاطبه بالصلاة

وهذا هو المعنى الذي قصده من قال أول الواجبات الطهارة والصلاة فإن هذا أول ما يؤمر به المسلمون إذا بلغوا أو إذا ميزوا"[2]

وبهذا يعلم بطلان قولهم بنفي التحسين والتقبيح العقليين .

* * *

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ١٣٧ - ١٣٩)

(٢) درء التعارض (٨/ ١٢)

المبحث الثالث: حقيقة الظلم

يرى الزرقاني أن الظلم "حقيقته أنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه ولا ملك إلا لله " ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الأعراف: ١٥٨] ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣] فلا ظلم في فعله تعالى على أي وجه كان"(١) .

وما ذكره الزرقاني هو حقيقة الظلم عند الأشاعرة فإنهم قالوا الظلم من الله، لا حقيقة له يمكن وجودها، بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها، فلا يجوز أن يكون مقدوراً ولا أن يقال إنه هو تارك له باختياره ومشيئته، وإنما هو من باب الجمع بين الضدين، وجعل الجسم الواحد في مكانين وكون الشيء موجوداً معدوماً،بل كل ممكن إذا قدر وجوده منه فإنه عدل(٢) .

وقولهم هذا هو الذي جعلهم يعرفون الظلم بأنه التصرف في ملك الغير، وكل ما سواه ملكه، أو مخالفة الآمر الذي تجب طاعته، وليس فوق الله تعالى آمر تجب عليه طاعته، ولذلك قالوا لو عذب الطائعين ونعم العاصين لم يكن ظالماً .(٣)

ومنشأ قولهم هذا مبني على قولهم بالتحسين والتقبيح الشرعيين، فإنهم لما قالوا إن العقول لا تميز بين الحسن والقبح، ولا تدرك ذلك لأن الأفعال ليس لها صفة حسن وقبح في ذاتها، لم يفهموا معنى الظلم وقالوا الظلم لا نعرفه من جهة عقولنا

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٦١).

(٢) انظر رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزه الله عن الظلم ضمن جامع الرسائل لشيخ الإسلام (١/ ١٢١) و مجموع الفتاوى (٨/ ٥٠٧) و(١٨/ ١٣٨ – ١٣٩) ومنهاج السنة (١/ ١٣٤) والنبوات (١/ ٤٦٣).

(٣) انظر قواعد العقائد للغزالي (ص: ٦٠) والملل والنحل (١/ ١٠١) وغاية المرام للآمدى (ص: ٢٤٤– ٢٤٥) وشرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (٢/ ١٤٧) .

وإنما نعرفه عن طريق الشرع، وإن الله لا يفعل القبيح والظلم وإنه لو فعل ما قد نراه قبيح وظلم فإنه يصير في حق الله حسناً وعدلاً[1] .

وقد بين ذلك شيخ الإسلام بقوله عنهم إنهم " لا يرون تنزيه الرب سبحانه عن فعل من الأفعال لأنهم قد علموا أن له أن يفعل ما يشاء، وهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين حتى يقولوا إن الفعل الفلاني قبيح وهو منزه عن فعل القبيح، بل عندهم أن الظلم غير مقدور إذ الظلم التصرف في ملك غيره فمهما فعل كان تصرفا في ملكه فلم يكن ظلما بل ويقولون إنه يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء ولا يجعلون للأفعال صفات باعتبارها يكون الحسن والقبح..."[2].

وهذه المسألة لها تعلق أيضاً بمسألة خلق أفعال العباد عند الأشاعرة فإنهم" قالوا بهذا القول، أي أن الظلم ممتنع ولا يدخل تحت القدرة، قالوا به حتى لا يعارض مذهبهم في أن العباد مجبورون على أفعالهم فإذا ما عورضوا بأن تعذيب الله العباد على أعمالهم والحال أنهم مجبورون عليها ظلم، والله منزه عن الظلم قالوا إن الظلم هو التصرف في ملك الغير، أو مخالفة الآمر الذي تجب طاعته، وهما ممتنعان في حق الله فلا يكون ذلك ظلماً"[3].

وقولهم هذا باطل مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة فإن حقيقة الظلم في لغة العرب هو وضع الشيء في غير موضعه، والعدل وضع الشيء في موضعه، وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم، ويقولون من أشبه أباه فما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه[4] وعلى ذلك بنى أهل السنة معنى الظلم الذي يجب أن ينزه

---

(١) انظر نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية لخالد الغامدي (ص: ٤٤٥) .

(٢) شرح الأصفهانية (ص: ٧٠٢- ٧٠٣) .

(٣) انظر القضاء والقدر للمحمود (ص: ٢٨٨).

(٤) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٢٧٤) ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٦٨) ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣) ومختار الصحاح للرازي (ص: ١٧٠) .

الله عنه . والله سبحانه عدل يضع الأشياء في مواضعها، ولا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل، ولا يفرق بين متماثلين، ولا يسوى بين مختلفين، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل، والظلم الذي يجب أن ينزه الله عنه مقدور ممكن، والله تعالى منزه لا يفعله، لعدله، ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه، لا بترك الممتنع والأدلة شاهدة على هذا القول قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه: ١١٢] " .

وقد ذكر أهل التفسير معنى الظلم في الآية وهو أن تحمل عليه سيئات غيره، فتوضع عليه، وينقص من حسناته.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في معنى الآية﴿ " فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴾ يقول فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا هضما يقول لا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها"(١) وقد جاء هذا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم من السلف(٢) .

وهذا مما يدل على أن الظلم غير ممتنع بل مقدور عليه وإلا كان التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات، ولا شك أن هذا باطل،وذلك لأن الله نفى الظلم لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن، فإذا كان هذا الظلم الذي بزعمهم غير موجود بل ممتنع فأي فائدة في نفي خوف هذا، وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن لا يجزى على إحسانه بالظلم والهضم، فعلم أن الظلم والهضم المنفى يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢١٧) .

(٢) انظر تفسير البغوي (٣/ ٢٣٢) والمحرر الوجيز(٤/ ٦٥) وتفسير ابن كثير(٣/ ١٦٧) .

وإن الله لا يجزيه إلا بعمله [1].

ومما يبين ذلك أن قد مدح الله نفسه في آيات كثيرة بنفي الظلم عن نفسه كقوله تعالى" ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾[هود: ١٠٠ – ١٠١] وقوله تعالى: ﴿ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر: ٦٩] وقوله تعالى" ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾[الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق: ٢٨ – ٢٩]. وقوله تعالى" ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[فاطر: ١٨].

والآيات كثيرة في هذا،"والأمر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم إرادته وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعله"[2].

ومما يدل على ذلك من السنة قوله ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه" **إني حرمت الظلم عن نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** "[3].

فالله سبحانه وتعالى في هذا الحديث قد حرم الظلم على نفسه سبحانه وتعالى، والتحريم هو المنع، فلو كان الظلم ممتنعاً عنه لذاته، وغير مقدور عليه فكيف يحرم على نفسه، ويمدح نفسه به وهو غير مقدور عليه، وأيضاً الممتنع لا يوصف بالتحريم، ولا يوصف بذلك إلا الممكن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عند هذا الحديث" التحريم هو المنع وهذا لا يجوز

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ١٤١) ومنهاج السنة (١/ ١٣٥) وجامع الرسائل لشيخ الإسلام(١/ ١٢٣- ١٢٤) النبوات (١/ ٤٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٤٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٣١٩).

أن يكون فيما هو ممتنع لذاته، فلا يصلح أن يقال حرمت على نفسي أو منعت نفسي من خلق مثلي أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات، وأكثر ما يقال في تأويل ذلك ما يكون معناه إني أخبرت عن نفسي بأن ما لا يكون مقدورا لا يكون مني، وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن أنه ليس مراد الرب وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله إذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيده المستمع فعلم أن الذي حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لأنه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس"[1] .

أما تأويلهم الظلم بأنه التصرف في ملك الغير:

١-فهذا قول لم يسبقهم إليه أحد ولا قاله أحد من أئمة أهل اللغة، فهو اصطلاح حادث ، بل الثابت عنهم ما تقدم ذكره من أن أصل الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها .[2]

٢- ثم التصرف في ملك الغير لا يكون ظلماً في كل الأحوال ومطرداً، فقد يتصرف الإنسان في ملك غيره بحق ولا يكون ظالما وقد يتصرف في ملكه بغير حق فيكون ظالما .

أما قولهم: بأن الظلم هو مخالفة الآمر الذي تجب طاعته، أو فعل المأمور خلاف ما أمر به فهذا إن سلم لهم صحة هذا الكلام فلا يدخل هنا وذلك؛ لأن الله تعالى هو الذي قد حرم الظلم على نفسه، ولم يحرمه أحد عليه، وقد كتب على نفسه الرحمة، فهو لا يفعل خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم.[3]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٤٤) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٥٧٨) .

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ١٤٥) .

وبهذا يعلم أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه، هو وضع الشيء في غير موضعه، بأن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه به، وبأن يعاقب البريء على مالم يفعل من السيئات، هو الذي نزه نفسه عنه لكمال عدله، وهو سبحانه إنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك هذا الظلم باختياره ومشيئته فهو سبحانه قادر على أن يظلم لكنه سبحانه منزه عن ذلك لا يفعله لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء .

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس:
المسائل المتعلقة بمسائل الأسماء والأحكام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان لغة وشرعاً.

المبحث الثاني: التكفير.

المبحث الأول: حقيقة الإيمان لغة وشرعاً

يرى الزرقاني أن الإيمـان في اللغة والشرع هو التصديق، وينسب ذلك لإهـل السنة، قد نقل كلام الزمخشري في تفسيره عند قوله تعالى" ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ٣] " فإن قلت: ماالإيمان الصحيح ؟ قلت: أن يعتقد الحق، ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله، فمن أخل بالإعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق،ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ".

قال الزرقاني بعد ذلك" فأنت تراه فسر الإيمان بما يثبت به المنزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر، فينفي الإيمان عن سليم العقيدة مادام قد أخل بواجب العمل وهو محجوج من أهل السنة بأن هذا التفسير لايوافق اللغة ولا الشرع، أما اللغة فلأن معنى الإيمان التصديق لاغير وكذا الشرع بدليل عطف العمل عليه، والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين "[(١)] .

وهذا القول مخالف لما عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وماعليه سلف هذه الأمة فإن الإيمان في اللغة ليس هو مطلق التصديق، فهو في اللغة أَمِنَ من باب فهم وسلم وأماناً وأمنة فهو آمن، وآمنه غيره من الأمن والأمان، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف، وسكون القلب، والإيمان الثقة يقال رجل أمنة بالفتح أي يصدق بكل مايسمع ولايكذب بشيء، ورجل أمنة إذا كان يطمئن إلى كل واحد ويثق بكل أحد، قالوا للخليل ماالإيمان ؟ فقال الطمأنينة .[(٢)]

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٦٠) .

(٢) انظر تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٧) ومعجم مقاييس اللغة (١/ ١٣٣) وأساس البلاغة للزمخشري (ص:٢٢) والمفردات (ص: ٢٥) ولسان العرب (١٣/ ٢١) ومختار الصحاح (ص: ١١) والكليات (ص: ٢١٢) وتاج العروس (٣٤/ ١٨٤).

وقال الزجاج: الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب"[(١)].

وقال ابن فارس" الهمزة والميم أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي هي ضد الخوف ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق والمعنيان متدانيان"[(٢)].

وقال الراغب" الإيمان يستمعل تارة اسما للشريعة التي جاء بها النبي ﷺ، وتارة على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك بإجتماع ثلاثة أشياء تحقيق القلب وإقرار اللسان وعمل بالأركان "[(٣)] .

وبهذا يظهر أن المعنى اللغوي لكلمة الإيمان ليس كما يقولون هو التصديق المجرد، بل هو تصديق مع طمأنينة نفس، وسكون القلب لهذا الأمر بحيث يزول الخوف عنه، ويلتزم ما آمن به، فهو بمعنى الإقرار وذلك أن الإقرار يتضمن الإخبار والالتزام، كذلك الإيمان متضمن الالتزام بالمؤمن به سواء كان خبراً أو إنشاء .[(٤)]

أما الإيمان شرعاً: فهو قول وعمل، ، وقد دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف هذه الأمة فالقول هو قول القلب وتصديقه، وقول اللسان وهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

ومن أدلة قول اللسان قوله تعالى ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦] وقوله

(١) لسان العرب (١٣/ ٢٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٣٣) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٢٦) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٥٣٠) .

تعـــــــــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وأما العمل فهو عمل القلب واللسان والجوارح .

وعمل القلب هو النية والإخلاص والمحبة والانقياد ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧].

وأما من السنة فمن ذلك قولهﷺ **" الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "**[(١)].

وقوله ﷺ في حديث وفد عبد القيس لما أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟**» قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**» [(٢)] .

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

يقول الإمام الشافعي" كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر"[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (٩) ومسلم في صحيحه واللفظ له (١/ ٦٣) برقم (٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (٨٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٤٧) برقم (١٧) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٩٥٦) .

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام" وعلى مثل هذا القول كان سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس ومن بعدهم من أرباب العلم، وأهل السنة، الذين كانوا مصابيح الأرض، وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها زارين على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان قولاً وعملاً"[1].

وقال الإمام الآجري" اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح"[2] .

وقال ابن بطة العكبري " وأي دليل على أن الإيمان قول وعمل، وأن الصلاة والزكاة من الإيمان يكون أدل من كتاب الله وسنة رسولهﷺ وإجماع علماء المسلمين وفقهائهم"[3] .

وممن حكى الإجماع على ذلك ابن عبدالبر[4]، والبغوي .[5] وهذا القول هو قول أهل السنة[6] .

أما ماذكره الزرقاني من تفسير الإيمان لغة وشرعاً بالتصديق فهذا هو قول الأشاعرة فإنهم زعموا أن الإيمان هو تصديق القلب، وأن الأعمال غير داخلة في

---

(١) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله (ص: ٣٥) .

(٢) كتاب الشريعة (٢/ ٦١١) .

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٦٨٤) تحقيق: رضا بن نعسان معطي .

(٤) انظر التمهيد (٩/ ٢٣٨) .

(٥) شرح السنة (١/ ٣٨) .

(٦) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٦١) وكتاب الإيمان للعدني(ص: ٦٧) وشرح السنة للبربهاري(ص: ٦٧) وكتاب الشريعة للآجري (٢/ ٦٠٢) وكتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ أبي بكر الإسماعيلي (ص: ٤٣) وكتاب الإيمان لابن منده (٢/ ٣٠٥) وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٠٧) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٩١١) وعقيدة السلف للصابوني (ص: ٢٦٤) والإيمان الأوسط لابن تيمية (ص: ٣٦٦) وغيرها كثير .

مسمى الإيمان قال الباقلاني" واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق . والدليل عليه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ ومَا أَنْتَ بِمؤْمِنٍ لنا﴾ أي بمصدق لنا "[1].

وقد بنوا قولهم هذا على المعنى اللغوي لكلمة الإيمان، فقالوا إن معنى الإيمان هو التصديق . فزعموا إن لفظ التصديق مرادف لكلمة الإيمان .

وقولهم هذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق باطلة لأسباب:

١- أن لفظة آمن مختلفة عن لفظة صدق من جهة التعدي، وذلك أن لفظة آمن لا تتعدى بنفسها وإنما تتعدى بحرف إما بالباء كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩] ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وإما أن تتعدى باللام كقوله تعالى" ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١]وقوله تعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ [يونس: ٨٣].

فيقال آمن به، وآمن له، ولاتتعدى بنفسها إلا إذا كانت من الأمان الذي هو ضد الخوف، وهذا بخلاف لفظ التصديق فيصح أن تتعدى بنفسها فيقال صدقه[2].

٢- أنه ليس بينهما ترادف في المعنى، فإن الإيمان لايستعمل في جميع الأخبار، وإنما يستعمل في الأخبار عن الأمور الغيبية الذي يؤتمن عليه المخبر فيقال لمن قال:

---

(١) الإنصاف (ص: ٨٤- ٨٥) وانظر أصول الدين للبغدادي (ص: ٢٤٨) والملل والنحل (ص: ١٠١) والمواقف للإيجي (ص: ٣٨٤) وغاية المرام (ص: ٣٠٩) .

(٢) انظر الإيمان الكبير (ص: ٢٢٧) والإيمان الأوسط (ص: ٤١٣) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٧١) .

طلعت الشمس صدقناه، ولايقال آمنا به، والإثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء يقال صدق أحدهما صاحبه ولايقال آمن له؛ لأنه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه، وهذا بخلاف لفظ التصديق فإنه عام متناول لجميع الأخبار[(١)] .

٣- أن لفظ الإيمان في اللغة لاتقابل بالتكذيب، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له صدقت أو كذبت، ويقال صدقناه أو كذبناه، ولايقال لكل مخبر آمنا له أو كذبناه، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال هو مؤمن أو كافر، والكفر لايختص بالتكذيب، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط .[(٢)]

فإذاً أقرب الألفاظ لمعنى الإيمان هو الإقرار وذلك أن الإقرار مأخوذ من قر يقر، وهو قريب من آمن يأمن، ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام، ثم إنه يكون على وجهين:

١- الإخبار وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة

٢- إنشاء الالتزام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام . كما تقدم ذلك في المعنى اللغوي للإيمان .[(٣)]

وفي ذلك يقول ابن منده" معنى التصديق هو المعرفة بالله والاعتراف له بالربوبية وبوعده ووعيده وواجب حقه وتحقيق ماصدق به القول والفعل"[(٤)] .

---

(١) انظر الإيمان الكبير (ص: ٢٢٨) والإيمان الأوسط (ص: ٤١٤) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٧٢) .

(٢) انظر الإيمان الكبير (ص: ٢٢٩) والإيمان الأوسط (ص: ٤١٥) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٧٢) .

(٣) انظر الإيمان الأوسط (ص: ٤١٤) .

(٤) كتاب الإيمان (١/ ٣٤٧).

الوجه الثاني: أن يقال سلمنا جدلاً أن معنى الإيمان مجرد التصديق، فلايمنع هذا من دخول الأعمال في مسماه، وذلك لأمرين:

١- أن الأعمال تسمى تصديقاً، وعلى هذا فالتصديق يكون بالأعمال كما يكون باللسان والقلب ودليل ذلك قوله ﷺ **" كُتِبَ على بن آدَمَ نَصِيبُهُ من الزِّنَا مُدْرِكٌ ذلك لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذلك الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ"** [(١)] .

٢- أنه إذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص دل عليه الشرع، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والحج قصد مخصوص، وهكذا، وهذا التصديق له لوازم،و لوازمه صارت داخلة في مسماه عند الإطلاق، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم .[(٢)]

الوجه الثالث : أن زعمهم أن الإيمان في الشرع هو التصديق، بدليل العطف، لايسلم لهم فيه وذلك أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب[(٣)]:

أعلاها: أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولاجزءه ولابينهما تلازم كقوله تعالى"﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[الأنعام: ١]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ ﴾ [آل عمران: ٣] وهذا هو الغالب.

ويليه: أن يكون بينهما تلازم كقوله تعالى"﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٤٣٨) برقم (٦٢٣٨) ومسلم في صحيحه واللفظ له (٤/ ٢٠٢٧) برقم (٢٦٥٧).

(٢) انظر الإيمان الكبير (ص: ٢٣٠) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٧٣)

(٣) انظر الإيمان الكبير (ص: ١٣٨) وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٨٤)

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

الثالث: عطف بعض الشيء عليه كقوله تعالى" ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله تعالى" ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ [الأحزاب: ٧].

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى" ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

فالإيمان يأتي في النصوص مقروناً بالأعمال، ويأت مطلقاً، فإذا جاء مطلقاً دخل فيه الأعمال وذلك لاستلزام الإيمان العمل، وأما إذا عطف العمل على الإيمان فالعطف هنا لايقتضي المغايرة بل هو من باب عطف الخاص على العام .[1]

الوجه الرابع: أن بقولهم هذا أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وهذا مخالف لما تواترت به النصوص الشرعية، من الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة من الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وقد تقدم بيان ذلك .

ولذلك اشتد نكير السلف على المرجئة فمن ذلك ما قاله الأوزاعي " رحمه الله " كان يحى بن أبي كثير وقتادة يقولان: " ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على هذه الأمة من الإرجاء "[2]

وقال إبراهيم النخعي[3] " لفتنة المرجئة[4] على هذه الأمة أخوف عندي من

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٨).

(٢) أخرجه اللالكلائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ١٠٦٤) .

(٣) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي، الإمام الحافظ فقيه العراق، كان مفتي الكوفة، وكان واسع الرواية توفي سنة ٩٦هـ انظر التاريخ الكبير (١/ ٣٣٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢١٩)وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠) .

(٤) هي فرقة سميت بذلك نسبة إلى الإرجاء وهو التأخير، وسميت بهذا الاسم لأنهم قالوا بتأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، وقالوا لايضر مع الإيمان معصية ، وهم أصناف، ويجمعهم القول بأن الأعمال ليست من الإيمان . انظر مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٢) والملل والنحل (١/ ١٣٩) والتبصير في الدين (ص: ٩٧) =

فتنة الأزارقة[1]"[2].

وذكر للإمام مالك بن أنس رجل بالمدينة يقال له أبو الجويرية يرى الإرجاء فقال مالك بن أنس لاتناكحوه"[3] .

الوجه الخامس: أن بقولهم هذا جعلوا من لايتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك ولا أطاع الله طاعة ظاهرة مؤمناً بالله تام الإيمان،، إيمانه مثل الأنبياء والصديقين، سعيداً في الدار الآخرة بل وأعظم من ذلك جعلوا من تكلم بالكفر من سب الله ورسوله، والتثليث وغير ذلك مؤمناً عندالله حقيقة، وهذا أعظم البطلان .[4]

* * *

= والفرق بين الفرق (ص: ١٩٠)

(١) فرقة من فرق الخوارج وهم أتباع نافع بن الأزرق، وقد خرجت في أيام ابن الزبير وغلبوا على بلاد الأهواز وفارس وكرمان وقاتلهم ابن الزبير في عدة مواقع حتى قتل ابن الأزرق، ومن أهم أقوالهم تكفير من لم يهاجر إليه، والبراءة من العقدة

والمحنة لمن قصد معسكره، وأن من خالف مذهبه مشرك . انظر مقالات الإسلاميين (ص: ٨٦) والتبصير في الدين (ص: ٤٩) والفرق بين الفرق (ص: ٦٢) .

(٢) أخرجه الخلال في كتاب السنة (٣/ ٥٦٢)

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ١٠٦٧)

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٣)

المبحث الثاني: مسائل التكفير

قال الزرقاني "ولقد قرر علماؤنا أن الكلمة إذا احتملت الكفر من تسعة وتسعين وجها ثم احتملت الإيمان من وجه واحد حملت على أحسن المحامل وهو الإيمان"[1] .

أقول إن مما لاشك فيه أن التكفير حكم شرعي، متلقى من كتاب الله وسنة رسولهﷺ وما أجمع عليه السلف الصالح، ولا يجوز لأحد أن يخوض فيه بغير علم، ولإجل ذلك وردت النصوص في التحذير من الخوض فيه بغير بينة ولا برهان قال تعالى" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾ [النساء: ٩٤].

وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **"ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه"** .

وفي لفظ آخر: **" أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"**[2] .

قال ابن عبدالبر بيان معنى هذا الحديث " والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر أهل السنة والجماعة النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو بتأويل لا يخرجه من الإسلام عند الجميع فورد النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث وغيره بلفظ

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٣١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٧٩) برقم (٦١) .

الخبر دون لفظ النهي وهذا موجود في القرآن والسنة ومعروف في لسان العرب.... وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب، فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها... وقد وردت آيات في القرآن محكمات تدل أنه لا يكفر أحد إلا بعد العلم والعناد منها قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ٧١].

.... فهذه الأصول كلها تشهد على أن الذنوب لا يكفر بها أحد وهذا يبين لك أن قوله ﷺ **"من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما"** أنه ليس على ظاهره وأن المعنى فيه النهي عن أن يقول أحد لأخيه كافر أو يا كافر .... فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه... ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين ثم أذنب ذنبا أو تأول تأويلا فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة، وهم أهل الفقه والأثر، على أن أحدا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أوقام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أوسنة

وأما قوله ﷺ فقد باء بها أي قد احتمل الذنب في ذلك القول أحدهما ...

والمعنى في قوله "فقد باء بها أحدهما" يريد أن المقول له يا كافر إن كان كذلك فقد احتمل ذنبه ولا شيء على القائل له ذلك لصدقه في قوله، فإن لم يكن كذلك، فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة يا كافر"[(١)]

---

(١) التمهيد (١٧/ ١٤- ٢٢) .

وهذا الباب عظمت فيه الفتنة والمحنة، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، فالناس فيه على طرفين ووسط .

"فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين"[1] .

وطائفة كفرت بكل ذنب، كما تفعله الخوارج .

وهدى الله أهل السنة، فكانوا وسطاً بين الفرق فلم يكفروا إلا من كفره الله ورسولهﷺ، عملاً بما جاء في النصوص الشرعية، فهم وسط بين من يقول لا نكفر أحدا من أهل القبلة،وبين من يقول يكفر المسلم بكل ذنب، دون النظر إلى تحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه .

ونصوص أهل السنة كثيرة في هذا .

ويقول أبو عبدالله ابن أبي زمنين " قال باب في الاستغفار لأهل القبلة والصلاة على من مات منهم" .

ثم قال" وأهل السنة لايحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة، ولا يرون أن تترك الصلاة على من مات منهم وإن كان من أهل الإسراف على نفسه"[2].

ويقول الإمام الصابوني" ويعتقد أهل السنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة؛ صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها"[3].

وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك كما حكاه ابن عبدالبر .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٣٢) .

(٢) أصول السنة (ص: ٢٢٤).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٧٦) وانظر شرح السنة للبربهاري (ص: ٧٣) .

وقال شيخ الإسلام "ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة فإن الله تعالى قال ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم"[(١)] .

والخوارج المارقون الذين أمر النبي بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم .

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسولهﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟

فلا يحل لأحد من الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها وإن كانت فيها بدعة محققة فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا ؟

وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ والغالب أنهم جميعا جهال بحقائق ما يختلفون فيه، والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله ...وإذا كان المسلم متأولا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ: **"إنه قد شهد بدرا وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١١٦) برقم (١٢٦) .

بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[1].

وكذلك ثبت في الصحيحين[2] عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلا بعد ما قال لا إله إلا الله وعظم النبي ذلك لما أخبره وقال: **"يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"** وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ومع هذا لم يوجب عليه قودا ولا دية ولا كفارة لأنه كان متأولا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذا "[3].

ولقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن طريقة أهل البدع أنهم يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم،وهذا ولا شك من عيوبهم وضلال طريقتهم .

أما أهل السنة فإنهم على النقيض من ذلك فلا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم،ومن طريقتهم أنهم لا يكفرون بالمسائل المحتملة التي يكون للمخالف فيها تأويل ، وأيضاً يفرقون بين الحكم على المعين، وبين الحكم على المقولة .

فأما الحكم على المقولة فلا يمتنعون عن الحكم عليها بالكفر إن كانت كذلك، ونصوص السلف في هذا كثيرة فمن ذلك ماجاء عنهم في الحكم على من قال إن القرآن مخلوق بالكفر، فهم أرادوا المقولة لا القائل، وأقرب برهان على ذلك ماجاء في قصة الإمام أحمد لما كان يترحم على الخليفة ، الذي أمر بضربه وحبسه على امتناعه عن القول بخلق القرآن، فكان يستغفر له ويدعو له .

وليس معنى هذا أنهم لا يكفرون بالتعيين، بل يكفرون ولكن بعد تحقق الشروط وانتفاء موانعه.[4]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٩٥) برقم (٢٨٤٥) ومسلم في صحيحه (٤/ ٩٤١) برقم (٢٤٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٥٥) برقم (٤٠٢١) ومسلم (١/ ٩٦) برقم (٩٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٢-٢٨٤).

(٤) انظر منهاج السنة (٥/ ٢٤٠،٩٥، ٢١٥) والرد على البكري (١/ ٣٨١) والصارم المسلول (٣/ ٩٦٣) .

يقول شيخ الإسلام في بيان ذلك "ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالا يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيمان الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها، ويستحلون دمه كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم .

وأهل السنة لا يبتدعون قولا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم مكفرا لهم مستحلا لدمائهم، كما لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما واستحلاهم لدماء المسلمين المخالفين لهم "[1] .

ويقول: " التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين اطلقوا هذه العمومات لم يكفروا اكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه .

فإن الإمام أحمد مثلا قد باشر الجهمية، الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفى الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل، والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو بحيث كان كثير من أولى الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم، يكفرون كل من لم يكن جهميا موافقا لهم على نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر، فلا يولونه ولاية، ولا يفتكونه من عدو، ولا يعطونه شيئا من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة ولا فتيا ولا رواية، ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك فمن أقر بخلق القرآن، حكموا له بالايمان، ومن لم يقر به، لم يحكموا له بحكم أهل الايمان .

ومن كان داعيا إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه .

---

(١) منهاج السنة (٥/ ٩٥) .

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم؛ فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها، وإثابة قائلها.

وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب، ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم، والدعاء إلى القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الاسلام لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والاجماع.

وهذه الاقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين، فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر أو يحمل الأمر على التفصيل، فيقال من كفر بعينه، فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع اطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم "[1].

وقد طبق هذا شيخ الإسلام عملياً فلم يكفر الجهمية في عصره لجهلهم حيث قال " ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة، الذين نفوا أن يكون الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم أنا لو وافقتكم كنت كافرا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال وكان هذا خطابا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم"[2].

وبهذا يتضح منهج أهل السنة في التكفير.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧) وانظر منه (٧/ ٦٨٥) و(١٢/ ١٨٠) و(٢٣/ ٣٤٥-٣٤٩) و(٢٨/ ٥٠٠).

(٢) الإستغاثة في الرد على البكري (١/ ٣٨٤)

الخاتمة

في ختام هذا البحث ، أحمد الله تعالى ، وأشكره ، على جزيل نعمه ، وآلائه ، وما يسر من إتمام هذا البحث .

وسأعرض فيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث :

١. أن التدوين في علوم القرآن بدأ مبكراً مع بداية تدوين الأحاديث النبوية ، على رأس المائة الأولى من الهجرة ، ولم يكن التصنيف فيه مفرداً ، بل كان ضمن العلوم الأخرى، ثم استقل بعد ذلك .
٢. يعد كتابا الزركشي والسيوطي ، في علوم القرآن من أفضل و أوسع ما كتب في علوم القرآن وذلك لاشتمالهما على أنواع عديدة من علوم القرآن .
٣. أن ضابط الإحكام والتشابه عند السلف هو الشرع ، أما الضابط عند أهل البدع فهو العقل ولهذا جعلوا من المتشابه صفات الله وأسمائه .
٤. أنه ليس في القرآن ما لا يعلم أحد معناه ، بل كل القرآن يجب أن يكون معلوماً .
٥. أن المجاز كان أداة لتحريف كلام الله ورسوله ﷺ عما أراده الله ورسولهﷺ ، ويتضح ذلك باستعراض نشأة المجاز وأغراضه .
٦. أن دعوى المجاز في صفات الله وأسمائه دعوى باطلة ، عارية عن الدليل والبرهان .
٧. نسبة التأويل والتفويض إلى الصحابة والتابعين والأئمة كما ذكر في كتب علوم القرآن نسبة باطلة ، لا تستند إلى حجة صحيحة ، بل هو محض افتراء من عند أنفسهم .
٨. خبر الآحاد حجة في العقائد والأحكام ، والتفريق بينهما بدعة ابتدعها المعتزلة ونحوهم من أهل الأهواء والبدع .

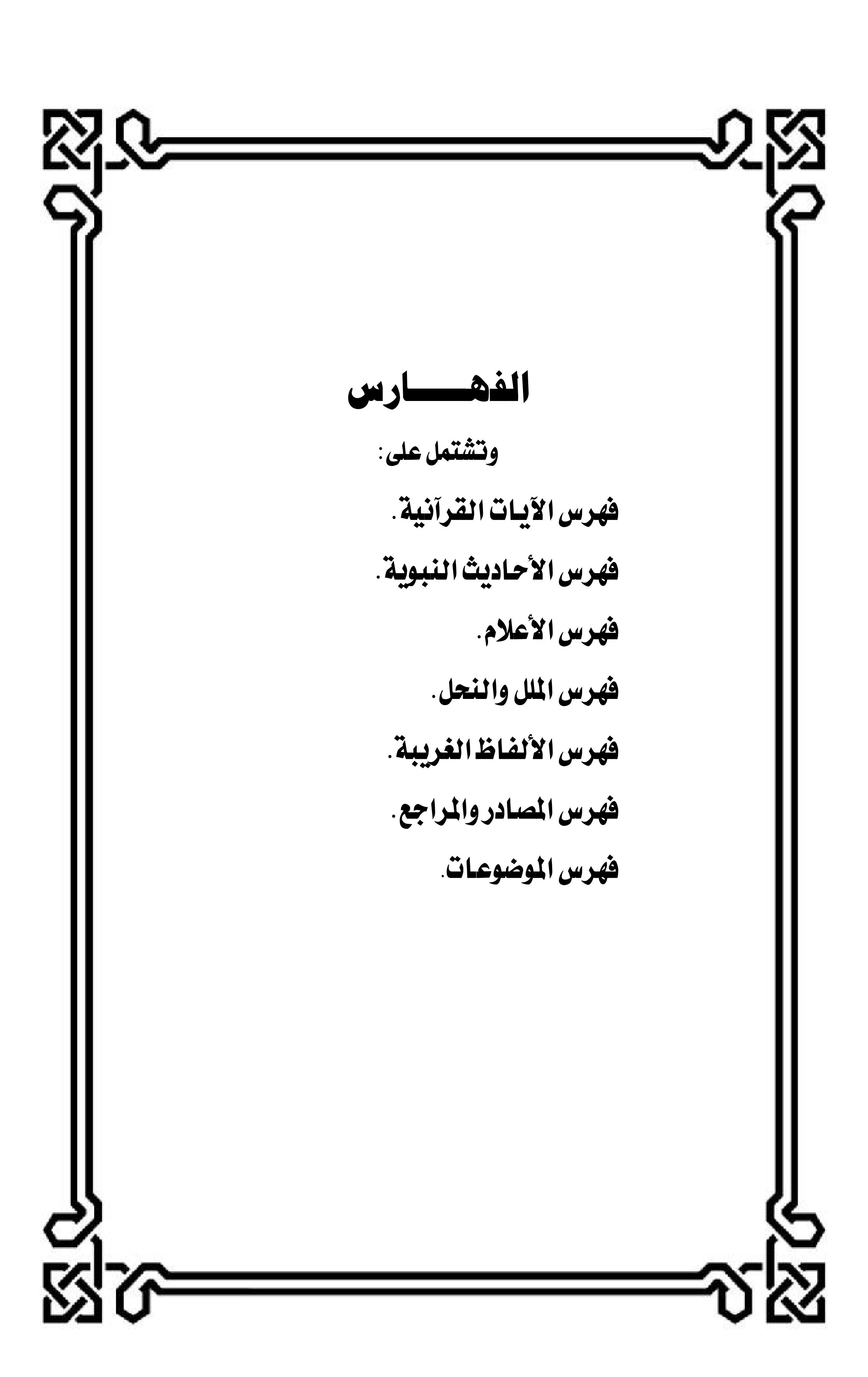
٩. اعتمد الزركشي والسيوطي في تأويل الصفات على ما نقله ابن اللبان في كتابه إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات" وتبعهم من بعدهم .

١٠. أن الإيمان بأسماء الله وصفاته التي جاءت في النصوص الشرعية أصل عظيم ، اتفق عليه السلف وخالف فيه أهل البدع .

١١. أن كل قول خالف الكتاب والسنة ، وما عليه سلف الأمة ، فلا بد أن يؤول أمره إلى التناقض ، والأمثلة على هذا كثيرة ، ومنها أن الأشاعرة لما قرروا أن كلام الله هو المعنى النفسي القائم في ذات الله ، وأن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية ، تناقضوا في إعجاز القرآن ، فقرروا أن الإعجاز في اللفظ دون المعنى ، لأن؛ ما في النفس لا يتصور معناه .

١٢. إثبات نزول القرآن من الله على النبي ﷺ وأنه نزول حقيقي ، نزل به الروح الأمين على قلب النبي محمدﷺ، وهذا هو قول السلف، وقد خالف أهل البدع فأولوا النزول بتأويلات باطلة .

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، هذا وأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم، وأن يعفو عما وقع فيه من الزلل والتقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



الفهـــــارس

وتشتمل على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام.

فهرس الملل والنحل.

فهرس الألفاظ الغريبة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾	٢	٤٤٢
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾	٢، ٣	٢٨٥
سورة البقرة		
﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾	١، ٢	٣٥٧
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾	٣	٥٠٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ ﴾	٢٠	٧٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾	٢١	٢٠٣
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾	٢٦	٢٩٨
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥ ﴾	١٤، ١٥	٢٨٧
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾	٢٣، ٢٤	٣٦٨، ٤٠٦، ٤٠٨
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٣١٨
﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾	٣٣	٤٥٨
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾	٣٤	٣٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	٤٢	٥٠٩
﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	٢٩٦
﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	٣٧٧
﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٣٢١
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾	٧٨	٥٤، ١٧٠
﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾	٨٧	٢٤٥
﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾	٩٥	٣٠٠
﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾	١٠٦	٤٤١
﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾	١١٢	٢٤٦
﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٢٤٦
﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾	١٢٠	٣٣٣
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	١٣٦	٥٠٣
﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾	١٤٠	٢٣١
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	٣٣٨
﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١	٤٤٩
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾	١٦٣	٤٣٨
﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾	١٧٠	٣٧٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	١٨٦	٧٦، ٢٧٧
﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾	١٨٧	٧٦
﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾	١٩٥	٢٨٣
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾	٢٠٠	٥٨
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾	٢١٠	١٥٩، ١٦٣، ٢١٠
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾	٢٣٤	٧٦
﴿ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾	٢٣٧	٧٦
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾	٢٣٨	٥٠٩
﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾	٢٤٩	٢٩٦
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾	٢٥٣	٣٢١، ٤٤٤
﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾	٢٥٥	٢٢٤
﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾	٢٥٥	٤٤٢
﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾	٢٨٥	٥١٤، ٥٠٦
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	٤٧٥
سورة آل عمران.		
﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٥٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾	٧	٤٧
﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾	٧	٤٦
﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾	٧	٤٤
﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾	٧	٢٣٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾	٧	٣٩، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾	٧	٣٩، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٣، ٦٦، ٧٩، ١٣٥
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾	٢٨	٢١٦
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾	٣٠	٢١٧
﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١	٢٨٢
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤ ﴾	٤٤	٤٣٤
﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾	٥٤	٢٨٧
﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾	٥٥	٢٢٤
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ﴾	٥٩	٣٦١
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾	٦٤	٢٠٣
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٧١	٥١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٨١	٥٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾	١٠٢	١
﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾	١٢٨	٤٦٤
﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾	١٦٤	٤٤٩
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾	١٦٩	٣٢١
﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	١٨٥	٢١٩، ٢٢٠
﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾	١٩٩	٥٠٦
سورة النساء		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾	١	١
﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا ﴾	٥٦	٤٠
﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	٥٨	١٢٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾	٥٨	٢٣٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾	٥٩	١٣٣

الصفحة	رقمها	الآية
٤٣، ٥٩، ٦١، ٧٢، ٨٢	٨٢	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾
٢٨٤	٩٣	﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾
٥١١	٩٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾
٣١٨	١٢٢	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾
٢٨٣	١٢٥	﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾
٢٢٤	١٥٨	﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾
٣٢٠، ٣٥٧، ٣٧٦، ٤١٥، ٤٥٥	١٦٤	﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾
٣٦٨، ٣٧٦	١٦٦	﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾
١	١٧٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾
		سورة المائدة
١٥٣	٣	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣	٥	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾
١	١٥	﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾
٢٨٢	٥٤	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾
٩٠، ١٦٩، ٢٣٨	٦٤	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾
٢٣٩	٦٤	﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾
١٥٣	٦٧	﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾
١٢	٨٩	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾
٥٠٩	٩٢	﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾
٣٩٣	١١١	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾
٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩	١١٦	﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾
٣١٨	١١٩	﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾
		سورة الأنعام
٣٢٩	١	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾
٥٠٨	١	﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾
٢٣٣، ٢٣٤	٣	﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾
٢٢٢، ٢٢٤	١٨	﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾
٤٥٢	١٩	﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	٤٦٣
﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾	٥٤	٢١٧، ٢١٨، ٢١٠، ٢٢١
﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٥٤	٢١٧
﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾	٦٥	٢٤٧
﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾	١٠٤	٢٥٢
﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾	١٠٨	٤٦٣
﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	١١١	٤٦٣
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾	١١٢	٤٦٣
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾	١١٢	٤٥٠، ٤٥٢
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾	١١٤	٣٧٧، ٣٨٦
﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾	١٢١	٤٥١، ٤٥٢
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾	١٢٢	٤٤٨، ٤٤٩
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾	١٢٥	٤٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾	١٣٥	٤٦٥
﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١	٢٠٣
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾	١٥٢	٣٤٨
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٥٢
﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	١٥٣	١٥٣
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾	١٥٨	١٤٦ ٢٧٤
سورة الأعراف		
﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ ﴾	١	١٦٧
﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾	٢	٣٧٦
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٣٦١
﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾	٢٢	٣١٩
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٣	١١٣، ٤٩٠
﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ ﴾	٥٢	٢٧٤
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾	٥٣	٤٩، ١٣٠، ١٣٨
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ	٥٣	١٣٣

الآية	رقمها	الصفحة
جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾		
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾	٥٤	٢٦٠، ٣٣١
﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	٢٨٥
﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾	٢٨، ٢٩	٤٩٠
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	١٩٧، ٢٠٣
﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾	٦٤	٢٩٦
﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	١٩٧
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	٧٣	١٩٧
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	١٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾	١٢٧	١٩٢
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾	١٤٣	٣٢٠، ٤٥٨
﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾	١٤٤	٣٢٠
﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾	١٤٨	٣٢٠
﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾	١٥٦	٧٨، ٢٨٥
﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	٤٩٠
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾	١٥٨	٣٣٣، ٤٩٥، ٥٠٦
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) ﴾	١٧٢	١٩٤
﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (٢٠٤) ﴾	٢٠٤	١٩، ٣٦٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾	٢٠٦	٢٢٤
سورة الأنفال.		
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾	٢	٥٠٤
﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	١٢	٤٥٢
﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ ﴾	١٧	٤٦٢
﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾	١٧	٤٦٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾	٣٠	٢٨٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٧٨
سورة التوبة		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٣٢١، ٣٣٢، ٣٦٩، ٤٠٥
﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	١٠٥	٤٦٥
﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	١٢٢	١٨٣
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	١٢٨	١٠١
﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	٤٠	٢٩٥
سورة يونس		
﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾	١	٤٢، ٤٣، ٨٢
﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	١٨	٢٠٨
﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	٢٦	٣٠٢
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	٣	٩٤
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾	٣١	٢٠٨
﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾	٣٧، ٣٨	٤٠٥، ٤٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) ﴾	٣٩	٤٩، ١٣٤
﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) ﴾	٤١	٤٦٥
﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾	٥٧	٦٠
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ﴾	٦١	١٩
﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾	٨٣	٥٠٦
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾	٩٩	٤٦٣
سورة هود		
﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾	١	٣٢، ٤٢، ٤٤
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٣، ١٤	٤٠٥، ٤٠٧
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٣٧	٢٥٣
﴿ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾	٤١	٢٥٢
﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾	٤٤	٢٦٣
﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾	٤٩	٤٣٤
﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾	٦١	٢٧٧
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾	١١٧	٤٦٥
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	١١٨	٤٦٣
﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾	١٢٣	٤٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾	١	٤٠٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾	٤	١٠٨، ١٢١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧ ﴾	٤٧	٧٨
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾	٩	٣٨٩، ٤٠٩
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾	٨٧	٤٤١
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾	٩٤	١٥٣
سورة النحل		
﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ ﴾	٢	٢٧٣، ٣٧٧
﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢ ﴾	٣٢	٤٧٣
﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾	٣٣	١٤٦، ١٦٣
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ٣٦ ﴾	٣٦	١٩٧، ٢٠٣
﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾	٤٠	٨٨
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾	٤٣	١٨٤
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٤٤	١١٤، ٢٥٤، ٣٨٩
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾	٥٠	٢٢٢، ٢٢٤
﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾	٦٨	٤٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾	٩٨	١٩
﴿ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٠ – ١٠٣	٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾	١٢٨	٢٩٤، ٢٩٥
سورة الإسراء		
﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾	٧	٤٦٤
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾	٩	٦٠
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾	١٦	٣٦١
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٦	١١٣
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾	٤٥، ٤٦	٦١
﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	٤٧٩
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	٣٥٢، ٣٦٨، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٨،

الآية	رقمها	الصفحة
		٤٣٦
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	٤٣٧
﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾	١٠٥	٣٧٢
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾	١٠٦	٣٦٨، ٣٨٣
سورة الكهف		
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾	١	٣٢٩، ٣٧٦
﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٤٦٧
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	٤٣٧
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾	٥٧	٤٦٣
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾	٧٨	١٣٤
﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	١٣٤
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾	١٠٧	٣٧٥، ٤٦٧
سورة مريم		
﴿ كهيعص ﴿١﴾ ﴾	١	١٦٧
﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٤٣١
﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	١١	٤٥٠، ٤٥٢
﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	٣٠٠
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾	٦٤	٢٧٣
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾	٦٥	٣١٢
﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾	٩٣	٤٩٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة طه		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾	٥	٧٣، ١٠٧، ١١٥، ١٤٦، ١٦٩، ٢١٣، ٢٥٨
﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٦	٢٥٨
﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠﴾	٢٠	٣٧
﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾	١١ — ١٤	٣٢٥، ٣٦٥، ٤٥٨
﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧﴾	٢٧	١٣
﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾	٣٩	٢٥٢، ٢٥٣
﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾	٤١	٢١٩
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾	٤٦	٩٤، ٢٩٥
﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾	٤٠، ٤١	٢١٧
﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝٨٩﴾	٨٩	٣٢٠
﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾	٩١	٣٠٠
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾	١١٠	٢١٣، ١٢٧
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ۝١١٢﴾	١١٢	٤٩٧
سورة الأنبياء		
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾	١٩	٢٢٤
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾	٢٥	١٩٧، ٢٠٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾	٤٧	٤٩٨
سورة الحج		
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٢٠٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	٣٨
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢	٢٠٦
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾	٦٣	٣٧٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾	٧٣	٤٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧	٥٠٤
سورة المؤمنون		
﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	٣٧٣، ٣٧٦
﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	٦٣	٤٦٨
﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾	٧١	٢٧٤
سورة النور		
﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ	١٦ – ١٨	١١٤، ٤٨١

الآية	رقمها	الصفحة
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾		
﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٤٤٨
سورة الفرقان		
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٥، ٢٦	٢٦٨
سورة الشعراء		
﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾	١، ٢	٣٥٧
﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٣١٩
﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٣٧
﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢	٢٩٤
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	١٩٢ – ١٩٥	٥٩، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٦، ٣٨٩
سورة النمل		
﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٨	٣٢٥
﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾	١٢	٣٧
﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾	١٣	٢٥٢
﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	١١٠
﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا	٥٩، ٦٠	٢٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾	٥٣	٢٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾	٧٠، ٧١	١
سورة سبأ		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١	٣٢٩
﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	٢٢٤
﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٤٦٥
﴿ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ ﴾	٣٨	٣٩٧
سورة فاطر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢٠١، ٤٦٣
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾	١٠	٢١٣، ٢٢٤، ٣٤٨
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٨	٤٩٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٢٩	٥٠٤
سورة يس.		
﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	٩، ١٠	٤٦٣
﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	٤٩١
﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٣، ٢٤	٤٩١
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾	٧١	٢٤٤

الصفحة	رقمها	الآية
٢٢٦، ٢٣٦	٣٦، ٣٧	﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ﴾
١٦٥	٤٤	﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾
٤٧٩	٦٢	﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾
		سورة فصلت
٢٢٤	٢	﴿ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ ﴾
١٤٦، ٢٥٩	١١	﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾
٤٥٢	١٢	﴿ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا ﴾
٣٧٥	٣٢	﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾
٤٠٩	٤٢	﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾
٤٦٤	٤٦	﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾
		سورة الشورى
١٦٧	١، ٢	﴿ حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ ﴾
٧٠	١٠	﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾
٧٣	١١	﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾
١٠٧، ١١١، ١١٢، ١٥١، ٢١٣، ١١٩، ١٦٠، ١٨٨، ٢٦٠، ٣١٢	١١	﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾
٢٢٤، ٣٥٧، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٥٨	٥١	﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾	٥٢	٣٣١، ٤٤٨، ٤٤٩
سورة الزخرف		
﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢، ٣	٣٧٤
﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٣٩٤
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	٩	٢٠٧
﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾	١٣	٢٦٣
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦، ٢٧	٢٠٦
﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٥	٢٨٣، ٢٨٤، ٣٦١
﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	٤٦٥
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وبقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾	٨٤	٢٣٤
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٨٧	٢٠٧
سورة الجاثية		
﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾	٢	٣٧٧
﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٤٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة القيامة		
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١٨
﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨	١٧
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٢، ٢٣	٣٠٢
سورة الإنسان		
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٢	٢٣٢
﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾	٩	٢٤٦
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾	٢٣، ٢٤	٢٥٢، ٣٦٨، ٣٨٣
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾	٢٩، ٣٠	٤٦٨
سورة المرسلات		
﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٥، ٣٦	٤٠
سورة النازعات		
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾	١٥، ١٦	٣٢٦
سورة التكوير		
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾... وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٥ — ٢٩	٣٩٠، ٤٦٨
سورة المطففين		
﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٣٠٢
سورة البروج		
﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	٣٩٤
سورة الفجر		
﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ ﴾	١ — ٣	٤١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾	٢٢	١٦٠، ٢٦٨
سورة الليل		
﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠	٢٤٦
سورة العلق		
﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾	١	١٩٧
سورة القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾	١	٣١٠، ٣٣٩، ٣٥٩، ٣٩٤
سورة البينة		
﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾	٨	٢٨٤
سورة الزلزلة		
﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾	١ ـ ٥	٤٥٢
سورة النصر		
﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾	٣	١٣٨
سورة المسد		
﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾	١	٤٣٩
سورة الإخلاص		
﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾	١	٤٣٩
سورة الفلق		
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾	١ - ٤	١٣

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الملل والنحل التي ورد التعريف بها

فهرس الألفاظ الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

١) الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن تحقيق: د.فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ، الطبعة، الأولى .

٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الراية، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ .

٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء. تحقيق محمد بن حمد النجدي ، دار الإمام الذهبي ، الطبعة الأولى ،١٤١٠هـ.

٤) الاتجاهات العقلانية الحديثة: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الفضيلة الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ .

٥) الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، ١٤٢٦هـ .

٦) إثبات صفة العلو: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الدار السلفية الكويت، ١٤٠٦هـ، الطبعة، الأولى.

٧) أثر المعتزلة في التراث النقدي والبلاغي حتى نهاية القرن السادس: رسالة دكتوراه: لوليد القصاب،دار الثقافة الدوحة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٨) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى .

٩) الإجماع: محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق، صغير أحمد بن محمد حنيف، دار عالم الكتب، ١٤٢٤هـ .

١٠) أحكام القرآن: محمد بن صالح العثيمين: دار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ .

١١) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى .

١٢) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى.

١٣) إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار االمعرفة، بيروت

١٤) إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

١٥) أخبار النحويين: عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٠ هـ، الطبعة، الأولى.

١٦) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق علي سامي النشار، وعمار جمعي الطالبي، دار السلام، (ضمن رسائل عقائد السلف) الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ .

١٧) أديان الهند الكبرى الهندوسية – الجينية – البوذية مع ملحق عن قضية الألوهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الأديان: تأليف الدكتور: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٩م .

١٨) آراء ابن حجر الهيتمي الإعتقادية، عرض وتقويم: محمد بن عبدالعزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ .

١٩) الأربعين في أصول الدين: فخر الدين الرازي، الطبعة الأولى، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٣هـ .

٢٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد: عبدالملك الجويني، تحقيق د. محمد يوسف موسى، وآخر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ .

٢٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ .

٢٣) أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري دار الفكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٢٤) أساس التقديس في علم الكلام: فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٥هـ –١٩٩٥م الطبعة: الأولى .

٢٥) الاستغاثة في الرد على البكري: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبدالله بن محمد السهلي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ ، الطبعة: الأولى .

٢٦) الإستقامة: أحمد بن تيمية، تحقيق: سعيد نصر محمد نصر، مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .

٢٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ الطبعة، الأولى.

٢٨) أسرار البلاغة: عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة .

٢٩) أسرار العربية: الإمام أبو البركات الأنباري، تحقيق: د . فخر صالح قدارة .

٣٠) الأسماء والصفات للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى .

٣١) إشارات المرام من عبارات الإمام: كمال الدين أحمد البياضي الحنفي: تحقيق: يوسف عبدالرزاق، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م .

٣٢) الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة، الأولى، ١٤١٢هـ .

٣٣) أصول البزدوي (كنز الوصول إلى معرفة الأصول) : علي بن محمد البزدوي الحنفي مطبعة جاويد بريس – كراتشي .

٣٤) الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات: د. عبدالقادر عطا صوفي، أضواء السلف، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ .

٣٥) أصول الدين عند أبي حامد الغزالي: أحمد بن عوض الله الحربي، دراسة وتقويم، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ .

٣٦) أصول السنة: محمد بن عبدالله بن أبي زمنين، تحقيق: عبدالله عبدالرحيم البخاري مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

٣٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ١٤١٥هـ .

٣٨) الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر .
٣٩) اعتقاد أهل السنة: أبو بكر أحمد الإسماعيلي، تعليق: د. جمال عزون مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .
٤٠) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: أحمد بن الحسين البيهقي، أبو بكر، تحقيق: عبدالله الدرويش، اليمامة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ .
٤١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ،
٤٢) إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة: دكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية.
٤٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م .
٤٤) إعجاز القرآن: عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب، الشركة العربية للطبعة، القاهرة، ١٣٦١م .
٤٥) الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية .
٤٦) الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م .
٤٧) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ،الطبعة، الأولى .
٤٨) الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد الغزالي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ١٩٩٣م، الطبعة، الأولى .
٤٩) الاقتصاد في الإعتقاد: عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي، أبو محمد، تحقيق د. أحمد عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ .
٥٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، دار العاصمة، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ .

٥١) الانتصار في الرد على المعتزلة الأشرار: يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
٥٢) الانتصار لأصحاب الحديث: منصور بن محمد السمعاني أبو المظفر، تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار، السعودية، ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى.
٥٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى،
٥٤) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد : محمد بن نصر المرتضى اليماني ابن الوزير ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م الطبعة الثانية .
٥٥) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي دار إحياء العلوم، بيروت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الرابعة .
٥٦) الإيمان (الأوسط): أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ .
٥٧) الإيمان (الكبير): أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ .
٥٨) الإيمان للعدني: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٧هـ ، الطبعة: الأولى .
٥٩) البحر المحيط في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.
٦٠) بحوث في أصول التفسير ومناهجه: فهد بن الرومي، الطبعة ، الثامنة، ١٤٢٨هـ .
٦١) بحوث في أصول التفسير: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، الطبعة،الأولى، ١٤٠٨هـ .
٦٢) البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء : مكتبة المعارف ، بيروت .
٦٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة - بيروت .
٦٤) براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة: د عبدالعزيز الحميدي، دار ابن

عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
٦٥) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي، و الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة العاني بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
٦٦) البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د.عبد العظيم محمود الديب، الوفاء المنصورة، مصر، ١٤١٨، الطبعة: الرابعة .
٦٧) البرهان في بيان القرآن: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة الحنبلي: تحقيق الدكتور: سعود بن عبدالله الفنيسان، مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
٦٨) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت الطبعة ، الأولى، ١٤٢٥هـ
٦٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: تحقيق محمد على النجار، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة القاهرة ١٣٨٣هـ لجنة إحياء التراث الإسلامي .
٧٠) البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م .
٧١) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغه: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق، محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة، الأولى، ١٤٠٧ هـ
٧٢) بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، شرح وتعليق عبدالله الصديق، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م، مطبعة دار التأليف بمصر .
٧٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ابن تيمية، مجموعة رسائل في جامعة الإمام، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية ١٤٢٦هـ.
٧٤) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنازنحات: أبو بكر الباقلاني ، عني بتصحيحه ونشره الأب، رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٨م .
٧٥) البيان في ضوء أساليب القرآن: الدكتور عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٧٦) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: د. مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، الطبعة الاولى، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ساعدت جامعة بغداد على نشره.

٧٧) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية .

٧٨) تاريخ البلاغة: للدكتور عبدالعزيز عتيق دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٧٠م .

٧٩) تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م، الطبعة: الأولى .

٨٠) التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر .

٨١) تاريخ بغداد : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨٢) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

٨٣) التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ ، الطبعة: الأولى .

٨٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، الطبعة الأولى .

٨٥) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ الطبعة، الثالثة .

٨٦) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة

٨٧) تحريم النظر في كتب الكلام: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، عالم الكتب السعودية، الرياض، ١٤١٠هـ ، الطبعة: الأولى .

٨٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبدالرحمن المباركفوري، اعتنى بها علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان الطبعة الثانية،١٤٢١هـ .

٨٩) التحفة العراقية في الأعمال القلبية: أحمد بن تيمية: تحقيق، د. يحيى بن محمد الهنيدي،

مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ .
٩٠) تحفة المريد بشرح جوهرة التوحيد: إبراهيم بن محمد الباجوري، تحقيق: عبدالسلام بن عبدالهادي شنار، مكتبة دار البيروتي، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
٩١) تخريج أحاديث مشكلة الفقر: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأول، ١٤٠٥هـ .
٩٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين السيوطي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ .
٩٣) التدمرية: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ .
٩٤) تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة، الأولى .
٩٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان: محمد بن نصر المرتضى اليماني ابن الوزير ، مطبعة المعاهد بمصر .
٩٦) التسعينية: أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: د. محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
٩٧) التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ، الطبعة، الأولى، ١٤٠٥هـ .
٩٨) تفسير البيضاوي: عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الفكر، بيروت .
٩٩) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي ، دار الفكر، بيروت .
١٠٠) تفسير القرآن الحليم، الشهير بتفسير المنار،: السيد محمد رشيد رضا، منشيء مجلة المنار، مكتبة القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
١٠١) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء : دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ .
١٠٢) تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ،

الطبعة، الأولى .
١٠٣) تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية صيدا .
١٠٤) تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٠هـ ، الطبعة، الأولى .
١٠٥) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى .
١٠٦) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي،، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة، الأولى، ١٤١٥هـ .
١٠٧) تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية بيروت .
١٠٨) تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ ، الطبعة، الأولى،
١٠٩) تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، الطبعة، الأولى،
١١٠) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل : محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الطبعة، الأولى .
١١١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ .
١١٢) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية: عبدالعزيز الناصر الرشيد، دار الرشيد، ودار العواصم، الدار الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ .
١١٣) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضبط نصه وخرج أحاديثها: محمد بن سليمان آل بسام، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ .

١١٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان .
١١٥) تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الفكر بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤، الطبعة: الأولى .
١١٦) تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٠ هـ ، الطبعة، الأولى
١١٧) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق، محمد عوض مرعب
١١٨) تيسير التحرير: محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر، بيروت .
١١٩) تيسير العزير الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبدالله، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ .
١٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٢١) الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر١٣٩٥هـ ، الطبعة، الأولى .
١٢٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني حققها محمد خلف الله، ودكتور محمد زعلول، سلام دار المعارف، بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م .
١٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ .
١٢٤) جامع التحصيل في أحكام المراسيل: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي: تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧، الطبعة، الثانية.
١٢٥) جامع الرسائل: أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٢٦) جامع بيان العلم وفضله : يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ .
١٢٧) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب،

القاهرة .

١٢٨) الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة ، الأولى، ١٢٧١ هـ .

١٢٩) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد لوح، دار ابن القيم، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ .

١٣٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني، مصر .

١٣١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، مير محمد كتب خانه ،كراتشي .

١٣٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن القيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ .

١٣٣) الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت، ١٤٠١، الطبعة، الرابعة.

١٣٤) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني أبو القاسم، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي وآخر، دار الراية، السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ ، الطبعة الثانية.

١٣٥) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي أبو محمد، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩ هـ، الطبعة، الأولى .

١٣٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة .

١٣٧) الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان- بيروت ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م،

١٣٨) الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.

١٣٩) خلق أفعال العباد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

١٤٠) الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.

١٤١) درأ تعارض العقل والنقل: أحمد عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية .

١٤٢) دراسات في علوم القرآن الكريم : فهد بن عبدالرحمن الرومي، الطبعة ، الرابعة عشر.

١٤٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد، الهند، ١٣٩هـ-١٩٧٢م، الطبعة، الثانية .

١٤٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلميه، بيروت .

١٤٥) ديوان الأعشى، شرح د. يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

١٤٦) ديوان حسان بن ثابت، دار صادر، بيروت، الطبعة ، الثانية، ١٤٣٠هـ .

١٤٧) ذم التأويل: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ ، الطبعة، الأولى.

١٤٨) ذم الكلام وأهله: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى .

١٤٩) ذيل تاريخ بغداد: محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت .

١٥٠) الذيل على طبقات الحنابلة: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

١٥١) الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير الكويت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، الطبعة، الثانية.

١٥٢) الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن: أحمد بن حنبل، دراسة وتحقيق: دغش العجمي، دار الإمام البخاري، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ،

١٥٣) الرد على المنطقيين: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة، بيروت .

١٥٤) الرد على من يقول "ألم" حرف لينفي الألف والميم عن كلام الله: عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: عبدالله بن يوسف الجديع، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأول، ١٤٠٩هـ .

١٥٥) الرد على من يقول القرآن مخلوق : أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر، تحقيق: رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ

١٥٦) رسائل العدل والتوحيد: يحيى الهادي الشريف، المرتضي القاسم الرسي، القاضي عبدالجبار أبي رشيد النيسابوري، اختارها وقدم لها سيف الدين الكاتب، مجاز من جامعة الازهر، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان .

١٥٧) رسالة التوحيد: محمد عبده، دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م

١٥٨) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: عبيدالله بن سعيد السجزي، تحقيق: محمد باكريم باعبدالله، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

١٥٩) رسالة إلى أهل الثغر: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم السعودية، لبنان، ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية .

١٦٠) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد عبدالله بن يوسف بن محمد، الجويني، تحقيق: أحمد بن معاذ بن علوان حقي، دار الطويق، الرياض، ١٩٩٨م .

١٦١) الرسالة: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر القاهرة، ١٣٥٨هـ .

١٦٢) الرسل والرسالات: عمر بين سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٧هـ .

١٦٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٦٤) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه: موفق الدين: عبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالكريم بن على النملة، دار العاصمة، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ .

١٦٥) زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة، الثالثة .

١٦٦) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤١٢هـ .

١٦٧) الزيادة والإحسان في علوم القرآن:محمد بن أحمد بن عقيلة المكي،تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقه، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .

١٦٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي .

١٦٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .

١٧٠) السنة: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى،

١٧١) السنة: عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٦هـ الطبعة، الأولى،

١٧٢) السنة:أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق، باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ .

١٧٣) سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت .

١٧٤) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .

١٧٥) سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ،

١٧٦) سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٧٧) سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وآخرين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، التاسعة ، ١٤١٣هـ .

١٧٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير ، دمشق، ١٤٠٦هـ، الطبعة، الطبعة الأولى .

١٧٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : أبو القاسم هبة بن الحسن اللالكائي تحقيق: د. أحمد سعد الغامدي، دار طيبة، الطيبة الثامنة ١٤٢٣هـ .

١٨٠) شرح الأربعين النووية: محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ .

١٨١) شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبدالجبار بن أحمد، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، سنة١٣٨٤ – ١٩٦٥.

١٨٢) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، الطبعة، الثانية .

١٨٣) شرح السنة: الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، دار الصميعي، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ .

١٨٤) شرح العقيدة الأصفهانية: أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .

١٨٥) شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الثالثة عشر، ١٤١٩هـ.

١٨٦) شرح العقيدة الطحاوية: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ضمن (جامع شروح العقيدة الطحاوية) دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأول، ١٤٢٧هـ .

١٨٧) شرح العقيدة الطحاوية،: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ .

١٨٨) شرح العقيدة الواسطية: محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه، سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ .

١٨٩) شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل الهراس، ضبط نصه: علوي عبدالقادر السقاف، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ .

١٩٠) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ، الطبعة، الثانية، ١٤١٣ هـ .

١٩١) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة: محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الطبعة الأولى .

١٩٢) شرح حديث النزول: أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الخميس، دار العاصمة، الطبعة الثانية،١٤١٨هـ .

١٩٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: عبدالله بن محمد الغنيمان، دار لينة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ .

١٩٤) شرح مختصر الروضة: نجم الدين سليمان الطوفي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ،

١٩٥) شرح نونية ابن القيم: أحمد بن ابراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ .

١٩٦) الشريعة: محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ .

١٩٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: شمس الدين ابن القيم، تحقيق عمر بن سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

١٩٨) الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧ هـ، الطبعة: الأولى .

١٩٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م .

٢٠٠) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق:

د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت، الطبعة ، الثالثة، ١٤٠٧هـ .

٢٠١) صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .

٢٠٢) صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأول، ١٤٢٠هـ .

٢٠٣) صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ، الطبعة الثانية .

٢٠٤) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٠٥) الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها: د٠ سامي عطا حسن بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الصادرة عن جامعة الكويت العدد(٥١)، شوال ١٤٢٣هـ .

٢٠٦) صريح السنة: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، ١٤٠٥هـ ، الطبعة: الأولى .

٢٠٧) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية: د.محمد الجامي، مكتبة الفرقان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ .

٢٠٨) الصفات: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله الغنيمان ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ ، الطبعة: الأولى،

٢٠٩) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية تحقيق: د. على بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الثالثة،١٤١٨هـ .

٢١٠) صيد الخاطر: عبدالرحمن بن علي الجوزي، عناية: حسن المساحي سويدان دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

٢١١) الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ، الطبعة، الأولى .

٢١٢) ضعيف الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ .

٢١٣) طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ، الطبعة، الأولى .
٢١٤) طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي دار المعرفة، بيروت .
٢١٥) طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة، الثانية .
٢١٦) طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة، الأولى، ١٤٠٧هـ
٢١٧) طبقات الفقهاء الشافعية : تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، ١٩٩٢م ، الطبعة، الأولى .
٢١٨) طبقات الفقهاء: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق،، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت .
٢١٩) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار صادر بيروت .
٢٢٠) طبقات المعتزلة: أحمد بن يحيى المرتضي، عنيت بتحقيقه سوسنة ديفلد قلزر،توزيع مؤسسة الريان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .
٢٢١) طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة، الأولى،
٢٢٢) طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ ، الطبعة: الأولى،
٢٢٣) طبقات فقهاء اليمن: عمر بن على سمرة الجعدي: تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ١٩٥٧م .
٢٢٤) ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ .

٢٢٥) عالم الملائكة: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٣هـ .
٢٢٦) العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، الطبعة الثانية .
٢٢٧) العرش وما روي فيه: محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي أبو جعفر، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦ هـ، الطبعة، الأولى .
٢٢٨) عقيدة التوحيد وبيان مايضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، دار العاصمة الطبعة ، الأولى، ١٤٢٠هـ .
٢٢٩) عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق، ناصر بن عبدالرحمن الجديع، دار العاصمة، الطبعة، الثانية، ١٤١٩هـ.
٢٣٠) العقيدة السلفية في كلام رب البرية: عبدالله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية،١٤٣٠هـ .
٢٣١) العقيدة في الله: عمر سليمان الاشقر: دار النفائس، الاردن، الطبعة: الثانية عشر ١٤٢١هـ .
٢٣٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى
٢٣٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود . مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى،
٢٣٤) علوم الحديث: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ .
٢٣٥) علوم القرآن بين البرهان والإتقان : حازم سعيد حيدر، دراسة موازنة، دار الزمان، الطبعة، الثانية ، ١٤٢٧هـ .
٢٣٦) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير: محمد صفا شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة ، الأولى ، ١٤٢٥هـ .

٢٣٧) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه: د. عدنان بن محمد زرزور، دار الأعلام، الطبعة الأول، ١٤٢٦هـ .
٢٣٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٣٩) غاية المرام في علم الكلام: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ،
٢٤٠) غريب الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة ، الأولى، ١٣٩٧هـ .
٢٤١) غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة، الأولى ، ١٣٩٦ هـ .
٢٤٢) الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٧م، الطبعة، الأولى.
٢٤٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب، محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية .
٢٤٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب .
٢٤٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ١٤٢٢هـ الطبعة: الثانية،
٢٤٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني : دار الفكر، بيروت .
٢٤٧) الفتوى الحموية الكبرى : أحمد بن تيمية، دراسة وتحقيق: حمد بن عبدالمحسن التويجري، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
٢٤٨) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧، الطبعة، الثانية .
٢٤٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو

محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة .
٢٥٠) فصول في أصول التفسير: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة، الثالثة ، ١٤٢٠هـ .
٢٥١) الفصول في الأصول : أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥ هـ، الطبعة، الأولى .
٢٥٢) الفقيه والمتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢١هـ، الطبعة، الثانية .
٢٥٣) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق: نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، تقديم الأستاذ ، محمد بهجة البيطار .
٢٥٤) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: حققه وأكمل فوائده: الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الاسلامية، بيروت الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م .
٢٥٥) في البلاغة العربية، علم المعاني البيان، البديع للدكتور عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية بيروت .
٢٥٦) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات: الدكتور محمد عبد السلام كفافي، والاستاذ عبد الله الشريف، دار النهضه العربيه، بيروت، ١٩٨١م .
٢٥٧) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة: أبو حامد الغزالي: تحقيق الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م دار احياء الكتب العربية .
٢٥٨) القائد إلى تصحيح العقائد: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ .
٢٥٩) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرساله، بيروت .
٢٦٠) قانون التأويل: أبي حامد بن محمد الغزالي الطوسي: تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عنى بنشره السيد غزت العطار الحسيني ، مؤسس ومدير مكتب الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ .

٢٦١) القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم، دراسة عقدية: محمد هشام طاهري، دار التوحيد، الرياض، الطبعة، الأولى ، ١٤٢٦هـ .

٢٦٢) القضاء والقدر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، الطبعة، الأولى .

٢٦٣) القضاء والقدر: عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ .

٢٦٤) قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .

٢٦٥) قواعد العقائد: أبو حامد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية .

٢٦٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد الصالح العثيمين، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، ١٤١٦هـ .

٢٦٧) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد: محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، تحقيق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ١٤٢٦هـ، الطبعة: الثانية .

٢٦٨) القول المفيد في على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، جمعه وخرج أحاديثه د. سليمان أبا الخيل، وآخر، دار ابن الجوزي، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

٢٦٩) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة – ١٤١٣ – ١٩٩٢، الطبعة، الأولى .

٢٧٠) كتاب الصاحبي في فقه اللغة: لأبي الحسين بن فارس، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٧١) كتاب أصول الدين: أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، طبعة مصورة عن الطبعة الاولى، استانبول، مطبعة الدولة ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ١٩٨١ .

٢٧٢) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته: أبوعبيد القاسم بن سلام، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٢٧٣) كتاب الإيمان: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي ناصر فقيهي، دار الفضيلة، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ .

٢٧٤) كتاب التبصير في معالم الدين: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

٢٧٥) كتاب التحدث بنعمة الله: جلال الدين السيوطي: تحقيق اليزابث ماري سارتين المطبعة العربية الحديثة .

٢٧٦) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة،: تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة: الخامسة .

٢٧٧) كتاب التوحيد: أبو منصور الماتريدي، حققه وقدم له الدكتور: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية .

٢٧٨) كتاب التوحيد: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: د. علي ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .

٢٧٩) كتاب الحيدة: عبدالعزيز بن يحيى الكناني، تحقيق: د. جميل صليبا، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ .

٢٨٠) كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ، الطبعة، الثانية .

٢٨١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، أبو الفضل اليحصبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ .

٢٨٢) كتاب الصفدية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الفضيلة، تحقيق: محمد رشاد سالم . الرياض، ١٤٢١هـ .

٢٨٣) كتاب العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، حققه وعلق عليه وخرج نصه الدكتور أحمد بن على سير المباركي، مؤسسة الرسالة،

بيروت الطبعة الاولى، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٢٨٤) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

٢٨٥) كتاب المصاحف: أبو بكر عبدالله بن أبي داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني، صححه ووقف على طبعه الدكتور آثر جفري، المطبعة الرحمانية، الطبعة الأولى، ١٩٣٦م، ١٣٥٥هـ .

٢٨٦) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي المقريزي، دار التحرير للطبع والنشر ، ١٢٧٠هـ .

٢٨٧) كتاب النبوات: أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .

٢٨٨) كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل: لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي، تحقيق محي الدين عبدالرحمن رمضان، دمشق، ١٣٩٠هـ ١٩٧١م .

٢٨٩) كتاب قضية المحكم والمتشابه د.محمودعبدالزراق، بحث منشور في مجلة جامعة الملك خالد، العدد (٢) .

٢٩٠) كتب الإعجاز البلاغي في القرآن، دراسة عقدية نقدية: أحمد العاكش، رسالة دكتوراه في جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ .

٢٩١) كشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت .

٢٩٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ الطبعة، الرابعة .

٢٩٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن ، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٩٤) الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي تحقيق: أبو

عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة
٢٩٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ .
٢٩٦) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .)
٢٩٧) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت الطبعة، الأولى .
٢٩٨) لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة، الثالثة، ١٤٠٦هـ .
٢٩٩) اللمع في أصول الفقه: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ ، الطبعة: الأولى .
٣٠٠) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: محمد السفاريني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ .
٣٠١) الماتريدية دراسة وتقويماً: د. أحمد بن عوض الله الحربي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ .
٣٠٢) مباحث في إعجاز القرآن: د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ .
٣٠٣) مباحث في عقيدة أهل السنة وموقف الحركات الإسلامية منها: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الطبعة ، الأولى، ١٤١٢هـ .
٣٠٤) مباحث في علوم القرآن: للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة، الرابعة ، ١٩٦٥م .
٣٠٥) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الثالثة ، ١٤٢١هـ.
٣٠٦) متشابه القرآن للقاضي: عبدالجبار بن أحمد الهمذاني ت ٤١٥هـ تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور، دار التراث القاهرة .

٣٠٧) متشابه القرآن، دراسة موضوعية: عدنان محمد زرزور، مكتبة دار الفتح، بدمشق الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

٣٠٨) مجاز القرآن: معمر بن المثنى أبو عبيدة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي .

٣٠٩) المجاز في البلاغة العربية: مهدي صالح السامرائي، دار الدعوة حماة سورية، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٣١٠) المجاز وأثره في الدرس اللغوي: د. محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٠م .

٣١١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧هـ .

٣١٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٥هـ .

٣١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان الطبعة ، الأولى، ١٤١٣هـ .

٣١٤) المحرر في علوم القرآن: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة، الاولى، ١٤٢٧هـ .

٣١٥) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: فخر الدين الرازي، راجعه، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الازهرية، وبذيله تلخيص المحصل نصر الدين الطوسي .

٣١٦) المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٠هـ ، الطبعة، الأولى .

٣١٧) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى.

٣١٨) محمد بن حمد النجدي، دار الإمام الذهبي، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ .

٣١٩) محنة الإمام أحمد بن حنبل، جمع حنبل بن إسحاق، دراسة وتحقيق: محمد نغش، مطبعة سعدى وشندى، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٢٠) المحيط بالتكليف: للقاضي عبدالجبار، جمع الحسن بن احمد بن متوية، تحقيق: عمر السيد عزمي، مراجعة الدكتور احمد فؤاد الاهواني، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٣٢١) المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني أبو القاسم، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، الطبعة، الأولى .

٣٢٢) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ ،

٣٢٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

٣٢٤) مختصر العلو للعلي الغفار: شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ .

٣٢٥) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦، الطبعة الثانية .

٣٢٦) المختصر في أصول الدين: عبدالجبار (ضمن رسائل العدل والتوحيد)

٣٢٧) المختصر في تاريخ البلاغة للدكتور عبد القاهر حسين دار الشروق الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٣٢٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ ، الطبعة، الثانية .

٣٢٩) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية للدكتورأحمد خليل دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٨م .

٣٣٠) مدخل إلى علوم القرآن والتفسير: للدكتور فاروق حمادة، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م .

٣٣١) المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل بيروت،

١٤١٢هـ .
٣٣٢) مذكرة في أصول الفقه: محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ .
٣٣٣) مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات: أحمد بن عثمان القاضي، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.
٣٣٤) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
٣٣٥) المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين: محمد العروسي عبدالقادر مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .
٣٣٦) مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة: د . عبدالرزاق بن طاهر معاش، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .
٣٣٧) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى،
٣٣٨) المستصفى في علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣، الطبعة، الأولى .
٣٣٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة مصر .
٣٤٠) مسند الشهاب: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م، الطبعة، الثانية .
٣٤١) المسودة في أصول الفقه: عبد السلام، عبد الحليم، أحمد بن عبد الحليم آل تيمية، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المدني، القاهرة،
٣٤٢) مشكل الحديث وبيانه: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، الطبعة، الثانية،
٣٤٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،

المكتبة العلميه، بيروت .
٣٤٤) مصطلحات علوم القرآن عرض وتحليل واستدراك: سليمان القرعاوي ١٤٢٣هـ.
٣٤٥) المصنف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩ هـ، الطبعة، الأولى .
٣٤٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول في التوحيد: حافظ بن أحمد الحكمي، ضبط نصه، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ .
٣٤٧) معالم التنزيل : الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك دار المعرفة، بيروت .
٣٤٨) معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس ، تحقيق: محمد علي الصابوني جامعة أم القرى، مكة المرمة ١٤٠٩، الطبعة، الأولى .
٣٤٩) معترك الأقران في وجوه إعجاز القرآن: عبدالرحمن أبو السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .
٣٥٠) المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى،
٣٥١) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م الطبعة، الأولى .
٣٥٢) المعجم الأوسط، اسم المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
٣٥٣) المعجم الصغير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي ، دار عمار، بيروت ، عمان، ١٤٠٥هـ ، الطبعة الأولى .
٣٥٤) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
٣٥٥) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دارالجيل، بيروت الطبعة ، الأولى، ١٤١١ هـ .

٣٥٦) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ ، الطبعة: الأولى .

٣٥٧) المعرفة في الإسلام : د. عبدالله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

٣٥٨) معنى لا إله إلا الله: بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، تحقيق: علي محيي الدين علي القرة راغي، دار الاعتصام، القاهرة ١٤٠٥هـ ، الطبعة، الثالثة،

٣٥٩) المغني في أبواب العدل والتوحيد: إملاء القاضي عبدالجبار: تحقيق مجموعه من الباحثين، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ -١٩٦٢م .

٣٦٠) المغني في الضعفاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر .

٣٦١) مفتاح دار السعادة: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن حسن الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

٣٦٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان .

٣٦٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق، هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة، الثالثة

٣٦٤) مقالات الشيخ أبي الحسن الاشعري: محمد بن الحسن بن فورك ت، تحقيق أ.د أحمد عبدالرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ القاهرة .

٣٦٥) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم بيروت - ١٩٨٤، الطبعة: الخامسة .

٣٦٦) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤ هـ .

٣٦٧) من روائع القرآن: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي الطبعة الثالثة، ١٣٩٢-١٩٧٢م .

٣٦٨) مناهل العرفان دراسة وتقويم: خالد السبت، دار ابن عفان، الطبعة، الثانية، ١٤٢٢هـ .

٣٦٩) مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب، بيروت، الطبعة، الثانية، ١٤١٧هـ .

٣٧٠) المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن: أحمد أبو زيد، مكتبة المعارف الرباط الطبعة الأولى، ١٩٨٦م .

٣٧١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز: محمد الأمين الشنقيطي، (ضمن أضواء البيان)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، خرج أحاديثه: محمد عبدالعزيز الخالدي.

٣٧٢) منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية: أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ

٣٧٣) المنهاج في شعب الإيمان: لأبي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأول، ١٣٩٩هـ .

٣٧٤) منهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف وموقفه من المخالفين لها: د. علي بن محمد الشهراني، بيت الأفكار الدولية، عمان . ٢٠٠٥م .

٣٧٥) منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الطبعة السادسة ١٤٢٩هـ .

٣٧٦) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٣٧٧) المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسيره يوم يكشف عن ساق، وإبطال دعوى اختلافهم فيها: سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٧٨) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: محمد بن إبراهيم بن جماعة،، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ، الطبعة، الثانية .

٣٧٩) المواقف في علم الكلام: عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت

٣٨٠) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة الخامسة،١٤٢٤هـ .

٣٨١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبدالرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

٣٨٢) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرض ونقد: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٣٨٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ، عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، الطبعة، الأولى .

٣٨٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الطبعة، الأولى .

٣٨٥) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ١٤٢٢هـ

٣٨٦) نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ: محمد بن عبدالرحمن الشايع، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٣٨٧) نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي مكتبة الرشد، السعودية، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م الطبعة، الأولى.

٣٨٨) نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية: خالد بن علي الغامدي، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ .

٣٨٩) نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ ، الطبعة: الأولى،

٣٩٠) نهاية الاقدام في علم الكلام عبدالكريم الشرستاني، حرره الفرد جيوم .

٣٩١) نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ ، الطبعة، الأولى .

٣٩٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور بكري شيخ الأمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م .

٣٩٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق:

طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،

٣٩٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٣٩٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥، الطبعة، الأولى.

٣٩٦) الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا، المكتب الإسلامي، الطبعة العاشرة، ١٤٠٥هـ.

٣٩٧) الوصول إلى الأصول: أحمد بن علي بن برهان البغدادي، تحقيق: الدكتور عبدالحميد علي أبو زنيد، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٣٩٨) وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان .

٣٩٩) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني:

المجاز . وفيه ثلاثة مباحث:

الفصل الثالث:

التأويل والتفويض .وفيه مبحثان:

الفصل الرابع:

خبر الآحاد . وفيه مبحثان:

الباب الثاني: المسائل العقدية في كتب علوم القرآن . وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقه بتوحيد الربوبية والألوهية . وفيه تمهيد، ومبحثان .

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقه بتوحيد الأسماء والصفات . وفيه خمسة مباحث:

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن: وفيه خمسة مباحث: